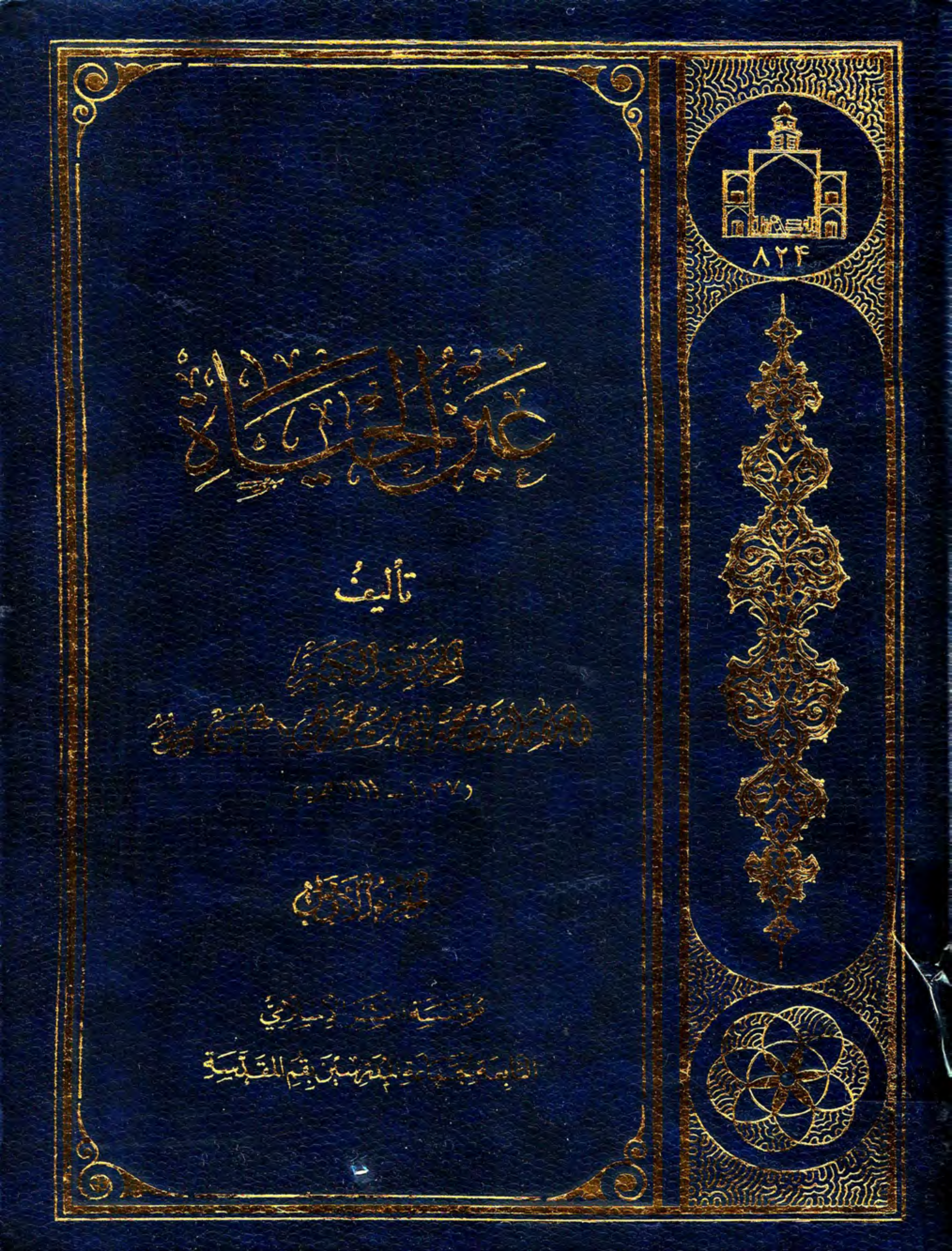
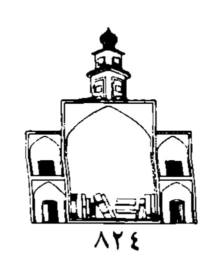


٨٢٤
عين الحياة
تأليف
المحدّث الأكبر
العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
(١٠٣٧ ـ ١١١١هـ)
الجزء الأول
مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة



٨٢٤



تأليف

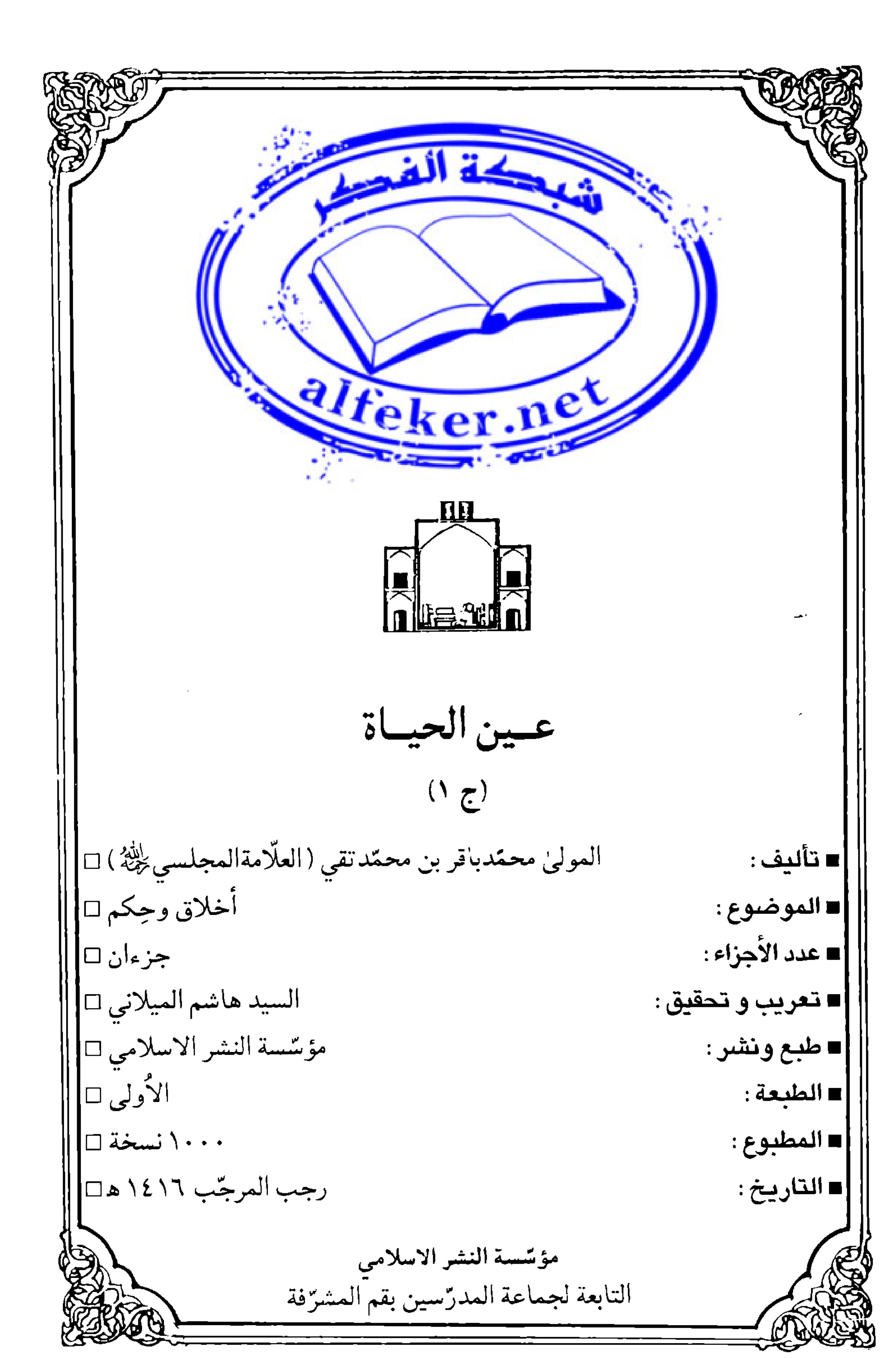
المحدّث الكبير

العلاّمة الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي قدس سره

(١٠٣٧ - ١١١١ هجرية)

الجزء الأول

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة



عين الحياة

(ج ١)

■ تأليف : المولىٰ محمّدباقر بن محمّد تقي (العلّامة المجلسي رحمه الله) □

■ الموضوع : أخلاق وحِكم □

■ عدد الأجزاء : جزءان □

■ تعريب و تحقيق : السيد هاشم الميلاني □

■ طبع ونشر : مؤسّسة النشر الاسلامي □

■ الطبعة : الأُولى □

■ المطبوع : ١٠٠٠ نسخة □

■ التاريخ : رجب المرجّب ١٤١٦ هـ □

مؤسّسة النشر الاسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة اختباراً وابتلاءً، والصلاة والسلام على سيد رسل الله وأشرف الخلق ابتداءً وانتهاءً، وعلى أهل بيته أُولي النُهى ومعادن التُقى وحجج الإله نصّاً وايصاءً، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

وبعد، فإنّ الله عزّ شأنه خلق الخلق ولم يتركهم سدىً بل قدّر وهدى، فأرسل الرسل وبعث الأنبياء مبشّرين ومنذرين، وعزّزهم بالأولياء الكاملين والأوصياء الراشدين، كلٌّ ذلك لأجل صيانة الإنسان من الانحراف، والأخذ بيده نحو جادّة الصواب، وضمان سعادته الدنيوية ونجاته الأُخروية، ولا يحدّ اللطف الإلهي على الانسان بهذا الحدّ بل لطفه دائم وفيضه مبسوط وبركاته متوالية ونعمه لا تُحصى.

ومن جملة بركات الله ونعمه على الإنسان أن هيّأ في كلّ عصرٍ وزمان علماء

عاملين وعباداً صالحين وأجرى الحقّ على ألسنتهم وأيديهم فتكلّموا وألّفوا بالحقّ وذبّوا عنه، وأزالوا الشبهات، وأوضحوا المبهمات، وأنقذوا الناس من المهاوي والضلالات. فصارت آثارهم للعباد دروعاً واقية ولأرواح أصحابها بحقّ صدقة جارية.

ومن الأمثلة الصادقة التي شملتهم يد العناية الإلٰهية وبورك لهم في حياتهم ومماتهم المحدّث الخبير والعلاّمة النحرير الشيخ محمّد باقر ابن العلاّمة الشيخ محمّد تقي المجلسي ـ طيّب الله رمسهما ونوّر مضجعهما ـ والذي فضله أشهر من أن يذكر، صاحب «بحار الأنوار» الموسوعة الحديثية الكبيرة.

ومن بركات هذا العَلَم الكتاب الماثل بين يديك ـ عزيزنا القارئ ـ والموسوم بـ«عين الحياة» وكان قد ألّفه بالفارسية شارحاً فيه وصيّة النبي صلى الله عليه وآله المعروفة لأبي ذرّ الغفاري التي جمع فيها النبي صلى الله عليه وآله أبواب الخير كلّها وحذّره من أبواب الشرّ كلّها فكان شرحاً وافياً لا بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ، وازدانه بذكر الروايات الشريفة المرويّة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء.

وقد أقدم على تعريبه الأخ الفاضل السيد هاشم الميلاني، ومن ثُمّ تخريجه وتحقيقه، وتلقّت مؤسّستنا عمله بالقبول والرضا شاكرين له جهده فأقدمت على طبعه ونشره خدمةً للدين وإحياءً للتراث، سائلين الله عزّ اسمه أن يوفّقنا جميعاً للمزيد في هذا المضمار وله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

مؤسّسة النشر الاسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد والثّناء لله الكبير المتعال، الحكيم الذي صيقل ألواح أرواح العباد التي هي مظهر الغرائب، بالمواعظ الشافية، والحكم الزّاهرة، وجعلها مرآةً لصفات كماله، الذي أجرىٰ ينابيع الحقائق علىٰ بساتين قلوبهم الصّافية، وحدائق صدورهم الزّاكية، بواسطة أنبيائه ورسله وأصفيائه، حتّى أينعت ثمار المحبّة، وغرست رياحين المودّة والمعرفة فيها.

والصّلاة والسّلام علىٰ زبدة عالم الوجود، وصاحب المقام المحمود، وباعث ايجاد السّبع الطباق، ومتمّم صحيفة مكارم الأخلاق، الموسوم من خزانة الفيض الأزلي بقوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

والممتاز بالشّفقة والرّحمة في قوله تعالى:

---

(١) القلم: ٤.

«حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»[١].

أعني سيّد المرسلين، وفخر العالمين، وشفيع المذنبين، ورحمة الله علىٰ الأوّلين والآخرين محمّد بن عبد الله خاتم النبيّين، ثمّ الصلاة والسّلام علىٰ أهل بيته الأطهار الأخيار، حيث أضيئت الأرض والسّماء بنور الولاية في قلوب محبّيهم، وسطع ضياء اليقين والايمان من جبين شيعتهم، بمقتضىٰ قوله:

«سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ اَثَرِ السُّجُودِ»[٢].

سيّما سيّد الأوصياء، وإمام الأتقياء، شفيع يوم الجزاء، باب مدينة العلم، ومحطّ سفينة الحلم، أعني وليّ الله المرتضىٰ، وسيف الله المنتضىٰ، أمير المؤمنين، ويعسوب المسلمين، أسد الله الغالب، وشهابه الثّاقب، سيّد الأوصياء، عليّ بن أبي طالب، صلوات الله عليهم أجمعين، ولعنة الله علىٰ اعدائهم أبد الآبدين.

أمّا بعد، يقول المستمد من الفيوضات الأزليّة محمّد باقر بن محمّد تقي عفا الله عن جرائمهما: لمّا ابتلى الحكيم العليم نفوس البشر بالغفلة والشّهوات طبقاً لحكمته الكاملة، ومصلحته الشّاملة، لابدّ للحيارىٰ في وادي الغفلة، والسّكارىٰ من شراب البغي والضّلالة، من المواعظ الحسنة، والنّصائح الشّافية الجميلة، علّهم يفيقون من نوم الغفلة وسكر الضّلالة، فلذا شحن الحكيم علىٰ الاطلاق كلامه المعجز بالنصائح الشّافية، والأمثال والحكم، وأمر قادة الدين والهادين لمسالك اليقين إقتفاء هذا الأسلوب، حيث قال:

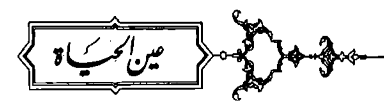
«اُدْعُ اِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ»[٣].

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) النحل: ١٢٥.



فوردت وصايا وحكم ومواعظ كثيرة، حتّى تجاوزت حدّ الاحصاء عن لسان النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته الكرام عليهم السّلام.

فرأيت من المناسب أن أذكر وصيّة من وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أوصىٰ بها زبدة أصحابه وأتباعه أبا ذر الغفاري رضوان الله عليه، واخترتها لشمولها، وكونها أجمع ما ورد عن أهل بيت الوحي، ولم أقيّد نفسي بذكر العبائر الجيّدة، والاستعارات الحسنة، وانّما اخترت لها عبارات قريبة مفهمة، مؤدّية للمطلب كي ينتفع من هذه المائدة الرّبانيّة كلّ مؤمن ومؤمنة.

وسمّيته بـ«عين الحياة» لرجائي من الله تعالى أن يحيي به القلوب القاسية الميّتة في هذه الدّنيا الدنيّة المغرّة، انّي ناقص عديم الاستطاعة فأرجو من القراء أن لا يعيبوا عليّ، وأن لا ينسوا هذا الضّال في حياته وبعد موته من الدّعاء، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مقدّمة

في ذكر فضائل وأحوال أبي ذر:

كنيته أبوذر، واسمه علىٰ الأصح جندب بن جنادة، وأصله عربيّ من قبيلة بني غفار، والمستفاد من أخبار الخاصّة والعامّة، انّه لم يكن في الصّحابة بعد المعصومين عليهم السّلام أجلّ قدراً، وأرفع شأناً من سلمان الفارسي، وأبي‌ذر، والمقداد بن الأسود الكندي، ويظهر من بعض الأخبار انّ سلمان أفضل من أبي‌ذر، وهو أفضل من المقداد.



وهناك أحاديث كثيرة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بأنّ النّاس ارتدّوا كلّهم الّا ثلاثة: سلمان وأبوذر والمقداد، لم يدخلهم شك قط[1]، ثمّ رجع جمع قليل من الصّحابة، وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام وبقي جلّهم علىٰ الكفر.

في فضائل سلمان وأبي ذر والمقداد رضي الله عنهم:

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان اذهب إلىٰ فاطمة. فقل لها تتحفك من تحف الجنّة، فذهب إليها، فاذا بين يديها ثلاث سلال. فقال لها: يا بنت رسول الله أتحفيني.

قالت: هذه ثلاث سلال جاءتني بها ثلاث وصائف، فسألتهنّ عن أسمائهنّ، فقالت واحدة: أنا سلمى لسلمان، وقالت الأخرىٰ: أنا ذرّة لأبي ذر، وقالت الأخرىٰ: أنا مقدودة للمقداد، [قال سلمان:] ثمّ قبضت فناولتني، فما مررت بملأ الّا ملئوا طيباً لريحها[2].

وروي عن الامام موسىٰ الكاظم عليه السلام انّه قال: إذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد: أين حواري محمّد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبوذر ...[3].

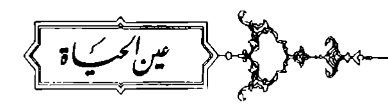
وروي عن الصّادق عليه السلام انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: ... انّ الله أمرني بحبّ أربعة، قالوا: ومَن هم يا رسول الله؟ قال: عليّ بن أبي طالب، والمقداد بن

---

(١) راجع اختيار معرفة الرّجال ١: ٢٦ ح ١٢ ـ عنه البحار ٢٢: ٣٥١ ح ٧٦ باب ١٠ ـ والاختصاص: ١٠.

(٢) اختيار معرفة الرّجال ١: ٣٩ ح ١٩ ـ عنه البحار ٢٢: ٣٥٢ ح ٨١ باب ١٠.

(٣) اختيار معرفة الرّجال ١: ٣٩ ح ٢٠، وفي البحار ٢٢: ٣٤٢ ضمن حديث ٥٢ عن روضة الواعظين.



الأسود، وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي[1].

وروي بأسانيد كثيرة في كتب الشّيعة والسنة ، انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال:

ما أظلّت الخضراء، وما أقلّت الغبراء، علىٰ ذي لهجة أصدق من أبيذر...[2].

وروى ابن عبد البر ـ من أعاظم علماء أهل السّنة ـ في كتابه (الاستيعاب) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: أبوذر في أمّتي علىٰ زهد عيسىٰ بن مريم، وقال أيضاً: في أمّتي أبوذر شبيه عيسىٰ بن مريم في زهده، وقال عليّ عليه السلام: وعىٰ أبو ذر علماً عجز النّاس عنه، ثمّ أوكأ عليه فلم يخرج شيئاً منه[3].

وروى ابن بابويه بسند معتبر عن الامام الصّادق عليه السلام انّه قال: انّ أبا ذر مرّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وعنده جبرئيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي، وقد استخلاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فلمّا رآهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما.

فقال جبرئيل: يا محمّد هذا أبوذر قد مرّ بنا ولم يسلّم علينا، أما لو سلّم علينا لرددنا عليه، يا محمّد انّ له دعاء يدعو به، معروفاً عند أهل السّماء، فسله عنه إذا عرجتُ إلىٰ السّماء، فلمّا ارتفع جبرئيل جاء أبوذر إلىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ما منعك يا أبا ذر أن تكون قد سلّمت علينا حين مررت بنا.

فقال: ظننت يا رسول الله انّ الذي كان معك دحية الكلبي، قد استخليته لبعض شأنك، فقال: ذاك كان جبرئيل يا أبا ذر، وقد قال: أما لو سلّم علينا لرددنا

(١) اختيار معرفة الرّجال ١ : ٤٦ ح ٢١ ـ عنه البحار ٢٢ : ٣٥٣ ح ٨٢ باب ١٠ ـ والاختصاص : ١٣.

(٢) اختيار معرفة الرّجال ١ : ٩٨ ح ٤٨.

(٣) الاستيعاب بهامش الاصابة ١ : ٢١٦ ـ وكذلك ٤ : ٦٤.



عليه، فلمّا علم أبوذر انّه كان جبرئيل عليه السلام دخله من النّدامة ما شاء الله حيث لم يسلّم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ما هذا الدّعاء الذي تدعو به، فقد أخبرني انّ لك دعاء معروفاً في السّماء، قال: نعم يا رسول الله، أقول:

«اللّهم انّي أسألك الايمان بك، والتّصديق بنبيّك، والعافية عن جميع البلاء، والشّكر علىٰ العافية، والغنىٰ عن شرار النّاس»(١).

وروي أيضاً عن الامام الرّضا عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم: الجنّة تشتاق إليك [يا علي] وإلىٰ عمّار، وسلمان وأبي ذر والمقداد(٢).

وروي بسند معتبر عنه عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أبوذر صدّيق هذه الأمّة(٣).

وروى أيضاً بسند معتبر عن الامام الصّادق عليه السلام انّه قال: والولاية للمؤمنين الذين لم يغيّروا، ولم يبدّلوا بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلّم واجبة، مثل سلمان الفارسيّ، وأبي ذر الغفاريّ، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمّار بن ياسر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبي أيّوب الأنصاري، وعبد الله بن الصّامت، وعبادة بن الصّامت، وخزيمة بن ثابت ذي الشّهادتين، وأبي سعيد الخدريّ، ومن نحا نحوهم ...(٤).

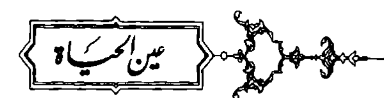
---

(١) أمالي الصدوق: ٢٨٣ ح ٣ مجلس ٥٥ ـ وفي الكافي ٢: ٥٨٧ ح ٢٥ ـ عنه البحار ٢٢: ٤٠٠ ح ٩ باب ١٢ ـ ونحوه اختيار معرفة الرّجال ١: ١٠٥ ح ٤٩.

(٢) الخصال ١: ٣٠٣ ح ٨٠ باب الخمسة ـ عنه البحار ٢٢: ٣٢٤ ح ٢٢ باب ١٠.

(٣) البحار ٢٢: ٤٠٥ ح ١٧ باب ١٢ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام.

(٤) الخصال ٢: ٦٠٧ ح ٩ باب المائة فما فوقه ـ عنه البحار ٢٢: ٣٢٥ ح ٢٤ باب ١٠.



وهناك حديث مثله روي عن الامام الرّضا عليه السلام.

وروي بسند معتبر عن الامام محمّد الباقر عليه السلام انّه قال: بكىٰ أبوذر رحمه الله من خشية الله عزّوجلّ حتّىٰ اشتكىٰ بصره، فقيل له: يا أباذر لو دعوت الله أن يشفي بصرك، فقال: انّي عنه لمشغول وما هو من أكبر همّي، قالوا: وما يشغلك عنه ؟ قال: العظيمتان، الجنّة والنّار[1].

وروىٰ ابن بابويه عن عبد الله بن عبّاس انّه قال: كان النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم في مسجد قُبا وعنده نفر من أصحابه، فقال: أوّل من يدخل عليكم السّاعة رجل من أهل الجنّة، فلمّا سمعوا ذلك قام نفر منهم، فخرجوا وكلّ واحد منهم يحبّ أن يعود ليكون أوّل داخل فيستوجب الجنّة.

فعلم النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم ذلك منهم، فقال لمن بقي عنده من أصحابه: انّه سيدخل عليكم جماعة يستبقون، فمن بشّرني بخروج «آذار» فله الجنّة، فعاد القوم ودخلوا ومعهم أبوذر رضي الله عنه، فقال لهم: في أي شهر نحن من الشّهور الرّوميّة؟ فقال أبوذر: قد خرج آذار يا رسول الله.

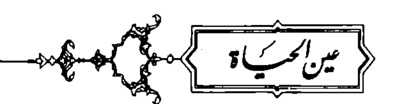
فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: قد علمت ذلك يا أبا ذر، ولكنّي أحببت أن يعلم قومي انّك رجل من أهل الجنّة، وكيف لا يكون كذلك؟ وأنت المطرود عن حرمي بعدي لمحبّتك لأهل بيتي، فتعيش وحدك، وتموت وحدك، ويسعد بك قوم يتولّون تجهيزك ودفنك، اولئك رفقائي في جنّة الخلد التي وعد المتّقون[2].

وروي بسند معتبر عن الامام الصّادق عليه السلام انّه قال: ... انّ الايمان عشر

---

(١) الخصال ١: ٣٩ ح ٢٥ باب الاثنين ـ عنه البحار ٢٢: ٤٣١ ح ٤٠ باب ١٢.

(٢) معاني الأخبار: ٢٠٤ ح ١ ـ وعلل الشّرائع ص ١٧٥ ح ١ باب ١٤٠ ـ عنهما البحار ٢٢: ٤٢٣ ح ٣٣ باب ١٢.



درجات بمنزلة السلّم، يصعد منه مرقاة بعد المرقاة ... وكان المقداد في الثّامنة، وأبو ذر في التّاسعة، وسلمان في العاشرة[1].

في كيفية اسلام أبيذر:

روىٰ محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله بسند معتبر عن الامام جعفر بن محمّد عليهما السّلام انّه قال:

ألا أُخبركم كيف كان إسلام سلمان وأبي ذرّ؟ فقال الرّجل وأخطأ: أمّا اسلام سلمان فقد عرفته، فأخبرني باسلام أبي ذرّ، فقال: انّ أبا ذرّ كان في بطن مَرّ[2] يرعا غنماً له، فأتىٰ ذئب عن يمين غنمه فهشّ بعصاه علىٰ الذّئب، فجاء الذّئب عن شماله فهشّ عليه أبوذر، ثمّ قال له أبوذر: ما رأيت ذئباً أخبث منك ولا شرّاً، فقال له الذئب: شرٌّ والله منّي أهل مكّة، بعث الله عزّوجلّ إليهم نبيّاً فكذّبوه وشتموه.

فوقع في أُذن أبي ذر، فقال لامرأته: هلمّي مزودي[3]، وأداوتي وعصاي، ثمّ خرج علىٰ رجليه يريد مكّة ليعلم خبر الذّئب وما أتاه به، حتّى بلغ مكّة فدخلها في ساعة حارّة وقد تعب ونصب، فأتىٰ زمزم وقد عطش، فاغترف دلواً فخرج لبن، فقال في نفسه: هذا والله يدلّني علىٰ انّ ما خبرني الذئب وما جئت له حقّ.

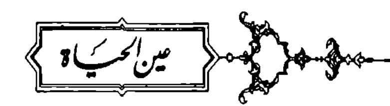
فشرب وجاء إلىٰ جانب من جوانب المسجد، فاذا حلقة من قريش، فجلس إليهم فرآهم يشتمون النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم كما قال الذئب، فما زالوا في ذلك من ذكر النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم والشّتم له حتّى جاء أبو طالب من آخر النّهار،

---

(١) الخصال ٢: ٤٤٧ ح ٤٨ باب العشرة ـ عنه البحار ٢٢: ٣٥٠ ح ٧٥ باب ١٠.

(٢) بطن مَرّ ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ موضع على مرحلة من مكة.

(٣) المزود: ما يجعل فيه الزاد.



فلمّا رأوه قال بعضهم لبعض: كفّوا فقد جاء عمّه.

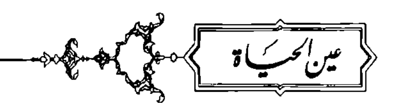
قال: فكفّوا فما زال يحدّثهم ويكلّمهم حتّى كان آخر النّهار، ثمّ قام وقمت علىٰ أثره، فالتفت اليّ، فقال: اذكر حاجتك؟ فقلت: هذا النّبي المبعوث فيكم؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: أومن به وأُصدّقه، وأعرض عليه نفسي، ولا يأمرني بشيء الّا أطعته، فقال: وتفعل؟ فقلت: نعم، قال: فتعال غداً في هذا الوقت اليّ حتّى أدفعك إليه.

قال: بتّ تلك اللّيلة في المسجد حتّى إذا كان الغد جلست معهم، فما زالوا في ذكر النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم وشتمه حتّى إذا طلع أبو طالب، فلمّا رأوه قال بعضهم لبعض: أمسكوا فقد جاء عمّه.

فأمسكوا، فما زال يحدّثهم حتّى قام، فتبعته فسلّمت عليه، فقال: اذكر حاجتك؟ فقلت: النّبي المبعوث فيكم. قال: وما تصنع به؟ فقلت: أومن به وأُصدّقه، وأعرض عليه نفسي، ولا يأمرني بشيء الّا أطعته، قال: وتفعل؟ قلت: نعم، فقال: قم معي.

فتبعته فدفعني إلىٰ بيت فيه حمزة عليه السلام فسلّمت عليه وجلست، فقال لي: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النّبي المبعوث فيكم، فقال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أومن به وأُصدّقه، وأعرض عليه نفسي، ولا يأمرني بشيّ الّا أطعته، فقال: تشهد أن لا اله الّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، قال: فشهدت.

قال: فدفعني حمزة إلىٰ بيت فيه جعفر عليه السلام، فسلّمت عليه وجلست، فقال لي جعفر عليه السلام: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النّبي المبعوث فيكم، قال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أومن به وأُصدّقه، وأعرض عليه نفسي، ولا يأمرني بشيّ الّا



أطعته، فقال: تشهد أن لا اله الاّ الله، وحده لا شريك له، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله.

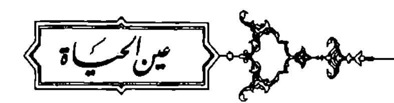
قال: فشهدت، فدفعني إلىٰ بيت فيه عليّ عليه السلام، فسلّمت وجلست ، فقال: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النّبي المبعوث فيكم، فقال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أومن به واُصدّقه، وأعرض عليه نفسي، ولا يأمرني بشيءٍ الاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا اله الاّ الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، قال: فشهدت.

فدفعني إلىٰ بيت فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فسلّمت وجلست، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ما حاجتك؟ قلت: النّبي المبعوث فيكم، قال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أومن به واُصدّقه ولا يأمرني بشيءٍ الاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا اله الاّ الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، فقلت: أشهد أنَّ لا اله الاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يا أبا ذرّ انطلق إلىٰ بلادك فانّك تجد ابن عمّ لك قد مات، وليس له وارثٌ غيرك، فخذ ماله وأقم عند أهلك حتّى يظهر أمرنا، قال: فرجع أبوذرّ فأخذ المال، وأقام عند أهله حتّى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا حديث أبي ذرّ واسلامه رضي الله عنه، وأمّا حديث سلمان فقد سمعته، فقال: جعلت فداك حدّثني بحديث سلمان، فقال: قد سمعته ، ولم يحدّثه لسوء أدبه[1].

(١) الكافي ٨: ٢٩٧ ح٤٥٧ ـ ونحوه أمالي الصدوق: ٣٨٧ ح ١ مجلس ٧٣ ـ عنه البحار ٢٢: ٤٢١ ح ٣٢ باب ١٢.



في كيفيّة اسلام سلمان رضي الله عنه:

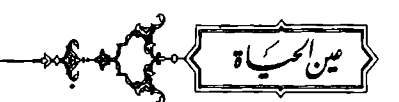
روى ابن بابويه عليه الرحمة بسند معتبر عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام انّه سُئل: يا ابن رسول الله ألا تخبرنا كيف كان سبب اسلام سلمان الفارسي؟

قال: حدّثني أبي صلوات الله عليه انّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، وسلمان الفارسي، وأبا ذرّ وجماعة من قريش كانوا مجتمعين عند قبر النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان: يا أبا عبد الله ألا تخبرنا بمبدء أمرك؟

فقال سلمان: والله يا أمير المؤمنين لو أنّ غيرك سألني ما أخبرته، أنا كنت رجلاً من أهل شيراز من أبناء الدّهاقين، وكنت عزيزاً علىٰ والديّ، فبينا أنا سائر مع أبي في عيد لهم إذا أنا بصومعة، وإذا فيها رجلٌ ينادي: أشهد أن لا اله الّا الله، وأنّ عيسى روح الله، وأنّ محمّداً حبيب الله، فرسخ وصف محمّد في لحمي ودمي، فلم يهنّئني طعام ولا شراب، فقالت لي أمّي: يا بنيّ ما لك اليوم لم تسجد لمطلع الشمس؟

قال: فكابرتها حتّى سكتت، فلمّا انصرفت إلىٰ منزلي إذا أنا بكتاب معلّق في السّقف، فقلت لأمّي: ما هذا الكتاب؟ فقالت: يا روزبه إنّ هذا الكتاب لمّا رجعنا من عيدنا رأيناه معلّقاً، فلا تقرب ذلك المكان، فانّك إن قربته قتلك أبوك.

قال: فجاهدتها حتّى جنَّ الليل، فقام أبي وأمّي، فقمت وأخذت الكتاب وإذا فيه: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا عهد من الله إلىٰ آدم انّه خالق من صلبه نبيّاً يقال له: محمّد، يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن عبادة الأوثان، يا روزبه إئت



وصيّ عيسى وآمن واترك المجوسيّة».

قال: فصعقت صعقة وزادني شدّة، قال: فعلم بذلك أبي وأمّي، فأخذوني وجعلوني في بئر عميقة، وقالوا لي: إن رجعت والّا قتلناك، فقلت لهم: افعلوا بي ما شئتم، حبّ محمّد لا يذهب من صدري، قال سلمان: ما كنت أعرف العربيّة قبل قراءتي الكتاب، ولقد فهّمني الله عزّوجلّ العربيّة من ذلك اليوم، قال: فبقيت في البئر، فجعلوا ينزلون في البئر اليّ أقراصاً صغاراً.

قال: فلمّا طال أمري رفعت يدي إلىٰ السّماء، فقلت: يا ربِّ إنّك حبّبت محمّداً ووصيّه إليّ، فبحقّ وسيلته عجّل فرجي وأرحني ممّا أنا فيه، فأتاني آت عليه ثياب بيض، فقال: قم يا روزبه، فأخذ بيدي وأتى بي إلىٰ الصومعة، فأنشأت أقول: أشهد أن لا إله الّا الله، وأنّ عيسى روح الله، وأنّ محمّداً حبيب الله، فأشرف عليّ الدّيرانيّ، فقال: أنت روزبه؟ فقلت: نعم ؛ فقال: اصعد فأصعدني اليه وخدمته حولين كاملين.

فلمّا حضرته الوفاة قال: انّي ميّت، فقلت له: فعلىٰ من تخلّفني؟ فقال : لا أعرف أحداً يقول بمقالتي هذه الّا راهباً بأنطاكية، فاذا لقيته فاقرءه منّي السّلام، وادفع إليه هذا اللّوح، وناولني لوحاً، فلمّا مات غسّلته وكفّنته ودفنته، وأخذت اللّوح وسرت به إلىٰ أنطاكية، وأتيت الصومعة وأنشأت أقول: أشهد أن لا اله الّا الله، وأنّ عيسى روح الله، وأنّ محمّداً حبيب الله، فأشرف عليّ الديراني، فقال: أنت روزبه، فقلت: نعم، فقال: اصعد، فصعدت إليه فخدمته حولين كاملين .

فلمّا حضرته الوفاة قال لي: إنّي ميّت، فقلت: علىٰ من تخلّفني؟ فقال : لا أعرف أحداً يقول بمقالتي هذه الّا راهباً بالاسكندريّة، فاذا أتيته فاقرءه منّي

السّلام، وادفع إليه هذا اللّوح، فلمّا توفّي غسّلته وكفّنته ودفنته، وأخذت اللّوح وأتيت الصّومعة وأنشأت أقول: أشهد أن لا اله الّا الله، وأنّ عيسى روح الله، وأنّ محمّداً حبيب الله، فأشرف عليّ الدّيراني، فقال: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فصعدت إليه وخدمته حولين كاملين.

فلمّا حضرته الوفاة قال لي: انّي ميّت، فقلت: إلىٰ من تخلّفني؟ فقال: لا أعرف أحداً يقول بمقالتي هذه في الدّنيا، وانّ محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب قد حانت ولادته، فاذا أتيته فاقرءه منّي السّلام، وادفع إليه هذا اللّوح، قال: فلمّا توفّي غسّلته وكفّنته ودفنته، وأخذت اللّوح وخرجت، فصحبت قوماً، فقلت لهم: يا قوم أكفوني الطعام والشراب أكفكم الخدمة؟ قالوا: نعم.

قال: فلمّا أرادوا أن يأكلوا شدّوا علىٰ شاة فقتلوها بالضرب، ثمّ جعلوا بعضها كباباً وبعضها شواءً، فامتنعت من الأكل، فقالوا: كُل، فقلت: انّي غلام ديرانيّ وانّ الدّيرانيّين لا يأكلون اللّحم، فضربوني وكادوا يقتلونني، فقال بعضهم: امسكوا عنه حتّى يأتيكم شرابكم فإنّه لا يشرب.

فلمّا أتوا بالشراب، قالوا: اشرب؟ فقلت: انّي غلام ديرانيّ وانّ الدّيرانيين لا يشربون الخمر، فشدّوا عليّ وأرادوا قتلي، فقلت لهم: يا قوم لا تضربوني ولا تقتلوني فانّي أُقرّ لكم بالعبوديّة، فأقررت لواحد منهم، فأخرجني وباعني بثلاثمائة درهم من رجل يهوديّ.

قال: فسألني عن قصّتي فأخبرته وقلت له: ليس لي ذنب الّا أنّي أحببت محمّداً ووصيّه، فقال اليهوديّ: وانّي لأبغضك وأبغض محمّداً، ثمّ أخرجني إلىٰ خارج داره، وإذا رملٌ كثير علىٰ بابه، فقال: والله يا روزبه لئن أصبحت ولم تنقل



هذا الرّمل كُلّه من هذا الموضع لأقتلنّك.

قال: فجعلت أحمل طول ليلتي، فلمّا أجهدني التعب رفعت يدي إلىٰ السماء، وقلت: يا ربّ انّك حبّبت محمّداً ووصيّه إليّ، فبحقّ وسيلته عجّل فرجي وأرحني ممّا أنا فيه، فبعث الله عزّ وجلّ ريحاً، فقلعت ذلك الرّمل من مكانه الى المكان الذي قال اليهوديّ.

فلمّا أصبح نظر إلىٰ الرّمل قد نقل كلّه، فقال: يا روزبه أنت ساحر وأنا لا أعلم، فلأخرجنّك من هذه القرية لئلّا تهلكها، قال: فأخرجني وباعني من امرأة سُلميّة، فأحبّتني حبّاً شديداً وكان لها حائط، فقالت: هذا الحائط لك كل منه ما شئت وهب وتصدّق.

قال: فبقيت في ذلك الحائط ما شاء الله، فبينا أنا ذات يوم في الحائط إذا أنا بسبعة رهط قد أقبلوا تظلّهم غمامة، فقلت في نفسي: والله ما هؤلاء كلّهم أنبياء ولكنّ فيهم نبيّاً، قال: فأقبلوا حتّي دخلوا الحائط والغمامة تسير معهم، فلمّا دخلوا إذا فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وأمير المؤمنين عليه السلام، وأبوذرّ، والمقداد، وعقيل بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطّلب، وزيد بن حارثة، فدخلوا الحائط، فجعلوا يتناولون من حشف النخل، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول لهم: كلوا الحشف ولا تفسدوا علىٰ القوم شيئاً.

فدخلت علىٰ مولاتي فقلت لها: يا مولاتي هبي لي طبقاً من رطب، فقالت: لك ستّة أطباق، قال: فجئت فحملت طبقاً من رطب، فقلت في نفسي: إن كان فيهم نبيّ فانّه لا يأكل الصّدقة، ويأكل الهديّة، فوضعته بين يديه، فقلت: هذه صدقة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: كلوا، وأمسك رسول الله وأمير المؤمنين عليه السلام

وعقيل بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطّلب، وقال لزيد: مُدَّ يدك وكل، فقلت في نفسي: هذه علامة، فدخلت إلىٰ مولاتي، فقلت لها: هبي لي طبقاً آخر، فقالت: لك ستّة أطباق.

قال: فجئت فحملت طبقاً من رطب، فوضعته بين يديه، فقلت: هذه هديّة، فمدّ يده وقال: بسم الله كلوا، ومدّ القوم جميعاً أيديهم فأكلوا، فقلت في نفسي: هذه أيضاً علامة، قال: فبينا أنا أدور خلفه، إذ حانت من النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم التفاتة، فقال: يا روزبه تطلب خاتم النبوّة، فقلت: نعم، فكشف عن كتفيه، فاذا أنا بخاتم النبوّة معجون بين كتفيه عليه شعرات.

قال: فسقطت علىٰ قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أقبّلها، فقال لي: يا روزبه ادخل إلىٰ هذه المرأة وقل لها: يقول لك محمّد بن عبد الله، تبيعينا هذا الغلام؟ فدخلت فقلت لها: يا مولاتي انّ محمّد بن عبد الله يقول لك: تبيعينا هذا الغلام؟ فقالت: قل له: لا أبيعك الّا بأربعمائة نخلة، مائتي نخلة منها صفراء، ومائتي نخلة منها حمراء.

قال: فجئت إلىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم: فأخبرته، فقال: وما أهون ما سألت، ثمّ قال: قم يا عليّ فاجمع هذا النوى كلّه، فجمعه وأخذه فغرسه، ثمّ قال: إسقه، فسقاه أمير المؤمنين فما بلغ آخره حتّى خرج النخل، ولحق بعضه بعضاً، فقال لي: أدخل إليها وقل لها: يقول لك محمّد بن عبد الله: خذي شيئك وادفعي الينا شيئنا .

قال: فدخلت عليها وقلت ذلك لها، فخرجت ونظرت إلىٰ النخل، فقالت: والله لا أبيعكه الّا بأربعمائة نخلة كلّها صفراء، قال: فهبط جبرئيل عليه السلام فمسح جناحيه علىٰ النخل فصار كلّه أصفر، قال: ثمّ قال لي: قل لها: انّ محمّداً يقول لك:

خذي شيئك وادفعي الينا شيئنا.

قال: فقلت لها ذلك، فقالت: والله لنخلة من هذه أحبّ اليّ من محمّد ومنك، فقلت لها: والله ليوم واحد مع محمّد أحبّ اليّ منك ومن كلّ شيء أنت فيه، فأعتقني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وسمّاني سلمان[1].

في ظلم عثمان لأبي‌ذر:

روىٰ عليّ بن ابراهيم عليه الرحمة فقال: كان أبوذر رحمه الله تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ثلاثة أيّام وذلك انّ جمله كان أعجف[2]، فلحق بعد ثلاثة أيّام به، ووقف عليه جمله في بعض الطريق، فتركه وحمل ثيابه علىٰ ظهره، فلمّا ارتفع النهار نظر المسلمون إلىٰ شخص مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: كن أبا ذر، فقالوا: هو أبوذر.

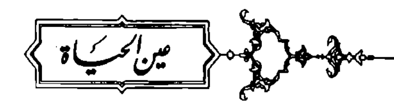
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ادركوه بالماء فانّه عطشان، فأدركوه بالماء، ووافى أبوذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ومعه أداوة ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يا أبا ذر معك ماء وعطشت، فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمّي، انتهيت الى صخرة وعليها ماء السماء، فذقته فاذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتّىٰ يشربه حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يا أبا ذر رحمك الله، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من أهل

---

(١) كمال الدين ١: ١٦١ ح ٢١ باب ٩ خبر سلمان ـ عنه البحار ٢٢: ٣٥٥ ح ٢ باب ١١.

(٢) أي هزل.



العراق يتولّون غسلك وتجهيزك، والصلاة عليك ودفنك ...[1].

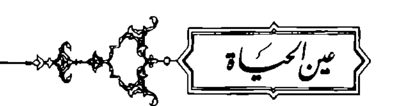
ذكر أرباب السير المعتمدة: انّ أبا ذر ذهب إلىٰ الشام في زمن عمر، وكان فيها إلىٰ زمن عثمان، فتناهت إلىٰ مسامعه اعمال عثمان القبيحة سيما اهانته لعمار وضربه لذا بدأ بالطعن عليه وذمّه وفضح أعماله، وكان يحثّ الناس ويدعوهم ـ بعد ما رأى شناعة أفعال معاوية وأعماله الخبيثة وبعدما وبّخه ونهاه ـ لولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ويذكر مناقبه لأهل الشام حتّىٰ مال بعضهم إلىٰ التشيّع، وكما يقال: انّ شيعة الشام وجبل عامل بسبب وجود أبي ذر.

فكتب معاوية إلىٰ عثمان وأخبره بما يجري، وذكر له انّ أبا ذر لو مكث أيّاماً أخر هنا لحرف الناس عنه، فكتب إليه عثمان: أن سيّر أبا ذر علىٰ مركب غليظ وعرٍ وأوكِل عليه دليلاً عنيفاً حتّىٰ يسير به الليل والنهار فلا يمكنه النوم وينسىٰ ذِكْرُكَ وذِكري.

فامتثل معاوية أمره ودعا أبا ذر وهيّأ له شارف ليس عليها الّا قتب، ووكّل عليه رجلاً خشناً، وكان أبوذر رحمه الله رجلاً طويلاً ضعيفاً قد أثّر الشّيب فيه، فكان الدليل يسير به الليل والنهار وبشدّة وعنف، فلمّا قدم المدينة زال لحم فخذه لشدّة السير والجهد.

فلمّا دخل علىٰ عثمان نظر إليه وقال له: لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب، فقال أبوذر: سمّاني أبي جندب وسمّاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عبد الله، فقال له عثمان: أنت تدّعي الإسلام وتقول عنّا: بأنّ الله فقير ونحن الأغنياء، فما قلت هذا؟ فقال أبوذر: لم يجر هذا علىٰ لساني، ولكنّي أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) تفسير القمي ١: ٢٩٤ (سورة التوبة) ـ عنه البحار ٢٢: ٤٢٩ ح ٣٧ باب ١٢.



وسلّم يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دخلاً [ثمّ ينجيهم الله منهم][1].

أورد عليّ بن ابراهيم هذه الآيات في تفسيره:

«إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ● ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»[2].

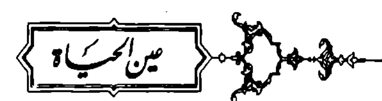
ثمّ قال عليّ بن ابراهيم: وانّما نزلت في أبي ذر رحمة الله عليه وعثمان بن عفان، وكان سبب ذلك لما أمر عثمان بنفي أبي ذر الى الرّبذة، دخل عليه أبوذر وكان عليلاً متوكئاً علىٰ عصاه، وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي، وأصحابه حوله ينظرون إليه، ويطمعون أن يقسمها فيهم.

فقال أبوذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال عثمان: مائة ألف درهم حملت اليّ من بعض النواحي، أريد [أن][3] أضمّ إليها مثلها ثمّ أرىٰ فيها رأيي، فقال أبوذر: «يا عثمان أيّما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير» فقال عثمان: «بل مائة ألف درهم».

قال: أما تذكر أنا وأنت وقد دخلنا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عشياً فرأيناه كئيباً حزيناً، فسلّمنا عليه فلم يرد علينا السّلام، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه

---

(١) راجع شرح النهج لابن ابي الحديد ٢ : ٣٥٧ ـ شرح كلام له عليه السلام لأبي ذر ـ عنه البحار ٢٢ : ٤١٦ باب ١٢.
(٢) البقرة: ٨٤ ـ ٨٥.
(٣) أثبتنا ما بين المعقوفتين من البحار.



ضاحكاً مستبشراً، فقلنا له: بآبائنا وأمهاتنا دخلنا إليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً، ثمّ عُدنا إليك اليوم فرأيناك فرحاً مستبشراً، فقال: نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها، وخفت أن يدركني الموت وهي عندي، وقد قسمتها اليوم واسترحت منها.

فنظر عثمان إلىٰ كعب الأحبار، وقال له: يا أبا اسحاق، ما تقول في رجل أدّىٰ زكاة ماله المفروضة، هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيئاً؟ فقال: لا، ولو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ما وجب عليه شيء، فرفع أبوذر عصاه فضرب بها رأس كعب، ثمّ قال له: يا ابن اليهوديّة الكافرة، ما أنت والنظر في أحكام المسلمين، قول الله أصدق من قولك حيث قال:

«وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ● يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ»[1].

فقال عثمان: «يا أبا ذر انّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك» فقال: «كذبت يا عثمان، أخبرني حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك، وأما عقلي فقد بقي منه ما أحفظه حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فيك وفي قومك».

فقال: «وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فيّ وفي قومي؟» قال: «سمعت يقول: إذا بلغ آل ابي العاص ثلاثين رجلاً صيروا مال الله دولاً، وكتاب الله

(١) التوبة: ٣٤ - ٣٥.

دغلاً[1]، وعباده خولاً، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً» فقال عثمان: «يا معشر أصحاب محمّد ! هل سمع أحد منكم هذا من رسول الله؟» فقالوا: «لا ما سمعنا هذا من رسول الله».

فقال عثمان: ادع عليّاً، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له عثمان: يا أباالحسن انظر ما يقول هذا الشّيخ الكذّاب، فقال أمير المؤمنين: مه يا عثمان لا تقل كذّاب، فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء، علىٰ ذي لهجة[2] أصدق من أبي ذر».

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: صدق أبوذر، وقد سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فبكىٰ أبوذر عند ذلك، فقال: ويلكم كلّكم قد مدّ عنقه إلىٰ هذا المال، ظننتم أني أكذب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ثم نظر اليهم، فقال: من خيركم [فقالوا: من خيرنا؟ فقال: أنا][3] فقالوا: أنت تقول انّك خيرنا؟ قال: نعم، خلّفت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في هذه الجبة وهو عنّي راض، وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة، والله سائلكم عن ذلك ولا يسألني.

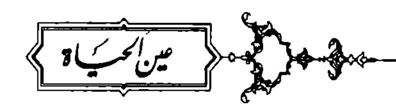
فقال عثمان: يا أبا ذر أسألك بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلا ما أخبرتني عن شيء أسألك عنه، فقال أبوذر: والله لو لم تسألني بحقّ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أيضاً لأخبرتك.

فقال: أيّ البلاد أحبّ إليك أن تكون فيها، فقال: مكّة حرم الله وحرم رسول الله، أعبد فيها حتّىٰ يأتيني الموت، فقال: لا، ولا كرامة لك، قال: المدينة حرم

(١) دخلاً، خ ل.

(٢) اللهجة: اللسان.

(٣) ما بين المعقوفتين لا يوجد في البحار.



رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، قال: لا ولا كرامة لك، فسكت أبوذر.

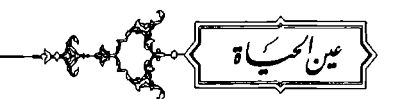
فقال عثمان: أي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ قال: الربذة التي كنت فيها علىٰ غير دين الإسلام، فقال عثمان: سِر إليها، فقال أبوذر: قد سألتني فصدّقتك، وأنا أسألك فأصدقني، قال: نعم، قال: أخبرني لو بعثتني في بعث من اصحابك إلىٰ المشركين فأسروني، فقالوا: لا نفديه الّا بثلث ما تملك، قال: كنت أفديك، قال: فإن قالوا: لا نفديه الّا بنصف ما تملك، قال: كنت أفديك، قال: فإن قالوا: لا نفديه الّا بكلّ ما تملك، قال: كنت أفديك.

قال أبوذر: الله اكبر، قال حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يوماً: «يا أبا ذر وكيف أنت إذا قيل لك: أيّ البلاد أحبّ إليك أن تكون فيها، فتقول مكّة حرم الله وحرم رسوله، أعبد الله فيها حتّى يأتيني الموت، فيقال لك: لا ولا كرامة لك، فتقول: فالمدينة حرم رسول الله، فيقال لك: لا ولا كرامة لك، ثم يقال لك: فأي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها، فتقول: الربذة التي كنت فيها علىٰ غير دين الإسلام، فيقال لك: سِر إليها».

فقلت: وإنّ هذا لكائن، فقال: «اي والذي نفسي بيده انّه لكائن»، فقلت: يا رسول الله أفلا أضع سيفي هذا علىٰ عاتقي، فأضرب به قدماً قدماً، قال: لا، أسمع واسكت ولو لعبد حبشي، وقد أنزل الله فيك وفي عثمان آية، فقلت: وما هي يا رسول الله، فقال: قوله تعالى: «**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ ...**» إلىٰ آخر الآيات التي مرّ ذكرها»[1].

وانطباقها علىٰ هذه الحكاية لا تخفىٰ علىٰ الخبير، من تسيير أبي ذر

(١) تفسير القمي ١ : ٥١ سورة البقرة ـ عنه البحار ٢٢ : ٤٢٦ ح ٣٦ باب ١٢.



وحكاية الفداء إلىٰ ذلّ الدنيا والموت بأخسّ الحالات، ثمّ أمر عثمان مروان بن الحكم أن يخرج أبا ذر مع أهله وعياله من المدينة، وحكم أن لا يشيّعهم أحد من الصحابة، لكن خرج لمشايعته أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيت الوحي مع بعض خواصهم لتسليته وتوديعه.

تسيير أبي ذر من المدينة:

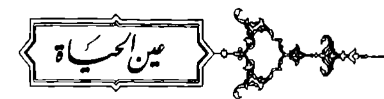
روىٰ محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله انّه لمّا سيّر عثمان أبا ذر إلىٰ الرّبذة، شيّعه أمير المؤمنين وعقيل والحسن والحسين عليهما السّلام وعمّار بن ياسر رضي الله عنه، فلمّا كان عند الوداع، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

يا أبا ذر انّك انّما غضبت لله عزّ وجلّ فارج من غضبت له، انّ القوم خافوك علىٰ دنياهم وخفتهم علىٰ دينك فارحلوك عن الفناء[1]، وامتحنوك بالبلاء، ووالله لو كانت السماوات والأرض علىٰ عبد رتقاً ثمّ اتّقىٰ الله عزّ وجلّ، جعل له منها مخرجاً، فلا يؤنسك الّا الحقّ، ولا يوحشك الّا الباطل.

ثمّ تكلّم عقيل، فقال: يا أبا ذرّ أنت تعلم أنّا نحبّك، ونحن نعلم انّك تحبّنا، وأنت قد حفظت فينا ما ضيّع النّاس الّا القليل، فثوابك علىٰ الله عزّ وجلّ، ولذلك أخرجك المخرجون، وسيّرك المسيّرون، فثوابك علىٰ الله عزّ وجلّ، فاتّق الله واعلم انّ استعفاءك البلاء من الجزع، واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع وقُل: حسبي الله ونعم الوكيل.

ثمّ تكلّم الحسن عليه السلام فقال: يا عمّاه انّ القوم قد أتوا إليك ما قد ترىٰ، وانّ

(١) فناء الدار: ما امتدّ من جوانبها والمراد إمّا فناء دارهم أو دارك أو دار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.



الله عزّ وجلّ بالمنظر الأعلىٰ[1]، فدع عنك ذكر الدّنيا بذكر فراقها، وشدّة ما يـرد عليك لرخاء ما بعدها، واصبر حتّى تلقى نبيّك صلى الله عليه وآله وسلّم وهو عنك راض إن شاء الله.

ثمّ تكلّم الحسين عليه السلام فقال: يا عمّاه انّ الله تبارك وتعالى قادرٌ أن يغيّر ما ترىٰ، وهو كلّ يوم في شأن[2]، انّ القوم منعوك دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عمّا منعوك، وما أحوجهم إلىٰ ما منعتهم، فعليك بالصبر فانّ الخير فـي الصـبر والصبر من الكرم، ودع الجزع فانّ الجزع لا يغنيك.

ثمّ تكلّم عمّار رضي الله عنه فقال: يا أبا ذرّ أوحش الله من أوحشك، وأخاف من أخافك، انّه والله ما منع النّاس أن يقولوا الحقّ الّا الرّكون إلىٰ الدّنيا والحبّ لها، ألا انّما الطّاعة مع الجماعة[3] والملك لمن غلب عليه، وانّ هؤلاء القوم دعوا النّاس إلىٰ دنياهم فأجابوهم إليها، ووهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

ثمّ تكلّم أبوذرّ رضي الله عنه فقال: عليكم السّلام ورحمة الله وبركاته، بأبي وأمّي هذه الوجوه، فانّي إذا رأيتكم ذكرت رسول الله صـلى الله عـليه وآله وسـلّم بكّـم، ومـا لي بالمدينة شجن[4] لأسكن غيركم، وانّه ثقل علىٰ عثمان جواري بالمدينة كما ثقل علىٰ معاوية بالشام، فآلىٰ أن يسيّرني إلىٰ بلدة[5] فطلبت إليه أن يكون ذلك إلىٰ

---

(١) أي مُشرف علىٰ جميع الخلق وهو كناية عن علمه بما يصدر عنهم وأنه لا يعزب عن علمه شيء من أمورهم.

(٢) أي في خلق وتقدير وتغيير وقضاء حاجة ودفع كربة ورفع قوم ووضع آخرين، ورزق وتربية وسائر ما يتعلق بقدرته وحكمته تعالى. والغرض تسلية أبي ذر بأنّه يمكن أن يتغيّر الحال.

(٣) أكثر الناس يتبعون الجماعات وإن كانوا علىٰ الباطل؛ علىٰ وفق الفقرة التالية.

(٤) الشجن ـ بالتحريك ـ: الحاجة.

(٥) (فآلىٰ) أي حلف.

الكوفة، فزعم انّه يخاف أن أفسد علىٰ أخيه[1] الناس بالكوفة.

وآلىٰ بالله ليسيّرني إلىٰ بلدة لا أرىٰ فيها أنيساً، ولا أسمع بها حسيساً[2]، وانّي والله ما أُريد الّا الله عزّ وجلّ صاحباً، وما لي مع الله وحشة، حسبي الله لا اله الّا هو، عليه توكّلت وهو ربُّ العرش العظيم، وصلّى الله علىٰ سيّدنا محمّد وآله الطّيبين[3].

قال علي بن ابراهيم: انّه لما سيّر به عثمان [أي سيّر أبا ذر] إلىٰ الربذة فمات بها ابنه ذر، فوقف علىٰ قبره، فقال: رحمك الله يا ذر، لقد كنت كريم الخلق، بارّاً بالوالدين، وما علي في موتك من غضاضة، وما بي إلىٰ غير الله من حاجة، وقد شغلني الاهتمام لك عن الاغتمام بك، ولو لا هول المطلع لأحببت أن أكون مكانك، فليت شعري ما قالوا لك وما قلت لهم.

ثمّ رفع يده، فقال: «اللهمّ انّك فرضت لك عليه حقوقاً، وفرضت لي عليه حقوقاً، فانّي قد وهبت له ما فرضت لي عليه من حقوقي، فهب له ما فرضت عليه من حقوقك، فانّك أولىٰ بالحقّ وأكرم منّي».

وكانت لأبي ذر غنيمات يعيش هو وعياله منها، فأصابها داء يقال له النقار، فماتت كلّها فأصاب أبا ذر وابنته الجوع فماتت أهله.

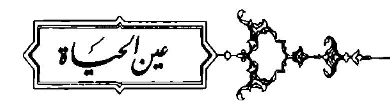
فقالت ابنته: أصابنا الجوع وبقينا ثلاثة أيّام لم نأكل شيئاً، فقال لي أبي: يا بنيّة قومي بنا إلىٰ الرمل نطلب القت، (وهو نبت له حبّ) فصرنا إلىٰ الرمل فلم نجد

---

(١) يعني الوليد بن عقبة آخا عثمان لأمه ، وكان عثمان ولّاه الكوفة ، وذكر الزمخشري وغيره أنه صلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً وقال : هل أزيدكم .

(٢) الحسيس : الصوت الخفي .

(٣) الكافي ٨ : ٢٠٦ ح ٢٥١ .



شيئاً، فجمع أبي رملاً ووضع رأسه عليه، ورأيت عينه قد انقلبت، فبكيت وقلت له: يا أبت كيف أصنع بك وأنا وحيدة؟

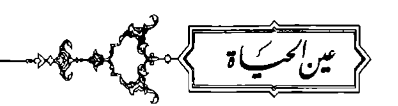
فقال: يا بنتي لا تخافي فانّي إذا متّ جاءك من أهل العراق من يكفيك أمري، فانّه أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في غزوة تبوك، فقال: يا أبا ذر تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنّة وحدك، يسعد بك أقوام من أهل العراق، يتولّون غسلك، وتجهيزك ودفنك، فاذا أنا متّ فمدّي الكساء علىٰ وجهي، ثمّ اقعدي علىٰ طريق العراق، فاذا أقبل ركب فقومي اليهم وقولي: هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قد توفي.

قال: فدخل إليه قوم من أهل الربذة، فقالوا: يا أبا ذر ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قالوا: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي، قالوا: فهل لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني.

قالت ابنته: فلما عاين الموت، سمعته يقول: مرحباً بحبيب أتىٰ علىٰ فاقة لا أفلح من ندم، اللهمّ خنقني خناقك، فو حقك انّك لتعلم انّي أحبّ لقاءك.

قالت ابنته: فلما مات مددت الكساء علىٰ وجهه ثمّ قعدت علىٰ طريق العراق، فجاء نفر، فقلت لهم: يا معشر المسلمين هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قد توفي، فنزلوا ومشوا يبكون، فجاؤوا فغسلوه وكفنوه ودفنوه، وكان فيهم الأشتر، فروي انّه قال: دفنته في حلّة كانت معي قيمتها أربعة آلاف درهم، فقالت ابنته: فكنت أصلّي بصلاته وأصوم بصيامه، فبينما أنا ذات ليلة نائمة عند قبره إذ سمعته يتهجّد بالقرآن في نومي كما كان يتهجّد به في حياته، فقلت: يا أبة ماذا فعل بك ربّك؟

فقال: يا بنيّة قدمت علىٰ ربّ كريم، فرضي عنّي ورضيت عنه، وأكرمني



وحباني، فاعملي فلا تغترّي[1].

وذكر أكثر أرباب التواريخ بدل ابنة ابي ذر زوجته، وذكر أحمد بن أعثم الكوفي: انّ الذين جهزوا أبا ذر هم الأحنف بن قيس التميمي، وصعصعة بن صوحان العبدي، وخارجة بن الصلت التميمي، وهلال بن مالك المزني، وجرير بن عبد الله البجلي، وأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي، ومالك الأشتر ...، فلمّا سوّوا عليه التراب قام الأشتر علىٰ قبره، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وذكر نبيّه محمّداً صلوات الله عليه، ثمّ قال:

«اللهمّ هذا أبوذر جندب بن جنادة بن سكن الغفاري صاحب رسولك محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، اتبع ما أنزلت من آياتك، وجاهد في سبيلك، ولم يغيّر ولم يبدّل، ولكن رأى منكراً فأنكره بلسانه وقلبه، فحقر وحرّم حتّىٰ افتقر، وضُيّع حتّىٰ مات غريباً في أرض غربة، اللهمّ فأعطه من الجنة حتّىٰ يرضى، واقصم من طرّده وحرّمه ونهّاه من مهاجرة حرم رسولك محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم»[2].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: توفّى أبوذر رحمه الله بالربذة سنة إحدىٰ وثلاثين أو اثنتين وثلاثين[3]. وقوله الأصحّ.

واعلم انّ لذكر أحوال أولياء الله وذكر المصائب التي جرت عليهم، فوائد كثيرة، وتسبب العلم بفناء الدنيا وعدم اعتبارها، وتشوق إلىٰ العمل الصالح واطوارهم وأفعالهم، ويعلم المظلومون انّ كبار رجالات الدين كانوا مثلهم مظلومين منكوبين ممتحنين، فلذا أطنبت الكلام في أحوال هؤلاء الكبار، ولنبدأ الآن بذكر الوصيّة، ولا يخفىٰ انّها من الأخبار المشهورة.

(١) تفسير القمي ١ : ٢٩٥ سورة التوبة ـ عنه البحار ٢٢ : ٤٢٩ ح ٣٧ باب ١٢.

(٢) الفتوح ٢ : ١٦١ و ١٦٢، في ذكر وفاة أبي ذر رحمه الله.

(٣) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤ : ٦٤.

وصيّة رسول الله لأبي‌ذر

رواها الشيخ أبو علي الطبرسي رحمه الله في كتاب مكارم الأخلاق مسنداً، وورام بن أبي فراس في مجموعته مرسلاً، ووردت مقاطع منها في طيّ كتب الحديث، وورد مضمونها في كثير من الأخبار كما سنذكره في كلّ فقرة.

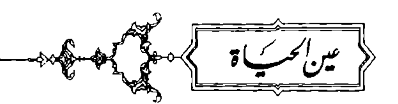
قال الشيخ الطبرسي رحمه الله:[1] يقول مولاي أبي طوّل الله عمره الفضل بن الحسن: هذه الأوراق من وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر الغفاري التي أخبرني بها الشيخ المفيد أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله المقري الرازي، والشيخ الأجل الحسن بن الحسين بن الحسن أبي جعفر محمّد بن بابويه رضي الله عنهما اجازة قالا: أملىٰ علينا الشّيخ الأجل أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدّس الله روحه، وأخبرني بذلك الشيخ العالم الحسين بن الفتح الواعظ الجرجاني في مشهد الرّضا عليه السلام، قال: أخبرنا الشيخ الامام أبو عليّ الحسن بن محمّد الطوسي، قال: حدثني أبي الشيخ أبو جعفر قدّس الله روحه.

قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن المطلب الشيباني، قال: حدّثنا أبو الحسين رجاء بن يحيى الكاتب سنة أربع عشرة وثلاثمائة وفيها مات، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين بن ميمون، قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن الفضل[2] بن يسار، عن وهب بن عبد الله الهناء،

---

(١) مكارم الأخلاق: ٤٥٨، الفصل الخامس ـ عنه البحار ٧٧: ٧٣ ح ٣ باب ٤ ـ واعلام الدين: ١٨٩ ـ ومجموعة ورام ٢: ٥١.

(٢) هكذا في المتن والبحار، وفي مكارم الأخلاق: الفضيل.



قال: حدّثني أبو حرب بن أبي الأسد الديلمي[1] عن أبي الأسود، قال:

قدمت الربذة، فدخلت علىٰ أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه فحدّثني أبوذر قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في مسجده فلم أر في المسجد أحداً من الناس الّا رسول الله وعليّ إلىٰ جانبه، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي أوصني بوصيّة ينفعني الله بها.

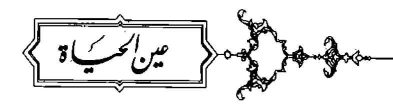
فقال: نعم وأكرم بك يا أباذر، أنت منّا أهل البيت وانّي موصيك بوصيّة فاحفظها، فانّها وصيّة جامعة لطرق الخير وسبله، فانّك إن حفظتها كان لك بها كفلان.

يا أبا ذر اعبد الله كأنّك تراه، فإن كنت لا تراه فانّه يراك.

يقول شارح الحديث الشريف: نقل هذا المضمون بأسانيد معتبرة عنه صلى الله عليه وآله وسلّم كما نُقل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم سُئل عن الاحسان الذي أمر الله به، فأجاب صلى الله عليه وآله وسلّم بمثل هذا الكلام [حيث قال: الاحسان أن تعبد الله كأنّك تراه ...[2]].

ولا يخفىٰ انّ لكلمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الموجزة، بمقتضىٰ الحديث الشريف «**أعطيت جوامع الكلم**»[3] انواع الحكم والحقائق الربانيّة، وكلّ يقتبس منها حسب استعداده وقابليّته، ولو أردت أن أذكر ما أستظهره أنا العديمُ البضاعة من كلّ فقرة لبلغ كتاباً مستقلاً، ولكن بمقتضىٰ «ما لا يدرك كلّه لا يترك

(١) هكذا في المتن، وفي مكارم الأخلاق: «أبي الأسود الدئلي» وفي البحار: «أبي الأسود الديلي».
(٢) راجع كنز العمال ٣: ٢٢ ح ٥٢٥٤.
(٣) البحار ٦٣: ٢٩٣ ح ١٧٧ باب ٣، عن مسلم.



كلّه» اكتفي بمقدار من التبيين والتفصيل، وبيان هذه الفقرة موقوف على فصول.

الفصل الأوّل
في الرؤيـة

اعلم انّ الرؤية تطلق على رؤية العين الباصرة، وتطلق أيضاً على غاية الانكشاف والظهور وإن لم يُر بالعين، ومن ضروريات مذهب الشيعة عدم رؤية الله تعالى بالعين الباصرة، وما ورد في الآيات والأخبار من الرؤية محمول على المعنى الثّاني، لأنّ تجلياته تعالى عند العرفاء بصورة أشد وضوحاً حتّى من العين الباصرة، كما روي بأسانيد معتبرة عن امام العارفين، ويعسوب الدين أمير المؤمنين عليه السلام انّه سُئل هل رأيت ربّك؟ فقال: ... ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ...[1].

وفي رواية أخرى انّ الامام الصادق عليه السلام سئل بمثل هذا السؤال فأجاب بنفس الجواب[2].

ومحتوى كلامه صلى الله عليه وآله وسلّم في الجملة الآنفة الذكر يشير إلى محالية مشاهدة الله بالعين الباصرة، لكن في مقام العبادة يجب أن يكون الانسان كالخادم أمام مخدومه، ويلتحق في مقام اليقين بدرجات العارفين، حيث انّها أقوى من المشاهدة والعيان.

ويمكن أن يكون المراد من الرؤية المقام الثّاني، أعني التجلي والانكشاف،

---

(١) البحار ٤ : ٢٧ ح ٢ باب نفي الرؤية.

(٢) راجع البحار ٤ : ٣٣ ح ١٠ عن الاحتجاج، باب في الرؤية.

فانّه مخصوص بالأنبياء والأوصياء عليهم السّلام مما لا يناله أبوذر رحمه الله، فأوصاه النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بالعبادة وكأنّه قد وصل إلىٰ تلك الرتبة السامية، كما انّ الرؤية في قوله: «فان كنت لا تراه فانّه يراك» بنفس المعنىٰ، لأنّ الله تعالى لا يبصر بالعين حيث لا جوارح له.

وليعلم انّ العبادة عبارة عن منتهىٰ الخشوع والتذلّل والانكسار، فلذا لا تصح أمام غير المعبود الحقيقي الذي وهب الحياة والوجود، وجميع النعم والكمالات، لأنّ الخدمة والعبادة لابدّ وأنْ تكون بمستوىٰ المعبود والمخدوم، فكلّما كان المخدوم عظيماً، كانت خدمته أشقّ وأصعب، كما أقرّ أشرف المكنونات بعجزه حيث قال: **«ما عبدناك حق عبادتك»**(١).

وانّ أعلىٰ مراتب العبادة الاقرار بالعجز عن أداء حقّها، وإن لاقىٰ من جرائها نصبا، ولمّا علم الله تعالى انّ عقول الناس قاصرة عن ادراك عبادته وكيفيّتها ، لم يكلّفهم حتّىٰ علّمهم آدابها ورسومها، وجعل بعضهم محلّ اسراره تلطّفاً منه وعصمهم من الذنوب، وأوصلهم إلىٰ الغاية القصوىٰ من العلم والعمل، وعلّمهم لسان المناجات والمكالمة معه، ثمّ أرسلهم لتعليم الناس كما لو أُدخل رجل غريب لا يعرف شيئاً من الرسوم والآداب علىٰ ملك ولم يكن معه من يعلّمه آداب الحضور عند الملك، فصدرت عنه أعمال لا تليق فانّه غير ملوم.

فكيف يمكن الوصول إلىٰ ساحة القرب من ملك الملوك دون اتباع المنهاج النبوي، وذلك بافتعال عبادات خرافية أو ناقصة، فلو أُضيء بصرك بنور الايمان، وتفكّرت في دقائق الآداب التي قرّرت في كلّ عبادة، لعلمت انّ الوصول

---

(١) البحار ٨: ٢١٥ ح ٢٠٥ باب ٢٣.

إلىٰ ذلك القصر الرفيع، والمقام المنيع لا يمكن بالأوهام والتصوّرات، بل يتحصّل باتباع الأخبار والروايات.

الفصل الثاني
[غاية الخلق]

اعلم انّ الغاية من خلق السماوات والأرض، والعرش والكرسي، وجميع المخلوقات هي المعرفة والعبادة، والآيات الكثيرة والأخبار المتضافرة خير دليل عليه، ولا يخفىٰ ان التلاحم الوثيق بين المعرفة والعبادة جعل منهما اطروحة واحدة، فلا معرفة كاملة ولا علم نافع من دون عبادة، ولا عبادة لائقة من دون معرفة وعلم.

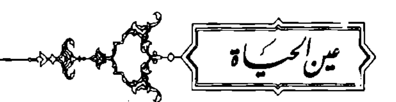
ومُثِّل العلم بالمصباح والعبادة بطيّ الطريق، فلو كان المصباح بيدك وأنت واقف مكانك لا ترىٰ الّا مسافة قصيرة من الطريق، وكلّما مشيت توضحت الرؤية شكل أكبر، بل انّ العمل بمنزلة الزيت للمصباح ولولاه لانطفىٰ المصباح سريعاً.

واعلم انّ لكل عمل روحاً وجسداً، فجسد العمل هو الأعمال الصادرة من الانسان ويصطلح عليها (عبادة)، وروحه هي الآداب والشرائط والكيفيّة، وبها يصل العمل إلىٰ غاية الكمال، كالاخلاص وحضور القلب وسائر الشرائط لصحة الصلاة مثلاً، فالصلاة مع غض النظر عن هذه الآداب بمنزلة الجسد بلا روح، فكما انّ الجسد الميت لا يصنع شيئاً، كذلك الصلاة دون الشرائط لا أثر لها ولا ثمرة، ألا ترىٰ انّ الله يصف الصلاة بأنّها تنهى عن القبائح بقوله:

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهىٰ عَنِ الفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ»[1].

---

(١) العنكبوت: ٤٥.



إذن منشأ عدم ردع الصلاة عن الفحشاء والمنكر هو فقدان الآداب والشرائط.

الفصل الثّالث

[شرائط العبادة]

اعلم انّ شرائط الأعمال لا يمكن إحصاؤها في هذا الكتاب، لكن نشير إلىٰ بعضها ممّا دلّ عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلّم السابق.

من جملة شرائط العبادة المثمرة والتي تخرج العبادة عن العادة ؛ النيّة ، كما نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: «**انّما الأعمال بالنيّات**»[1] وروىٰ الكليني بسند معتبر عن الامام الصّادق عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: نيّة المؤمن خير من عمله [ونيّة الكافر شرٌّ من عمله] وكلّ عامل يعمل علىٰ نيّته[2].

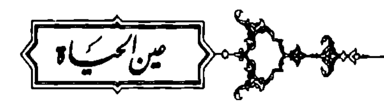
وروىٰ عنه عليه السلام أيضاً في قول الله عزّ وجلّ: «**لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلاً**»[3]، قال: ليس يعني اكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الاصابة خشية الله ، والنيّة الصادقة والحسنة، ثم قال:

الابقاء علىٰ العمل حتّىٰ يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص ؛ الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد الّا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل من العمل، ألا وانّ النيّة

(١) راجع صحيح البخاري ١ : ٥٨ ح ١ باب ١ كتاب بدء الوحي ـ وكنز العمال ٣ : ٤٢٤ ح ٧٢٧٢ ـ والبحار ٧٠: ٢١٢ ح ٣٨ باب ٥٣.

(٢) الكافي ٢ : ٨٤ ح ٢ باب النيّة ـ عنه البحار ٧٠ : ١٨٩ ح ٢ باب ٥٣ ـ والمحجة البيضاء ٨ : ١٠٦ ـ ومثله كنز العمال ٣ : ٤١٩ ح ٧٢٣٧.

(٣) الملك : ٢.



هي العمل، ثم تلا قوله عزّ وجلّ:«قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ»[1] يعني على نيّته[2].

وقد وقع الاختلاف في معنى النيّة كثيراً، ولم يصل إلىٰ حقيقتها الّا القليل، حيث زعم بعض العوام انّها اللفظ الذي يتلفّظ به عند البدء بالوضوء أو الصلاة أو غيرهما، وإن لم يكن معنى النيّة في ذهنهم، وهو لغو ولا فائدة فيه إجماعاً.

وذهب البعض الآخر الىٰ ما هو أحسن حالاً من الأول، فزعم انّها خطور تلك الألفاظ في الذهن وتعقّل معانيها، وهو بعيد عن الصواب أيضاً، لأنّ ثمرة النيّة الاخلاص في العمل، والتجنّب عن الشرك والرياء، ومن الواضح انّ هذا المعنىٰ لا يوجب الاخلاص.

وعلىٰ سبيل المثال لو انّ شخصاً تاركاً للصلاة سمع ذات يوم انّ رجلاً فاضلاً جاء إلىٰ المسجد وقام بتوزيع الأموال علىٰ الصلحاء، فتوضّأ هذا الشخص وأتىٰ إلىٰ المسجد قاصداً قبض الأموال، فيصلّي أمام هذا الرجل الفاضل لكنه يُخطر معنىٰ الصلاة الواجبة في ذهنه قربة لله تعالى، فيأتي بها تامة الأجزاء والشرائط، فلا ينتفع بذلك شيء، ولا تصح صلاته بمثل هذه النيّة، فعلم انّ هذا المعنى لا ربط له بمعنىٰ النيّة الحقيقيّة.

وتحقيق الحال، فإن من الممكن اطلاق النيّة علىٰ معنيين، أحدهما في غاية السهولة، والآخر في غاية الصعوبة.

أمّا الأوّل: فان النيّة هي أن يكون القصد إلىٰ الفعل مقارناً له ولا يصح اتيان الفعل سهواً وغفلةً، كما لو ذهب شخص الى الحمام للاغتسال من الجنابة، ثم

---

(١) الاسراء: ٨٤.

(٢) الكافي ٢: ١٦ ح ٤ باب الاخلاص ـ عنه البحار ٧٠: ٢٣٠ ح ٦ باب ٥٤.

نسي فيّ الأثناء انّه جنب، وغسل جسمه بغير قصد فلا يجزي ذلك عن غُسل الجنابة لعدم نيّة الغُسل.

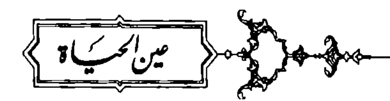
لكنّه لو كان ملتفتاً وغَسل جسمه بنيّة الغُسل، وإن لم يتلفّظ ولم تخطر تلك المعاني في ذهنه، صحّ غسله وأجزأه، وهذه النيّة بهذا المعنى تخطر في أذهان الناس عامة إلا ما ندر، كما قال بعض المحقّقين: لو كُلّفنا أن نعمل من دون نيّة لكان تكليفاً بما لا يُطاق.

وأمّا الثّاني: فهو عبارة عن الغاية والعلّة والباعث والمحرّك إلىٰ العمل، ولا تخلو أعمال العقلاء عنها، فانك إذا سألت شخصاً ذاهباً إلىٰ السوق، أين تذهب؟ فانّه يجيبك: إلىٰ السّوق، فهذه النيّة بالمعنىٰ الأوّل حيث كشف عنها لما سُئل، ولو أجاب بغير ما في نفسه لكان كاذباً، ثمّ تسأله عن سبب ذهابه إلىٰ السّوق؟ فيجيب بأنّه ذاهب لشراء متاع.

فهذه النيّة بالمعنىٰ الثّاني، لأنّ الشراء هو الباعث علىٰ هذا العمل، ولا صعوبة في هذه النيّة الّا من حيث الاخلاص، وانّه المدار لشرافة العمل أو دناءته.

ولا يحصل هذا الاخلاص في الصلاة بتغميض العين، والحركات الناشئة من الوسواس، بل يحصل مقداراً منه بالرياضات والمجاهدات والتفكّر الصحيح بعد مدّة متمادية وبتوفيق الله تعالى، لأنّ هذه النيّة تابعة لأحوال الانسان، فاذا لم تنقّ قلبك من الظلمات والشبه فليس بالامكان إخلاص النيّة، وكما أشير إليه في الحديث السابق عن الامام الصّادق عليه السلام في تفسيره للشاكلة التي هي الطريقة والحالة ؛ بالنيّة، ونذكر عدّة مراتب للنيّة لغرض توضيح المطلب:

اعلم انّ هذا العالم مبنيّ علىٰ العشق والحبّ، ولكلّ شخص معشوق



ومقصود عظيم، يطلب تحصيل الأشياء لأجله، ونيّته في جميع الأعمال القرب من المعشوق، ويمكن أن يكون هذا المطلوب صحيحاً وفاسداً، أما الفاسد فله مصاديق كثيرة، كالمال العظيم عند بعض الأشخاص، حيث يزينه الشيطان في قلبه حتّىٰ يحبّه حبّاً جمّاً، فيكون أكبر همّه تحصيله، فلو سمع انّ هناك صلاة من صلّاها له مائة ألف درجة في الجنّة لا يرغب فيها أبداً، وإذا صلّى الصلوات اليومية فانّما يصلّيها خوفاً من عدم اعتناء الناس فيه أو انّ الله يسخط عليه ويسلب ماله.

فهذا الشخص ما دامت هذه الحالة فيه فانّه يعبد المال ونيّته تحصيله في جميع المراتب، والحديث النبوي «**ملعون، ملعون من عبد الدينار والدرهم**»[1] يشير إلىٰ هذا المعنىٰ، لأنّ الانسان لا يسجد للدينار والدرهم، فالمراد الشحّ بهما وحبّهما، فلو كان غرضه محض هذه الأموال الخسيسه فعباداته باطلة، ولو لم يستقرّ هذا الأمر في نفسه تماماً بل ينظر إلىٰ المطالب الأخروية أيضاً، ففي البطلان اشكال والأشهر البطلان.

وقد لا يكون المال عند شخص عظيما بل يرىٰ العظمة في الجاه والرئاسة وهو معشوقه ويطلبه أينما كان، ويلاحظ في جميع أعماله هذا الجانب، فلو زاد في اعتباره الدنيوي عمله والّا تركه، وهو دائم التفحّص عن العبادات التي ذكر في ثوابها انّها تزيد العزّة والبهاء عند الناس، ويميل إلىٰ كلّ ذي منصب وجاه لوجود محبوبه عنده.

ويغترّ صاحب المنصب المسكين بهذا الشخص ويزعم انّ ميله إليه لوجود كمالات في نفسه، وانّ هذا الشخص عشق تلك الكمالات، لكن لما يسقط

(١) الخصال ١: ١٢٩ ح ١٣٢ باب الثلاثة ـ عنه البحار ٧٣: ١٤٠ ح ١٣ باب ١٢٣ في حبّ المال.

المنصب عنه وينتقل إلىٰ آخرٍ، نرىٰ انّ هذا الشّخص المحبّ للجاه يترك صديقه الأوّل ويذهب حيث ذهب الجاه والمنصب، ولهذا جعل الله تعالى أهل الحق فقراء غالباً ليتميّزوا عن عبدة الدنيا والأموال والأهواء ....

وصاحب هذا الخُلق كصاحب الخُلق الأول أعني حبّ المال، والأغراض الفاسدة الدنيوية لا تكاد تنتهي إلىٰ حدٍ، وذكرنا هذين الفردين علىٰ سبيل المثال، وأعظم مفاسد العبادة من هذه النيّات الفاسدة التي هي بمنزلة الشرك بالله.

وكما روىٰ ابن بابويه بسند معتبر عن الامام جعفرِ الصّادق عليه السلام انّه قال: قال رسوّل الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ... اجتنبوا الرياء فانّه شرك بالله، انّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك، وبطل أجرك، ولا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له[1].

وروىٰ بسند صحيح عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يؤمر برجال إلىٰ النار، فيقول الله جلّ جلاله لمالك: قُل للنار لا تحرق لهم أقداماً، فقد كانوا يمشون إلىٰ المساجد، ولا تحرق لهم أوجهاً، فقد كانوا يسبغون الوضوء، ولا تحرقي لهم أيدياً فقد كانوا يرفعوها بالدعاء، ولا تحرقي لهم ألسناً فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن.

قال: فيقول لهم خازن النار: يا أشقياء ما كان حالكم؟ قالوا: كنّا نعمل لغير الله تعالى، فقيل لنا: خذوا ثوابكم ممن عملتم له[2].

وروىٰ بسند معتبر عن الامام الصّادق عليه السلام انّه قال: قال لقمان لابنه : ...

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٦٦ ح ٢٢ مجلس ٨٥ ـ عنه البحار ٧٢: ٢٩٥ ح ١٩ باب ١١٦ ـ ومثله تفسير العياشي ١: ٢٨٣ ح ٢٩٥ (سورة النساء) ـ وجامع السعادات ٣: ٣٨٧.

(٢) علل الشرائع: ٤٦٥ ح ١٨ باب ٢٢٢ في النوادر ـ عنه البحار ٧٢: ٢٩٦ ح ٢١ باب ١١٦.

للمرائي ثلاث علامات، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس عنده، ويتعرّض في كلّ أمر للمحمدة[1].

وروى عليّ بن ابراهيم بسنده عن الامام محمّد الباقر عليه السلام **انّه قال: [قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلّم] ... **من صلّى مراءاة الناس فهو مشرك، ومن زكّى مراءاة الناس فهو مشرك، ومن صام مراءاة الناس فهو مشرك، ومن حجّ مراءاة الناس فهو مشرك، ومن عمل عملاً مما أمر الله به مراءاة الناس فهو مشرك، ولا يقبل الله عمل مراء**[2].

وروى الكليني بسنده عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال: **كلّ رياء شرك، انّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله**[3] .

وروى أيضاً بسند معتبر عنه عليه السلام انّه قال: ... **ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيام أبداً حتّى يُظهر الله له خيراً، وما من عبد يُسرّ شرّاً فذهبت الأيام أبداً حتّى يظهر الله له شرّاً**[4].

وقال عليه السلام في حديث آخر: **من أراد الله عزّ وجلّ بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر مما أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه، وسهر من ليله أبى الله عزّ وجلّ الّا أن يقلّله في عين من سمعه**[5].

والآيات والأخبار في هذا الباب متظافرة.

---

(١) الخصال ١ : ١٢١ ح ١١٣ باب الثلاثة ـ عنه البحار ٧٢ : ٢٩٦ ح ٢٢ باب ١١٦.
(٢) تفسير القمي ٢ : ٤٧ سورة الكهف ـ عنه البحار ٧٢ : ٢٩٧ ح ٢٥ باب ١١٦.
(٣) الكافي ٢ : ٢٩٣ ح ٣ باب الرياء ـ عنه البحار ٧٢ : ٢٨١ ح ٣ باب ١١٦.
(٤) الكافي ٢ : ٢٩٣ ح ٤ باب الرياء ـ عنه البحار ٧٢ : ٢٨١ ح ٤ باب ١١٦.
(٥) الكافي ٢ : ٢٩٦ ح ١٣ باب الرياء ـ عنه البحار ٧٢ : ٢٩٠ ح ١٣ باب ١١٦.

علاج الرياء:

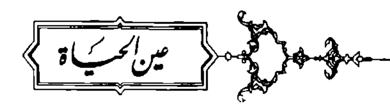
وعلاج الرياء يتحصّل بقمع الأغراض الفاسدة، والمطالب الدنيّة المستقرّة في النفس منها، مستعيناً في ذلك بالله تعالى، وبالتفكّر في فناء هذه النشأة العابرة الفانية، وبعدم حقيقة المال والجاه وسائر الاعتبارات الأخرىٰ، وانّه لا نافع الّا بمعونة الله تعالى، والتفكّر في العقوبات العظيمة، والرحمة الواسعة، والمثوبات الجزيلة الالهيّة حتّىٰ يكبر في نفسه هذا الأمر العظيم ويهون في عينه غيره، والّا فمع وجود هذه الشهوات في النفس لا يتيسّر الاخلاص لأحدٍ.

كما نُقل انّ رجلاً جلس تحت شجرة ليذكر الله تعالى مع حضور القلب، وكان علىٰ الشجرة بعض العصافير وهي تغرد بصوت عال، فلم يحصل عنده حضور قلبي، فقام لدفع العصافير، لكنّها عادت مرّة ثانية، وفعل هكذا مرّات عديدة من دون أي فائدة، فرآه شخص وقال له: يا أخي، ما دامت الشجرة باقية فلا مهرب من العصافير، قم فاقطعها، فقطعها وارتاح.

فكذلك قلب الانسان متىٰ ماكانت شجرة حبّ الدنيا مغروسة فيه لا يمكن دفع طائر الهوىٰ والتمنيات.

وأما الأغراض الصحيحة من عامة الناس فتتمثّل بدرجات، فمنها محاولة اخفاء العمل والعبادة عن نظر زيد وعمر، وخلوّها عن تحصيل المال والمنصب، ويكون همّهم ملاحظة الغرض الأخروي.

ومنها العبادة خوفاً وطمعاً، فيعبد الله لأجل ذلك الخوف، ومثل هذه العبادة صحيحة وان قيل بالبطلان، سيّما إذاكانت النيّة منضمة إلىٰ غيرها كما سيأتي، وبناءً



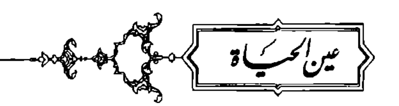
علىٰ التحقيق الذي مضىٰ من انّ النيّة ليست هي خطورَ المعنىٰ في الذهن، يُعلم انّ تكليف أغلب الناس باجتياز هذه المرحلة تكليف بما لا يُطاق.

ولا يخفىٰ عدم تماميّة مثل هذه العبادة، لأنّ هذا الشخص في الحقيقة عَبَدَ نفسه ولم يعبد الله تعالى، وغايته دفع الضرر عن نفسه وجلب المنفعة لها، ونحن نجد أن أمثال هؤلاء الناس لا يتحرّكون نحو العمل الصالح لمجرّد صلاحه، حتّىٰ وان سمعوا بفضله من الأحاديث إلا إذا كان فيه ذكر معين للجزاء والثواب كقصر في الجنّة، فانّهم يسعون إليه سعياً علىٰ الرأس لا مشياً على القدم، وإذا اجتاز المرء مرحلة الخوف والطمع في العبادة يبقىٰ أمامه مراحل أعلىٰ ودرجات اسمىٰ من صنوف العبادة نذكر منها:

[أقسام العبادة:]

أولاً: عبادة الشاكرين، والداعي للعبادة هو وجود النعم الكثيرة الغير متناهية، لحكم العقل بلزوم شكر المنعم الذي ترجع جميع النعم إلىٰ ساحة كرمه، والوجود الذي هو أصل النعم وجميع الأعضاء والجوارح والقوىٰ منه تعالى ومن عطائه، وخَلَقَ السماء والأرض والكواكب والشمس والقمر والعرش والكرسي والملك والجنّ والوحوش والطيور كلّها لنفع الانسان، وله آلاف النعم في كلّ لحظة تمرّ علىٰ كلّ فرد من أفراد البشر كالحفظ والتغذية والتنمية و ...

ويُنزل في كلّ آنٍ مئات الآلاف من الألطاف والرحمات علىٰ محبّيه وأخلّائه، كالافاضات والهداية والتوفيق، ولا يمنع خيره مع الكفر والعصيان، كما ورد في الخبر انّ الله تعالى يتعامل مع كلّ واحد من عبيده بنوع من اللطف كأن لم



يكن له سوىٰ هذا العبد وانّه في غاية الاحتياج إليه، مع كونه خالق جميع العباد غني عن العالمين، ويتعامل العبد مع الله كأنّ له أرباباً سواه ولا يحتاج إليه، مع كونه لا خالق له ولا ربّ سوىٰ الله، وهو المالك لضرره ونفعه[1].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: انّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وانّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وانّ قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار[2].

وروي عن الامام الرضا عليه السلام بسند معتبر انّه قال: ... ولو لم يخوّف الله الناس بجنّة ونار لكان الواجب عليهم أن يطيعوه ولا يعصوه، لتفضّله عليهم واحسانه إليهم، وما بدأهم به من إنعامه الذي ما استحقّوه[3].

وليس للتفكّر في آلاء الله ونعمه نهاية، كما قال تعالى:

«وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا»[4].

والتفكّر من أعظم العبادات مما يوجب زيادة الحبّ والقرب من الله ، ويكون داعياً وباعثاً للعبادة، وصارفاً ورادعاً عن المنكرات.

ثانياً: عبادة المقرّبين ؛ حيث انّ الغاية المتوخاة من عبادتهم هي القرب من المعبود، وليس المقصود من القرب المكاني أو الزماني منه لتنزّهه عنهما.

واعلم انّ للقرب من الله معانٍ متعدّدة، ونكتفي هنا بذكر معنيين.

أحدهما: القرب بحسب المرتبة والكمال، وذلك انّ الله لما كان واجب

---

(١) مضمون النص.

(٢) البحار ٧٨ : ٦٩ ح ١٨ باب ١٦.

(٣) البحار ٧١ : ١٧٤ ح ١٠ باب ٦٤ عن عيون أخبار الرّضا عليه السلام.

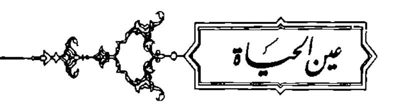
(٤) ابراهيم : ٣٤.

الوجود وكاملاً من جميع الجهات، ولا نقص في ذاته وصفاته، وكان الممكن فيه غاية النقص والعجز والعدم، بلغ التقابل والتباين بين الواجب والممكن غـايته، وكلّما أزال الممكن نقصاً من نـقائصه وأُفـيض عـليه كـمال مـن الفـيّاض عـلىٰ الاطلاق، حصل له قرب معنوي في الجملة، كما لو تضادّ شخصان في الاخلاق فكل واحدٍ منهما بعيد عن الآخر، أمّا لو تأثّر أحدهما بأخلاق الآخر فانّه يدنو منه قليلاً.

وصفات الواجب والممكن وإن لم يكن لها ربط، وانّ الممكن في كماله محفوف بمئات الآلاف من النقائص، لكن يحصل نوع من الارتباط بـلا تشـبيه يمكن التعبير عنه بالقُرب، وبما انّ العبادات الظاهرية والباطنيّة تورث كمالاً في النفس، يمكن أن يكون غرض الانسان في العبادة تحصيل هذا المقام، ودرجات ومراتب هذا القُرب غير متناهية، وتفصيل ذلك موكول الى مجال آخر ان شاء الله.

والمعنىٰ الثّاني للقُرب: التذكّر والمحبّة والمـصاحبة المـعنوية، كـما لو انّ شخصاً في المشرق وله حبيب في المغرب، فهو دائم الذكر لمحبوبه ولا ينساه طرفة عين، ويتكلّم بكمالاته دائماً، فهو ـ بحسب القرب المـعنوي ـ أقـرب إلىٰ محبوبه من الغريب أو العدو القريب منه، ويحصل هذا النوع من القرب بـزيادة العبادة وكثرة الذكر.

ثالثاً: عبادة من يَعبد الله حياءً، وهذه الدرجة مختصّة بمن أضاء نُور الايمان قلبَه، وظهر له حسن الطاعات وقبح السيئات كما هي، فهو قد ارتقىٰ إلىٰ كـمال المعرفة فبقي دائم الذكر لله تعالى، لا يغفل عنه طرفة عين، ويـعلم انّ الله خـبير بدقائق اموره وخفايا ضميره، وبواطن نيّاته، وقد تجلّت عظمة الله وجلاله لقلبه، مما كان سبباً في انبعاثه علىٰ العبادة والطاعة وترك المناهي عنده.



ومن الواضح انّ الانسان لا يرتكب بعض المعاصي أمام غلام له حياءً، مع انّه لا يخاف ضرره ولا يتوقّع نفعه، فكيف به وهو في مقام المراقبة يرىٰ الله حاضراً في كلّ مكان، فكيف يترك طاعة أو يفعل معصية، الّا أن يكون أعمىٰ القلب والبصيرة.

وروي عن لقمان انّه قال لابنه: إن أردت معصية الله اذهب إلىٰ مكان لا يكون الله فيه[1].

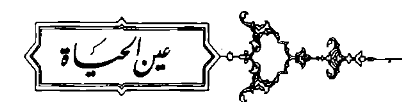
وروي بأسانيد معتبرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: استحيوا من الله حقّ الحياء، قالوا: وما نفعل يا رسول الله؟ قال: فإن كنتم فاعلين فلا يبيتنّ أحدكم الّا وأجله بين عينيه، وليحفظ الرأس وما حوىٰ، والبطن وما وعىٰ، وليذكر القبر والبلىٰ، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدنيا[2].

رابعاً: عبادة من ذاق حلاوة العبادة وفهم كمال العبوديّة، وصفا عقله حتّىٰ وافقت نفسه عقله، وانكسرت شهواتها، لا يرجح شيئاً من اللذات علىٰ الطاعة والعبادة، ولا يؤلمه شيء مثل تألمه من ارتكاب المعاصي وقبحها، فأصبحت جنّتهم العبادة، ومشاقّها وصعوباتها عذبة عندهم يلتذّون بها، وانّ عذابهم المعصية.

يتلذّذون بالعبادة بما يفوق لذّات الدنيا، ولهم بكلّ عبرة من عبرات العين لذّةً ... فيجدون لذّة الخوف في قطرة، وحلاوة الشوق في أخرىٰ، ولذة الرجاء في ثالثة، كما روي بسند صحيح عن امام العارفين جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام انّه

(١) مضمون النص.

(٢) البحار ٧١: ٣٣٣ ح ٩ باب ٨١ عن الأمالي للصدوق ـ ومثله قُرب الأسناد: ٢٣ ح ٧٩.



قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرّغ لها، فهو لا يبالي علىٰ ما أصبح من الدنيا، علىٰ عسرٍ أم علىٰ يسر[1].

ولا حظّ لهذا الشخص من اللذات الظاهرية في الدنيا، بل في الجنة أيضاً يعبد الله لكي يتقرّب إليه، كما روي عن الامام جعفر بن محمّد عليهما السّلام انّه قال: قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصديقين [الذين صدّقوا انبيائي وامتثلوا أوامري] تنعّموا بعبادتي في الدّنيا فانّكم تتنعّمون بها في الآخرة[2].

عزيزي! كما انّ للجسم حواساً يميّز بها المحسوسات، كذلك للروح حواساً يميّز بها الحقائق والمعاني، وكما انّ حواس الجسم لا تعمل عملها بسبب الأمراض، فانّ لحواس الروح أمراضاً أيضاً تمنعها عن عملها، فعلىٰ سبيل المثال فانّ الذائقة الصحيحة تشخّص الطعام اللذيذ من غيره لكن إذا طرء عليها مرض يصبح الحلو عندها مرّاً.

وكذلك روح الانسان وعقله ما دام لم تطرء عليهما الشهوات والأهواء فانّ الأعمال الصالحة والخصال الحميدة تكون عندهما لذيذة، والأعمال الطالحة والفاسدة شنيعة، وبصيرة الانسان ما دامت مضيئة بنور الايمان ترىٰ الحقّ وتعرف الباطل، لكن إذا اظلمت بالمعاصي والقبائح، ترىٰ الباطل حقّاً والحقّ باطلاً، وتكون الشهوات هي المعيار الوحيد للحقّ والباطل، فتهرب النفس من العبادة والطاعة، وتركن الى المعاصي، وسيتّضح معنىٰ ضياء القلب وظلمته في مجال

(١) الكافي ٢: ٨٣ح ٣ باب العبادة ـ عنه البحار ٧٠: ٢٥٣ ح ١٠ باب ٥٥.
(٢) الكافي ٢: ٨٣ح ٢ باب العبادة ـ عنه البحار ٧٠: ٢٥٣ ح ٩ باب ٥٥.

آخر إن شاء الله.

خامساً: عبادة المحبّين الذين وصلوا إليها بسبب كثرة العبادة والطاعة، وهي أسمىٰ مراتب الكمال حتّى أصبحوا معشوقين حقيقيين، كما قال الله تعالى في وصف أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين عليهم السّلام: «**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**»[1].

وإذا استقرّت محبّة الشّخص في القلب، كانت هي الباعث علىٰ الأعمال والأفعال، ولا يبغي منها سوىٰ رضى المحبوب، فلو دخل الجنة مع عدم رضى المحبوب لكانت عليه جحيماً، ولو ألقي في الجحيم مع حصوله علىٰ رضىٰ المحبوب لتوّلت الجحيم عنده روحاً وريحاناً وسلاماً.

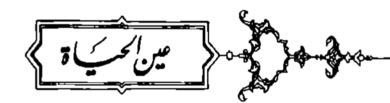
كما انّ ابراهيم الخليل أصبحت نار نمرود في عينه بسبب مقام الخلة والمحبة أفضل من الروح والريحان، ولذا جعل الله تعالى له النّار برداً وسلاماً، وحتّى لو لم تكن برداً وسلاماً واقعاً لكنّها عنده كذلك.

ألا ترىٰ الجاهل المنهمك في العشق المجازي، يريد المعشوق في عبادته، ويعصي لأجله، وفي مقام خدمة المعشوق لا يخطر بباله جلب نفع لنفسه، أو العثور علىٰ درهم ودينار، فلو ذهب إلىٰ مكان فانّما يطمع في لقائه، حتّى انّ ذهابه إلىٰ البستان مثلاً يكون بذكره، فمحركه في جميع الأعمال هذه المحبّة الفاسدة.

فكذلك المحبّة الحقيقية، فلو غلبت علىٰ قلب شخص تكون هي الباعثة له علىٰ الأعمال، فلا ينظر حينئذٍ إلىٰ الجنّة والنار، بل يريد الجنة لأنّ الحبيب يريدها، ويبغض النار لأنّ الحبيب يبغضها، يقول امام المحبّين، أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل:

---

(١) المائدة: ٥٤.



«... فلئن صيّرتني للعقوبات مع أعدائك، وجمعت بيني وبين أهل بلائك، وفرّقت بيني وبين أحبّائك وأوليائك، فهبني يا الهي وسيّدي ومولاي وربّي صبرت علىٰ عذابك فكيف اصبر علىٰ فراقك، وهبني صبرت علىٰ حرّ نارك فكيف أصبر عن النظر إلىٰ كرامتك ...»[1].

فصاحب هذه المرتبة من المحبّة لا يحوم حول المعاصي لأنّ المحبوب لا يحبّها، وتكون غاية عباداته رضىٰ المحبوب لا الأجر والثّواب، قد حرّمت عليه المحبّة نوم الغفلة، كما يقول محبوب ربّ العالمين جعفر بن محمّد عليه السلام: ما أحبّ الله عزّ وجلّ من عصاه، ثمّ تمثّل فقال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه هذا محال في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته انّ المحبَّ لمن يحبّ مطيع[2]

وروي أيضاً بسند معتبر عنه عليه السلام انّه قال: انّ الناس يعبدون الله عزّ وجلّ علىٰ ثلاثة أوجه، فطبقة يعبدونه رغبة الى ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدونه خوفاً من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة، ولكنّي أعبده حبّاً له فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن لقوله تعالى:

«وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ»[3].

«قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ»[4].

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء كميل.
(٢) أمالي الصدوق: ٣٩٦ ح ٣ مجلس ٧٤ ـ عنه البحار ٧٠: ١٥ ح ٣ باب ٤٣.
(٣) النمل: ٨٩.
(٤) آل عمران: ٣١.

فمن أحبَّ الله عزَّ وجلَّ أحبّه الله، ومن أحبّه الله عزّ وجلّ كان من الآمنين[1].

أي أَمِنوا في الدنيا من شر الشياطين وأهواء النفس، وفي الآخرة من العذاب الأليم.

وروي أيضاً عنه عليه السلام انّه قال: كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا ابن عمران كذب من زعم انّه يحبّني فاذا جنّه الليل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطلع علىٰ أحبّائي.

إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلّموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع في ظلم الليل، وادعني فانّك تجدني قريباً مجيباً[2].

فلا يمكن الوصول إلى هذه الدرجة العالية الّا بالعبادة والطاعة، ومتابعة الشرع النبوي المقدس.

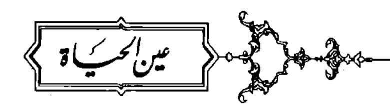
ومن بواعث المحبة التفكر في نعم المنعم الحقيقي، فكما انّ محبة البشر بينهم تتزايد يوماً فيوماً بسبب الألطاف والرحمة والشفقة، فكذلك الحبّ الحقيقي يزداد ويكثر بالتفكر في نعم والطاف المعشوق الحقيقي، ففي كلّ لحظة يفيض مئات الآلاف منها علىٰ كلّ فرد من أفراد الخلق.

وروي عن الامام محمد الباقر عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم

---

(١) علل الشرائع: ١٢ ح ٨ باب ٩ ـ عنه البحار ٧٠: ١٧ ح ٩ باب ٤٣.

(٢) البحار ٧٠: ١٤ ح ٢ باب ٤٣ عن أمالي الصدوق.



للناس وهم مجتمعون عنده: أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمة، وأحبوني لله تعالى، وأحبوا قرابتي [أهل بيتي] لي[1].

وروي بسند معتبر عن الامام الرضا عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أوحى الله عزّ وجلّ إلى نجيّه موسى: أحببني وحبّبني إلى خلقي، قال: يا ربّ هذا أحبّك فكيف أحبّبك إلى خلقك؟ قال: اذكر لهم نعماي عليهم، وبلاي عندهم، فانّهم لا يذكرون أو لا يعرفون منّي الّا كلّ الخير[2].

وروىٰ الشّيخ الطوسي عليه الرحمة في كتاب الأمالي عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه الكرام عليهم السلام، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في مسجده في رهط من أصحابه فيهم أبو بكر، وأبو عبيدة، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن، ورجلان من قرّاء الصحابة من المهاجرين عبد الله بن امّ عبد ومن الأنصار أُبيّ بن كعب، وكانا بدريّين.

فقرأ عبد الله من السورة التي يذكر فيها لقمان حتّى أتى علىٰ هذه الآية: **«وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً»**[3] الآية، وقرأ أُبيّ من السورة الّتي يذكر فيها ابراهيم عليه السلام **«وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ»**[4].

قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ايّام الله نعماؤه وبلاؤه ومثلاته سبحانه، ثمّ أقبل صلى الله عليه وآله وسلّم علىٰ من شهده من أصحابه فقال: انّي لأتخوّلكم بالموعظة تخوّلاً مخافة السأمة عليكم، وقد أوحى اليّ ربّي جلّ وتعالى أن أُذكّركم

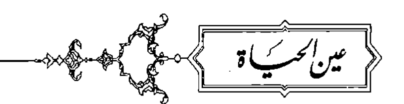
---

(١) علل الشرائع: ٥٩٩ ح ٥٢ باب ٣٨٥ (نوادر العلل) ـ عنه البحار ٧٠: ١٦ ح ٧ باب ٤٣.

(٢) البحار ٧٠: ١٨ ح ١٢ باب ٤٣ عن أمالي الطوسي: ٤٨٤ ح ٢٧ مجلس ١٧، وفيه إذ لا يعرفون منّي الّا كلّ خير.

(٣) لقمان: ٢٠.

(٤) ابراهيم: ٥.



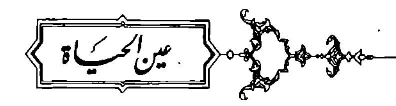
بأنعمه، وأُنذركم بما أفيض عليكم من كتابه، وتلا: «**وَاَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ**» الآية، ثمّ قال لهم: قولوا الآن قولكم، ما أوّل نعمة رغبكم الله فيها وبلاكم بها؟

فخاض القوم جميعاً فذكروا نعم الله الّتي أنعم عليهم، وأحسن إليهم بها من المعاش والرياش والذّرية والأزواج إلى ساير ما بلاهم الله عزّ وجلّ به من أنعمه الظاهرة.

فلمّا أمسك القوم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم علىٰ عليّ عليه السلام فقال: يا أبا الحسن قل ! فقد قال أصحابك، فقال: وكيف لي بالقول فداك أبي وأُمّي ؟ وإنّما هدانا الله بك، قال: ومع ذلك فهات قل ! ما أوّل نعمة بلاك الله عزّ وجلّ وأنـعم عليك بها؟

قال: أن خلقني جلّ ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً، قال: صدقت، فما الثانية؟ قال: أن أحسن بي إذ خلقني فجعلني حيّاً لا مواتاً، قال: صدقت، فما الثالثة ؟ قال: أن أنشأني فله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب، قال: صدقت ، فما الرابعة؟ قال: أن جعلني متفكّراً واعياً لا بلهاً ساهياً.

قال: صدقت، فما الخامسة؟ قال: أن جعل لي شواعر أدرك ما ابتغيت بها وجعل لي سراجاً منيراً، قال: صدقت، فما السادسة؟ قال: أن هدانـي لديـنه ولم يضلّني عن سبيله، قال: صدقت، فما السابعة؟ قال: أن جعل لي مردّاً في حياة لا انقطاع لها، قال: صدقت، فما الثامنة؟ قال: أن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً، قال: صدقت، فما التاسعة؟ قال: أن سخّر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه، قال: صدقت، فما العاشرة؟ قال: أن جعلنا سبحانه ذُكراناً قوّاماً علىٰ حلائلنا لا إناثاً، قال: صدقت، فما بعد هذا؟ قال: كثرت نعم الله يا نـبيّ الله فـطابت، وإن



تعدّوا نعمة الله لا تحصوها.

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقال: لتهنك الحكمة، ليهنك العلم يا ابا الحسن، فأنت وارث علمي، والمبيّن لأمّتي ما اختلفت فيه من بعدي، من أحبّك لدينك وأخذ بسبيلك فهو ممّن هدي إلى صراط مستقيم، ومن رغب عن هداك وأبغضك وتخلّاك لقي الله يوم القيامة لا خلاق له[1].

ومن دواعي المحبّة كثرة العبادة، والذكر والتفكّر دائماً في الصفات الكمالية الالهيّة، ومن الواضح انّ الانسان كلّما ذكر شخصاً علىٰ الدوام ازدادت محبّته في قلبه، وسنبيّن فيما بعد فضل الذكر وشرائطه وفوائده، وأفضليّة كلّ من الذكر والتفكّر علىٰ الآخر، ان شاء الله.

سادساً: عبادة العارفين؛ والباعث عندهم علىٰ العبادة كمال المعبود، وانّه هو الذي يستحق العبادة وحقيق بها، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «عبدتك لا خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[2].

وهذه أعلىٰ درجات المقربين، ولا يمكن ادعاؤها الّا لمن أمن مكرّ النفس، وأيقن انّ عبادته تكون علىٰ هذه الحال حتى لو لم يسمع اسم الجنة والنار ، بل ـ والعياذ بالله ـ انّه يعبد الله حتى لو ألقي في جهنّم، لأنّ المعبود يستحقّ العبادة .

وانّه لا انتهاء لمراتب النية كما لا انتهاء لمراتب الكمال، وصاحب كل مرتبة له نية تليق بدرجته ويعمل علىٰ ضوئها، ولكل درجة شهود من الأخلاق والافعال

(١) البحار ٧٠: ٢٠ ح ١٧ باب ٤٣ عن أمالي الطوسي: ٤٩٠ ح ٤٦ مجلس ١٧.
(٢) راجع البحار ٤١: ١٤ ح ٤ باب ١٠١ باختلاف ـ وكذلك نهج الحق: ٢٤٨ في عبادته عليه السلام.



[والحركات والسكنات] تدل علىٰ صدق المدعى، ويتميّز بها الكمال الواقعي.

فـائدة:

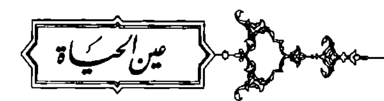
إن قلت: انّ ملخّص ما ذكرتم آنفاً هو انّ المقربين لا يعبدون طمعاً في الجنة، ولا خوفاً من النار، إذن فما هذه التضرعات والتوسلات في الأدعية طلباً للجنة، وما هذه الآثار الظاهرة علىٰ الأنبياء والأئمة عليهم السّلام خوفاً من الجحيم والعذاب.

قلت: قد انقدح في ذهني لهذا المقام معنىٰ لطيف لا يذعن له الّا من كان له من المحبة نصيب.

اعلم انّ للجنة ظاهراً وباطناً وصورة ومعنى، ... وكلّ شخص في الجنة يختصّ بلذة، فيمكن تصور مائة ألف لذّة من فاكهة واحدة من فواكه الجنة كلّ فرد يلتذباحداها، فهمّة شخص تقتصر علىٰ أكل المأكولات اللذيذة فقط، فهذا لا يلتذ بسوى هذه اللذة الجسمية.

وشخص آخر عرف مقداراً من عظمة منعمه فيلتذّ اكثر من السابق، ويفكّر بانّ لي منزلة عند الربّ تعالى فخلق لي هذه الفاكهة الحلوة ووهبها لي، فيلتذّ بجسمه وروحه.

وقسم آخر يدرك هذه اللذة، ويعتقد أنّ المحبوب الحقيقي راضٍ عنه، وهذه الفاكهة من لطفه بالنسبة اليّ، كما ورد في الأخبار بانّ أعلىٰ لذّة أهل الجنة مرتبة الرضوان أي رضى الله عنهم، ولتوضيح المطلب إليك المثال التالي: إنْ أذن ملك للناس اذناً عامّاً بالدخول عليه، ووضع أمامه أنواعاً من الحلويّات، يتحف



كلّ من دخل عليه بقطعة حلوىٰ واحدة، فحظّ الشحاذ من هذه الهدية قيمتها المالية ولا همّ له سواها، ويفرح لأجلها لأنّه لو لم يأخذها لكان عليه أن يصرف درهماً لتحصيلها كي يأكلها ويلتذ بحلاوتها، فتجده مسروراً مع عدم دخالة الملك في سروره، لأن غير الملك لو أعطاه قطعة حلوىٰ كذلك لفرح نفس الفرح.

أما شخص آخر من أوساط الناس فانّه مضافاً إلى هذه اللذة الظاهرية يفرح لعطاء السلطان ودعوته ايّاه، وكذلك حال الأقرب فالأقرب، ولا يعادل هذا اللطف للذي ذاق حلاوة قرب السلطان والانس معه بملك الدنيا، مع وجود انواع الحلويّات في بيته.

فكذلك تكون هذه المراتب في نعم الدنيا، فانّ الذين أهمتهم بطونهم يلتذون لذة ظاهرية، والذين أهمّهم القرب و رضا الحبيب يلتذون لذة معنوية، فلذا تكون الآلام والمصائب التي يتلقونها من الحبيب أحلى عندهم من العسل، وعين هذه المراتب في الموائد المادية موجودة في الموائد الروحانيّة بل بأضعافها، كما انّ آيات القرآن موائد العلوم الربانيّة وكلٌّ يقتبس منها حسب فهمه وادراكه ما لا يقتبسه غيره.

عزيزي ! انّ الانسان الكامل يأخذ نصيبه من كلّ شيء تماماً وكمالاً، والناقص محروم من كمال كلّ نعمة، الفقير العارف بالله يلتذ من لقمة خبز يابس بما لا يلتذه الغني غير العارف مع الوان النعم التي عنده، وكذلك آلام عذاب الله تعالى، فلو جيء بمحب الله إلى النار ـ علىٰ سبيل الفرض ـ فانّه سوف يحترق بنار الحرمان لا بالنار المحرقة لأنّ الجحيم دار المحرومين والمهجورين، فيتضرّع ويستغيث لأجل هذا.

وهذا المعنى واضح للجميع بالنسبة إلى الحبّ المجازي، فالبستان والنعم المختلفة عند المحب مع فقد المحبوب بمنزلة الجحيم، وعنده عقوبة الحبيب أحلى من كلّ شيء وإن كانت مؤلمة، رزقنا الله وجميع المؤمنين الوصول إلى درجات الكاملين بمحمدٍ وآله الطاهرين.

الفصل الرابع

حضور القلب

اعلم انّ حضور القلب شرط من شرائط العبادة، والذي يدل عليه تلك العبارة الجامعة المتقدمة، فالعبادة بدونه ناقصة ولاتُقبل عند الله تعالىٰ، ولا تكون باعثة نحو الكمال بل لو لم يكن فضل الكريم علىٰ الإطلاق الشامل ؛ لاستحق الإنسان العذاب علىٰ هذه العبادات التي يأتي بها من دون حضور القلب، كما يستوجب العقوبة الذي يقف امام ملك عالم بضميره وخبير بأحواله، فيتكلّم مع الملك ويحدّثه وقلبه لاهٍ وفكره منشغل بأمور أخرى، فيستوجب العقوبة لتحقيره الملك وعدم الاعتناء إليه.

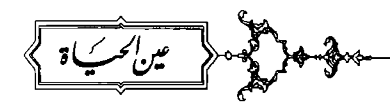
يقول الله تعالىٰ:

«**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**»[1].

فذكر الله تعالىٰ، وعدم الالتفات الىٰ غير ذاته المقدسة هو الخشوع حقيقة، وعَمَلُ كلّ عضو من الأعضاء والجوارح بما أُمر به، وعدم التخطي عّما أمر به الشارع هو خضوع الجوارح، كما أُمر النظر أن يتوجّه إلى موضع مخصوص،

---

(١) المؤمنون : ٢.



وكذلك اليد وسائر الأعضاء، وخضوع الجوارح كلّها تابع لخشوع القلب، كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه نظر إلى رجل يصلّي وهو يعبث بلحيته، فقال: أما انّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه(١).

وهذا المعنى ظاهر بحسب التجربة، واعلم انّ لكلّ دولة ملكاً، والقلب ملك البدن وجميع الجوارح والأعضاء في الإنسان، فلو توجّه القلب إلى الله توجهت سائر الأعضاء إليه تعالى أيضاً، وهذا أحد معاني قوله «**صلاة المؤمن وحده جماعة**» لأنّ قلبه مع الله وهو إمام سائر الجوارح.

واعلم انّ الصلاة من دون حضور القلب لو أنجت الإنسان من النار، فسوف لاتوصله إلى الدرجات العالية من الكمال ولا يرتضيها الله تعالى، كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّه قال: ليس لك من صلاتك الّا ما أحضرت فيه قلبك(٢).

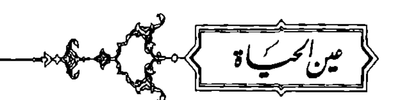
وروي عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما، انصرف وليس بينه وبين الله عزَّ وجلَّ ذنب الّا غفره له(٣).

وروي عن باقر علوم الأولين عليه السلام انّه قال: انّ العبد ليرفع من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يرفع له الّا ما أقبل عليه منها بقلبه، وإنّما أمرنا بالنافلة ليتم لهم بها ما نقصوا من الفريضة(٤).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: لا تجتمع الرغبة [إلى الثواب]

---

(١) البحار ٨٤: ٢٦٦ ح ٦٧ باب ٣٨ عن دعائم الإسلام.
(٢) البحار ٨٤: ٢٥٩ ضمن حديث ٥٧ باب ٣٨.
(٣) البحار ٨٤: ٢٤٠ ضمن حديث ٢٢ باب ٣٨.
(٤) الوسائل ٣: ٥٢ ح ٣ باب ١٧.



والرهبة [من العقاب] في قلب الّا وجبت له الجنة، فإذا صليت فأقبل بقلبك على الله عزَّ وجلَّ، فانّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزَّ وجلَّ في صلاته ودعائه الّا أقبل الله عزَّ وجلَّ عليه بقلوب المؤمنين إليه، وأيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنة(١).

وروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله عزَّ وجلَّ إليه، أو قال: اقبل الله عليه حتى ينصرف، وأظلّته الرحمة من فوق رأسه إلى أُفق السماء، والملائكة تحفّه من حوله الى افق السماء، ووكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول له:

«أيّها المصلّي لو تعلم من ينظر إليك، ومن تناجي ما التفتّ ولازلت من موضعك أبداً»(٢).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: ... انّ الله تبارك وتعالى يقبل على العبد إذا قام في الصلاة، فاذا التفت، قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم عمّن تلتفت؟ ثلاثة، فاذا التفت بالرابعة أعرض الله عنه(٣) [ثم لايلتفت إليه ابداً].

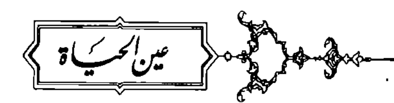
والأخبار في هذا الباب كثيرة، وحضور القلب في الصلاة يتبع حال الإنسان، فكلّما ازداد يقيناً ومعرفة، وادرك عظمة المعبود، حسنت آداب عبادته وصدرت بنحو اكثر وأكمل، ويكون في مقام العبادة أخضع وأذلّ، كما في رواية جعفر بن احمد القمي انّه: كان النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم إذا قام إلى الصلاة يربدّ وجهه خوفاً من الله تعالى، وكان لصدره أو لجوفه أزيز كأزيز المرجل.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٢٠٩ ح ٦٣٢ باب فضل الصلاة ـ والبحار ٨٤: ٢٦٠ ح ٥٩ باب ٣٨.

(٢) الوسائل ٣: ٢١ ح ٥ باب ٨ (وجوب اتمام الصلاة) ـ وفي البحار ٨٤: ٢٦٠ ح ٥٩ باب ٣٨.

(٣) البحار ٨٤: ٢٣٩ ح ٢٠ باب ٣٨ عن قرب الاسناد.



ونقل انّه: كان عليّ بن ابي طالب عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلوّن، فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت أمانة الله التي عرضها علىٰ السماوات والأرض، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان، فلا أدري أُحْسِنُ أداءَ ما حملتُ أم لا ![1].

وورد في رواية معتبرة انّه: كان الحسن بن عليّ عليهما السلام إذا توضّأ تغيّر لونه وارتعدت مفاصله، فقيل له في ذلك، فقال: حقّ لمن وقف بين يدي ذي العرش أن يصفرّ لونه، وترتعد مفاصله[2].

ونقل انّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان قائماً يصلّي حتى وقف ابنه محمد عليه السلام وهو طفل إلى بئر في داره بالمدينة بعيدة القعر، فسقط فيها، فنظرت إليه أمّه فصرخت وأقبلت نحو البئر تضرب بنفسها حذاء البئر، تستغيث وتقول: يا ابن رسول الله غرق ولدك محمد، وهو لاينثني عن صلاته، وهو يسمع اضطراب ابنه في قعر البئر.

فلمّا طال عليها ذلك، قالت حزناً علىٰ ولدها: ما أقسىٰ قلوبكم يا آل بيت رسول الله، فأقبل علىٰ صلاته ولم يخرج عنها الّا عن كمالها واتمامها، ثم أقبل عليها وجلس علىٰ أرجاء البئر[3] ومدّ يده إلى قعرها، وكانت لاتنال الّا برشاء طويل[4]، فأخرج ابنه محمداً عليه السلام علىٰ يديه يناغي ويضحك، ولم يبتل له ثوب

---

(١) البحار ٨٤: ٢٤٨ ضمن حديث ٣٩ باب ٣٨ عن فلاح السائل.

(٢) البحار ٨٠: ٣٤٦ ح ٣٠ باب ٣٤ عن فلاح السائل.

(٣) الارجاء جمع الرجاء: الناحية، ورجو البئر: حافتاها.

(٤) الرشاء ككساء: الحبل.

ولا جسد بالماء[1].

فقال: هاك يا ضعيفة اليقين بالله، فضحكت لسلامة ولدها، وبكت لقوله: «يا ضعيفة اليقين بالله»، فقال: لا تثريب عليك اليوم، لو علمت إنّي كنت بين يدي جبار لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عنّي، أفمن يرى راحماً بعده[2].

وروى صاحب كتاب حلية الأولياء انّه: كان عليّ بن الحسين [عليه السلام] إذا فرغ من وضوء الصلاة، وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة، فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم أتدرون إلى من أقوم؟ ومن أريد أُناجي؟[3].

ونقل في وضوئه عليه السلام نفس الحال إيضاً.

وروي إنّه، أتت فاطمة بنت علي بن ابي طالب عليه السلام إلى جابر بن عبد الله، فقالت له: يا صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّ لنا عليكم حقوقاً [ومن حقّنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكروه الله، وتدعوه إلى البقيا على نفسه][4] وهذا عليّ بن الحسين بقيّة أبيه الحسين، وقد انخرم أنفه[5]، ونقبت جبهته وركبتاه وراحتاه، أذاب نفسه في العبادة.

فأتى جابر إلى بابه واستأذن، فلمّا دخل عليه وجده في محرابه وقد أنضته العبادة[6]، فنهض عليّ فسأله عن حاله سؤالاً حفيّاً، ثم أجلسه بجنبه، ثم أقبل جابر يقول: ياابن رسول الله أما علمت انّ الله انّما خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم، وخلق

---

(١) هكذا في المناقب والبحار لكن في الترجمة « وقد ابتلّ ثوبه ».

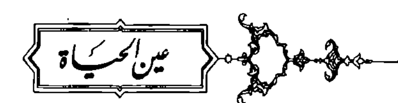
(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٣٥ في معجزاته عليه السلام ـ عنه البحار ٨٤: ٢٤٥ ح ٣٦ باب ٣٨.

(٣) حلية الأولياء ٣: ١٣٣ رقم ٢٣٥.

(٤) ليست هذه الزيادة في المتن الفارسي.

(٥) يقال انخرم أنفه أي انشقت وترته فهو أخرم.

(٦) أنضته العبادة: أبلته وأهزلته.



النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟

فقال له عليّ بن الحسين: يا صاحب رسول الله، أما علمت انّ جدّي رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد له وتعبّد بأبي هو وأمّي حتى إنتفخ الساق، وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا اكون عبداً شكوراً.

فلما نظر إليه جابر وليس يغني فيه قول، قال: يا ابن رسول الله البقيا علىٰ نفسك، فانّك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم تستكشف اللأواء[1] وبهم تستمسك السماء، فقال: يا جابر لا أزال علىٰ منهاج أبويّ مؤتسياً بهما حتى القاهما ...[2].

روي عن الامام الصادق عليه السلام إنّه قال: ... ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليهما السلام عليه، فاذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه قد اصفر لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة.

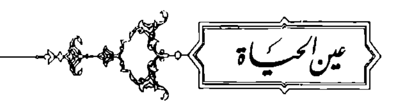
فقال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة عليه وإذا هو يفكر فالتفت اليّ بعد هنيئة من دخولي وقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يقوى علىٰ عبادة عليّ عليه السلام[3].

---

(١) اللأواء: المشقة وقيل القحط.

(٢) البحار ٤٦: ٧٨ ح ٧٥ باب ٥ عن المناقب لابن شهر آشوب ـ وفي مدينة المعاجز ٤: ٢٤٣ ح ١٢٧٣ عن أمالي المفيد.

(٣) الارشاد: ٢٥٦ ـ عنه البحار ٤٦: ٧٥ ضمن حديث ٦٥ باب ٥ ـ ومدينة المعاجز ٤: ٢٥١ ضمن حديث ١٢٨٣.



وروي الكليني عن الامام جعفر بن محمد عليهما السلام إنّه قال: كان عليّ بن الحسين علية السلام إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه، فاذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفضّ عرقاً[1].

ونقل عن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: كان عليّ بن الحسين يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة ... وكان إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر.

وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كان أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لايصلّي بعدها أبداً ... فربما[2] سأله عن حاله من لايعرف أمره في ذلك، فيقول: انّي أُريد الوقوف بين يدي ملك عظيم[3].

وسقط بعض ولده في بعض الليالي فانكسرت يده، فصاح أهل الدار وأتاهم الجيران، وجيء بالمجبّر فجبّر الصبيّ وهو يصيح من الألم وكلّ ذلك لايسمعه، فلمّا أصبح رأى الصبي يده مربوطة إلى عنقه، فقال: ما هذا؟ فأخبروه.

ووقع حريق في بيت هو فيه ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار النار، فما رفع رأسه حتى اُطفئت، فقيل له بعد قعوده: مالذي ألهاك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار الكبرى[4].

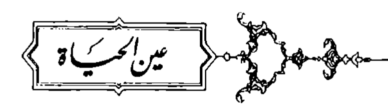
---

(١) الكافي ٣: ٣٠٠ ح ٥ باب الخشوع في الصلاة ـ عنه البحار ٤٦: ٦٤ ح ٢٣ باب ٥.

(٢) ورد في المتن الفارسي: لما كان يُسأل عن حاله، يقول: انّ من يقف أمام ربّ عظيم لحقيق ان يكون خائفاً هكذا.

(٣) البحار ٤٦: ٧٩ ضمن حديث ٧٥ باب ٥ عن المناقب لابن شهر آشوب.

(٤) البحار ٤٦: ٨٠ ضمن حديث ٧٥ باب ٥ عن المناقب لابن شهر آشوب.



ولقد كان تسقط منه كلّ سنة سبع ثفنات من مواضع سجوده لكثرة صلاته[1].

وروى أبو أيوب انّه: كان أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام إذا قاما إلى الصلاة تغيّرت ألوانهما حمرة، ومرّه صفرة كانّما يناجيان شيئاً يريانه[2].

عزيزي؛ انّ المقربين لدى السلطان يخافون سطوته لكثرة معرفتهم به، وعلمهم بجلاله اكثر من الغير، وكذلك الملوك لايتوقعون مراعات الأدب من الرعية كما يتوقعونها من المقربين.

واعلم انّ الله تعالى خلق الملائكة من طينة القدس والطهارة، ولم يجعل فيهم الشهوات والعلائق الجسمانية، وخلق الحيوانات من محض الشهوات ولم يقرر فيهم محّلاً للكمال، وخلق الانسان مركباً من كليهما، فأكرمه بالعقل الداعي إلى الكمال، وابتلاه باوساخ الجسمانية والشهوات الظلمانية.

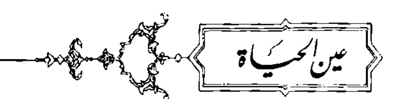
وبعد أن تشبث بهذه العلائق كلّفه برفعها عن نفسه وتحليتها بالصفات والملكات القدسية، كي يكون أشرف من الملائكة، لعدم الوصول إلى مراتب الكمال من دون معارض، كما انّ المنظف لو أراد تنظيف قماش يلطّخه بالاوساخ ثم يزيلها، فيصبح القماش انظف مما كان.

ولو انّ الانسان مال إلى الدناءات وتابع الشهوات، وغلبت اهواءه عقله، يكون أذلّ من الأنعام والبهائم، كما يقول الله تعالى في حقهم **«اِنْ هُمْ اِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً»**[3]، لأنّ البهائم ليس لها قابلية الكمال، لكن هؤلاء مع وجود هذه

(١) البحار ٤٦: ٦٣ ضمن حديث ١٩ باب ٥ عن الخصال.

(٢) البحار ٨٤: ٢٤٨ ضمن حديث ٣٩ باب ٣٨ عن فلاح السائل.

(٣) الفرقان: ٤٤.



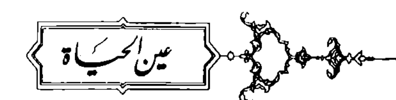
القابلية فيهم أوصلوا أنفسهم إلى درجة البهائم، فانحرموا من جميع الكمالات.

وبما انّ الانسان خلق محتاجاً إلى بعض الأمور، كتحصيل المعاش والعشرة الموجبة للبعد عن ساحة قدس الربّ، والانهماك في الشهوات والتعلقات، والغفلة عن الخير والسعادة، فلهذا أُمر في كل يوم بعد التوغل في الأمور الدنيوية، والتشبث بالعلائق الدنية بالحضور خمس مرات في مجلس قرب مالك الملوك كي يدركوا لذّة الوصل بعد الهجر الموجبة لمزيد الاشتياق، ويصلوا إلى السعادة الأبدية.

وبما انّ الصلاة معراج المؤمن وانّه يصل فيها إلى غاية القرب، طبقاً لما مرّ من انّه يكلّف بالقرب بعد الحرمان والبعد، فلذا قُرّر الأذان في الابتداء لتنبيه الغافلين كي يذكروا في التكبير عظمة الله تعالى، وتحقر في أعينهم سائر المنظورات، ولمّا كانوا في عين الغفلة، قرّر قراءة التكبير عليهم اربع مرات لعلّم يتنبهوا بأن إلآههم في رتبة الجلال والعظمة أعظم من كلّ شيء، بل هو اكبر وأعظم من أن تدرك العقول كنه ذاته، فلذا كان لابد من طاعته وعبادته.

ثم يُقرأ علىٰ مسامعهم الشهادة بوحدانية الله تعالى، كي يعلموا أن لا اله لهم غيره، وهو المتفرد بجميع الصفات والكمالات فلا مناص من التوسل إليه باخلاصٍ ووحدانيةٍ.

ثم يُقرأ علىٰ مسامع قلوبهم انّ هذا الرب العظيم قد ارسل إليهم نبيّاً حكيماً، فلابد من إتيان العبادات علىٰ نحو ما أتى به النبي وبالشروط التي يذكرها، ثم بعد هذه التمهيدات يُنادون من قبل الله تعالى، ويُدعون إلى مائدة لطفه وكرمه، أن سارعوا الى الصلاة وحيّوا إليها.



ثم يُصوّر لهم عظمة الصلاة بأن يسارعوا إلى خير العمل وأفضل العبادة، ثم يُذكر الله بعظمة وجلال ووحدانية كرّةً أخرى كي يعلموا انّ مخالفة هذا الرب القادر علىٰ كلّ شيء، والذي ليس له معارض وشريك غير جائزة، فتصل هذه الفقرات من افواه المؤذنين إلى المسامع، لكن أهل الايمان والايقان يسمعونها بمسامع قلوبهم، كما روي انّه : ما من صلاة يحضر وقتها الّا نادى ملك بين يدي الناس ايّها الناس[1] قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها علىٰ ظهوركم، فأطفئوها بصلاتكم[2].

بل انّهم في كلّ لحظة يسمعون بقلوبهم، قوله تعالى:

«يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ...»[3].

ثم لمّا انتبه السعيد بهذه النداءات، وسعى إلى التوجه للصلاة، يُؤمر في البداية بالطهارة الظاهرية، فلذا أُمر أن يذهب الى بيت الخلاء ويطهّر نفسه من القذارات، وقد جاء في الادعية الواردة من المعصومين عليهم السلام في آداب الخلاء بانّ هذه القذارات والنجاسات لمّا كانت موانع ظاهرية من القرب، فالذنوب والمعاصي والتلويثات المعنوية أيضاً تمنع من القرب والوصول، بل هي اكثر منعاً، فلذا يتعوذ الانسان في تلك الحال من الشيطان، ويستغفر من ذنوبه كي يطهّره الله بفضله من الارجاس المعنوية.

ثم يُؤتىٰ به مرة أُخرى إلى مقام التطهير، كي يطهر اليدين والرجلين والرأس، والتي لها الدور المهم في اكثر افعال الصلاة، وفي الوقت نفسه عُلّم

---

(١) في المتن الفارسي : (ايها المؤمنون).

(٢) من لايحضره الفقيه ١ : ٢٠٨ ح ٦٢٤ باب فضل الصلاة.

(٣) الفجر : ٢٨.

الأدعية الواردة في كلّ مقطع.

وليعلم انّ هذه الأعضاء تستحق العقوبات العظيمة، بسبب الذنوب التي هي النجاسات المعنوية، إذن لابد أن يطلب من الله تعالى الطهارة المعنوية، ويُفهَّم بانّك لابد أن تعبد الله كي تتخلّص من العقوبات، فيزداد شوقاً للعبادة وتنكسر بعض الشهوات والعلائق.

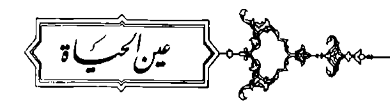
ولذا يقول حينما يريد غسل الوجه: **اللهم بيّض وجهي يومَ تسود الوجوه، ولاتسوّد وجهي يوم تبيض الوجوه**، ولما يغسل اليد اليمنى يتذكر انّ الله قال: «**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابه بِيَمِينه**»، وقوله «**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابه بِشِمَالِهِ**» فيقول: **اللهم اعطني كتابي بيميني، والخلد في الجنان بيساري، وحاسبني حساباً يسيراً**.

ويقول عند غسله اليد اليسرى: اللهم لاتعطني كتابي بشمالي، ولاتجعلها مغلولة إلى عنقي، وأعوذ بك من مقطعات النيران.

وإذا مسح رأسه يقول: اللهم غشّني رحمتك وبركاتك، وحينما يمسح رجليه يتذكر انّه سوف يجتاز بهما الصراط، وسوف تزلّ عليه أقدام فيقول: اللهم ثبتني على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، واجعل سعيي فيما يرضيك عنّي.

وبعد اتمام وضوئه بالنحو الكامل (وطبقاً لروايات معتبرة) يغفر الله له الذنوب التي ارتكبها بهذه الأعضاء، ويتطهر ظاهرياً ومعنوياً، ويكون مستعداً للقرب ويتنبه من الغفلة، ويتطيب بالمسك والطيب، وينوّر باطنه بالنيات الصحيحة.

واعلم انّه قد ورد في الحديث الشريف «لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو خمر أو صورة» فلذا ينبغي للمصلي اخراج الكلب الظاهري من البيت، والكلب



الباطني الذي هو النفس الامارة والشيطان من القلب، واخراج الخمر الظاهري من البيت أيضاً، وسكر الخمر الباطني أعني الغفلة والشهوات من رأسه، ويطهر بيته من الصور الظاهريّة، وذهنه عمّا سوى الله تعالى ومحبتهم، ويتوجّه نحو الله تعالى، وإذا وصل إلى باب المسجد، يدعو ويقول: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك».

وللعارف في هذا المقام معرفة اُخرى، فانّه إذا دخل المسجد يخال انّه واقف على عتبة الكبرياء والجلال، وواضع قدمه على بساط القرب، فيمشي متأدباً ولا يلتفت إلى غير الله، فاذا وصل إلى المصلّى يقيم ويكثر التفكر في جلال الله وعظمته، ويبصر عظمة شأن العبادة بنحو أوضح.

ولما كانت الغفلة عند الأذان تحيل بينه وبين بصيرته، وقد ثبت انّ الصلاة معراج المؤمن، لذا كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حينما عُرِج به إلى السماء ـ يكبّر عند اختراق كلّ سماء، فشرّع في الصلاة أيضاً سبع تكبيرات، يجتاز بكلّ تكبيرة سماء من سماوات القرب والمعرفة.

والمصلي في هذا المقام لم يتجاوز عتبة العظمة والجلال، وهو محجوب لم يصل إلى مقام الحضور، فلذا جاز له التكلم مع الغير، لكن لما كبّر التكبير الأخير يدخل (بلا تشبيه) في مجلس قرب ملك الملوك، فيحرم عليه التكلم مع الغير، أو الانتباه إلى غير ملك الملوك وهذا هو ما يقرأه في دعاء التوجه حيث يقول:

وجّهت وجه قلبي، وجميع أعضائي وقواي ومشاعري لله الذي فطر السماوات والأرض، علىٰ ملة ابراهيم وهي التوحيد، ودين محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وصراط أمير المؤمنين عليه السلام الذان بسببهما بقت جميع شرائط العبادة وآدابها، وأخلصت عبادتي وديني لله وما أنا من المشركين، انّ صلاتي وعبادتي ومحياي

ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك اُمرت وأنا اوّل المسلمين.

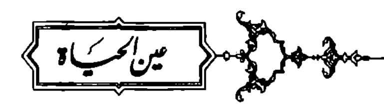
ومع دعائه بهذا الدعاء، فقد جعل من الشيطان عدواً لدوداً له، وذلك لعدائه الشديد لاحباء الله وسالكي هذا المسلك، وهو الذي أطاح بالكثير من ابطال هذا الدرب مع عدته وعدده حيث ان له آلاف الجنود الباطنيين من الشهوات والأهواء النفسية، والجنود الظاهريين من شياطين الجن والانس، لذا فليس بالامكان دفعه بالقوة الشخصية، بل لابد من اللجوء إلى الله سبحانه لدفعه.

ومما شُبه به الشيطان بإنه مثل الكلب الذي يحرس فسطاطاً ويمنع كلّ من أراد الدنو منه الّا من كانت عنده معرفة بربِّ البيت، أو الذي نهاه صاحب الفسطاط عن التعرض إليه، فالشيطان كلب هذا الدار، ولا يمكنه منع من له صلة ومعرفة برب البيت، ولا يتعرض لمن يحضر مجلس قرب الله دائماً، كما انّ الله تعالى منعه من اليوم الأول عن التعرض إليهم، حيث قال تعالى: «**اِنَّ عِبَادِى لَـيْسَ لَكَ عَـلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**»[1].

فالبعيد الذي يريد القرب لابد أن يتوسل إلى الله تعالى كي يدفع عنه هذا الكلب باشارة منه، أمّا الذي لايريد القرب ولايطلبه، فيتخبطه الشيطان كيف شاء، فلذا يتعوذ الانسان في هذا المقام الخطير من شره ويقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

ثم يبدأ بالمكالمة لكنّه لايرى لنفسه قابلية المخاطبة، وبما انّ أعلىٰ درجات الكمال مرتبة الفناء، أي اظهار العجز والذل والاقرار بعدم القدرة في كل الأمور، والتوسل إلى الله في جميع الأمور، فلذا سُنّت البسملة في جميع الأعمال، وبما انّ

(١) الحجر: ٤٢.



الصلاة أعظم الأمور، فيقول: أبتدأ في القراءة والعبادة والطاعة مستعيناً بالله الذي له جميع الكمالات كلّها، والرحمن ذي النعم العامة علىٰ المؤمن والكافر، والرحيم ذي النعم الخاصة للمؤمنين.

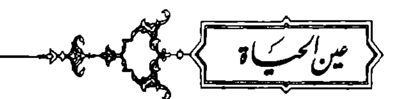
وبما انّ أدب حضور مجلس العظماء يقتضي مدح ذلك الشخص قبل طلب الحاجة، فلذا علّم الله تعالى عباده أن يثنوا عليه هكذا، ويذكروا نعمه العامة والخاصة، ويمدحوه مراراً، حتى يترحم عليهم، ويعلموا انّه مالك يوم الدين فيقرّون بالحشر والقيامة.

ومع تفكر العارف في هذه الأوصاف والكمالات، يصل إلى أعلىٰ درجات المعارف، أعني درجة الحضور والشهود، ويتقدم من مقام الغيب إلى مقام الخطاب، ويُفسح له المجال في مجلس الانس والمخاطبة، فيقول: **«إِيَّاكَ نَعْبُدُ»**، فتشير هذه الآية إلى ما قاله النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: اعبد الله كانّك تراه.

ويوهم ادعاء العبادة انّ العبد يرى لنفسه قدرة علىٰ العمل، فتدارك ذلك بقوله: **«وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ»**، وبما انّه لا يعتمد علىٰ عبادته ويعترف بعجزه، يضم عبادته في ضمن عبادة أولياء الله ومحبّيه، ويقول عن لسانهم بانّا جميعاً نعبدك، لعلّ عبادته تُقبل ببركة تلك العبادات الصالحة، لان من البعيد علىٰ الكريم أن يقبل البعض ويرد البعض الآخر، وهذه إحدى حكم صلاة الجماعة.

وكذلك في مقام الاستعانة، فبما انّ هذه الدعوى عظيمة أي عدم الاستعانة الّا منه، يجعل نفسه مع الذين تصح عنهم هذه الدعوى، فكأنّما يتكلم بلسانهم، ويجعل نفسه طفيلياً عليهم.

انّ من دأب أرباب الصفاء إذا نالتهم نعمة أو رحمة، فانهم لاينسون



الأخرين ويجعلون لهم نصيباً عندهم، فلذا أُستحب التعميم في الدعاء وفقاً للأحاديث المعتبرة، واشراك جميع المؤمنين في الدعاء، فانّه من موارد استجابة الدعاء، فيطلب من الله الهداية، والصراط المستقيم وهو صراط متابعة أمير المؤمنين عليه السلام، في العقائد والأعمال ومراتب القرب والكمال.

ويستعيذ به من طريق اعدائهم في العقائد والأعمال، فانّ جميع الاعتقادات الباطلة، والأعمال القبيحة طريقة اعداء اهل البيت عليهم السلام.

واعلم انّ اسرار العبادة سيما الصلاة لايمكن احصاؤها في هذه الكتب المختصرة، وسنكتب ان شاء الله كتاباً حول (ترجمة الصلاة)، والغرض من هذا الكلام أشعار بسرّ هذا الحديث النبوي وبيان سرّ العبادة وانّ مَن أكرمه الله بالقرب ووفقه سيوصله في كل يوم بسبب الصلاة من ارذل الدركات إلى أعلىٰ الدرجات، كي يكون الجسم الترابي بهذه المراتب قابلاً للمناجات.

ونكتفي بهذا المقدار في شرح هذه الفقرة من وصيّة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر الغفاري رحمه الله ولانطيل الكلام كي لايورث الملال.

[قال رسول الله صلىٰ الله عيه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

«واعلم انّ اول عبادة الله، المعرفة به انّه الأول قبل كل شيء فلا شيء قبله، والفرد فلا ثاني له، والباقي لا إلى غاية، فاطر السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء، وهو اللطيف الخبير، وهو علىٰ كلّ شيء قدير».

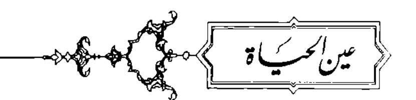
وتوضيح بعض هذه المطالب العالية المتضمنة في هذه الكلمات علىٰ سبيل الاجمال يتوقف علىٰ أصول:

الأصل الأول

[في المعرفة]

انّ المعرفة اوّل العبادة، وقبول جميع العبادات متوقف عليها، وهذا مما تدل عليه الآيات والروايات الكثيرة المتضافرة، ومما لاخلاف فيه بانّ صحة العبادات موقوفة علىٰ الايمان وبدونه لاتستحق ايّ عبادة الثواب والأجر بل تورث العقاب.

والايمان يشتمل علىٰ الاعتقاد بوجود واجب الوجود وصفاته الثبوتية والسلبية، والاقرار بوحدانيته وعدالته، والاقرار بنبوة نبي آخر الزمان صلىٰ الله عليه وآله وسلّم وبما جاء به من قبل الله وبضروريات الدين مفصلاً والاقرار بغيره مجملاً، والاقرار بإمامة الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم، والاقرار بالمعاد الجسماني بانّ الله يحيي هذه الأبدان نفسها بعد الموت، ويثيبها أو يعاقبها، والاقرار بالجنة والنار



وسائر الأمور التي بيّنها الشارع، ولايسع المقام التفصيل في مراتب الايمان وذكر الخلاف الموجود فيه.

واعلم انّ العبادة موزّعة على جميع جوارح الانسان، ولكل عضو من الأعضاء عبادة، وعبادة القلب هو الاعتقاد فلذا عَدّ صلّى الله عليه وآله وسلّم المعرفة من العبادات، وقال: انّها اوّل العبادة، أي مقدمة على جميعها، ولافائدة لسائر العبادات بدونها.

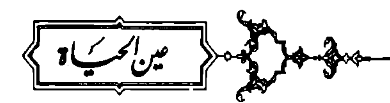
الأصل الثاني

[أقسام معرفة الله]

اعلم انّ الايمان موجبٌ للسعادة الأبدية، وتركه موجب للشقاء الأبدي، وأنّ الشيطان لصّ العقائد والأعمال، واول سعي اللص هو في سرقة المتاع الثمين، ثم يسعى لسرقة غيره لو لم يعثر عليه، وفي هذا الطريق عقبات يكمن الشيطان فيها، وأهمّ هذه العقبات معرفة واجب الوجود.

وقد أفلح اللعين في ادخال الكثير النار بسببها، ولو أردت النجاة منها تمسّك بسفينة النجاة أعني أهل بيت الرسالة عليهم السلام ولاتتركها فإنّهم يعلمون داء كل شيء ودواءه، ويعلمون أي مكان يكمن الشيطان، فيوصلون من اتبعهم إلى ساحل النجاة.

ولاتغتر فانّك متى ما لم تعرف الله بالدليل العقلي لايمكنك معرفة النبي والامام لأنّ لمعرفة الله صورتين، الاولى: العلم بوجود واجب الوجود، وهذا أظهر من كلّ شيء، ولايحتاج إلى دليل الدور أو التسلسل اللذين يوجبان الحيرة



والتعطل.

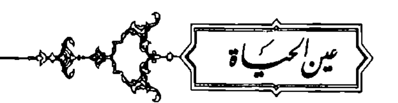
وكما يظهر من الأخبار الكثيرة انّ معرفة واجب الوجود أمرٌ فطريّ، ومتى بلغ الانسان إلى حد الشعور يعلم انّ له صانعاً، ومن تفكر في نفسه سواء أكان عالماً أم جاهلاً، يعلم انّ معرفته لله لم تكن من طريق الأدلة الحكمية، بل انّ الله تعالى رزقه المعرفة منذ الطفولة، مضافاً إلى انّ الكفار لم يُكلّفوا بالاذعان بوجود واجب الوجود، بل دُعوا إلى الاقرار بوحدانيته ثم عبادته وطاعته كي يكتمل ايمانهم.

روي انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سأل يوماً اعرابياً: كيف علمت بوجود ربّك؟ فقال: نحن نرى في الطريق بعرة البعير فيحكم عقلنا بانّ بعيراً مضى من هنا، ونرى أثر الأقدام فنعلم انّ شخصاً مضى من هنا، أفهذا السماء مع هذه الكواكب النيّرة، والأرض مع هذه السعة لايكفي في التصديق علىٰ وجود واجب الوجود العليم الخبير؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: عليكم بدين الأعرابي[1].

ومَنْ أظهر ممن ترى مئات الآلاف مِنْ آياته في كلّ شيء، وقد جعل في كلّ عضو من أعضائك مئات الآلاف من الأدلة، وأنت محتاج إليه بمئات الاحتياجات في كلّ آن ولحظة وهو مربّيك، نعم فهو من شدّة ظهوره خَفِيَ، فانّه الظاهر دائماً ولاتقلّ آثار قدرته، وانّ الشمس لو كانت دائمة الظهور لتوهم انّ هذا الضياء ليس منها، لكن لمّا تغرب ثم تشرق وتنير العالم بنورها، يُعلم انّ هذا النور منها (بلا تشبيه).

وبما انّ شمس عالم الوجود لايغرب ولايزول، يزعم المعاند انّه لم يكن،

(١) مضمون النص.



ولو انّه ترك العناد لأذعن أن لامدبر لهذا العالم غيره تعالى، كما يقول الحق سبحانه وتعالى:

«وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ...»[1].

روي عن الامام الحسن العسكري عليه السلام انّه قال: ... قال رجل للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله دلّني علىٰ الله ما هو فقد اكثر عليّ المجادلون وحيّروني، فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم، قال: فهل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك، ولاسباحة تغنيك؟ قال: نعم.

قال: فهل تعلّق قلبك هنالك انّ شيئاً من الأشياء قادر علىٰ أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر علىٰ الإنجاء حيث لامنجي، وعلىٰ الإغاثة حيث لامغيث[2].

وهذا الطريق من أوضح الطرق للعلم بواجب الوجود، كما يقول الله تعالى:

«أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ»[3].

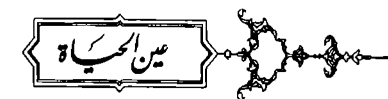
ولايخلو شخص عن هذه الحالة مع الله تعالى، فايّ احتياج إلى الدليل بالنسبة إلى هذا الشخص؟ كما يُمثّل (بلا تشبيه) الشخص الذي يستدل بالأدلة والبراهين في تكليف الناس بمن دهمهم سارق، ففي حين عثورهم عليه وإلقاء القبض عليه يصيح آخر بانه عثر علىٰ اللص، وفي الواقع انه كان قد عثر علىٰ أثر السارق لا نفسه.

---

(١) لقمان: ٢٥.

(٢) معاني الأخبار: ٤ ضمن حديث ٢ باب معنى الله عزّ وجلّ ـ عنه البحار ٣: ٤١ ح ١٦ باب ٣ في اثبات الصانع.

(٣) النمل: ٦٢.



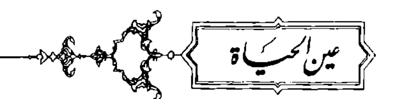
فكذلك حال الرجل الصالح العارف لربه، المتكلم والمناجي معه دائماً، فانّه يتلقّى لطف الرب وإحسانه، ويزداد يقينه بكثره العبادة يوماً فيوماً، وليس شيء عنده أظهر ولا أوضح من وجود واجب الوجود، فيأتي المتفلسف البعيد عن الله ويقول له: لابد أن تعرف الرب عن طريق بطلان الدور والتسلسل، وتعلم بوجوده عن طريق الآثار، والّا لم تكن كامل الايمان.

وكذلك الحال في اثبات أصل الصفات الكمالية علىٰ نحو الاجمال، كالعلم والقدرة والارادة وسائر الأوصاف الكمالية، فالمتفكر في غرائب الصنع، ولطائف الحِكم الالهية الموجودة في الآفاق والأنفس، لايبقى في نفسه شك من وجودها وثبوتها، ولو خفيت علىٰ هذا الشخص حِكَمُ بعض الأشياء، فانّه يعلم مجملاً انّ خالق هذا الخلق، ومدبّر هذا الكون لايفعل من دون حكمة.

كما قال الامام الصادق عليه السلام في توحيد المفضل: « ... فهم في ضلالهم وغيّهم وتجبّرهم بمنزلة عميان، دخلوا داراً قد بُنيت أتقن بناء وأحسنه، وفُرشت بأحسن الفرش وأفخره، وأُعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب[1] التي يحتاج إليها ولا يستغنى عنها، ووضع كلّ شيء من ذلك موضعه علىٰ صواب من التقدير، وحكمة من التدبير، فجعلوا يترددون فيها يميناً وشمالاً، ويطوفون بيوتها ادباراً واقبالاً، محجوبة أبصارهم عنها، لايبصرون بنية الدار، وما اعدّ فيها، وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه، وأُعد للحاجة اليه وهو جاهل للمعنى فيه، ولما أُعد، ولماذا جعل ذلك.

فتذمّر وتسخط، وذم الدار وبانيها، فهذه حال هذا الصنف في انكارهم ما

(١) المآرب: الحوائج.



انكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة ...»[١].

الصورة الثانية، التفكر في كنه ذات الله تعالى، وكيفيّة صفات واجب الوجود، ومن المستحيل معرفة كنه ذات الواجب، وكذلك معرفة كنه الصفات، لأنّها عين الذات لذا فان التفكر في أنحاء وجود ذاته وصفاته وكيفيتهما مُنع في الشريعة.

ووردت أخبار كثيرة في النهي عنه، وانّ العقل الذي يعجز عن معرفة نفسه، ومعرفة الجسم المتعلق به وأعضائه كيف يجرأ علىٰ التفكر في كنه معرفة واجب الوجود.

فلابد حينئذٍ من الاعتقاد بما قال الله تعالى في القرآن والنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السلام في خطبهم البليغة، وأحاديثهم المتواترة، ثم يطلب الزيادة في الهداية من طريق كثرة العبادة والطاعة، ولايغتر بعقله الناقص، فانّه لاثمرة في هذا التفكر سوى الكفر والضلال والحيرة.

وكما ورد في حديث معتبر عن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: تكلّموا في خلق الله [وغرائب صنعه][٢] ولاتتكلّموا في الله، فانّ الكلام في الله لايزداد صاحبه الّا تحيّراً. وفي رواية أُخرى: تكلّموا في كلّ شيء ولا تتكلّموا في ذات الله[٣].

وروي بسند صحيح عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انّه قال: انّ الله عزَّ وجلَّ يقول: «**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**»[٤].

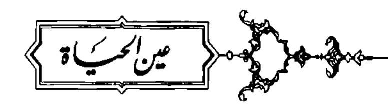
---

(١) توحيد المفضل: ٤٥ المجلس الأول ـ عنه البحار ٣: ٦٠ باب ٤.

(٢) هذه الزيادة من الترجمة وليست في المصدر.

(٣) الكافي ١: ٩٢ ح ١ باب النهي عن الكلام في الكيفية.

(٤) النجم: ٤٢.



فاذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا[1].

وجاء في حديث: اياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته، فانظروا في عظيم خلقه[2].

وروي انّه سُئل عليّ بن الحسين عليه السلام عن التوحيد، فقال: انّ الله تعالى علم انّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون، فأنزل الله تعالى: «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ● اللَّهُ الصَّمَدُ**» والآيات من سورة الحديد إلى قوله: «**وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**» فمن رام ما وراء ذلك فقد هلك[3].

وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام قال: الأوصياء هم أبواب الله عزَّ وجلَّ التي يؤتى منها، ولولاهم ما عُرف الله عزَّ وجلَّ، وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه[4].

وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب، والشيطان أغوى اكثر الخلق عن هذا الطريق، فتركوا قول الله والرسول والأئمة عليهم السلام واعتمدوا على عقولهم الضعيفة، فكلّ طائفة عرفت ربّها بنحو، وقد أخطأ كلّهم، هلّا تفكروا انّ العقل لو كان مستقلاً وقادراً على التفكر في هذا الباب لما وجدت هذه الفرق الكثيرة من المتكلمين والحكماء، وكلّهم من العقلاء.

فلا ترى في هذا الباب وسائر الابواب فرقتين متوافقتين، كما زعم جمع من المتكلمين بعقلهم السخيف انّ الله جسم، ويقولون: انّه نور يضيء كالشمس.

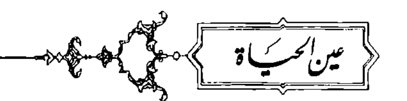
---

(١) الكافي ١: ٩٢ ح ٢ باب النهي عن الكلام في الكيفية ـ وفي البحار ٣: ٢٦٤ ح ٢٣ باب ٩ عن المحاسن.

(٢) الكافي ١: ٩٣ ح ٧ باب النهي عن الكلام في الكيفية.

(٣) البحار ٣: ٢٦٤ ح ٢١ باب ٩ عن التوحيد للصدوق.

(٤) الكافي ١: ١٩٣ ح ٢ باب انّ الأئمة خلفاء الله.



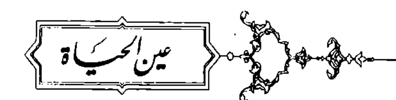
وزعم بعض الصوفية من أهل السنة والمجسمة، انّه سبحانه علىٰ هيئة فتى بسيط، ويعتقد البعض الآخر انّه سبحانه على هيئة شيخ ذي لحية بيضاء، ويعتقد الآخر انّه سبحانه جسم كبير جالس علىٰ العرش، واعتقد جمع من الصوفية من أهل السنة ومن متكلميهم بل اكثرهم بالحلول في الأشياء.

واعتقدت النصارى الحلول في عيسى فقط، واعتقد الصوفية الحلولية انّه سبحانه يحلّ في جميع الأشياء، وقد لعن الله تعالى النصارى لهذا السبب في أماكن متعددة من القرآن، وذكرهم بالكفر لنسبتهم هذه إلى الله تعالى.

وفرّ بعض الصوفيّة من ابناء العامة من الحلول لكنهم وقعوا في أمر أقبح منه وأشنع، وهو الاتحاد، ويقولون: انّ الله تعالى متحد مع كل شيء بل هو كلّ شيء ولا وجود لغيره وهو الذي يظهر بصور مختلفة، فتارة علىٰ صورة زيد، واخرى علىٰ صورة عمرو، وثالثة علىٰ صورة الكلب والهرة، وأخرى علىٰ صورة القذارات والأوساخ [نعوذ بالله] كالبحر، فانّه يتلاطم وتظهر منه صور مختلفة، لكن في الحقيقة لاوجود لغير البحر.

وانّ الماهيّات الممكنة أُمور اعتبارية عرضت علىٰ ذات واجب الوجود، وقد صرحوا في جميع كتبهم وأشعارهم بهذه الخزعبلات وكلمات الكفر ، وهذا هو اعتقاد بعض كفارو ملحدي الهند بعينه، وكتاب (جوك) المؤلف لعقائدهم الفاسدة مشحون بهذه الخزعبلات، فلذا بعض من له مشرب التصوف في عصرنا يحترم هذا الكتاب غاية الاحترام، ويجعله اكثر اعتباراً من كتب الشيعة ، وعدّوه من كتب عقائد الشيعة ولابد لكل شخص أن يكون عنده نسخة منه.

وزعم بعض الشيعة البسطاء انّ هؤلاء أهل الحق وأحسن من في العالم،



فيقرؤون كلامهم ويكفرون، وبزعمهم انّ كلّ صوفيّ علىٰ مذهب الحق ولا يقول الّا من الله تعالى، ولايعلمون بما انّ الكفر والباطل قد ملئا العالم، وانّ أهل الحق منكوبون ومخذولون دائماً، فكان غالبية كلّ صنف تابعين للباطل وكانوا من فِرق أهل السنة، ودخل بعضهم في سلك التصوف والبعض الآخر في سلك العلماء، وانّ كتب أكثر العلماء المتداولة اليوم كتب كفر وضلال، الّا القليل منهم بقوا علىٰ الحق وهم المتمسكون بأهل البيت عليهم السلام.

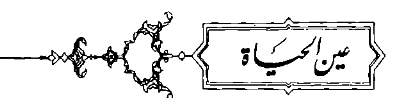
والصوفية اللعناء أكثرهم من العامة ومتمذهبين بالمذهب الأشعري، وقد ذكروا نفس تلك العقائد الفاسدة من جبر وحلول وتجسيم وغيرها في كتبهم وأشعارهم، وذكروا أيضاً فيها طريقة أهل السنة في العبادات والطاعات.

ولو قال أبو حنيفة في كتابه مثلاً انّ تلك الصلاة لابد أن تُقام فلا يقبلون منه، ولكن لو وصل إليهم علم من سفيان الثوري يأخذون به، مع أنّ سفيان أسوء من أبي حنيفة، كما روي الكليني بسند معتبر عن سدير انه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو داخل وأنا خارج، وأخذ بيدي ثم استقبل البيت، فقال: يا سدير انّما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار، فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا، وهو قول الله:

«وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ»[1].

ـ ثم أومأ بيده إلى صدره ـ إلى ولايتنا، ثم قال: ياسدير فأُريك الصادّين عن دين الله، ثم نظر إلى ابي حنيفة، وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال : هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله وكتاب مبين، انّ

(١) طه : ٨٢.



هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى، وعن رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى يأتونا، فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم[1].

وروى بسند معتبر آخر عن رجل من قريش من أهل مكة قال: قال سفيان الثوري: اذهب بنا الى جعفر بن محمد، قال: فذهبت معه إليه، فوجدناه قد ركب دابته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدّثنا بحديث خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في مسجد الخيف، قال: دعني حتى أذهب في حاجتي فانّي قد ركبت فاذا جئت حدّثتك، فقال: أسألك بقرابتك من رسول لله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما حدّثتني.

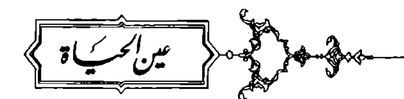
قال: فنزل، فقال له سفيان: مر لي بدواة وقرطاس حتى أثبته، فدعا به ، ثم قال: اكتب، [بسم الله الرحمن الرحيم، خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في مسجد الخيف: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم تبلغه، يا ايّها الناس ليبلّغ الشاهد الغائب، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لايغلّ عليهنّ قلب امريء مسلم، اخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فانّ دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون إخوة تتكافى دماؤهم وهم يدّ علىٰ من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم][2].

فكتبه سفيان، ثم عرضه عليه، وركب أبو عبد الله عليه السلام وجئت أنا وسفيان، فلمّا كنّا في بعض الطريق قال لي: كما أنت حتى أنظر في هذا الحديث، فقلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله رقبتك شيئاً لايذهب من رقبتك أبداً، فقال: وأيّ شيء

(١) الكافي ١ : ٣٩٢ ح ٣ كتاب الحجة .

(٢) ليس ما جعلناه بين المعكوفتين في المتن الفارسي .



ذلك؟

فقلت له: ثلاثٌ لايغلّ عليهنّ قلب امريء مسلم، اخلاص العمل لله قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم؟ وكلّ من لاتجوز شهادته عندنا ولاتجوز الصلاة خلفه؟

وقوله: واللزوم لجماعتهم، فأيّ الجماعة؟ مرجيء[1] يقول: من لم يصلّ ولم يصم ولم يغتسل من جنابة، وهدم الكعبة ونكح أمّه، فهو علىٰ ايمان جبرئيل وميكائيل، أو قدريّ[2] يقول: لايكون ما شاء الله عزَّ وجلَّ، ويكون ما شاء ابليس.

أو حروريّ[3] يتبرّأ من عليّ بن أبي طالب وشهد عليه بالكفر، أو جهميّ[4] يقول: انّما هي معرفة الله وحده ليس الايمان شيء غيرها؟!!

قال: ويحك وايّ شيء يقولون؟ فقلت: يقولون انّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام والله الامام الذي يجب علينا نصيحته، ولزوم جماعتهم: أهل بيته، قال فأخذ

---

(١) المرجئة قوم يكتفون بالايمان ويقولون: لامدخل للأعمال في الايمان ولاتتفاوت مراتب الايمان ولاتضرّ معه معصية، وهم فرق شتى لهم مذاهب شنيعة مذكورة في الملل والنحل (البحار).

(٢) المراد من القدرية هنا التفويضية الذين قالوا: انّه ليس لله سبحانه وقضائه وقدره مدخل في أعمال العباد، قال بعضهم: انّه لايقدر الله تعالى علىٰ التصرف في أعمالهم فهم عزلوا الرب تعالى عن ملكه وقالوا: لايكون ما شاء الله، فنفوا ان يكون لله تعالى مشيئة وإرادة وتدبير وتصرّف في أفعال العباد وأثبتوا ذلك لابليس (البحار).

(٣) الحرورية الخوارج أو فرقة منهم منسوبة إلى حروراء ... وهي قرية كانت قريبه من الكوفة كان اوّل اجتماعهم وتحكيمهم فيها (البحار).

(٤) الجهمية فرقة منسوبة إلى جهم بن صفوان، وهي فرقة شايعته علىٰ مذهبه وهي القول بانّ الجنة والنار تفنيان وانّ الايمان هو المعرفة فقط دون الاقرار ودون سائر الطاعات، وانّه لا فعل لأحد علىٰ الحقيقة الّا الله، وانّ العباد فيما يُنسب إليهم من الافعال كالشجر تحرّكها الريح، فالانسان لايقدر علىٰ شيء انّما هو مجبر في افعاله لاقدرة له ولا ارادة ولا اختيار (البحار).

الكتاب فخرقه، ثم قال: لاتخبر بها أحداً[1].

وفي الحقيقة لم يصدر من أبي حنيفة هذا الكفر وانكار الحق الذي صدر من سفيان، مع دعواه ودعوى تابعيه مخالفة النفس وترك الدنيا، وسيأتي فيما بعد ذكر احوال كبارهم.

وقدظهر انحراف عظيم في أصول الدين وفروعه بسبب الجهل الذي شاع بين الشيعة.

يقول محي الدين ـ من رؤسائهم ـ في فصوص الحكم. [ما معناه:] لم نصف الله بوصف الّا ونحن عين ذلك الوصف، والله تعالى يصف نفسه لنا، فمتى ما شاهدناه شاهدنا أنفسنا، ومتى ماشاهدنا، شاهد نفسه.

ويرجح في مكان آخر مرتبة الولاية علىٰ مرتبة النبوة و يقول عن نفسه «خاتم الولاية» فمن هنا يدعى ترجيح نفسه على الأنبياء.

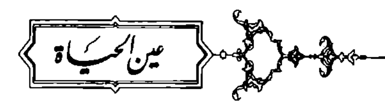
ويقول في الفتوحات: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها.

وفي مكان آخر من فصوص الحكم ينسب الخطأ إلى نوح عليه السلام، بانّه أخطأ في تبليغ الرسالة، وانّ قومه ساروا بصورة صحيحة، وانّهم غرقوا في بحر معرفة الله، فلو أراد نوح أن ينجّيهم عن البحر لانزلهم من العلوّ إلى الأسفل.

ويقول كثيراً في تصانيفه: عليك أن لاتتقيد بمذهب ولاتنفي ايّ مذهب، ولاتنكر أي معبود غير الله من وثن وغيره، فبمقدار انكارك لها تنكر ربّك، وانّ لله ظهور في كلّ الأشياء.

ويقول: انّ الله لم يسلّط هارون علىٰ عبدة العجل مثلما سلّط موسى، وذلك

(١) الكافي ١ : ٤٠٣ ح ٢ كتاب الحجة ـ عنه البحار ٢٧ : ٦٩ ح ٦ باب ٣.



لكي يعبد الحقّ على جميع الصور فلذا لم يبق نوع من انواع العالم الّا وأصبح معبوداً، ويقول: كفر النصارى لدعواهم الاتحاد مع الله في خصوص عيسى، ولو ادعوه في جميع الأشياء لكان عين التوحيد.

وجاء في احدى تذكراتهم: سئل شمس التبريزي عن الرومي؟ قال: إن تسألوا عن كلامه **«انّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»**، وان تسألوا عن فعله **«كلّ يوم هو في شأن»**، وإن تسألوا عن صفاته **«ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»**، ومن قبيل هذه الكلمات الموجبة للكفر والالحاد كثيرة في كتبهم .

أعزائي انظروا بنظر الانصاف، هل تصح هذه النسب والاقوال على الله؟ أو هل صدرت من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمة المعصومين عليهم السلام الذين هم زعماء الدين من قبيل هذه الكلمات؟ أو أجازوا أصحابهم أن يتجرّؤوا هكذا؟ انّ الله تعالى يذم النصارى لكفرهم بسبب هذه العقائد الفاسدة، وأمير المؤمنين عليه السلام جعل جمعاً اعتقدوا بألوهيته في حفر وقتلهم بالدخان، فمتى لم يمكن نسبة هذا الوجود الشريف إلى الألوهية، فكيف يمكن نسبتها إلى الكلب والهرة، أنت الذي أصبحت إلهاً فمن الذي تعبده؟

فلهذا اسقطوا العبادة عن أنفسهم بمجرد ظهور هذه الحالة عندهم، وأوّلوا هذه الآية الشريفة على هذا المعنى، قال تعالى:

«وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»(١).

أي حتى الموت، لكنّهم اوّلوا اليقين باليقين بوحدة الوجود.

قال العلامة رحمه الله في كتاب كشف الحق ونهج الصدق: انّه تعالى لايحلّ في

---

(١) الحجر: ٩٩.



غيره، من المعلوم القطعي أنّ الحال مفتقرٌ إلى المحلّ، والضرورة قضت بانّ كل مفتقرٍ إلى الغير ممكن، فلو كان الله تعالى حالاً في غيره لزم إمكانه فلا يكون واجباً، هذا خلف.

وخالفت الصوفية من الجمهور في ذلك، وجوّزوا عليه الحلول في أبدان العارفين، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فانظروا إلى هؤلاء المشايخ الذين يتبرّكون بمشاهدهم، كيف اعتقادهم في ربهم؟ وتجويزهم تارة الحلول، وأُخرى الاتحاد، وعبادتهم الرقص والتصفيق والغناء، وقد عاب الله تعالى علىٰ الجاهلية الكفار في ذلك، فقال عزّ من قائل:

«وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً»[1].

وأي غفلة أعظم من غفلة من يتبرّك بمن يتعبّد الله بما عاب به الكفار ؟ **«فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»**[2].

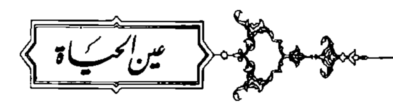
ولقد شاهدت جماعة من الصوفية في حضرة مولانا الحسين عليه السلام، وقد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم، كان جالساً لم يصلّ، ثم صلّوا بعد ساعة العشاء سوى ذلك الشخص، فسألت بعضهم عن ترك صلاة ذلك الشخص، فقال: وما حاجة هذا إلى الصلاة وقد وصل، أيجوز أن يجعل بينه وبين الله تعالى حاجباً؟! فقلت: لا، فقال: الصلاة حاجب بين العبد والرب.

فانظر أيها العاقل إلى هؤلاء، وعقائدهم في الله تعالى كما تقدم، وعبادتهم ما سبق، واعتذارهم في ترك الصلاة ما مرّ، ومع ذلك فانّهم عندهم الأبدال، فهؤلاء

---

(١) الانفال: ٣٥.

(٢) الحج: ٤٦.



أجهل الجهّال[1] (إلى هنا تم كلام العلامة رضوان الله عليه).

وأسمع في زماننا هذا كثيراً من هذه الخزعبلات منهم، وجعلوها في مضامين شعرية وأعطوها طغاماً كي يقرؤوها ويصفقون ويصيحون، ويظهرون بدعاً ـ سوف نشير إليها ان شاء الله فيما بعد ـ ويطلقون عليها اسم العبادة، ألا ترحم نفسك وتجعل دينك الذي يوجب السعادة الأبدية في معرض هذه المخاطرات، فتكون من أهل النجاة باحتمال واحد لكن بمئات الآلاف من الاحتمالات تكون من المخلدين في الجحيم.

فلو قيل لشخص انّ في طريقك بئراً مغطّى لايُرى فاحذره، فانّه سوف لايسلك هذا الطريق وان لم يعتمد علىٰ قول القائل، فأنت تدعي التشيع وهذه كلمات الأئمة عليهم السّلام وآثارهم بين يديك، أتطلب مرشداً أفضل منهم؟ انّ الله أرسل رسولاً وقال:

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»[2].

وقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: انّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[3].

---

(١) نهج الحق: ٥٨، المسألة الثالثة في صفاته تعالى، المبحث السادس.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) لايهمنا التحقيق في سند حديث الثقلين لأنّه مما لايرتاب في تواتره، ونكتفي بكلام المناوي في فيض القدير حيث قال. « قال السمهودي: وفي الباب مايزيد علىٰ عشرين من الصحابة » وبكلام ابن حجر في الصواعق حيث قال: « اعلم انّ لحديث التمسك بذلك طرق كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، وفي بعض تلك الطرق انّه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي اخرى انّه قال بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي اخرى انّه قال ذلك بغدير خم، وفي أُخرى انّه لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر، ولاتنافي إذ لامانع من انّه كرر عليهم ذلك في المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة ».

ولقد أوضح أهل البيت عليهم السلام معنى الكتاب وذكروا انّهم لو ذهبوا من الدنيا فانّ احاديثهم موجودة فأمروا بالرجوع الى رواة الأحاديث، اذن ما تقصير الأئمة حيث بينوا الاصول والفروع من الدين وأنت ترجع إلى كلام اعدائهم ولاتنظر في كلامهم، وان عملت بواحد من الف مما قال نبيّك صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذا الحديث لأبي ذر لكفاك، نسأل الله تعالى أن يقيم كلّ طالب حق على صراط متابعة أهل البيت المستقيم، بمحمد وآله الطاهرين.

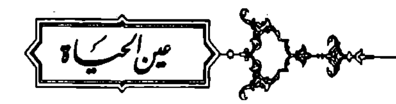
الأصل الثالث

[مراتب المعرفة]

اعلم انّ للمعرفه مراتب مختلفة، ولمراتب الايمان زيادة ونقصان، كما ذكر الخواجة نصير الدين الطوسي عليه الرحمة انّ مراتب المعرفة مثل مراتب النار مثلاً، وانّ أدناها من سمع انّ في الوجود شيئاً يعدم كلّ شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كلّ شيء يحاذيه، ويسمى ذلك الموجود ناراً، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجة.

وأعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار وعلم انّه لابد له من مؤثر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع.

وأعلى منها مرتبة من أحسّ بحرارة النار بسبب مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها، وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المؤمنين المخلصين الذين اطمأنت قلوبهم بالله وتيقّنوا انّ الله نور السماوات



والأرض كما وصف به نفسه.

وأعلىٰ منها مرتبة من احترق بالنار بكليته، وتلاشا فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا، والمرتبه القصوى، رزقنا الله الوصول إليها، والوقوف عليها بمنّه وكرمه[1].

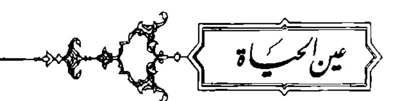
وتحصل هذه المرتبة بكثرة العبادة والرياضات، كما روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انّه: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: قال الله جل جلاله: «من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي، وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحبّ اليّ مما افترضته عليه، وانّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده الذي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وان سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في موت مؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»[2].

واعلم انّ هذه المرتبة مرتبة خطيرة جداً، وهي التي سببت اشتباه وانحراف تلك الجماعة حتى قالوا بتلك الاباطيل التي مرّت، وقد يستدلّون بهذا الحديث لكنّهم في خطأ محض وذلك لأنّ المعنى الذي يقصدونه من الحديث لايختص بالجاهل والكامل وغيرهما، ويطلقونه دائماً علىٰ كلّ شيء، لكن هذا الحديث القدسي ظاهر في حصول هذا المعنى بعد العبادة وأداء النوافل.

وبما انّ معاني الحق دقيقة وتشتبه بالتاطل كثيراً، أُبيّن لك مجملاً من معاني الحديث الشريف كي لايخدعك أهل الباطل، والاّ فالعبادات الحقيقية التي توهم

(١) راجع مجمع البحرين مادة (عرف) عن الخواجة نصير الدين الطوسي.

(٢) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: ١٢٠، الباب الحادي عشر.



المعاني الباطلة كثيرة، والذي يعرف قانون الشرع والعقل كاملاً وله أُنس بكلام أهل البيت عليهم السلام لا يلتبس عليه الأمر ويعرف هذه المعاني.

اعلم انّ أحد معاني هذا الحديث، انّ الذي بلغ مقام المحبة الكاملة، واستقر حبّ المحبوب الحقيقي في قلبه، وسرىٰ هذا الحب في جميع اعضائه وجوارحه، يحصل في عينه نور خاص وفي أُذنه سمع خاص، وفي جميع أعضائه قوّة خاصة ـكما أشرنا سابقاً إلى هذه المرتبة ـ

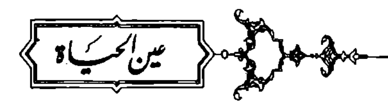
ولما كان المحبوب هدفه الأصيل، فيراه في كل شيء ينظر إليه أي يرىٰ آثار قدرته فيه فكأنّه رآه، ويرىٰ آثار علمه وصنعه وآثار كمالاته التي جعلها في ذلك الشيء، ولو سمع شيئاً من تلك الكمالات فكأنّما سمع من الحبيب، ولو حرّك يده فانّما يحركها في خدمة الحبيب، وكذلك في جميع الأعضاء والجوارح، ويحصل نظير هذه الحالة في العشق المجازي.

قال علاء الدولة السمناني: لقد اشتبهوا في معنى وحدة الوجود من هذه المرتبة، وهذا عين الكفر، ولقد وقعت أنا أيضاً في هذا الاشتباه ثم تبت.

وظاهر ما مرّ ان المعنى غير موجب للحلول والكفر، ولعلّ الله تعالى يريد هذا المعنى من الحديث القدسي، أي إذا وصل العبد إلى هذه الدرجة أكون عينه أي لايرى سوى آثار صنعي وما أنا أرضاه، ولايسمع من دون رضاي، ويجعل ما أريده انا مكان ما يريده هو.

وقال البعض: بما انّ الأعضاء والجوارح عزيزة عند الانسان، فيصل في مقام الحب إلى درجة يرجح الله عليها، ويفني قواه في تحصيل رضاه ولايخاف.

وهناك معنى آخر أدقّ من هذا اذكره وأسأل الله تعالى أن لايشتبه عند



أصحاب الباطل، ولاحول ولاقوة الّا بالله العليّ العظيم، اعلم يا عزيزي انّ الله سبحانه وتعالى جعل في الانسان قوىٰ وشهوات كثيرة ـ كما ذكر سابقاً ـ وأمر أن تصرف هذه القوى في رضاه، ووعدهم بمقتضى قوله:

«وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ»(١).

أن يخلف كلّ ما انفقوه في طريقه اخلافاً لايشبه الأول، كما انّ الله تعالى رزقك مالاً فانياً معرضاً للزوال يحتمل أن يحترق كلّه بليلة أو يسرقه لص، ثم أمرك أن تنفقه في طريقه كي يعوضك في الجنة بما لازوال له، ويكون أكثر منه باضعاف مضاعفة، ولا يفارقك بالموت وسائر الآفات.

وأعارك عزة، وبمقتضى قوله:

«وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ»(٢).

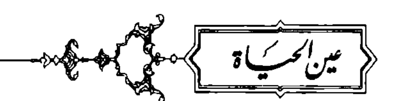
أراد أن تصرفها في طريقه، وبما انّ الأعمال الحقّة تنافي طريقة أهل الباطل وذوقهم، وانّ طبائع اكثر أهل العالم تميل الى الباطل، فالذي يجتاز هذا الاعتبار الباطل ببطولة، ويعمل الأمور الحقة طبقاً لرضى الله تعالى، فالله يكرمه بعزة لاتشابه سائر الكرامات.

وكما عُلم من احوال أبي ذر انّ الذين كانوا يحومون حول عثمان يطلبون [الدنيا] لعنوا وذُلّوا أبد الآبدين، لكن أبا ذر يُصلّىٰ عليه إلى قيام الساعة، ويتشرفون بذكر اسمه لاجتيازه عن الاعتبارات الباطلة ببطولة، مع قطع النظر عن الكرامة الأبدية الأخروية.

---

(١) سبأ: ٣٩.

(٢) المائدة: ٥٤.



وزعم يزيد الخبيث أنّه يعزّ نفسه ويذلّ الامام الحسين عليه السلام، فلعن الىٰ الأبد واستحق العذاب، ويذكر اسم الامام الحسين عليه السلام علىٰ المنابر إلى يوم القيامة، ويخضع له سلاطين العالم ويتذلّلون امامه، ويكتحلون بتراب ضريحه.

انّ الله تعالى أعطى لكل شخص وأكرمه بمقدار من القوة كي يعمل بها بعض الأعمال، فالبعض الذي لم يصرفها في رضاه نقصت هذه القوة عندهم بمرض، أو زالت عنهم بموت، لكن أمير المؤمنين عليه السلام وتابعوه صرفوا هذه القوة في الطاعة والعبادة، فرزقهم الله تعالى قوة فوق قوى البشر، كما قال هو عليه السلام: «ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية»[1].

وفي هذه القوة لو أراد أن يدكّ السماء علىٰ الأرض بنظرة فقط دون أن يحرك يده لفعل، وجميع المخلوقات مطيعة له، وهذه القوة لاتزول بالموت، فحيهم وميتهم سيّان.

بل بما الشخص الكامل ليس له مراد سوى مايريده الله، وجرّد نفسه عن ارادات نفسه، فهو في اوّل الأمر كان يعمل ما يريده بقوة نفسه، لكن الآن يجعل الله تعالى قدرته مقارنة لارادة هذا الشخص وبما انّه تنّحى عن إراداته لله تعالى فيُلغي الله عزَّ وجلَّ هذه الارادات من قلبه، ويكون هو سبحانه مدبر أُموره، وإلى هذا يشير الحديث المشهور من انّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمان[2]، كناية عن القدرة وانّه يقلبه كيف شاء، وقد فُسّرت آية:

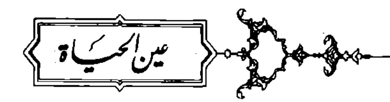
﴿وَمَا تَشَآءُونَ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ آللّٰهُ﴾[3].

---

(١) البحار ١٠٢: ١٣٨ ح ٤ باب ٨.

(٢) البحار ٧٠: ٣٩ ح ١ باب ٤٤.

(٣) الانسان: ٣٠.



في سورة هل أتى، النازلة في شأن أهل البيت عليهم السلام بهذا المعنى طبقاً لحديث معتبر، أي انّهم في هذه المرتبة من الكمال لاتتعلق مشيئتهم بغير ما تعلّقت به مشيئة الله تعالى، وكذلك في عينه، فانّه صرف نور العين في رضى الحبيب، ولم يبال من القيام في الليالي والتهجد، ولايخاف ضعف البصر، ويلاحظ ارادة الحبيب في نظراته ويترك نفسه.

فيجعل الله سبحانه نوراً في قلبه وبصره وبصيرته يرى به حقائق ومعاني والأمور الغيبية، ولايزول ابداً، كما قال..: «اتقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله»[1] وكذلك بمقتضى قوله تعالى:

«أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا»[2].

يسمعون أموراً لايسمعها الغير، وبمقتضى «فتح الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[3] تجري هذه الينابيع من قلوبهم على ألسنتهم وهم لايعلمون، وهذه الينابيع كما تجري على الغير تجري عليهم أيضاً، فتجري الحكمة دائماً على لسانهم ولاتنتهي لأنّ المنبع غير متناه.

فالمطلب يكون هنا دقيق جداً ولايمكن التطويل اكثر من هذا، فلو فهمت بلطف الله ما قررناه لفهمت معنى الحديث بوجه صحيح وما المراد من قوله: بي يسمع وبي يبصر.

وجاء في عبارات العامة عند تفسير (بي يسمع وبي يبصر وبي يمشي وبي ينطق) انّه لما وصل إلى هذه المرتبة يعمل بجميع هذه الأمور باستعانتي وقوّتي

---

(١) البحار ٢٤: ١٢٨ ح ٩ باب ٤٢.

(٢) الاعراف: ١٩٥.

(٣) البحار ٧٠: ٢٤٩ ح ٢٥ باب ٥٤ باختلاف يسير.

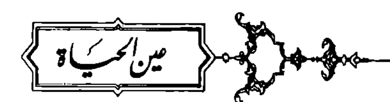
وتوفيقي، فعلم الآن انّ هذا المعنى يختص بالمقربين، بخلاف ذلك المعنى الباطل الذي يوجد في كلّ وضيع ودني.

ولو وفّقك اللهُ تعالى لفهمت مما مضى معنى التخلق باخلاق الله، فيكون هذا الشخص ـ كما شبهه البعض ـ كالحديدة في النار، فانّها من شدّة الحرارة تحمر وتكون كالنار حتىٰ يحسبها الناظر ناراً وليس كذلك، فالله تعالى يفيض مقداراً من صفات كماله علىٰ الانسان فتحصل له معرفه بسببها، وإن كان كلّ علمك جـهل لكن كمالك هذا من أي علم اقتبسته، ومن أين وصل لك هذا العلم.

انّ قطرة من علم الله غير المتناهي سببت تحرّك العلماء، وذرة من قدرته أُفيضت علىٰ ملوك العالم بحيث أصبحوا ينادون «لمن الملك»، وبقطرة من بحر كمالاته يدّعي الكلّ الوصول إلى الكمال، لكن لكمالات الانسان وجهين، الوجه الكامل الذي هو من الله تعالى، والوجه الناقص الذي هو من العبد، ولايسع المقام اكثر من هذا، أعاذ الله جميع الشيعة من وساوس شياطين الجنّ والانس، بـحق محمدٍ وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمين.

الأصل الرابع
[في حدوث العالم]

اعلم انّ مما تدلّ عليه هذه الكلمات النبوية حدوث العالم، كما قال: «انّه الأوّل قبل كلّ شيء فلا شيء قبله ...» فأوّليته هذه لا تكون اضافية حتى يستلزم وجود شيء قبله، أو لاتكون باعتبار الزمان حتى يستلزم سبق الزمان عليه سبحانه، وليس هنا محل ذكر معنى الأولويّة وسبق الله، ولكن لابد من الاعتقاد بانّ كلّ ما



سوى الله تعالى زمان وجوده متناهٍ أزلاً وله زمان أوليّ، لكنّ الله تعالى قديم وليس لوجوده اولية ونهاية.

وحدوث العالم بهذا المعنى ممّا أجمع عليه أهل الأديان كافة، وهو قول كلّ طائفة لها دين ونبيّ مرسل، وتدلّ عليه آيات كثيرة وروايات متضافرة متواترة، لكن جمعاً من الحكماء المؤمنين بدينٍ ونبيّ جعلوا مدار الأمور عقولهم الناقصة، فلم يعتقدوا بقدم العالم، واعتقدوا بالعقول القديمة وقدم الأفلاك وهيولا العناصر، وهو كفر ومستلزم لتكذيب الأنبياء وانكار كثير من الآيات القرآنية.

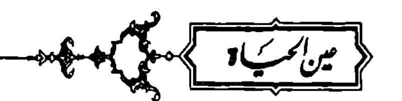
لأنّهم يعتقدون بانّ القديم لاينعدم وانعدامه محال، ويعتقدون بقدم الأفلاك والهيولا، فيلزم من قولهم استحالة تفرق وتفتت الأفلاك والكواكب، مع انّ الله تعالى أشار في سورة الانشقاق والانفطار وغيرهما في مواضع كثيرة إلى انشقاق السماوات يوم القيامة، وتناثرها وانّها تُطوىٰ كما يُطوىٰ السجلّ، وتتفرق الكواكب وتتناثر.

وكلمة «فاطر» المأتيّة في القرآن وفي هذا الحديث تدل أيضاً علىٰ حدوث العالم، لأنّ الفطر في اللغة الاختراع وايجاد الشيء، انّهم يقولون انّ وجود كلّ شيء مسبوق بمادّة تكون قبله، ولايسع المقام اكثر من هذا.

الأصل الخامس

في تحقيق معنى الفرد

اعلم انّ هناك تقارب بين معنى الفرد والوتر والواحد والأحد من أسماء الله تعالى، والفرديّه تشتمل علىٰ معنيين يجب الاذعان بكليهما.

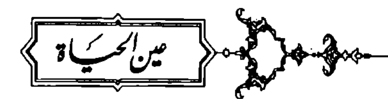


الأوّل: الفردية في الألوهية ونفي الشريك، كما انّ كفار قريش جعلوا الأوثان شركاء الله، وجعل بعض النصارى عيسى ومريم عليهما السلام شركاء الله، واعتقد المجوس بالنور والظلمة، وهذا كفر جاءت الآيات والأخبار مع البراهين القاطعة على بطلانه، ويحكم عقل الجميع بانّ هذا النظام مع هذا النسق لابد أن ينسب إلى شخص واحد.

ولو كان (العياذ بالله) إله آخر وجب أن لايحرم الخلق من معرفته، بل يعرّف نفسه إليهم، كما انّ الله عزَّ وجلَّ أرسل رسلاً وكتباً كي يعرفه الناس لابد على ذلك الغير أن يرسل رسلاً ويعرّف نفسه، كما أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المعنى، مضافاً إلى كفاية قول الله ورسله والأئمة عليهم السلام، وقد ظهر صدقهم وحقيقتهم وبراءتهم من الكذب والنقص والعيب.

المعنى الثاني: الفردية في الصفات والذات، أي انّه بسيط ليس له جزء، والجزء علىٰ نحوين، الجزء الخارجي والجزء الذهني، فالجزء الخارجي أن يكون داخلاً في ماهية الشيء، ويكون وجوده متميزاً في الخارج عن وجود الكلّ، كاليد والرجل والعين والأذن بالنسبة إلى الانسان، والخلّ والعسل بالنسبة إلى السكنجبين، وهذا الجزء لايُحمل علىٰ الكلّ ولايُقال انّ الانسان هو اليد أو العين، أو السكنجبين هو الخلّ أو العسل.

والجزء الذهني أن يكون داخلاً في ماهية الشيء، لكن لايمتاز وجوده عن وجود الكلّ بل يتحد معه في الخارج، لكن العقل يحلّل ذلك، كالحيوانية والناطقية بالنسبة إلى الانسان، فانهما متحدان في الخارج بالانسان لكن العقل يحلّل ماهية الانسان بعد التعقل إلى هذين الجزئين.



وهذا الجزء يكون محمولاً على الكلّ، فلذا يمكن القول بانّ الانسان حيوان وانّ الانسان ناطق، وقد ثبت بالدلائل العقلية والنقلية استحالة هذين الجزئين بالنسبة إلى الله تعالى لاستلزامهما تعدد واجب الوجود، وهو ممتنع.

ويشتمل معنى الفردية على توحيد الصفات أيضاً، ولابد من الاعتقاد بانّ الله تعالى لم تكن صفاته زائدة على ذاته كما في الممكنات، فانّ لها صفة وذاتاً وتتصف ذاتهم بتلك الصفة، مثلاً انّ زيداً له ذات متصفة بعلم منفصل عنها، ويُقال له عالم بسبب هذه الصفة، وكذلك قادر بالقدرة التي أوجدها الله فيه، وكذلك سائر الصفات.

انّ صفات الله تعالى عين ذاته، واصل الذات تقوم مقام جميع الصفات، فنحن نعرف الأشياء بالعلم وهو تعالى باصل الذات، نحن نعمل بالقدرة وهو تعالى باصل الذات، ووجودنا بافاضة وجود زائد عن الذات، لكن وجوده تعالى عين الذات وموجود بأصلها فلذا يمتنع عدمه.

ولو كانت صفاته زائدة لاحتاج في كماله إلى الغير، وتكون تلك الصفات واجبة الوجودة وقديمة، كما روي عن أمير المؤمنين وموسى الكاظم والرّضا عليهم السلام بطرق متعددة أنّ: اوّل الديانة به معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه[1]، بشهادة كلّ صفة انّها غير الموصوف، وشهادة الموصوف انّه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل.

فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه [أي اثبت له صفاتاً زائدة وصفات الممكنات]

---

(١) أي نفي الصفات الزائده عنه.

ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: علام؟ فقد جهله، ومن قال: أين؟ فقد أخلى منه، ومن قال: ما هو؟ فقد نعته، ومن قال: إلى مَ؟ فقد غاياه.

عالم إذ لامعلوم، وخالق إذ لامخلوق، وربّ إذ لامربوب، وكذلك يوصف ربّنا، وفوق ما يصفه الواصفون[١].

وروي بأسانيد معتبرة أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بتسعة أيام[٢] ... فقال: الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال الّا وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيّل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل، بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته، ولم يتبعّض بتجزئةِ العدد في كماله، فارق الأشياء لا علىٰ اختلاف الأماكن، وتمكّن منها لا على الممازجة، وعلمها لا بأداة (لايكون العلم الّا بها)، وليس بينه وبين معلومه علمٌ غيره، إن قيل كان فعلى تأويل أزليّة الوجود، وإن قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم ... الخ[٣].

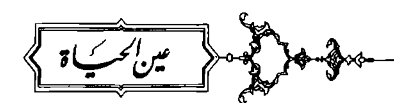
---

(١) الكافي ١: ١٤٠ ح ٦ باب جوامع التوحيد.

(٢) هكذا في البحار والمتن الفارسي لكن في توحيد الصدوق: «بسبعة أيام».

(٣) التوحيد للصدوق: ٧٢ ح ٢٧ ـ عنه البحار ٤: ٢٢١ ح ١ باب ٤ ـ وكذلك ٧٧: ٣٨٠ ح ٥ باب ١٥ ـ وفي أمالي الصدوق: ٢٦٣ ح ٩ مجلس ٥٢ ... واليك تمام الخطبة، قال عليه السلام: .... فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه واتخذ إلهاً غيره علواً كبيراً، نحمده بالحمد الذي ارتضاه لخلقه وأوجب قبوله علىٰ نفسه، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، وأشهد انّ محمداً عبده ورسوله، شهادتان ترفعان القول، وتضاعفان العمل، خفّ ميزانٌ ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار والجواز علىٰ الصراط، وبالشهادتين يدخلون الجنة، وبالصلاة ينالون الرحمة ... فأكثروا من الصلاة علىٰ نبيكم وآله انّ الله وملائكته يُصلون علىٰ النبي يا ايها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً، أيها الناس انّه لاشرف أعلىٰ من الإسلام، ولاكرم أعزّ من التقى، ولامعقل أحرز من الورع، ولاشفيع أنجح من التوبة، ولاكنز أنفع من العلم، ولاعزّ أرفع من الحلم، ولاحسب أبلغ من الأدب، ولانسب أوضع من الغضب، ولاجمال أزين من العقل، ولاسوء أسوء من الكذب، ولاحافظ أحفظ من الصمت، ولا لباس أجمل من العافية، ولاغائب أقرب من الموت.

⇦



وروي بسند معتبر عن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال في صفة القديم: انه واحدٌ، صمدٌ، أحديّ المعنى، ليس بمعاني كثيرة مختلفة، قال [الراوي][1]: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق انّه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبّهوا تعالى الله عن ذلك، انّه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع ...[2].

وفي رواية أُخرى عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: ... من قال ذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أُخرى، وليس من ولايتنا علىٰ شيء، ثم قال عليه السلام: لم يزل الله عزَّ وجلَّ عليماً، قادراً، حياً، قديماً، سميعاً، بصيراً لذاته، تعالى عمّا يقول المشركون والمشبهون علوّاً كبيراً[3].

وروي أيضاً انّ اعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أتقول انّ الله واحدٌ؟ قال: فحمل الناس عليه، قالوا: يا اعرابي اما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فانّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم.

⇦ أيها الناس انّه من مشى علىٰ وجه الأرض فانّه يصير إلى بطنها، والليل والنهار مسرعان في هدم الأعمار، ولكلّ ذي رمق قوت، ولكل حبّة آكل وأنتم قوت الموت، وانّ من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد، لن ينجو من الموت غنيّ بماله ولافقير لا قلا له.

أيها الناس من خاف ربّه كفّ ظلمه، ومن لم يرع في كلامه أظهر هجره، ومن لم يعرف الخير من الشر فهو بمنزلة البهم، ما أصغر المصيبة مع عظم الفاقة غداً، هيهات هيهات وما تناكرتم الاّ لما فيكم من المعاصي والذنوب فما أقرب الراحة من التعب، والبؤس من النعم، وما شرٌّ بشرٍّ بعده الجنة وما خيرٌ بخيرٍ بعده النار، وكلّ نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.

(١) ليست كلمة الراوي من الحديث بل لزيادة التوضيح.

(٢) الكافي ١ : ١٠٨ ح ١ باب آخر من صفات الذات.

(٣) التوحيد للصدوق : ١٣٩ ح ٣ باب صفات الذات ... ـ عنه البحار ٤ : ٦٢ ح ١ باب ١.

ثم قال: يا أعرابي انّ القول في انّ الله واحد علىٰ أربعة أقسام، فوجهان منها لايجوزان علىٰ الله عزَّ وجلَّ، ووجهان يثبتان فيه، فامّا اللذان لايجوزان عليه فقول القائل: واحدٌ، يقصد به باب الاعداد، فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثاني له لايدخل في باب الاعداد، أما ترىٰ انّه كفّر من قال: ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه، وجلّ ربنا عن ذلك وتعالى.

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا، وقول القائل: انّه عزَّ وجلَّ أحديّ المعنى، يعني به انّه لاينقسم في وجود ولاعقل ولا وهم، كذلك الله ربنا[1].

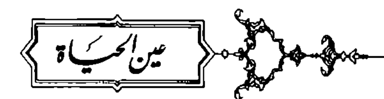
وبهذا المضمون احاديث كثيرة، فانظر يا عزيزي إلى ما عثر عليه الحكماء والعقلاء بعد الاف السنين من التفكر، وبعد مئات الآلاف من الأخطاء، وأخيراً حصلوا علىٰ معنى أو معنيين لا اكثر، لكن انظر إلى أئمتك عليهم السلام قد ذكروا لك أضعاف ذلك بالادلة والبراهين في خطبة أو حديث، ولكن أكثر الناس لايعقلون.

الأصل السادس

في بقاء الله تعالى

انّ الله تعالى باق يستحيل عليه الفناء والعدم، وليس لبقائه غاية ونهاية، وقد ذكرنا سابقاً بيانه فلا يتوهم شخص عدم اختصاص هذه الصفة بالله فقط، بما انّ الجنة والنار واهلهما باقون مخلدون فانّ بقاء الله بذاته وبقاؤهم بالغير ، وبقاء الله

(١) التوحيد للصدوق: ٨٣ ح ٣ باب معنى الواحد ـ عنه البحار ٣: ٢٠٦ ح ١ باب ٦.



علىٰ صفة وحالة واحدة لايتغير، وبقاء الغير مشحون بانواع التغيرات والتبدلات، كما روي عن عبد الله بن أبي يعفور انّه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: «**هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ**»[1] وقلت: اما الأول فقد عرفناه، وامّا الآخر فبيّن لنا تفسيره.

فقال: انّه ليس شيء الّا يبيد أو يتغير، أو يدخله التغيّر والزوال، أو ينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة، الّا رب العالمين.

فانّه لم يزل ولايزال بحالة واحدة، هو الأول قبل كلّ شيء، وهو الآخر علىٰ ما لم يزل، ولاتختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف علىٰ غيره، مثل الانسان الذي يكون تراباً مرّة، ومرّة لحماً ودماً، ومرّة رفاتاً ورميماً، وكالبسر الذي يكون مرّة بلحاً، ومرّة بُسراً، ومرّة رطباً، ومرّة تمراً، فتتبدل عليه الأسماء والصفات، والله جلّ وعزّ بخلاف ذلك[2].

الأصل السابع

[انّ الله تعالى هو الخالق]

انّ هذا الحديث وطبقاً للآيات والأحاديث المتواترة، يدل علىٰ انّ الله تعالى خالق السماء والأرض وما فيهما من الكواكب والملائكة والجن والانس والوحوش والطيور وجميع الأشياء، بخلاف قول جمع من الحكماء حيث

(١) الحديد: ٣.

(٢) الكافي ١: ١١٥ ح ٥ باب معاني الاسماء واشتقاقها ـ وفي البحار ٤: ١٨٢ ح ٩ باب ٢ عن توحيد الصدوق.



اعتقدوا انّ العقول العشرة هي الخالقة لهذه الأشياء.

وبخلاف قول جمع من غلاة الشيعة حيث زعموا انّ الأئمة عليهم السلام خلقوا السماء والأرض، ولدينا احاديث متضافرة على نفي هذا القول، كما روى ابن بابويه رحمه الله بسند معتبر عن ياسر الخادم انّه قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض؟ فقال: انّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر دينه، فقال: «**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**»[1] فامّا الخلق والرزق فلا.

ثم قال عليه السلام: انّ الله عزّ وجلّ خالق كلّ شيء، وهو يقول عزّ وجلّ: «**الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ**»[2][3].

وروى عن أبي هاشم الجعفري انه قال: سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوّضة، فقال: الغلاة كفار، والمفوّضة مشركون، من جالسهم، أو خالطهم، أو آكلهم، أو شاربهم، أو واصلهم، أو زوّجهم، أو تزوّج إليهم، أو أمنهم، أو أئتمنهم على أمانة، أو صدّق حديثهم، أو أعانهم بشطر كلمة، خرج من ولاية الله عزّ وجلّ وولاية الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وولايتنا أهل البيت[4].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: ... ومن زعم انّ الله عزّ وجلّ فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض ... والقائل بالتفويض

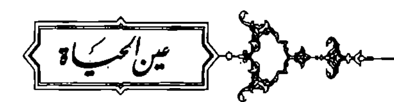
---

(١) الحشر: ٧.

(٢) الروم: ٤٠.

(٣) البحار ٢٥: ٣٢٨ ح ١ فصل في بيان التفويض ومعانيه، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام.

(٤) البحار ٢٥: ٢٧٣ ح ١٩ باب ٩ ـ وكذلك ٢٥: ٣٢٨ ح ٢ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام.



مشرك[1].

وروي في كتاب الاحتجاج عن علي بن احمد القمي انّه قال: اختلف جماعة من الشيعة في انّ الله عزَّ وجلَّ فوّض الى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا، فقال قوم: هذا محال لايجوز علىٰ الله عزَّ وجلَّ، لأنّ الأجسام لايقدر علىٰ خلقها غير الله عزَّ وجلَّ، وقال آخرون: بل الله عزَّ وجلَّ أقدر الأئمة علىٰ ذلك، وفوّض إليهم فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً.

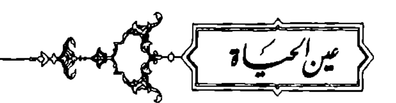
فقال قائل: ما بالكم لاترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان، فتسألونه عن ذلك ليوضح لكم الحقّ فيه، فانّه الطريق الى صاحب الأمر عليه السلام، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته:

«إنّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق، لأنّه ليس بجسم ولا حالّ في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فاما الأئمة عليهم السلام فانّهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق، ايجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقّهم»[2].

الأصل الثامن
في خلق السماوات

اعلم انّ المستفاد من الأحاديث العتبرة عدم اتصال السماوات أحدها بالآخر، وانّ غلظ كلّ سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وأُخرى مسيرة

(١) البحار ٥: ١٢ ضمن حديث ١٨ باب ١ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام.
(٢) البحار ٢٥: ٣٢٩ ح ٤، فصل في بيان التفويض ومعانيه عن الاحتجاج ٢: ٥٤٥ ح ٣٤٥.



خمسمائة عام أيضاً، وما بينها مشحون بالملائكة، اذن لا اعتبار لقول الحكماء باتصال السماوات بعد قول الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وائمة الهدى عليهم السلام.

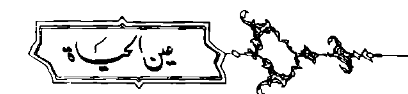
وليعلم انّ الملائكة أجسام لطيفة ولها مكان ونزول وعروج، والأحاديث في هذا المضمار كثيرة، ويدل عليه أيضاً نص القرآن، وتأويل الملائكة بالعقول المجردة، والنفوس الفلكيّة، والطبائع والقوى ـ كما فعل بعض الحكماء ـ كفرٌ وانكار لضروريّ من ضروريات الدين.

انّ الملائكة أكثر خلقاً وأعظم جسماً من سائر المخلوقات الّا الروح، كما روىٰ ابن بابويه بسند معتبر انّه: سُئل أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام عن قدرة الله تعالى جلّت عظمته، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

انّ لله تبارك وتعالى ملائكة لو انّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته، ومنهم لو كلّفت الجن والانس أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف مِن ملائكته مَنْ سبعمائة عامٍ مابين منكبيه وشحمة اُذنيه.

ومنهم من يسدّ الأُفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم مَنْ السماوات إلى حجزته، ومنهم من قدمه علىٰ غير قرارٍ في جوّ الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو اُلقي في نُقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو اُلقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وسُئل عليه السلام عن الحجب، فقال: اوّل الحجب سبعة، غلظُ كلّ حجاب مسيرة خمسمائة عام، بين كلّ حجابين منها مسيرة خمسمائة عامٍ والحجاب



الثالث سبعون حجاباً، بين كلّ حجابين منها مسيرة خمسمائة عامٍ، وطوله خمسمائة عام، حجبة كلّ حجاب منها سبعون الف ملك، قوّة كلّ ملك منهم قوّة الثقلين.

منها ظلمة، ومنها نور، ومنها دخان، ومنها سحاب، ومنها برق، ومنها مطر، ومنها رعد، ومنها ضوء، ومنها رمل، ومنا جبل، ومنها عجاج، ومنها ماء، ومنها أنهار، وهي حجب مختلفة.

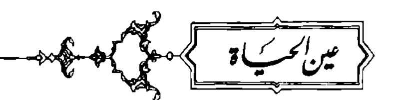
غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام، ثم سرادقات الجلال، وهي سبعون سرادقاً، في كلّ سرادق سبعون ألف ملك، بين كل سرادق مسيرة خمسمائة عام، ثم سرادق العز، ثم سرادق الكبرياء، ثم سرادق العظمة، ثم سرادق القوس، ثم سرادق الجبروت، ثم سرادق الفخر، ثم النور الأبيض ثم سرادق الوحدانية، وهو مسيرة الف عام في سبعين الف عام، ثم الحجاب الأعلىٰ ...[1].

وروىٰ علي بن ابراهيم عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال: خلق الله الملائكة مختلفة، وقد رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرئيل وله ستمائة جناح علىٰ ساقة الدر مثل القطر علىٰ البقر، قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وقال: إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة، والأخرى في الأرض السابعة، وانّ لله ملائكة أنصافهم من برد، وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلفاً بين البرد والنار ثبت قلوبنا علىٰ طاعتك.

وقال: انّ لله ملكاً بُعد ما بين شحمة أُذنيه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير، وقال: انّ الملائكة لايأكلون ولايشربون ولاينكحون، وانّما يعيشون

(١) التوحيد للصدوق: ٢٧٧ ح ٣ باب ٣٨ في ذكر عظمة الله جلّ جلاله.



بنسيم العرش، وانّ لله ملائكة ركعاً إلى يوم القيامة، وانّ لله ملائكة سجداً إلى يوم القيامة.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما من شيء مما خلق الله اكثر من الملائكة، وانّه ليهبط في كلّ يوم أو في كلّ ليلة سبعون ألف ملك، فيأتون البيت الحرام فيطوفون به، ثم يأتون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون الحسين عليه السلام فيقيمون عنده، فاذا كان عند السحر وضع لهم معراج إلى اسماء، ثم لا يعودون أبداً[1]. [وفي اليوم الثاني يأتي سبعون الف أخر][2].

وروىٰ أيضاً عن ابي عبد الله عليه السلام انّه سُئل هل الملائكة اكثر أم بنو آدم؟ فقال: والذي نفسي بيده لعدد ملائكة الله في السماوات اكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم الّا وفيها ملك يسبحه ويقدسه، ولا في الأرض شجرة ولامدر الّا وفيها ملك موكل بها يأتي الله كل يوم بعملها والله أعلم بها، وما منهم احد الّا ويتقرب كل يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحبينا ويلعن أعداءنا، ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً[3].

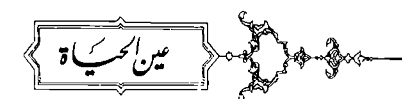
وروىٰ ابن بابويه عليه الرحمة بسند معتبر عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال: جاءت زينب العطّارة الحولاء إلى نساء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبناته، وكانت تبيع منهنّ العطر، فدخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي عندهنّ، فقال لها: إذا أتيتنا طابت بيوتنا، فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله.

---

(١) تفسير القمي ٢: ٢٠٦ (سورة فاطر) ـ عنه البحار ٥٩: ١٧٤ ح ٤ باب ٢٣.

(٢) ليست هذه الزيادة من الرواية، والظاهر انّها اضافة من المؤلف قدس سره.

(٣) تفسير القمي ٢: ٢٥٥ (سورة المؤمن) ـ عنه البحار ٥٩: ١٧٦ ح ٧ باب ٢٣.



قال: إذا بعت فأحسني ولا تغشّي فانّه أتقىٰ وأبقىٰ للمال، فقالت: ما جئت بشيء من بيعي وانّما جئتك أسألك عن عظمة الله، فقال: جلّ جلالُ اللهِ، سأحدّثك عن بعض ذلك.

قال: ثم قال: انّ هذه الأرض بمن فيها ومن عليها عند التي تحتها كحلقة في فلاةٍ قيٍّ[1]، وهاتان ومن فيهما ومن عليهما عند التي تحتها كحلقة في فلاةٍ قيٍّ، والثالثة حتى انتهى إلى السابعة، ثم تلا هذه الآية:

«خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»[2].

والسبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ علىٰ ظهر الديك كحلقة في فلاةٍ قيّ، والديك له جناحان جناح في المشرق وجناح بالمغرب ورجلاه في التخوم، والسبع والديك بمن فيهنّ ومن عليه علىٰ الصخرة كحلقة في فلاةٍ قيّ، والسبع والديك والصخرة بمن فيها ومن عليها علىٰ ظهر الحوت كحلقة في فلاةٍ قيّ.

والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم عند الهواء كحلقة في فلاةٍ قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء عند الثرىٰ كحلقة في فلاةٍ قيّ، ثم تلا هذه الآية:

«لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ»[3].

... والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى بمن فيه ومن عليه عند السماء كحلقة في فلاةٍ قيّ، وهذا والسماء الدنيا ومن فيها ومن عليها عند التي فوقها كحلقة في فلاةٍ قيّ ... [وعدّ هكذا إلى السماء السابعة] ... وهذه السبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة

(١) القي: القفر من الأرض.

(٢) الطلاق: ١٢.

(٣) طه: ٦.

في فلاةٍ قيّ، والسبع والبحر المكفوف عند الجبال البرد كحلقة في فلاةٍ قيّ، ثم تلا هذه الآية:

«وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ»[1].

وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ، وهي سبعون الف حجاب يذهب نورها الابصار، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب عند الهواء الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب والهواء في الكرسي كحلقة في فلاة قيّ، هم تلا هذه الآية:

«وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»[2].

وهذه السبع، والبحر المكفوف، وجبال البرد، والحجب، والهواء، والكرسي عند العرش كحلقة في فلاة قيّ، ثم تلا هذه الآية:

«اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»[3].

وما تحمله الاملاك الّا بقول: لا اله الّا الله ولا حول ولا قوّة الّا بالله[4].

الأصل التاسع

في معنىٰ اللطيف والخبير

اعلم انّ اللطيف يُطلق علىٰ أربعة معانٍ:

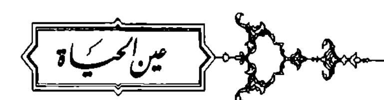
---

(١) النور: ٤٣.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) طه: ٥.

(٤) التوحيد للصدوق: ٢٧٥ ح ١ باب ٣٨ في ذكر عظمة الله جلّ جلاله.



الأولّ: الأشياء الصغيرة جداً بحيث لاتُرى بالعين، وهذا بالنسبة إلى الله كناية عن تجرده تعالى، أي تجرده من خواص الأجسام ولا يكون في مكان وجهة ، ولا يُرى بالعين بل ولايُدرك بالعقل.

الثاني: يطلق اللطيف ويراد منه صانع الأشياء اللطيفة، كما يقال للأشياء التي يصنعها الصانع بدقّة وحجم صغير بحيث يعجز غيره عن مثلها: لطيف، واطلاق هذا المعنى علىٰ الله تعالى ظاهر، فلو تفكر شخص في الأعضاء والجوارح التي خلقها، والحيوانات التي لاتُرى بالعين، والقوى والمشاعر المستودعة فيها لحار عقله.

الثالث: العالم باللطائف والدقائق يقال له لطيف وهذا ظاهر أيضاً.

الرابع: المشتق من اللطف والاحسان، أي ذو لطف وكرم واحسان.

كما وأن الخبير يطلق علىٰ معنيين، الأول: فعيل بعنى الفاعل، أي العالم بجميع الأمور وكنه حقائق وخفايا الأشياء، الثاني: فعيل بمعنى مفعل، أي المخبر الهادي إلى حقائق الأشياء.

رویٰ ابن بابویه عليه الرحمة عن الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام انّه قال للحسين بن خالد: اعلم ـ علّمك الله الخير ـ انّ الله تبارك وتعالى قديم، والقدم صفة دلّت العاقل علىٰ انّه لاشيء قبله، ولاشيء معه في ديموميّته، فقد بان لنا باقرار العامة مع معجزة الصفة انّه لاشيء قبل الله، ولاشيء مع الله في بقائه.

وبطل قول من زعم انّه كان قبله، أو كان معه شيء، وذلك انّه لو كان معه شيء في بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له لأنّه لم يزل معه فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه، ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا، وكان الأول أولى بأن



يكون خالقاً للأول الثاني.

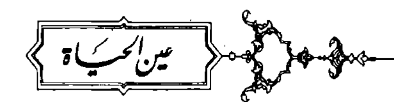
ثُم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبّدهم وابتلاهم إلى أن يدعوه بها، فسمّى نفسه سميعاً بصيراً قادراً قائماً ظاهراً باطناً لطيفاً خبيراً قوياً عزيزاً حكيماً عليماً وما أشبه هذه الأسماء.

فلما رأى ذلك من أسمائه الغالون المكذبون، وقد سمعونا نحدِّث عن الله أنّه لاشيء مثله، ولا شيء من الخلق في حاله، قالوا: أخبرونا إذ زعمتم أنّه لا مثل لله ولا شبه له، كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى، فتسميتم بجميعها؟ ! فإن في ذلك دليلاً علىٰ أنكم مثله في حالاته كلها، أو في بعضها دون بعضٍ، إذ جَمَعَتْكُم الأسماء الطيبة.

قيلَ لهم: إنَّ الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه علىٰ اختلاف المعاني، وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين، والدَّليل علىٰ ذلك قول الناس الجائز عندهم الشائع، وهو الَّذي خاطب الله به الخلق، وكلمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجة في تضييع ما ضيَّعوا.

وقد يقال للرجل: كلبٌ وحمارٌ وثورٌ وسكَّرةٌ وعلقمة وأسدٌ وكلّ ذلك علىٰ خلافه وحالاته لم تقع الأسامي علىٰ معانيها التي كانت بنيت عليها، لأن الانسان ليس بأسد ولا كلبٍ، فافهم ذلك رحمك الله.

وإنما نُسمّي الله بالعالم بغير علم حادثٍ علم به الأشياء، واستعان به علىٰ حفظ ما يستقبل من أمره والرّوية فيما يخلق من خلقه، وبعينه ما مضى مما أفنى من خلقه مما لو لم يحضره ذلك العلم ويُعِنْهُ كان جاهلاً ضعيفاً، كما أنّا رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلمٍ حادث إذ كانوا قبله جهلةً، وربما فارقهم العلم



بالأشياء فصاروا إلى الجهل.

وإنما سمِّي الله عالماً لأنه لايجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العلم، واختلف المعنى علىٰ ما رأيت، وسمي ربُّنا سميعاً لابجزءٍ فيه يسمع به الصوت ولايبصر به، كما أنَّ جزءنا الَّذي نسمع به لانقوى علىٰ النظر به، ولكنه أخبر أنه لايخفى عليه الأصوات، ليس على حد ما سُمينا نحنُ، فقد جمعنا الاسم بالسميع واختلف المعنى.

وهكذا البصر لابجزء به أبصر، كما أنَّا نبصر بجزء منّا لانتفع به في غيره، ولكن الله بصير لايجهل شخصاً منظوراً إليه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وهو قائم ليس علىٰ معنى انتصاب وقيام علىٰ ساق في كبد كما قامت الأشياء، ولكن أخبر أنّه قائم، يخبر أنّه حافظ، كقولك: الرجل القائم بأمرنا فلانٌ، وهو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت، والقائم أيضاً في كلام الناس الباقي، والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية، كقولك للرجل: قم بأمر فلان أي اكفه، والقائم منّا قائم علىٰ ساقٍ، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما اللطيف فليس علىٰ قلة وقضافةٍ وصغر، ولكن ذلك علىٰ النّفاذ في الأشياء، والامتناع من أن يدرك، كقولك: لطف عني هذا الأمر، ولطف فلانٌ في مذهبه، وقوله يخبرك أنّه غَمَضَ فَبَهَرَ العقل، وفات الطلب، وعاد متعمقاً متلطفاً لايدركه الوهم، فهكذا لطف الله، تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحدَّ بوصفٍ، واللطافة منّا الصغر والقلَّة، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأما الخبير فالذي لايعزب عنه شيء، ولا يفوته شيء، وليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء، فيفيده التجربة والاعتبار علماً لولاهما ما علم، لأن من كان

كذلك كان جاهلاً، والله لم يزل خبيراً بما يخلق والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

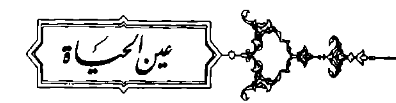
وأمّا الظاهر فليس من أجل أنّه علا الأشياء بركوبٍ فوقها، وقعودٍ عليها، وتسنم لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء، ولقدرته عليها كقول الرجل: ظهرت علىٰ أعدائي وأظهرني الله علىٰ خصمي، يخبر عن الفلج والغلبة، فهكذا ظهور الله علىٰ الأعداء.

ووجه آخر أنّه الظاهر لمن أراده، لايخفى عليه شيء وأنه مدبر لكل ما برأ، فأي ظاهرٍ أظهر وأوضح من الله تعالى، وإنك لاتعدم صنعه حيثما توجهت، وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر منّا البارز بنفسه والمعلوم بحده، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما الباطن فليس علىٰ معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها، ولكن ذلك منه علىٰ استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً، كقول القائل: أبطنته، يعني خبَّرته وعلمت مكتوم سرِّه، والباطن منا بمعنى الغائر في الشيء المستتر به، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأمّا القاهر فإنه ليس علىٰ معنى علاج ونصب واحتيال ومداراة ومكر، كما يقهر العباد بعضهم بعضا، فالمقهور منهم يعود قاهراً، والقاهر يعود مقهوراً، ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى علىٰ أنَّ جميع ما خلق ملتبس به الذُّل لفاعله وقلَّة الامتناع لما أراد به، لم يخرج منه طرفة عين غير أنّه يقول له: كن فيكون، والقاهر منّا علىٰ ما ذكرته ووصفت، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وهكذا جميع الأسماء وإن كنا لم نُسمِّها كلَّها، فقد يكتفي للاعتبار بما ألقينا



إليك، والله عوننا وعونك في إرشادنا وتوفيقنا[١].

وروي عنه عليه السلام أيضاً في معنى اللطف انّه قال: ... ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، وفي الخلق اللطيف من أجسام الحيوان من الجرجس والبعوض وما هو أصغر منهما ممّا لايكاد تستبينه العيون، بل لايكاد يُستبان لصغره الذكر من الانثى، والمولود من القديم.

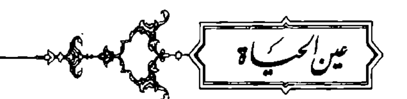
فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد[٢]، والهرب من الموت، والجمع لما يُصلحه بما في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار، والمفاوز والقفار، وإفهام بعضها عن بعضٍ منطقها ومانفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرةٍ، وبياضٍ مع حمرةٍ علمنا انّ خالق هذا الخلق لطيفٌ، وانّ كلّ صانع شيء فمن شيء صَنَعَ، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لامن شيء[٣].

الأصل العاشر
في العلم والقدرة

اعلم انّ علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء، كليّاتها وجزئيّاتها، وهذا ما أجمع عليه المسلمون، وانكار بعض الحكماء علم الله بالجزئيات كفر، بل الله عالم بجميع الأشياء من الأزل، ولايتبدل علمه بالشيء بعد وجوده، ولايزداد بالنسبة إليه، وأصبح هذا الأمر بالآيات والأخبار من المسلّمات التي لاتحتاج إلى توضيح.

---

(١) التوحيد للصدوق: ١٨٦ ح ٢ باب ٢٩ في اسماء الله تعالى ـ عنه البحار ٤: ١٧٦ ح ٥ باب ٢ معاني الاسماء.
(٢) سَفَدَ الذكر على الانثى ... سِفاداً ـ بالكسر ـ: نزا (القاموس).
(٣) التوحيد للصدوق: ٦٣ ضمن حديث ١٨ باب ٢ ـ ومثله الكافي ١: ١١٩ ضمن حديث ١.



وليعلم انّ قدرة الله تعالى تعمّ جميع الممكنات، وهو القادر في كلّ آن علىٰ خلق الآف الأضعاف مما خلق لحدّ الآن، لكن اكتفى علىٰ هذا المقدار من الخلق نظراً للمصلحة، كما يقدر علىٰ أن يخلق لكل شخص ثلاث أيدي أو اكثر لكن المصلحة اقتضت خلق يدين لا اكثر غالباً.

وما ورد في هذا الحديث والآيات والأخبار الموافقة له من أنّ الله تعالى قادر علىٰ كلّ شيء، فهو يدل علىٰ انّ الممتنعات والأمور المستحيلة ليست بشيء، إذن يطلق الشيء علىٰ الواجبات والممكنات فقط، وليس القصور في الممتنعات من قدرة الله بل من نفس المحل حيث لا اهليّة له لتعلق الوجود به.

وكيف يُنسب القصور فيمن خزائنه لاتنتهي، ولو أراد شيئاً قال له كن فيكون، كما روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انّه قال: لما صعد موسى علىٰ نبيّنا واله وعليه السلام إلى الطور فناجى ربّه عزّ وجلّ، قال: يارب أرني خزائنك، قال: يا موسى انّما خزائني إذا أردت شيئاً أن اقول له: كن، فيكون[1].

ولما كانت هذه الأصول العشرة من ضروريات الدين ويجب الاعتقاد بها ووقع الخلاف فيها من قبل أهل الباطل كثيراً، شرحناها اجمالاً طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام كي لاتَخرج بشبهات أرباب الشكوك والضلال من الدين، والسلام علىٰ من اتبع الهدى.

---

(١) البحار ٤: ١٣٥ ح ١ باب ٤ ـ عن التوحيد للصدوق: ١٣٣ ح ١٧ باب ٩.

[قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

«ثم الايمان بي، والاقرار انّ الله تعالى أرسلني إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه، وسراجاً منيراً».

اعلم انّ الاقرار بنبوّة نبي آخر الزمان صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم من جملة أصول الدين، ولايمكن هنا شرح هذا الأمر تماماً ولكن نبيّن مجملاً منه في طيّ فوائد.

الفائدة الأُولى

في بيان ضرورة وجود النبي واحتياج الخلائق إليه

اعلم انّ غاية الله تعالى من خلق هذا العالم وغرضه لم يكن لتحصيل منفعة، لكونه تعالى غنيّاً بالذات ولايحتاج إلى الغير في أيّ كمال، بل انّ الغاية والغرض فوز الخلائق إلى الكمالات التي تكون في شأنهم، والنشأة الانسانية ـ كما مضى ـ لها اهليّة واستعداد للوصول إلى الكمال اكثر من سائر المخلوقات.

ويبتدأ الكمال من رتبة خاتم الأنبياء صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم الذي هو أشرف الكائنات ، وينتهي إلى رتبة أبي جهل و ... الذين هم أخس الموجودات، ومن الواضح انّ كمال الانسان يوجد بتحصيل الكمالات ورفع النقائص، وهذا لايتم الّا بوجود معلم ربانّي مؤيّد من قبل الله تعالى، يعلم القبيح والحسن من الأشياء بوحي الله تعالى، ويرشد الناس إلى الخيرات بالوعد والوعيد، لأنّ نفوس البشر



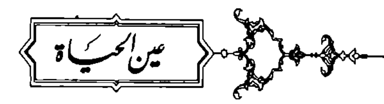
باعتبار دواعي الشهوات واللذات ترغب إلى القبائح وتراها حسنة، وهذا ـ أي رؤية القبيح والشهوات من الأمور الحسنة ـ مذهب اكثر الناس.

وليعلم أيضاً انّ هذه الأمور لا تتم من دون الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب، ومن الواضح انّ عقل الانسان ـ بدون وحي الله ـ لايحيط بخصوصيات ثواب كلّ عمل وعقاب كلّ جرم، فلا يمكن ارشاد الخلق وايصالهم نحو الكمال الّا بوجود شخص مبعوث من قبل الله تعالى، يعلم حسن الأشياء وقبحها.

ولابد لهذا الشخص من جهتين، الجهة البشرية كي يجالس الناس ويؤانسهم ويصاحبهم، ويتكلّم معهم ويألفهم ويختلط معهم كي يؤثّر كلامه في نفوسهم، والجهة الثانية، الجهة الروحانية والقدسية والكمال كي يستعد بها للفيوضات اللامتناهية، والقرب من ساحة الله المقدسة، فبالجهة الثانية يأخذ العلوم والحكم والمعارف، وبالجهة الأولى يوصلها إلى الخلق.

روي انّ زنديقاً أتى أبا عبد الله عليه السلام يسأله عن مسائل ثم أسلم بعد ما أجابه عليه السلام، وممّا سأله انّه قال: فمن أين أثبتّ أنبياءً ورسلاً؟ قال ابو عبد الله عليه السلام: انّا لما أثبتنا انّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسهم ولا يلامسوه، ولا يباشرهم ولا يباشروه، ولا يحاجّهم ولا يُحاجّوه، فثبت انّ له سفراء في خلقه وعباده، يدلّونهم علىٰ مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم.

فَثَبَتَ الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثَبَتَ عند ذلك انّ له معبّرين وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس في أحوالهم علىٰ مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيّدين



من عند الله الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد، من إحياء الموتى، وابراء الأكمه والأبرص، فلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علمٌ يدلّ علىٰ صدق مقال الرسول ووجوب عدالته[1].

واعلم انّ الامام عليه السلام أشار في هذا الحديث إلى دليل آخر، وهو انّ الانسان مدنيّ بالطبع محتاج إلى الغير في أمر معاشه ومعاده ولابد من معاشرة بعضهم بعضاً، وهذه المعاشرة تستلزم عادة حدوث المشاجرات والمنازعات مما يستلزم وجود حاكم عليهم لرفع النزاع والظلم ولولاه لقتل بعضهم البعض حتى يفنوا عن آخرهم.

ولو لم يكن هذا الحاكم مؤيداً من قبل الله تعالى لم يأمن الاجحاف والظلم في حكمه، مضافاً إلى انّ الحكم موقوف علىٰ العلم بالخصوصيات والجزئيات، ومن الواضح عدم إحاطة العقل البشري لجميع الخصوصيات، إذن لابد أن يكون الحاكم مؤيداً بالوحي.

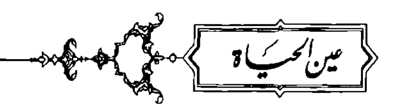
الفائدة الثانية

في المعجزة

اعلم انّ المعجزة هي الدليل علىٰ العلم بنبوة نبيّ للناس كافة، والمعجزة أمر خارق للعادة تظهر من مدّعي النبوة، ويعجز الغير عن الاتيان بمثلها، كصيرورة العصى ثعباناً، واحياء الموتى، وشق القمر.

---

(١) التوحيد للصدوق: ٢٤٩ ضمن حديث ١ باب ٣٦ في الرد على الثنوية والزنادقة، عنه البحار ١١: ٢٩ ح ٢٠ باب ١، وفي الكافي ١: ١٦٨ ح ١.



ووجه دلالتها علىٰ النبوة ظاهر، فانّ كلّ شخص متى ما ادعى النبوة والرسالة من قبل الله، وقال: انّ الدليل علىٰ صدق دعواي ظهور أمرٍ غريبٍ علىٰ يدي بإذن الله، ثم يحدث في الواقع ما ادعاه، وكان ذلك العمل خارجاً عن طاقة البشر، يحصل العلم انّ هذا الشخص نبيّ حقيقةً.

كما لو قال شخص لجمع: اني مأمور من قبل الملك أن آمركم بالعمل الفلاني، والشاهد علىٰ صدق دعواي قيام الملك من مكانه ثلاث مرات مثلاً أو فتحه الشباك ثم اغلاقه ثلاث مرات، والملك حاضر يسمع، فاذا فعل الملك هذه الأمور يحصل القطع واليقين للحضور بصدق دعوى هذا الشخص، سواء أكان الملك في حجاب أم لا.

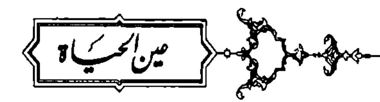
فكذلك لو أظهر الله تعالى المعجزة علىٰ المدعي الكاذب كان مصدقاً له، وتصديق الكاذب قبيح ولايليق بالله تعالى، فكيف يجوّز العقل ظهور هذا التصديق الذي يوجب ضلال الخلق من الله اللطيف الرحيم.

وكما انّ رؤية المعجزة توجب العلم بالنبوة، فكذلك سماعها من طرق الأخبار المتواترة توجب العلم أيضاً، كما حصل لنا علم بوجود مدينة مكة بسبب الأخبار المتواترة، فلا يزداد علمنا لو رأيناها بعد ذلك.

الفائدة الثالثة

في تقرير الدليل علىٰ نبوّة نبيّ آخر الزمان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم

اعلم انّ معاجزه الظاهرة، وآياته الباهرة اكثر من أن تعد وتحصى، ومن



معاجزه القرآن المجيد، لأنّه عُلم بالتواتر انّ القرآن جاء معجزة طبقاً لدعوى النبوّة، وكلّف جميع الفصحاء والبلغاء من قبائل العرب ـ وهم أكثر من الحصى ـ أن يأتوا بسورة صغيرة من مثله تضاهيها بالفصاحة والبلاغة، فلم يتمكنوا من ذلك مع كثرة جماعتهم وشدّة عداوتهم، وعصبيتهم وكفرهم، وأقروا بعجزهم، ووطنوا أنفسهم على الحرب والقتل مع كون الفصاحة والبلاغة حرفتهم، والخطب والأشعار صنعتهم.

وقد روى ابن بابويه عليه الرحمة انّ ابن السكيت (من علماء العامة) قال لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لماذا بعث الله عزَّ وجلَّ موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر، وبعث عيسى بالطب، وبعث محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بالكلام والخطب؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: انّ الله تبارك وتعالى لما بعث موسى عليه السلام كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله عزَّ وجلَّ بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم.

وانّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات، واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله عزَّ وجلَّ بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرأ لهم الأكمه والأبرص باذن الله عزَّ وجلَّ، وأثبت به الحجة عليهم.

وانّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام، وأظنه قال: والشعر، فأتاهم من كتاب الله عزَّ وجلَّ ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم.



فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك اليوم قط، فما الحجة علىٰ الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: العقل، يعرف به الصادق علىٰ الله فيصدقه، والكاذب علىٰ الله فيكذبه، فقال ابن السكيت: هذا هو والله الجواب[1].

ويوجد كثير من المعاجز وخوارق العادات سوىٰ القرآن وقد وردت في كتب الخاصة والعامة وأكثرها متواترة، وعلىٰ تقدير عدم تواتر بعضها فتواتر البعض الآخر متفق عليه ومما لاشك فيه، كشق القمر، وحركة الشجرة من مكانها ومجيئها إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ورجوعها إلى مكانها بأمره، ونبوع الماء من بين أصابعه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بحيث سقى جميع العسكر مع دوابّهم، وتسبيح الحصا في يده، وتكلّم الشاة المسمومة معه.

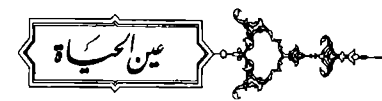
واشباع جمع كثير من الطعام القليل، ومتابعة الجن ايّاه، ورجوع الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام، وشهادة التمساح بنبوّته، وشكاية الناقة علىٰ صاحبها، والإخبار عن احوال الأنبياء وغيرهم طبقاً للواقع من دون خلل واختلاف، مع كونه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أُميّاً لم يقرأ شيئاً ولَم يتعلّم عند أحد.

ولم يُغلَب في الحجة من قبل أحد، ولم يعجز عن الاجابة علىٰ أي سؤال، والتنبؤ بوقوع امور في المستقبل ووقوعها كذلك، كفتح مكة، وفتح خيبر، وغلبة الروم، وفتح خزائن فارس والروم بيد المسلمين، وقتال أمير المؤمنين عليه السلام مع جيش عائشة وطلحة والزبير، ومعاوية، وخوارج النهروان.

ومظلوميّة أهل البيت، واستشهاد فاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، وافتراق الأُمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وتسلّط الإسلام علىٰ البلاد، وغلبة

---

(١) علل الشرائع: ١٢١ ح ٦ باب ٩٩ ـ عنه البحار ١١: ٧٠ ح ١ باب ٣.



دينه على أديان الأنبياء الماضين، وظهور الصوفية في هذه الأُمة ـ كما سيجيء في حديث أبي ذر.

وامثال هذه المعاجز وهي اكثر من أن تُحصى، مضافاً إلى ملاحظة أوصافه وأطواره صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم من نسبٍ وحسبٍ وعلمٍ وحلمٍ وهمّةٍ ومروّةٍ وأمانةٍ وديانةٍ وعدالةٍ وشجاعةٍ وفتوّةٍ وزهدٍ وورعٍ وقناعةٍ وعبادةٍ وتركِ العلائق، وصفاءِ الطينة، ومجاهدةِ النفس، وحسنِ السلوك، وكيفيةِ المعاشرة مع الخلق، وصدقِ الحديث، وحسنِ الأعمال، واستقرار حبّه في القلوب، وسائر الصفات الحميدة، والخصال الحسنة، فيجزم كلّ عاقل مع ملاحظتها بحقيقة نبّوته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.

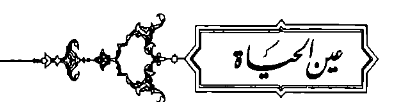
وكذلك لو تأمل شخص في أحكام الدين، وضوابط الشريعة المقدسة التي جاء بها، لعلم انّ هذا النسق من القانون لايأتي الّا من قبل الله تعالى، والأخبار ببعثته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في كتب الأنبياء الباقية لحد الآن كثيرة، وذكر ذلك يوجب التطويل، ونكتفي في بيان معاجزه في هذا الباب بذكر حديث.

روى الحميري في قرب الاسناد بسند عالٍ عن معمر، عن الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام، قال:

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم ـ وأنا طفل خماسي[1] ـ إذ دخل عليه نفر من اليهود، فقالوا: أنت ابن محمد نبيّ هذه الأُمة، والحجة على أهل الأرض؟ قال لهم: نعم.

قالوا: إنا نجد في التوراة أن الله تبارك وتعالى آتى إبراهيم عليه السلام وولده الكتاب والحكم والنبوة، وجعل لهم الملك والإمامة، وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لا

(١) أي عمره خمس سنين أو طوله خمسة أشبار.



تتعداهم النبوة والخلافة والوصية، فما بالكم قد تعداكم ذلك، وثبت في غيركم ونلقاكم مستضعفين مقهورين لاترقب فيكم ذمة نبيكم؟!

فدمعت عينا أبي عبد الله عليه السلام، ثم قال: نعم لم تزل أمناء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق، والظلمة غالبة، وقليل من عباد الله الشكور.

قالوا: فإن الأنبياء وأولادهم علموا من غير تعليم، وأوتوا العلم تلقيناً، وكذلك ينبغي لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم، فهل أُوتيتم ذلك؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أُدن يا موسى. فدنوت، فمسح يده علىٰ صدري، ثم قال: اللهم أيده بنصرك، بحق محمد وآله. ثم قال: سلوه عما بدا لكم.

قالوا: وكيف نسأل طفلاً لا يفقه؟

قلت: سلوني تفقهاً ودعوا العنت.

قالوا: أخبرنا عن الآيات التسع التي أُوتيها موسى بن عمران.

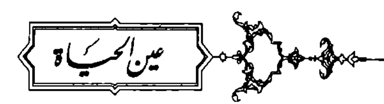
قلت: العصا، وإخراجه يده من جيبه بيضاء، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ورفع الطور، والمن والسلوى آية واحدة، وفلق البحر.

قالوا: صدقت، فما أُعطي نبيكم من الآيات اللاتي نفت الشك عن قلوب من أرسل إليه.

قلت: آيات كثيرة، أعدها إن شاء الله، فاسمعوا وعوا وافقهوا.

أمّا أول ذلك: انتم تقرّون أن الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه، فمنعت في أوان رسالته بالرجوم وانقضاض النجوم، وبطلان الكهنة والسحرة.

ومن ذلك: كلام الذئب يخبر بنبوته، واجتماع العدو والولي علىٰ صدق لهجته وصدق امانته، وعدم جهله أيام طفوليته، وحين أيفع وفتىً وكهلاً، لا يعرف



له شكل، ولا يوازيه مثل.

ومن ذلك: ان سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة وفد عليه وفد قريش، فيهم عبد المطلب، فسألهم عنه ووصف لهم صفته، فأقروا جميعاً بأن هذا[1] الصفة في محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم. فقال: هذا أوان مبعثه، ومستقره أرض يثرب وموته بها.

ومن ذلك: ان أبرهة بن يكسوم قاد الفيلة إلى بيت الله الحرام ليهدمه ، قبل مبعثه، فقال عبد المطلب: إن لهذا البيت رباً يمنعه، ثم جمع أهل مكة فدعا، وهذا بعدما أخبره سيف بن ذي يزن، فأرسل الله تبارك وتعالى عليهم طيراً أبابيل ودفعهم عن مكة وأهلها.

ومن ذلك: أن أبا جهل، عمرو بن هشام المخزومي، أتاه ـ وهو نائم خلف جدار ـ ومعه حجر يريد أن يرميه به، فالتصق بكفه.

ومن ذلك: ان أعرابياً باع ذَوداً[2] له من أبي جهل فمطله بحقه، فأتى قريشاً وقال: أعدوني علىٰ أبي الحكم فقد لوى حقي، فأشاروا إلى محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وهو يصلي في الكعبة، فقالوا: ائت هذا الرجل فاستعده عليه، وهم يهزؤون بالأعرابي.

فأتاه فقال له: يا عبد الله اعدني علىٰ عمرو بن هشام فقد منعني حقي .

قال: نعم، فانطلق معه فدق علىٰ أبي جهل بابه، فخرج إليه متغيراً، فقال له: ما حاجتك؟ قال: اعط الأعرابي حقه، قال: نعم.

(١) في البحار : « هذه الصفة » ولعلّها أصح .

(٢) الذود من الإبل : ما بين الثلاث الى العشر .



وجاء الأعرابي إلى قريش فقال: جزاكم الله خيراً، انطلق معي الرجل الذي دللتموني عليه، فأخذ حقي.

فجاء أبو جهل، فقالوا: اعطيت الأعرابي حقه؟ قال: نعم. قالوا: إنما أردنا أن نغريك بمحمد، ونهزأ بالأعرابي. قال: يا هؤلاء دق بابي فخرجت إليه، فقال: اعط الأعرابي حقه، وفوقه مثل الفحل فاتحاً فاه كأنه يريدني، فقال: أعطه حقه فلو قلت: لا، لابتلع رأسي، فأعطيته.

ومن ذلك: أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث، وعلقمة بن أبي معيط بيثرب إلى اليهود، وقالوا لهما: إذا قدمتما عليهم فسائلوهم عنه، وهما قد سألوهم عنه، فقالوا: صفوا لنا صفته، فوصفوه. وقالوا: من تبعه منكم؟ قالوا: سفلتنا. فصاح حبر منهم فقال: هذا النبي الذي نجد نعته في التوراة، ونجد قومه أشد الناس عداوة له.

ومن ذلك: أنّ قريشاً أرسلت سراقة بن جعشم حتى خرج إلى المدينة في طلبه، فلحق به فقال صاحبه: هذا سراقة يا نبي الله، فقال: اللهم اكفنيه، فساخت قوائم ظهره[1]، فناداه: يا محمد خل عني بموثق أعطيكه أن لا أناصح غيرك، وكل من عاداك لا أصالح. فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: اللهم إن كان صادق المقال فاطلق فرسه. فانطلق فوفى وما انثنى بعد ذلك.

ومن ذلك: ان عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أتيا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال عامر لأربد: إذا أتيناه فأنا أشاغله عنك فاعله بالسيف، فلما دخلا عليه قال عامر: يا محمد حال[2]. قال: لا، حتى تقول أشهد أن لا اله الّا الله وأني رسول الله.

---

(١) الظهر: الحيوان الذي يُركب.

(٢) قال المجلسي في البحار ١٧ : ٢٣٦ : كذا في أكثر النسخ بالحاء المهملة ولعلّه أمر من حالي يحالي، يقال: ⇦

وهو ينظر إلى أربد وأربد لا يحير شيئاً.

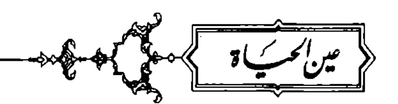
فلما طال ذلك نهض وخرج وقال لأربد: ما كان أحد علىٰ وجه الأرض أخوف علىٰ نفسي فتكاً منك، ولعمري لا أخافك بعد اليوم، فقال له أربد: لا تعجل، فإني ما هممت بما أمرتني به إلّا ودخلت الرجال بيني وبينك، حتى ما أبصر غيرك، فأضربك؟!

ومن ذلك: أن أربد بن قيس والنضر بن الحارث اجتمعا علىٰ أن يسألاه عن الغيوب فدخلا عليه، فأقبل النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم علىٰ أربد فقال: يا أربد، أتذكر ما جئت له يوم كذا ومعك عامر بن الطفيل؟ فأخبره بما كان فيهما، فقال أربد: والله ماحضرني وعامرا أحد، وما أخبرك بهذا إلا ملك من السماء، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له وأنك رسول الله.

ومن ذلك: أن نفراً من اليهود أتوه، فقالوا لأبي الحسن جدي: استأذن لنا علىٰ ابن عمك نسأله، فدخل علي عليه السلام فأعلمه، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: وما يريدون مني؟ فإني عبد من عبيد الله، لا أعلم إلّا ما علمني ربي، ثم قال: ائذن لهم. فدخلوا عليه، فقال: أتسالوني عما جئتم له أم اُنبئكم؟ قالوا: نبئنا، قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين، قالوا نعم، قال: كان غلاماً من أهل الروم ثم ملك، وأتى مطلع الشمس ومغربها، ثم بنى السد فيها. قالوا: نشهد أن هذا كذا.

ومن ذلك: أن وابصة بن معبد الأسدي أتاه فقال: لا أدع من البر والإثم شيئاً إلّا سألته عنه، فلما أتاه قال له بعض اصحابه: إليك يا وابصة عن رسول الله صلّىٰ الله عليه

⇦حاليته أي طايبته، وفي بعضها بالمعجمة ولعلّه بتشديد اللام من المخالة بمعنى المصادقة أي كن صديقي وخليلي.



وآله وسلّم، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: ادنه يا وابصة، فدنوت.

فقال: أتسأل عما جئت له أو أُخبرك؟ قال: أخبرني.

قال: جئت تسأل عن البر والإثم. قال: نعم. فضرب بيده علىٰ صدره، ثم قال: يا وابصة البر ما أطمأن به الصدر، والإثم ما تردد في الصدر وجال في القلب، وإن أفتاك الناس وأفتوك.

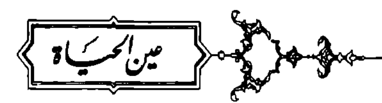
ومن ذلك: أنه أتاه وفد عبد القيس فدخلوا عليه، فلما أدركوا حاجتهم عنده قال: ائتوني بتمر أهلكم مما معكم، فأتاه كل رجل منهم بنوع منه، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: هذا يسمى كذا، وهذا يسمى كذا، فقالوا: أنت أعلم بتمر أرضنا، فوصف لهم أرضهم، فقالوا: أدخلتها؟ قال: لا، ولكن فصح[1] لي فنظرت إليها.

فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله، هذا خالي وبه خبل، فاخذ بردائه ثم قال: اخرج عدو الله ـ ثلاثاً ـ ثم أرسله، فبرأ. وأتوه بشاة هرمة، فأخذ أحد أُذنيها بين أصابعه، فصار ميسماً، ثم قال: خذوها فان هذا السمة في آذانِ ما تـلدُ إلى يـوم القيامة. فهي توالد وتلك في اذانها معروفة غير مجهولة.

ومن ذلك: انه كان في سفر، فمر علىٰ بعير قد أعيىٰ، وقام منزلاً علىٰ أصحابه، فدعا بماء فتمضمض منه في إناء وتوضأ وقال: افتح فاه فصب في فيه. فمر ذلك الماء علىٰ رأسه وحاركه، ثم قال: اللهم احمل خلاداً وعامراً ورفيقيهما ـ وهما صاحبا الجمل ـ فركبوه وإنه ليهتز بهم أمام الخيل.

ومن ذلك: أن ناقة لبعض أصحابه ضلت في سفر كانت فيه فقال صاحبها: لو كان نبياً لعلم أمر الناقة. فبلغ ذلك النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فقال: الغيب لا يعلمه الّا

(١) في البحار: « فُسح لي » ولعلّه أصح.



الله، انطلق يا فلان فإن ناقتك بموضع كذا وكذا، قد تعلق زمامها بشجرة ، فوجدها كما قال.

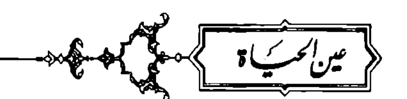
ومن ذلك: أنه مر علىٰ بعير ساقط فتبصبص له، فقال: إنّه ليشكو شر ولاية اهله له، يسأله أن يخرج عنهم، فسأل عن صاحبه فأتاه، فقال: بعه وأخرجه عنك، فأناخ البعير يرغو ثم نهض وتبع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فقال: يسألني أن أتولى أمره. فباعه من علي عليه السلام، فلم يزل عنده إلى أيام صفين.

ومن ذلك: انه كان في مسجده إذ أقبل جمل نادّ حتى وضع رأسه في حجره، ثم خرخر، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: يزعم هذا أن صاحبه يريد أن ينحره في وليمة علىٰ ابنه فجاء يستغيث. فقال رجل: يارسول الله، هذا لفلان وقد أراد به ذلك. فأرسل إليه وسأله أن لاينحره، ففعل.

ومن ذلك: أنه دعا على مضر فقال: اللهم اشدد وطأتك علىٰ مضر، واجعلها عليهم كسنين يوسف. فأصابهم سنون، فأتاه رجل فقال: فوالله ما أتيتك حتى لا يخطر لنا فحل، ولا يتردد منا رائح.

فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: اللهم دعوتك فأجبتني، وسألتك فأعطيتني، اللهم فاسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً سريعاً طبقاً سجالاً عاجلاً غير ذائب نافعاً غير ضار، فما قام حتى ملأكل شيء ودام عليهم جمعة، فأتوه فقالوا: يا رسول الله انقطعت سبلنا وأسواقنا، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: حوالينا ولا علينا. فانجابت السحابة عن المدينة وصار فيما حولها وامطروا شهراً.

ومن ذلك: أنه توجه إلى الشام قبل مبعثه مع نفر من قريش، فلما كان بحيال بحيراء الراهب نزلوا بفناء ديره، وكان عالماً بالكتب، وقد كان قرأ في التوراة مرور



النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم به، وعرف أوان ذلك، فأمر فدعى إلى طعامه، فأقبل يطلب الصفة في القوم فلم يجدها، فقال: هل بقي في رحالكم أحد؟ فقالوا: غلام يتيم.

فقام بحيراء الراهب فاطلع، فإذا هو برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نائم وقد أظلته سحابة، فقال للقوم: ادعوا هذا اليتيم، ففعلوا وبحيراء مشرف عليه، وهو يسير والسحابة قد أظلته، فأخبر القوم بشأنه وأنه سيبعث فيهم رسولاً ويكون من حاله وأمره. فكان القوم بعد ذلك يهابونه ويجلّونه.

فلما قدموا أخبروا قريشاً بذلك، وكان عند خديجة بنت خويلد فرغبت في تزويجه، وهي سيدة نساء قريش، وقد خطبها كل صنديد ورئيس قد أبتهم، فزوجته نفسها للذي بلغها من خبر بحيراء.

ومن ذلك: انه كان بمكة ايام ألَّب عليه قومه وعشائره، فأمر علياً أن يأمر خديجة ان تتخذ له طعاماً ففعلت، ثم أمره أن يدعو له أقرباءه من بني عبد المطلب، فدعا أربعين رجلاً فقال: [هات] لهم طعاماً يا علي، فأتاه بثريدة وطعام يأكله الثلاثة والأربعة فقدمه إليهم، وقال: كلوا وسموا، فسمى ولم يسمِّ القوم، فأكلوا وصدروا شبعى.

فقال أبو جهل: جاد ما سحركم محمد، يطعم من طعام ثلاث رجال أربعين رجلاً هذا والله هو السحر الذي لابعده.

فقال علي عليه السلام: ثم أمرني بعد ايام فاتخذت له مثله، ودعوتهم بأعيانهم فطعموا وصدروا.

ومن ذلك: أن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: دخلت السوق فابتعت لحماً بدرهم وذرة بدرهم، فأتيت به فاطمة عليها السلام حتى إذا فرغت من الخبز والطبخ

قالت: لو دعوت أبي، فأتيته وهو مضطجع وهو يقول: أعوذ بالله من الجوع ضجيعاً.

فقلت له: يارسول الله إن عندنا طعاماً، فقام واتكأ عليَّ ومضينا نحو فاطمة عليها السلام، فلما دخلنا قال: هلم طعامك يا فاطمة، فقدمت إليه البرمة والقرص، فغطى القرص وقال: اللهم بارك لنا في طعامنا.

ثم قال: اغرفي لعائشة فغرفت، ثم قال: اغرفي لام سلمة فغرفت، فما زالت تغرف حتى وجهت إلى نسائه التسع قرصة قرصة ومرقاً. ثم قال: اغرفي لأبيك وبعلك، ثم قال: اغرفي وكلي واهدي لجاراتك، ففعلت وبقي عندهم أياماً يأكلون.

ومن ذلك: أن امرأة عبد الله بن مسلم أتته بشاة مسمومة، ومع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بشر بن البراء بن عازب. فتناول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الذراع وتناول بشر الكراع، فأما النبي عليه السلام فلاكها ولفظها وقال: إنها لتخبرني انها مسمومة. وأما بشر فلاك المضغة وابتلعها فمات، فأرسل إليها فأقرت، وقال: ما حَمَلَك على ما فعلت؟ قالت: قتلت زوجي وأشراف قومي، فقلت: إن كان ملكاً قتلته، وإن كان نبيناً فسيطلعه الله تبارك وتعالى على ذلك.

ومن ذلك: أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت الناس يوم الخندق يحفرون وهم خماص، ورأيت النبي عليه السلام يحفر وبطنه خميص، فأتيت أهلي فأخبرتها فقالت: ما عندنا إلّا هذه الشاة ومحرز من ذرة.

قال: فاخبزي. وذبح الشاة وطبخوا شقها وشووا الباقي، حتى أذا أدرك أتي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله، اتخذت طعاماً فائتني أنت ومن أحببت، فشبك أصابعه في يده ثم نادى: ألا إن جابراً يدعوكم إلى طعامه.



فأتى أهله مذعوراً خجلاً فقال لها: هي الفضيحة قد حفل بهم أجمعين. فقالت: أنت دعوتهم أم هو؟ قال: هو. قالت: فهو أعلم بهم.

فلما رآنا أمر بالأنطاع فبسطت على الشوارع، وأمره ان يجمع التواري -يعني قصاعاً كانت من خشب- والجفان، ثم قال: ما عندكم من الطعام؟ فأعلمته، فقال: غطوا السدانة والبرمة والتنور، واغرفوا وأخرجوا الخبز واللحم وغطوا. فما زالوا يغرفون وينقلون ولا يرونه ينقص شيئاً حتى شبع القوم، وهم ثلاثة آلاف، ثم أكل جابر وأهله وأهدوا وبقي عندهم أياماً.

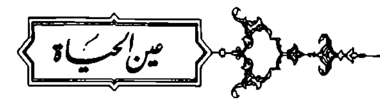
ومن ذلك: أن سعد بن عبادة الأنصاري أتاه عشية وهو صائم فدعاه إلى طعامه، ودعا معه علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما أكلوا قال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلّم: نبي ووصي، ياسعد أكل طعامك الأبرار، وافطر عندك الصائمون، وصلت عليكم الملائكة. فحمله سعد علىٰ حمار قطوف وألقى عليه قطيفة، فرجع الحمار وإنه لهملاج ما يساير.

ومن ذلك أنه أقبل من الحديبية، وفي الطريق ماء يخرج من وشل بقدر ما يروي الراكب والراكبين، فقال: من سبقنا إلى الماء فلا يستقينّ منه.

فلما انتهى إليه دعا بقدح فتمضمض فيه ثم صبه في الماء، ففاض الماء فشربوا وملؤوا أدواتهم ومياضيهم وتوضؤوا. فقال النبي عليه السلام: لئن بقيتم، أو بقي منكم، ليتسعن بهذا الوادي بسقي ما بين يديه من كثرة مائة، فوجدوا ذلك كما قال.

ومن ذلك: إخباره عن الغيوب، وما كان وما يكون، فوجد ذلك موافقاً لما يقول.

ومن ذلك: أنه أخبر صبيحة الليلة التي أُسري به، بما رأى في سفره، فأنكر



ذلك بعض وصدّقه بعض، فأخبرهم بما رأى من المارّة والممتارة وهيآتهم ومنازلهم ومامعهم من الأمتعة، وأنه رأى عيراً أمامها بعير أورق، وانه يطلع يوم كذا من العقبة مع طلوع الشمس. فغدوا يطلبون تكذيبه للوقت الذي وقّته لهم، فلما كانوا هناك طلعت الشمس، فقال بعضهم: كذب الساحر، وأبصر آخرون بالعير قد أقبلت يقدمها الأورق فقالوا: صدق، هذه نعم قد أقبلت.

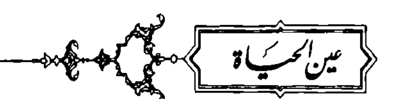
ومن ذلك: أنه أقبل من تبوك فجهدوا عطشاً، وبادر الناس إليه يقولون: الماء الماء، يا رسول الله. فقال لأبي هريرة: هل معك من الماء شيء؟

قال: كقدر قدح في ميضاتي.

قال: هلم ميضاتك فصب ما فيه في قدح ودعا وأوعاه وقال: ناد: من أراد الماء؟ فأقبلوا يقولن: الماء يا رسول الله. فما زال يسكب وأبو هريرة يسقي حتى روى القوم أجمعون، وملؤوا مامعهم، ثم قال لأبي هريرة: اشرب، فقال: بل آخركم شرباً فشرب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وشرب.

ومن ذلك: أن أخت عبد الله بن رواحة الأنصاري مرت به أيام حفرهم الخندق، فقال لها: إلى أين تريدين؟ قالت: إلى عبد الله بهذه التمرات، فقال هاتيهن. فنثرت في كفه، ثم دعا بالأنطاع وفرقها عليها وغطّاها بالأزر، وقام وصلى، ففاض التمر على الأنطاع، ثم نادى: هلموا وكلوا فأكلوا وشبعوا وحملوا معهم، ودفع ما بقي إليها.

ومن ذلك: أنه كان في سفر فأجهدوا جوعاً، فقال: من كان معه زاد فليأتنا به. فأتاه نفر منهم بمقدار صاع، فدعا بالازر والأنطاع، ثم صفف التمر عليها ، ودعا ربه فأكثر الله ذلك التمر حتى كان أزوادهم إلى المدينة.



ومن ذلك: أنه أقبل من بعض أسفاره فأتاه قوم فقالوا: يارسول الله، إن لنا بئراً إذا كان القيظ اجتمعنا عليها، وإذا كان الشتاء تفرقنا علىٰ المياه حولنا، وقد صار من حولنا عدواً لنا، فادع الله في بئرنا.فتفل صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في بئرهم، فـفاضت المياه المغيبة، فكانوا لايقدرون ان ينظروا إلى قعرها ـ بعدُ ـ من كثرة مائها.

فبلغ ذلك مسيلمة الكذاب فحاول ذلك في قليب قليل ماؤه، فتفل الأنكد في القليب فغار ماؤه وصار كالجبُوب.

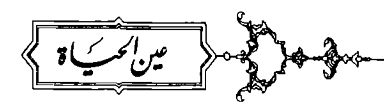
ومن ذلك: أن سراقة بن جعشم حين وجّهه قريش في طلبه، ناوله نبلاً من كنانته، وقال له: ستمر برعاتي فاذا وصلت إليهم فـهذا عـلامتي، أطـعم عـندهم وأشرب، فلما انتهى إليهم أتوه بعنز حائل، فمسح صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ضرعها فصارت حاملاً ودرت حتى ملؤوا الاناء وارتووا ارتواءً.

ومن ذلك: أنه نزل بأم شريك فأتته بعكة فـيها سـمن يسـير، فأكـل هـو وأصحابه، ثم دعا لها بالبركة، فلم تزل العكة تصب سمناً أيام حياتها.

ومن ذلك: أن أم جميل امرأة أبي لهب أتته حين نزلت سورة (تبت) ومع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أبو بكر بن أبي قحافة، فقال: يا رسول الله، هذه أم جـميل محفظة ـ أي مغضبة ـ تريدك ومعها حجر تريد أن ترميك به. فقال: إنها لا تراني.

فقالت لأبي بكر: أين صاحبك؟ قال: حيث شاء الله. قالت: لقد جئته، ولو أراه لرميته، فإنه هجاني، واللات والعزى إني لشاعرة. فقال أبو بكر: يا رسول الله، لم ترك؟ قال: لا، ضرب الله بيني وبينها حجاباً.

ومن ذلك: كتابه المهيمن الباهر لعقول الناظرين، مع ما أُعطي من الخلال التي إن ذكرناها لطالت.



فقالت اليهود: وكيف لنا أن نعلم أنّ هذا كما وصفت؟

فقال لهم موسى عليه السلام: وكيف لنا أن نعلم أنّ ما تذكرون من آيات موسى علىٰ ما تصفون؟

قالوا: علمنا ذلك بنقل البررة الصادقين.

قال لهم: فاعلموا صدق ما أنبأتكم به، بخبر طفل لقّنه الله من غير تلقين، ولامعرفة عن الناقلين.

فقالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، وأنكم الأئمة القادة والحجج من عند الله علىٰ خلقه.

فوثب أبو عبد الله عليه السلام فقبل بين عيني، ثم قال: أنت القائم من بعدي، فلهذا قالت الواقفة، إنه حي وإنه القائم، ثم كساهم أبو عبد الله عليه السلام ووهب لهم وانصرفوا مسلمين(١).

اعلم لو انّ ذا بصيرة نظر إلى أحواله وأطواره وأحوال أهل بيته عليه السلام لأذعن بعدم انتهاء آياتهم، وكلّ حديث من أحاديثهم معجزة كاملة لحقّانيتهم، ويصل آثار فيضهم إلى الشيعة دائماً وهم يأخذون سؤلهم وحوائجهم بالتوسل بهم عليهم السلام، وتفتح أبواب الفيض ببركتهم علىٰ الخلق.

نعم لو ازداد النور لعمى الذي في عينه خلل ... وقد اعترف الصديق والعدو بفضلهم وعظم شأنهم، وكل واحد منهم دليل علىٰ حقانية نفسه وامامة سائر الأئمة، بل دليل علىٰ وجود واجب الوجود وكمال قدرته وجميع كمالاته تعالى، فصلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين.

---

(١) قرب الاسناد: ٣١٧ ح ١٢٢٨ ـ عنه البحار ١٧: ٢٢٥ ح ١ باب ٢.

الفائدة الرابعة

ليعلم انّ نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم مبعوث بنص القرآن إلى الخلائق كافة من الانس والجن، وهو خاتم الأنبياء لانبي بعده، وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم وجميع الأنبياء عليهم السلام معصومون من الذنوب صغيرة كانت أو كبيرة من أوّل العمر إلى آخره.

ولابد من الاعتقاد ـ طبقاً للأحاديث المتواترة ـ انّ أباه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى آدم من العظماء والأنبياء والأوصياء ومنزهون من الشرك والكفر، وكانوا أفضل أهل عصرهم، وأُمّه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى حواء كلّهن مطهرات من الرجس والسوء.

وما نُسب إليه في تواريخ أهل السنة وتفاسيرهم من الأمور التي تستلزم نسبة الذنوب إليه، أو إلى أحد الأنبياء، أو الأمور المتضمّنة لنسبة الكفر والشرك إلى أبيه وأمّه أو أحد أجداده، فكلّها كذب وافتراء وتهمة وبهتان وأرادوا بهذه النسب رفع شناعة وقباحة وكفر وفسوق كبارهم وساداتهم.

وكان بعض المنافقين من اليهود بين المسلمين يبثون ماوجدوه في كتبهم من الأكاذيب، وتنتهي أكثر كتب أهل السنة التاريخية إليهم، فلذا خصصت مجلداً من بحار الأنوار في ذكر تواريخ الأنبياء طبقاً لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، وفي ذهني أن أُترجمه إلى اللغة الفارسية إن وفى العمر وان شاء الله[1] لكي تتنزه ساحة الأنبياء عما نسبوه إليهم من الاخطاء.

وسيأتي توضيح بعض هذه المطالب المذكورة مع سائر أوصافه صلّى الله عليه وآله

(١) ولقد وصل الشيخ رحمه الله إلى امنيته حيث الّف هذا الكتاب وسّماه بحياة القلوب ووضعه في ثلاث مجلدات، المجلد الأول في تاريخ الأنبياء، والمجلد الثاني في تاريخ نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمجلد الثالث في الامامة.

وسلّم في الفصول القادمة ضمن ذكر أوصاف الامام.

الفائدة الخامسة

في بيان بعض شمائله وأوصافه صلّى الله عليه وآله وسلّم

روىٰ ابن بابويه رحمه الله بسند معتبر عن امام الانس والجن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه الكرام عليهم السلام عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان وصّافاً للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال:

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فخماً مفخّماً، يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذّب[١]، عظيم الهامة[٢]، رجل الشعر[٣]، إن انفرقت عقيقته[٤] فرق، وإلّا فلا يجاوز شعره شحمة أُذنيه، إذاً هو وفرةُ.

أزهر اللّون، واسع الجبين، أزجُّ الحواجب[٥]، سوابغ في غير قرن، بينهما له عرقٌ يدرّه الغضب، أقنى العرنين[٦]، له نورٌ يعلوه، يحسبه من لم يتأمّله أشمّ، كثّ اللّحية، سهل الخدّين، ضليع الفم أشنب[٧]، مفلّج الأسنان، دقيق المسربة[٨]، كأنّ

---

(١) المشذّب: الطويل الذي ليس بكثير اللحم.

(٢) الهامة: الرأس.

(٣) رجل الشعر: معناه في شعره تكسّر وتعقّف.

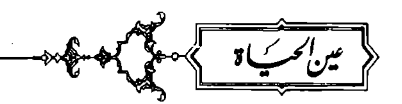
(٤) العقيقة: الشعر المجتمع في الرأس.

(٥) ازج الحواجب: طويل امتداد الحاجبين بوفور الشعر فيهما وجبينه إلى الصدغين.

(٦) أقنى العرنين: القنا أن يكون في عظم الانف احديداب في وسطه، والعرنين: الأنف.

(٧) الأشنب صفة الفم أي انّه الذي لريقه عذوبة وبرد، وقيل هو تحدّر ورقة وحدّة في أطراف الأسنان.

(٨) المسربة: الشعر المستدق الممتّد من اللبة إلى السرة.



عنقه جيد دمية في صفاء الفضّة، معتدل الخلق، بادناً متماسكاً[١].

سواء البطن والصدر[٢]، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس[٣]، أنور المتجرّد، موصول ما بين اللّبة والسرة بشعر يجري كالخطّ، عاري الثديين والبطن ممّا سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفّين والقدمين، سائل الأطراف، سبط القصب[٤]، خمصان الأخمصين[٥] مسيح القدمين[٦]، ينبو عنهما الماء.

إذا زال زال قلعاً، يخطو تكفّؤاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية[٧]، إذا مشى كأنّما ينحطّ في صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلُّ نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام.

قال: قلت: فصف لي منطقه، فقال: كان صلّى الله عليه وآله وسلّم مواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحةٌ، ولا يتكلّم في غير حاجة، يفتتح الكلام، ويختمه بأشداقه، يتكلّم بجوامع الكلم فصلاً، لافضول فيه ولاتقصير. دمثاً[٨] ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقّت، لايذمُّ منها شيئاً غير أنه كان لايذم ذواقاً ولايمدحه، ولاتغضبه الدنيا وما كان لها.

---

(١) بادن متماسك: تامّ خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولابكثيره.

(٢) سواء البطن والصدر: معناه انّ بطنه ضامر، وصدره عريض فمن هذه الجهة تساوي بطنه صدره.

(٣) الكراديس: رؤوس العظام.

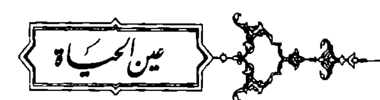
(٤) سبط القصب: ممتد القصب غير متعقّده، والقصب: العظام الجوف التي فيها مخّ نحو الساقين والذراعين.

(٥) أي انّ أخمص رجله شديد الارتفاع من الأرض، والأخمص: مايرتفع عن الأرض من وسط باطن الرجل وأسفلها، وإذاكان أسفل الرجل مستوياً ليس فيها أخمص فصاحبه أرحّ.

(٦) مسيح القدمين: ليس بكثير اللحم فيهما وعلىٰ ظاهرهما، فلذلك ينبو الماء عنهما.

(٧) ذريع المشية: واسع المشية من غير أن يظهر فيه استعجال وبدار.

(٨) الدمث: اللّيّن الخلق.



فإذاً تعوطي الحقّ لم يعرفه أحدٌ، ولم يقم لغضبه شيءٌ حتّى ينتصر له، إذا أشار أشار بكفّه كلّها، وإذا تعجّب قلّبها، وإذا تحدّث اتّصل بها، يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جلُّ ضحكه التبسّم، يفترّ عن مثل حبّ الغمام[1].

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً، ثمّ حدّثته فوجدته قد سبقني إليه، وسأله عمّا سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ومخرجه، ومجلسه وشكله، فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسين عليه السلام: سألت أبي عليه السلام عن مدخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فإذا آوى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثمّ جزءه بينه وبين الناس فيردّ ذلك بالخاصّة على العامّة، ولايدّخر عنهم منه شيئاً.

وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأُمّة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالّذي ينبغي.

ويقول: «ليبلّغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لايقدر على إبلاغ حاجته، فإنّه من أبلغ سلطاناً حاجة من لايقدر على إبلاغها ثبّت الله قدميه يوم القيامة» لايذكر عنده إلّا ذلك، ولايقيد من أحد عثرة، يدخلون رواداً، ولايفترقون إلّا عن ذواق، ويخرجون أدلّة.

---

(١) أي يكشف شفتيه عن ثغر أبيض يشبه حبّ الغمام.



فسألته عن مخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يخزن لسانه إلّا عمّا يعنيه، ويؤلّفهم ولاينفرهم، ويكرم كريم كلّ قوم، ويوليّه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولاخلقه، ويتفقّد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في النّاس، ويحسّن الحسن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويوهنه.

معتدل الأمر، غير مختلف، لايغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، ولايقصر عن الحقّ ولايجوزه، الّذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحةً للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلةً أحسنهم مواساةً وموازرة.

قال: وسألته عن مجلسه، فقال: كان صلّى الله عليه وآله وسلّم لايجلس ولايقوم إلّا علىٰ ذكر، ولايوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه، ولايحسب أحد من جلسائه أنّ أحداً أكرم عليه منه.

من جالسه صابره حتّى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلّا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه، وصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحقّ سواء.

مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، لاترفع فيه الأصوات، ولاتؤبن فيه الحرم، ولا تنثى[1] فلتاته، متعادلين متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين يوقّرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

فقلت: فكيف كانت سيرته في جلسائه؟ فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق،

---

(١) هكذا في البحار.

ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عمّا لايشتهي، فلا يؤيس منه ولا يخيّب فيه مؤمّليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومالا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لايذمّ أحداً، ولايعيره، ولايطلب عورته ولا عثراته، ولايتكلم إلّا فيم رجا ثوابه.

إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما علىٰ رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلّموا ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلّم انصتوا له حتّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أُوليهم، يضحك ممّا يضحكون منه.

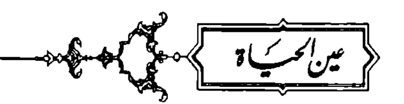
ويتعجّب ممّا يتعجّبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه حتّى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلّا من مكافيء، ولا يقطع علىٰ أحد كلامه حتّى يجوز فيقطعه بنهي أوقيام.

قال: فسألته عن سكوت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، فقال: كان سكوته علىٰ أربع: علىٰ الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير، فأمّا التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأمّا تفكّره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لايغضبه شيء ولا يستفزّه.

وجمع له الحذر في أربع: أخذه الحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح اُمتّه، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة[1].

رویٰ الكليني بسند معتبر عن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: كان في رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ثلاثة لم تكن في أحد غيره، لم يكن له فيئ، وكان لايمرّ

(١) راجع البحار ١٦: ١٤٨ ح ٤ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام، باب ٨ في ذكر اوصافه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.



في طريق فيمرّ فيه بعد يومين أو ثلاثة الّا عرف انّه قد مرّ فيه لطيب عرفه[١]، وكان لا يمرّ بحجر ولا شجر الّا سجد له[٢].

وروىٰ بسند آخر عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال: كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم إذا رُئي في الليلة الظلماء رُئي له نور كأنّه شقّة قمر[٣].

وفي روايات اخر انّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لو مشىٰ في الليالي المظلمة في الأزقة سطع نوره علىٰ الجدران كالقمر، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: انّه لو جلس في مجلس سطع نور عن يمينه ونور عن شماله يراه الناس.

وقد فقدت احدى نسائه إبرة ذات ليلة فوجدتها بنور النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لما دخل الحجرة، وكان يؤخذ عرقه ويُجعل في الطيب فلا تطيقه ايّ شامّة، كان يمجّ في الكوز والبئر فيجدون له رائحة أطيب من المسك، ولايطير الطير فوق رأسه، ينظر من خلفه كما ينظر من قدّامه.

كان يسمع في منامه كما يسمع في انتباهه، ولو فتح ختم النبوة لغلب نوره نور الشمس، لم يُر له غائط بل كانت الأرض تبتلعه، كلّ دابة ركبها بقيت علىٰ سنّها لم تهرم قط حتى تموت، وكان لايمرّ علىٰ شجرة الّا سلّمت عليه، ولم يجلس عليه ذباب، وكان رعبه في القلوب مسيرة شهر.

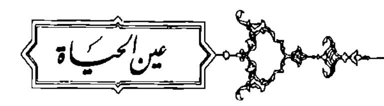
وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: ما أكل [رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم] خبز برّ قطّ، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط، توفّي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم، ما ترك صفراء ولا بيضاء مع ما وطيء له

---

(١) العرف: الريح.

(٢) الكافي ١: ٤٤٢ ح ١١ باب مولد النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عنه البحار ١٦: ٣٦٨ ح ٧٩ باب ١١.

(٣) الكافي ١: ٤٤٦ ح ٢٠ باب مولد النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.



من البلاء، ومكّن له من غنائم العباد.

ولقد كان يقسّم في اليوم الواحد ثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف ويأتيه السائل بالعشيّ فيقول: والذي بعث محمداً بالحق ما أمسي في آل محمد صاع من شعير ولا صاع من برّ، ولا درهم ولا دينار[1]

كان يركب الحمار من دون سرج، ويخصف النعل، ويسلّم على الأطفال، ويأكل مع العبيد على الحضيض، ويقول: أجلس جلسة العبيد، وآكل أكلة العبيد، أيّ عبد أحق مني بالتواضع لله وطاعته[2]، لو دعاه عبد أو جارية إلى عمل لأجاب، وكان يعيد المرضى، ويشيّع الجنائز.

وروي بأسانيد معتبرة انّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: أتاني ملك، فقال: يا محمد انّ ربّك يقرئك السلام ويقول: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهباً، قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا رب أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك[3] .

أقول: كان الغرض تزيين هذه الرسالة بذكر قليل من مكارم اخلاق النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والّا فهذه الرسالة بل الكتب الكثيرة لاتُطيق جمع عشر معشار فضائله وأوصافه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

---

(١) البحار ١٧ : ٢٩٧ ضمن حديث ٧ باب ٢ عن الاحتجاج .

(٢) مضمون النص .

(٣) البحار ١٦ : ٢٢٠ ح ١٢ باب ٩ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام .

[قال صلّیٰ الله علیه وآله وسلّم لأبي ذر:]

«ثم حب أهل بيتي الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

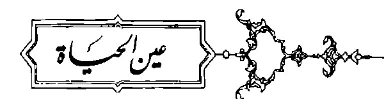
اعلم انّ رسول الله صلّیٰ الله علیه وآله وسلّم أشار في كلامه هذا إلى انّ آية التطهير نزلت في شأن أهل البيت علیهم السلام، وانّها من دلائل عصمتهم وامامتهم، وقد ذكر في كتب الأصحاب تفصيل هذا الأمر، لكن أذكر بعض تلك المطالب علىٰ سبيل الاجمال في طيّ تنويرات.

التنوير الأوّل

لايخلو كلّ زمان عن امام منصوب من قبل الله

اعلم انّ الامامة عبارة عن كون شخص صاحب اختيار وأولى بالتصرف في دين امّة ودنياها باستخلاف رسول الله صلّیٰ الله علیه وآله وسلّم، وقد توضح في ضمن الدلائل علىٰ وجود النبي انّ صلاح الناس وهدايتهم ورفع النزاع والجدال عنهم لايتم الابوجود قيّم ورئيس.

كما روي عن الامام الرضا علیه السلام في علل الفضل بن شاذان، قال: انّ الخلق لما وقفوا علىٰ حد محدود، وأُمروا أن لايتعدوا تلك الحدود لما فيه من فسادهم، لم يكن يثبت ذلك ولايقوم الاّ بأن يجعل عليهم فيها أميناً يأخذهم بالوقت عندما أُبيح لهم، ويمنعهم من التعدي علىٰ ما خطر عليهم، لأنّه لو لم يكن ذلك لكان أحد



لايترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيّم يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها أنّا لا نجد فرقة من الفرق، ولا ملّة من الملل بقوا وعاشوا الّا بـقيم ورئيس لما لابد لهم منه في أمر الدين والدنيا، فلم يجز في حكمه الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم انّه لابد لهم منه ولاقوام لهم الّا به، فيقاتلون به عدوهم، ويقسمون به فيئهم، ويقيمون به جمعتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها انّه لو لم يجعل لهم اماماً قيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة، وذهب الدين، وغـيّرت السـنن والأحكـام، ولزاد فـيه المـبتدعون، ونـقص مـنه الملحدون، وشبهوا ذلك علىٰ المسلمين إذ قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم، وتشتت حالاتهم، فلو لم يجعل فيها قيماً حافظاً لما جاء به الرسول الأول لفسدوا علىٰ نحو ما بيناه، وغيرت الشرايع والسنن والأحكام والايمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين[1].

وروي بسند معتبر انّه كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه ... فيهم هشام بن الحكم وهو شابّ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد، وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسـول الله انّـي أُجلّك وأستحييك، ولايعمل لساني بين يديك، فـقال ابـو عـبد الله عـليه السـلام: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسـجد البـصرة فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة

(١) علل الشرائع: ٢٥٣ ضمن حديث ٩ باب ١٨٢ في علل الشرائع واصول الإسلام.

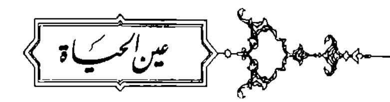
فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم علىٰ ركبتيّ، ثم قلت: أيها العالم انّي رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم.

فقلت له: ألك عين؟ فقال: يابنيّ أيّ شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه، فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يابنيّ سل وان كانت مسألتك حمقاء، قلت: أجبني فيها، قال لي: سل.

قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة، قلت: ألك فمّ؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أُذنٌ؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت.

قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كلّما ورد علىٰ هذه الجوارح والحواس، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يابنيّ انّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فانّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم ، قلت: لابد من القلب والاّ لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها اماماً يصحّح لها الصحيح، ويتيقّن به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم اماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك اماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك



وشكك؟!

قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً، ثم التفت اليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذاً هو، ثم ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه، وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت.

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: ياهشام من علّمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك وألّفته[1]، فقال: هذا والله مكتوب في صحف ابراهيم وموسى[2].

وروي عن عليّ بن الحسين عليه السلام انّه قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض كما انّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض الّا باذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولو لا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها.

ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولاتخلوا إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله.

قال سليمان [راوي الحديث]: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس

(١) في رجال الكشي «جرى على لساني» وهو الموافق لما في المتن الفارسي.

(٢) الكافي ١: ١٦٩ ح ٣ باب الاضطرار إلى الحجة ـ ونحوه في اختيار معرفة الرجال ١: ٥٤٩ ح ٤٩٠ ـ ونحوه في مناقب ابن شهر آشوب ملخصاً ١: ٢٤٦ باب الامامة.

بالحجة الْغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب[1].

وروي عن جابر الجعفي انّه قال: قلت لأبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليهما السلام: لأيّ شيء يحتاج إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والإمام؟ فقال: لبقاء العالم علىٰ صلاحه، وذلك انّ الله عزَّ وجلَّ يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو امام، قال الله عزَّ وجلَّ:

«وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»[2].

وقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون، يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن الله عزَّ وجلَّ طاعتهم بطاعته، فقال:

«يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اَطِيعُوا ٱللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاُولِى الْأَمْرِ مِنْكُم»[3].

وهم المعصومون المطهرون الذين لايذنبون ولايعصون، وهم المؤيدون الموفقون المسددون، بهم يرزق الله عباده، وبهم تعمر بلاده، وبهم ينزل القطر من السماء، وبهم يخرج بركات الأرض، وبهم يُمهل أهل المعاصي، ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب، لايفارقهم روح القدس ولايفارقونه، ولايفارقون القرآن ولايفارقهم صلوات الله عليهم أجمعين[4].

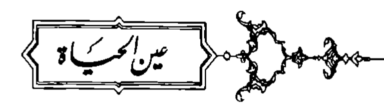
أي انّ القرآن كلّه عندهم ويعملون به، ووردت أمثال هذه المضامين عنهم

(١) كمال الدين: ٢٠٧ ح ٢٢ باب ٢١ ـ عنه البحار ٢٣: ٥ ح ١٠ باب ١.

(٢) الانفال: ٣٣.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) علل الشرائع: ١٢٣ ح ١ باب ١٠٣ ـ عنه البحار ٢٣: ١٩ ح ١٤ باب ١.



عليهم السلام بأسانيد متواترة.

روي بأسانيد معتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو لم يبق في الأرض الّا اثنان لكان أحدهما الحجة[١].

وروي بسند معتبر عنه عليه السلام انّه قال: انّ جبرئيل نزل على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم يخبر عن ربه عزَّ وجلَّ، فقال له: يا محمد لم أترك الأرض الّا وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي، ويكون نجاة فيما بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر، ولم اكن أترك ابليس يضل الناس، وليس في الأرض حجة وداع اليّ وهاد الىٰ سبيلي، وعارف بأمري، وانّي قد قضيت لكل قوم هادياً أهدى به السعداء، ويكون حجة علىٰ الأشقياء[٢].

وروي عنه عليه السلام أيضاً بأسانيد كثيرة انّه قال: انّ الله تبارك وتعالى لم يدع الأرض الّا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان، فان زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإذا نقصوا شيئاً أكمله لهم، ولولا ذلك لالتبست علىٰ المؤمنين أُمورهم[٣].

انّ العقول السليمة تحكم بهذه المضامين، وانّ هذه الأخبار منبّهة وفيها براهين حقّة للمتفكر فيها، مضافاً إلى الدلائل العقلية، وانّها لخير شاهد علىٰ انّ الامامة لاتكون الّا بالنص من قبل الله، وانّ ذا العقل السليم يرى بعين اليقين انّ الله الذي بيّن جميع جزئيات الأحكام من الذهاب إلى بيت الخلاء إلى الجماع والأكل والشرب التي لاتخطر علىٰ عقول الناس، فكيف اذاً يخطر علىٰ عقولهم ترك أمر الامامة والخلافة الذي هو من أعظم الأمور، وموجب لبقاء أحكام الشريعة

---

(١) الكافي ١: ١٧٩ ح ١.

(٢) علل الشرائع: ١٩٦ ح ٧ باب ١٥٣ ـ عنه البحار ٢٣: ٢٢ ح ٢٢ باب ١.

(٣) كمال الدين: ٢٠٣ ح ١١ باب ٢١.

وصلاح الأُمة ونجاتها.

انّ جميع الأنبياء أيضاً عيّنوا أوصياء فكيف لايعين نبي آخر الزمان صلّى الله عليه وآله وسلّم وصيّاً مع انّ رحمته إلى الامة تزيد بأضعاف علىٰ سائر الأنبياء، وانّ الأنبياء كانوا يحتملون بعثة رسول آخر بعدهم بخلاف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فانّه كان يعلم بعدم وجود نبيّ بعده.

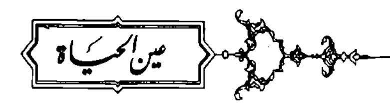
ومن المعلوم أيضاً انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حال حياته لن يغيب عن الامة الّا وينصب خليفة مكانه، فكيف لايعين الخليفة في غيبته الكبرىٰ، ورحلته إلى عالم البقاء، وأيضاً كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يأمر الجميع بالوصية فكيف لايوصّي هو.

وأيضاً ـ كما سيأتي ـ انّ العصمة من شرائط الامامة، وهي أمر خفي باطني لايعلم صاحبها الّا علاّم الغيوب، اذاً لابد أن يكون الامام منصوباً من قبل الله تعالى، وهذا المضمون ورد عن الامام صاحب الأمر عليه السلام في ضمن حديث يشتمل علىٰ فوائد كثيرة فلذا أذكر أكثره[1].

روي عن سعد بن عبد الله القمي ـ من كبار المحدثين ـ انّه قال: [كنت امرءاً لهجاً بجمع الكتب المشتملة علىٰ غوامض العلوم ودقائقها، كلفاً باستظهار ما يصحُّ من حقائقها، مغرماً بحفظ مشتبهها ومستغلقها، شحيحاً علىٰ ما أظفر به من معاضلها ومشكلاتها.

متعصباً لمذهب الإماميّة، راغباً عن الأمن والسّلامه، في انتظار التنازع والتخاصم والتعدّي إلى التباغض والتشاتم، معيّباً للفرق ذوي الخلاف، كاشفاً عن

(١) وقد أوردنا كلّه لمزيد الفائدة وجعلنا ما لم يذكره المؤلف رحمه الله بين المعكوفتين (المترجم).



مثالب أئمّتهم، هتّاكاً لحجب قادتهم، إلى أن] بُليت بأشدِّ النواصب منازعة، وأطولهم مخاصمة، وأكثرهم جدلاً، وأشنعهم سؤالاً، وأثبتهم علىٰ الباطل قدماً.

فقال ذات يوم وأنا أُناظره: تباً لك ولأصحابك ياسعد إنّكم معاشر الرافضة تقصدون علىٰ المهاجرين والأنصار بالطعن عليهما، وتجحدون من رسول الله ولايتهما وإمامتهما، هذا الصدِّيق الّذي فاق جميع الصحابة بشرف سابقته.

أما علمتم أنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ما أخرجه مع نفسه إلى الغار إلّا علماً منه بأنَّ الخلافة له من بعده وأنّه هو المقلّد لأَمر التأويل، والملقى إليه أزمّة الأمّة، وعليه المعوَّل في شعب الصّدع، ولمِّ الشّعث، وسدِّ الخلل، وإقامة الحدود، وتسريب الجيوش لفتح بلاد الشرك.

فكما أشفق علىٰ نبوَّته، أشفق علىٰ خلافته، إذ ليس من حكم الاستتار والتواري أن يروم الهارب من الشيء مساعدة إلى مكان يستخفي فيه، ولمّا رأينا النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم متوجّهاً إلى الانجحار، ولم تكن الحال توجب استدعاء المساعدة من أحد، استبان لنا قصد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بأبي بكر إلى الغار للعلّة الّتي شرحناها.

وإنّما أبات عليّاً عليه السلام علىٰ فراشه لما لم يكن ليكترث له ولم يحفل به، ولا ستثقاله له ولعلمه بأنّه إن قتل لم يتعذّر عليه نصب غيره مكانه للخطوب الّتي كان يصلح لها.

قال سعد: فأوردت عليه أجوبة شتّى فما زال يقصد كلَّ واحد منها بالنّقض والرَّدِّ عليَّ، ثمَّ قال: يا سعد دونكها أُخرى بمثلها، تخطف آناف الرَّوافض ، ألستم تزعمون أنَّ الصِّدِّيق المبرَّى من دنس الشكوك، والفاروق المحامي عن بيضة



الإسلام كانا يسرّان النفاق، واستدللتم بليلة العقبة، أخبرني عن الصّدّيق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً؟.

قال سعد: فاحتلت لدفع هذه المسألة عنّي خوفاً من الالزام، وحذراً من أنّي إن أقررت لهما بطواعيتهما للاسلام، احتجَّ بأنَّ بدء النفاق ونشوه في القلب لايكون إلّا عند هبوب روائح القهر والغلبة، وإظهار البأس الشديد في حمل المرء علىٰ من ليس ينقاد له قلبه، نحو قول الله عزّوجلّ:

«فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ● فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا»[1] وإن قلت: أسلما كرهاً، كان يقصدني بالطعن إذ لم يكن ثمَّ سيوف منتضاة كانت تريهم البأس.

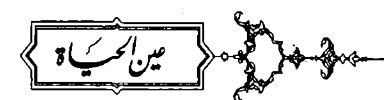
قال سعد: فصدرت عنه مزوراً قد انتفخت أحشائي من الغضب، وتقطّع كبدي من الكرب، وكنت قد اتّخذت طوماراً وأثبتُّ فيه نيّفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل لم أجد لها مجيباً، علىٰ أن أسأل فيها خير أهل بلدي أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبي محمد عليه السلام.

فارتحلت خلفه، وقد كان خرج قاصداً نحو مولانا بسرَّ من رأى، فلحقته في بعض المناهل، فلمّا تصافحنا قال: لخير لحاقك بي، قلت: الشوق ثمَّ العادة في الأسؤلة، قال: قد تكافأنا علىٰ هذه الخطّة الواحدة فقد برَّح بي القرم[2] إلى لقاء مولانا أبي محمّد عليه السلام، وأُريد أن أسأله عن معاضل في التأويل، ومشاكل في التنزيل.

---

(١) المؤمن (غافر): ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) المراد بالقرم هنا شدّة الشوق.



فدونكها الصحبة المباركة، فانّها تقف بك علىٰ ضُفَّة بحر[1] لاتنقضي عجائبه، ولاتفنى غرائبه، وهو إمامنا.

فوردنا سرَّ من رأى فانتهينا منها إلى باب سيدنا عليه السلام، فاستأذنّا فخرج إلينا الاذن بالدُّخول عليه، وكان علىٰ عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطّاه بكساء طبري فيه ستّون ومائة صرَّة من الدَّنانير والدَّراهم علىٰ كلِّ صرَّة منها ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبّهت مولانا أبا محمد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلّا ببدر قد استوفى من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلىٰ فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر، وعلىٰ رأسه فرق بين وفرتين كأنّه ألف بين واوين، وبين يدي مولانا رمّانة ذهبيّة، تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركّبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساءِ أهل البصرة، وبيده قلم إذا أراد أن يسطر به علىٰ البياض قبض الغلام علىٰ أصابعه، فكان مولانا عليه السلام يدحرج الرُّمانة بين يديه ويشغله بردِّها لئلّا يصدَّه عن كتبة[2] ما أراد.

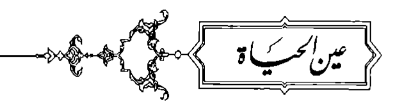
فسلّمنا عليه فألطف في الجواب وأومأ إلينا بالجلوس، فلمّا فرغ من كتبة البياض الّذي كان بيده أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طيِّ كسائه، فوضعه بين يديه، فنظر الهادي عليه السلام إلى الغلام وقال له: يا بنيَّ فضَّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك.

فقال: يامولاي أيجوز أن أمدَّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة، وأموال رجسة قد شيب أحلّها بأحرمها، فقال مولاي عليه السلام: يا ابن إسحاق استخرج ما في الجراب

---

(١) ضفة البحر: ساحله.

(٢) هكذا في البحار، وفي كمال الدين: كتابة ما أراد.



ليميّز [ما] بين الأَحلِّ والأَحرم منها.

فأوَّل صرَّة بدأ أحمد باخراجها، فقال الغلام: هذه لفلان بن فلان من محلّة كذا بقم، تشتمل علىٰ اثنين وستّين ديناراً، فيها من ثمن حجيرة باعها صاحبها، وكانت إرثاً له من أخيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أُجرة حوانيت ثلاث دنانير.

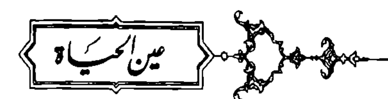
فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بنيَّ دلَّ الرَّجل علىٰ الحرام منها، فقال عليه السلام: فتّش عن دينار رازيِّ السكّة تاريخه كذا قد انطمس من نصف إحدى صفحتيه نقشه، وقراضة آمليّة وزنها ربع دينار.

والعلّة في تحريمها أنَّ صاحب هذه الجملة وزن في شهر كذا من سنة كذا علىٰ حائك من جيرانه من الغزل منّاً وربع منٍّ، فأتت علىٰ ذلك مدَّة قيَّض [في] انتهائها لذلك الغزل سارقاً فأخبر به الحائك صاحبه، فكذَّبه واستردَّ منه بدل ذلك منّاً ونصف منٍّ، غزلاً أدقَّ ممّا كان دفعه إليه، واتَّخذ من ذلك ثوباً كان هذا الدّينار مع القراضة ثمنه.

فلمّا فتح رأس الصرَّة صادف رقعة في وسط الدّنانير باسم من أخبر عنه وبمقدارها علىٰ حسب ما قال، واستخرج الدِّينار والقراضة بتلك العلامة.

ثمَّ أخرج صرَّة أُخرى، فقال الغلام عليه السلام: هذه لفلان بن فلان من محلّة كذا بقم، تشتمل علىٰ خمسين ديناراً لا يحلُّ لنا مسّها، قال: وكيف ذاك؟ قال : لأنَّها من ثمن حنطة حاف صاحبها علىٰ أكّاره في المقاسمة، وذلك أنّه قبض حصّته منها بكيل واف، وكال ما خصَّ الأَكّار بكيل بخس، فقال مولانا عليه السلام: صدقت يابنيَّ.

ثمَّ قال: يا ابن إسحاق احملها بأجمعها لتردَّها أو توصي بردِّها علىٰ أربابها،



فلا حاجة لنا في شيء منها، وائتنا بثوب العجوز، قال أحمد: وكان ذلك الثوب في حقيبة لي فنسيته.

فلمّا انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إليَّ مولانا أبو محمدٌ عليه السلام فقال: ماجاء بك يا سعد؟ فقلت: شوَّقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا، قال: فالمسائل الّتي أردت أن تسأل عنها؟ قلت: على حالها يا مولاي. قال: فسل قرّة عيني ـ وأومأ إلى الغلام ـ عمّا بدالك منها.

فقلت له: مولانا وابن مولانا ! إنّا روينا عنكم أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين عليه السلام حتّى أرسل يوم الجمل إلى عائشة أنّك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فان كففت عنّي غربك وإلّا طلّقتك، ونساء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد كان طلّقهنَّ[1] وفاته.

قال: ما الطلاق؟ قلت: تخلية السبيل، قال: وإذا كان وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد خلّا لهنَّ السّبيل، فلم لا يحل لهنَّ الأزواج؟ قلت: لأنَّ الله تبارك وتعالى حرَّم الأَزواج عليهنَّ، قال: وكيف وقد خلّى الموت سبيلهنَّ؟ قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن معنى الطلاق الّذي فوَّض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حكمه إلى أمير المؤمنين.

قال: إنَّ الله تبارك وتعالى عظّم شأن نساء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فخصّهنَّ بشرف الأُمّهات، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أبا الحسن إنَّ هذا الشرف باق لهنَّ مادُمن لله على الطاعة، فأيّتهنَّ عصت الله بعدي بالخروج عليك، فأطلق لها

(١) هكذا في البحار، وفي كمال الدين: طلاقهنّ.

في الأَزواج، وأسقطها من شرف أُمومة المؤمنين.

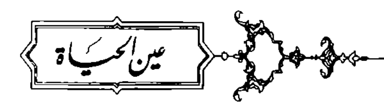
قلت: فأخبرني عن الفاحشة المبيّنة الّتي إذا أتت المرأة بها في أيّام عدَّتها حلَّ للزَّوج أن يخرجها من بيته، قال: الفاحشة المبيّنة هي السّحق دون الزِّنى، فانَّ المرأة إذا زنت وأُقيم عليها الحدُّ ليس لمن أرادها أن يمتنع بعد ذلك من التزويج بها لأجل الحدِّ، وإذا سحقت وجب عليها الرَّجم، والرَّجم خزي، ومن قد أمر الله عزَّوجلَّ برجمه فقد أخزاه، ومن أخزاه فقد أبعده، ومن أبعده فليس لأَحد أن يقربه.

قلت: فأخبرني ياابن رسول الله عن أمر الله تبارك وتعالى لنبيّه موسى عليه السلام «**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**»(1) فانَّ فقهاء الفريقين يزعمون أنـها كانت من إهاب الميتة.

فقال عليه السلام: من قال ذلك فقد افترى علىٰ موسى واستجهله في نبوَّته، لأنّه ما خلا الأمر فيها من خطبين، إمّا أن تكون صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة، فان كانت صلاته جائزة جاز له لبسهما في تلك البقعة إذ لم تكن مقدَّسة، وإن كانت مقدَّسة مطهّرة فليس بأقدس وأطهر من الصّلاة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيهما، فقد أوجب علىٰ موسى عليه السلام أنّه لم يعرف الحلال من الحرام، وما علِمَ ما جاز فيه الصّلاة وما لم تجز، وهذا كفر.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما، قال: إنَّ موسى عليه السلام ناجى ربّه بالواد المقدَّس، فقال: ياربِّ إنّي قد أخلصت لك المحبّة منّي، وغسّلت قلبي عمّن سواك، وكان شديد الحبِّ لأَهله، فقال الله تبارك وتعالى: «**اِخْلَعْ نَعْلَيْكَ**» أي انزع

(1) طه: ١٢.



حبَّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً.

قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل «**كهيعص**» قال: هذه الحروف من أنباء الغيب، اطّلع الله عليها عبده زكريّا عليه السلام، ثمَّ قصّها علىٰ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وذلك أنَّ زكريّا عليه السلام سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلّمه إيّاها.

فكان زكريّا إذا ذكر محمداً وعليّاً وفاطمة والحسن سُرِّي عنه همّه وانجلى كربه، وإذا ذكر اسم الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي.

فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته، وقال: «**كهيعص**» فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين، والعين عطشه، والصاد صبره.

فلمّا سمع ذلك زكريّا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومنع فيها النّاس من الدُّخول عليه، وأقبل علىٰ البكاء والنحيب، وكانت ندبته: إلهي أتفجع خير خلقك بولده، أتنزل بلوى هذه الرّزيّة بفنائه، إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة، إلهي أتحلُّ كربة هذه الفجيعة بساحتهما.

ثمَّ كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرُّ به عيني علىٰ الكبر، واجعله وارثاً وصيّاً، واجعل محلّه منّي محلَّ الحسين، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه ثمَّ أفجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى عليه السلام وفجّعه به.

وكان حمل يحيى ستّة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك وله قصّة

طويلة.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم، قال: مصلح أو مفسد؟ قلت: مصلح، قال: فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لايعلم أحد بما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟! قلت: بلى، قال: فهي العلّة أُوردها لك ببرهان يثق به عقلك.

أخبرني عن الرُّسل الّذين اصطفاهم الله وأنزل الكتب عليهم، وأيّدهم بالوحي والعصمة، إذهم أعلا [م] الأمم، وأهدي إلى الاختيار منهم مثل موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما، وكمال علمهما، إذا همّا بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنّان أنّه مؤمن؟

قلت: لا، فقال: هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، ونزول الوحي عليه، اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لايشكُّ في إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله عزَّوجلَّ **«وَاخْتَارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا ـ إلى قوله ـ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرىٰ ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ»**(١).

فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوَّة واقعاً على الأفسد دون الأَصلح، وهو يظنُّ أنّه الأَصلح دون الأَفسد، علمنا أن لا اختيار إلّا لمن يعلم ما تخفي الصدور، وتكنُّ الضمائر، ويتصرَّف عليه السرائر، وأن لاخطر لإختيار المهاجرين والأنصار، بعد وقوع خيرة الأَنبياء على ذوي الفساد لمّا أرادوا أهل الصلاح.

---

(١) الاعراف: ١٥٥.

ثمَّ قال مولانا: يا سعد وحين ادَّعى خصمك أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما أخرج مع نفسه مختار هذه الأُمّة إلى الغار إلّا علماً منه أنَّ الخلافة له من بعده، وأنّه هو المقلّد أُمور التأويل، والملقى إليه أزمّة الأُمّة، المعوَّل عليه في لمِّ الشعث وسدِّ الخلل، وإقامة الحدود، وتسريب الجيوش لفتح بلاد الكفر، فكما أشفق علىٰ نبوَّته أشفق علىٰ خلافته، إذ لم يكن من حكم الاستتار والتواري أن يروم الهارب من البشر مساعدة من غيره إلى مكان يستخفي فيه، وإنّما أبات عليّاً علىٰ فراشه، لما لم يكن يكترث له ولايحفل به، ولاستثقاله إيّاه وعلمه بأنّه إن قتل لم يتعذّر عليه نصب غيره مكانه للخطوب الّتي كان يصلح لها.

فهلّا نقضت عليه دعواه بقولك: أليس قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، فجعل هذه موقوفة علىٰ أعمار الأربعة الّذين هم الخلفاء الراشدون في مذهبكم، وكان لايجد بدّاً من قوله [لك]: بلى، فكنت تقول له حينئذ: أليس كما علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّ الخلافة بعده لأبي بكر، علم أنّها من بعد أبي بكر لعمر، ومن بعد عمر لعثمان، ومن بعد عثمان لعليّ؟ فكان أيضاً لايجد بدّاً من قوله لك: نعم.

ثمَّ كنت تقول له: فكان الواجب علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يخرجهم جميعاً علىٰ الترتيب إلى الغار، ويشفق عليهم كما أشفق علىٰ أبي بكر، ولايستخفَّ بقدر هؤلاء الثلاثة بتركه إيّاهم وتخصيصه أبابكر بإخراجه مع نفسه دونهم.

ولمّا قال: أخبرني عن الصدِّيق والفاروق أسلما طوعاً أو كرها؟ لِمَ لَمْ تقل له: بل أسلما طمعاً، لأنّهما كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عمّا كانوا يجدون في التوراة وسائر الكتب المتقدِّمة الناطقة بالملاحم، من حال إلى حال من قصّة محمد

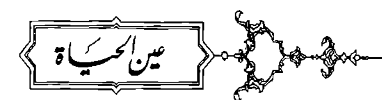
صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم ومن عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر أنَّ محمداً صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم يسلّط علىٰ العرب كما كان بُخت نصّر سلّط علىٰ بني إسرائيل، ولابدَّ له من الظفر بالعرب كما ظفر بُخت نصّر ببني إسرائيل، غير أنّه كاذب في دعواه.

فأتيا محمداً فساعداه علىٰ [قول] شهادة أن لا إله إلّا الله، وبايعاه طمعاً في أن ينال كلُّ منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت أُموره واستتبّت أحواله ، فلمّا أيسا من ذلك، تلثّما وصعدا العقبة مع أمثالهما من المنافقين، علىٰ أن يقتلوه فدفع الله كيدهم، وردَّهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، كما أتى طلحة والزُّبير عليّاً عليه السلام فبايعاه، وطمع كلُّ واحد منهما أن ينال من جهته ولاية بلد فلمّا أيسا نكثا بيعته، وخرجا عليه فصرع الله كلَّ واحد منهما مصرع أشباههما من الناكثين.

قال [سعد]: ثمَّ قام مولانا الحسن بن عليّ الهادي عليه السلام إلى الصلاة مع الغلام، فانصرفت عنهما وطلبت أثر أحمد بن إسحاق فاستقبلني باكياً، فقلت: ما أبطأك وأبكاك؟ قال: قد فقدت الثوب الّذي سألني مولاي إحضاره، فقلت: لا عليك فأخبره، فدخل عليه وانصرف من عنده متبسّماً وهو يصلّي علىٰ محمد وآل محمد. فقلت: ما الخبر؟ قال: وجدت الثوب مبسوطاً تحت قدمي مولانا عليه السلام يصلّي عليه.

قال سعد: فحمدنا الله جلَّ ذكره علىٰ ذلك، وجعلنا نختلف بعد ذلك إلى منزل مولانا عليه السلام أيّاماً، فلا نرى الغلام بين يديه، فلمّا كان يوم الوداع دخلت أنا وأحمد بن إسحاق وكهلان من أرضنا، وانتصب أحمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال:

يا ابن رسول الله قد دنت الرِّحلة، واشتدَّت المحنة، ونحن نسأل الله أن



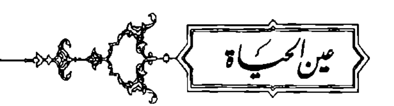
يصلّي علىٰ المصطفى جدِّك، وعلىٰ المرتضى أبيك، وعلىٰ سيّدة النساء أُمّك، وعلىٰ سيّدي شباب أهل الجنّة عمّك وأبيك، وعلىٰ الأَئمة الطاهرين من بعدهما آبائك، وأن يصلّي عليك وعلىٰ ولدك، ونرغب إلى الله أن يعلي كعبك، ويكبت عدوّك، ولاجعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك.

قال: فلمّا قال هذه الكلمة، استعبر مولانا عليه السلام حتّى استهلّت دموعه، وتقاطرت عبراته، ثمَّ قال: يا ابن إسحاق لاتكلّف في دعائك شططاً فانّك ملاق الله في صَدَرك هذا، فخرَّ أحمد مغشياً عليه.

فلمّا أفاق قال: سألتك بالله وبحرمة جدِّك إلّا شرَّفتني بخرقة أجعلها كفناً، فأدخل مولانا عليه السلام يده تحت البساط فأخرج ثلاثة عشر درهماً، فقال: خذها ولا تنفق على نفسك غيرها، فانّك لن تعدم ما سألت، وإنّ الله تبارك وتعالى لايضيع أجر من أحسن عملا.

قال سعد: فلمّا صرنا بعد منصرفنا من حضرة مولانا عليه السلام من حلوان علىٰ ثلاثة فراسخ، حُمَّ أحمد بن إسحاق وصارت عليه علّة صعبة آيس من حياته فيها، فلمّا وردنا حلوان، ونزلنا في بعض الخانات، دعا أحمد بن إسحاق برجل من أهل بلده كان قاطناً بها، ثمَّ قال: تفرَّقوا عنّي هذه اللّيلة واتركوني وحدي، فانصرفنا عنه ورجع كلُّ واحد منّا إلى مرقده.

قال سعد: فلمّا حان أن ينكشف اللّيل عن الصبح، أصابتني فكرة ففتحت عيني فإذا أنا بكافور الخادم خادم مولانا أبي محمّد عليه السلام وهو يقول: أحسن الله بالخير عزاكم، وجبر بالمحبوب رزيّتكم، قد فرغنا من غسل صاحبكم وتكفينه، فقوموا لدفنه فانّه من أكرمكم محلاً عند سيدكم، ثم غاب عن أعيننا، فاجتمعنا



علىٰ رأسه بالبكاء والعويل حتى قضينا حقّه، وفرغنا من أمره رحمه الله[1].

رویٰ ابن بابویه عليه الرحمه بسند معتبر عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال: عرج النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم مائة وعشرين مرّة، ما من مرّة الّا وقد أوصي الله عزَّ وجلَّ فيها النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بالولاية لعليّ، والأئمة عليهم السلام أكثر مما أوصاه بالفرائض[2].

رویٰ الكليني عن الامام الموسى الكاظم عليه السلام انّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية، ورسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم المملي عليه، وجبرئيل والملائكة المقربون عليهم السلام شهود؟

قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت، ولكن حين نزل برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم الأمر، نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجّلاً، نزل به جبرئيل مع امناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرئيل: يا محمد مر باخراج من عندك إلّا وصيّك ليقبضها منّا وتشهدنا بدفعك ايّاها إليه ضامناً لها ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ فأمر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم باخراج من كان في البيت ما خلا علياً عليه السلام، وفاطمة فيما بين الستر والباب.

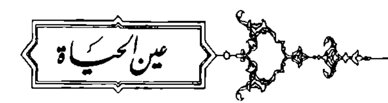
فقال جبرئيل: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول: هذا كتاب ما كنت عهدت إليك وشرطت عليك وشهدت به عليك، وأشهدت به عليك ملائكتي وكفى بي يا محمد شهيداً.

قال: فارتعدت مفاصل النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، فقال: يا جبرئيل ربّي هو السلام، ومنه السلام، واليه يعود السلام، صدق الله عزَّ وجلَّ وبرّ، هات الكتاب،

---

(١) البحار ٥٢ : ٧٨ ح ١ باب ١٩ ـ عن كمال الدين : ٤٥٤ ح ٢١ باب ٤٣.

(٢) الخصال : ٦٠٠ ح ٣ باب الواحد إلى المائة ـ عنه البحار ١٨ : ٣٨٧ ح ٩٦ باب ٣.



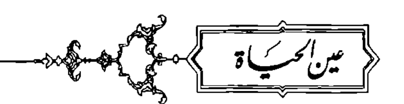
فدفعه إليه وأمر بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: اقرأه، فقرأه حرفاً حرفاً، فقال: يا علي هذا عهد ربي تبارك وتعالى اليّ وشرطه عليّ وأمانته، وقد بلّغت ونصحت وأدّيت.

فقال عليّ عليه السلام: وأنا أشهد لك بأبي وامّي بالبلاغ والنصيحة والتصديق علىٰ ما قلت، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي، فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا لكما علىٰ ذلك من الشاهدين، فقال رسول لله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ أخذت وصيّتي وعرفتها، وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها؟ فقال علي عليه السلام: نعم بأبي أنت وأمي، عليّ ضمانها وعلىٰ الله عوني وتوفيقي علىٰ أدائها.

فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ انّي أريد أن أُشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة، فقال عليّ عليه السلام: نعم أشهد، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: انّ جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن وهما حاضران معهما الملائكة المقربون لأشهدهم عليك، فقال: نعم يشهدوا، وأنا بأبي أنت وأُمي أُشهدهم.

فاشهدهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وكان فيما اشترط عليه النبيّ بأمر جبرئيل عليه السلام فيما أمر الله عزَّ وجلَّ أن قال له: يا عليّ تفي بما فيها من موالاة من والي الله ورسوله، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله، والبراءة منهم علىٰ الصبر منك، وعلى كظم الغيظ، وعلىٰ ذهاب حقّي، وغصب خمسك، وانتهاك حرمتك، فقال: نعم يا رسول الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل عليه السلام يقول للنبي: يا محمد عرّفه انّه يُنتهك الحرمة وهي حرمة الله وحرمة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، وعلىٰ أن تخضب لحيته من رأسه بدم عبيط.



قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل حتى سقطت علىٰ وجهي وقلت: نعم قبلت ورضيت، وإن انتهكت الحرمة، وعُطّلت السنن، ومزّق الكتاب، وهدّمت الكعبة، وخضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط صابراً محتسباً أبداً حتى أقدم عليك.

ثم دعا رسول الله فاطمة والحسن والحسين وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين، فقالوا مثل قوله، فختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسّه النار ودفعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

فقلت لأبي الحسن عليه السلام: بأبي أنت وأُمّي ألا تذكر ما كان في الوصية؟ فقال: سنن الله وسنن رسوله، فقلت: أكان في الوصية توثّبهم[1] وخلافهم علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم والله شيئاً شيئاً، وحرفاً حرفاً، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ:

«إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ»[2].

والله لقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام: أليس فهمتما ماتقدّمت به اليكما وقبلتماه؟ فقالا: بلى وصبرنا علىٰ ما ساءنا وغاظنا[3].

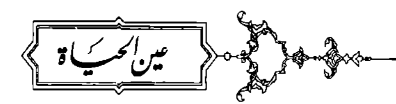
وروىٰ أيضاً بسند معتبر عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال: انّ الله عزّ وجلّ

---

(١) التوثب: الاستيلاء على الشيء ظلماً. (الوافي)

(٢) يس: ١٢، والامام المبين اما اللوح المحفوظ واما كتاب الأعمال، وقد فسّر في بعض احاديثنا بامير المؤمنين عليه السلام، واما كتاب الوصية الذي يدل عليه الحديث (منه رحمه الله).

(٣) الكافي ١: ٢٨١ ح ٤ باب انّ الأئمة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولن يفعلون الّا بعهد من الله عزّ وجلّ.



أنزل علىٰ نبيّه صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم كتاباً قبل وفاته، فقال: يا محمد هذه وصيتك إلى النجبة من أهلك، قال: وما النجبة يا جبرئيل؟

فقال: عليّ بن أبي طالب وولده عليهم السلام، وكان علىٰ الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يفك خاتماً منه ويعمل بما فيه، ففك أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً، وعمل بما فيه.

ثم دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففك خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه أن اخرج بقوم إلى الشهادة فلا شهادة لهم الّا معك، واشر نفسك لله عزَّ وجلَّ ففعل، ثم دفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه أن أطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ففعل.

ثم دفعه إلى ابنه محمد بن عليّ عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه حدّث الناس وافتهم ولاتخافنّ الّا الله عزَّ وجلَّ، فانّه لاسبيل لأحد عليك، ففعل ثم دفعه إلى ابنه جعفر ففك خاتماً فوجد فيه حدّث الناس وافتهم وانشر علوم اهل بيتك وصدّق آبائك الصالحين، ولاتخافنّ الّا الله عزَّ وجلَّ وأنت في حرز وأمان، ففعل، ثم دفعه إلى ابنه موسى عليه السلام وكذلك يدفعه موسى الى الذي بعده، ثم كذلك إلى قيام المهدي صلّیٰ الله عليه[1].

التنوير الثّاني
في عصمة الامام

اعلم انّ الفرقة الامامية الناجية تعتقد بعصمة الامام من الذنوب الصغيرة

(١) الكافي ١: ٢٨٠ ح ٢ باب انّ الأئمة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولن يفعلون الّا بعهد من الله عزَّ وجلَّ.

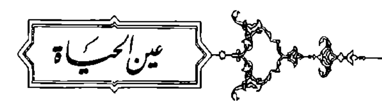
والكبيرة ومن أول العمر الى آخره، لكن أهل السنة لا يعتقدون بالعصمة وكونها شرطاً للامامة، لأنّهم يعلمون لو قالوا بالعصمة لذهبت أحقية امامة خلفائهم.

وتوجد أدلة عقلية ونقلية على بطلان هذا القول، ولا يخفى على ذي اللب السليم وجوب عصمةمن وجبت له الطاعة وله مقاليد أمور الأمّة جمعآء الدينية والدنيوية، وانّه لابدّ أن يكون معصوماً في العلم والعمل والّا لما ترتبت الفوائد المتوخّاة من الامامة كما ينبغي.

وانّ هذا الشخص غير المعصوم سوف يحتاج الى إمامٍ وهادٍ ـ كما لا يخفى على كلّ منصف ـ ويمكن حصول خلل عظيم في الدين بسببه لاحتمال ظهور البدع فيه بسبب فتاويه الخاطئة، فتترك أحكام الدين الحقّة، وربما ظهرت مفاسد كثيرة لا يمكن اصلاحها بأيّ نحو، كما لو أخطأ في تعيين الخليفة من بعده لزعمه انّه أهلٌ للخلافة والامامة، فتظهر منه أمور مخالفة للامامة.

فلو تركته الأمّة ولم تتعرض له فهذا هلاك الدين، ولو قصدوا عزله حدثت منازعات ومشاجرات كثيرة في الأمة تكون سبباً لضياع الحقّ وكما ثبت ذلك في حادثة قتل عثمان وخروج عائشة وطلحة والزبير ومعاوية والخوارج، حتى وصل أمر الامامة ونيابة الله والرسول الى معاوية ويزيد وأمثالهما من الظالمين الذين ليس لهم دين، فأجروا أنواع الظلم والجور على أهل بيت الرسالة عليهم السّلام وسائر أهل الإسلام.

ومن الواضح أيضاً قبح امامة شخص لا يأتمر بما يأمر به الناس، ولا ينتهي عمّا ينهى، ولا يرتدع عمّا يردع، فلذا ذمّ الله تعالى في القرآن هذا القسم مرّات عديدة، ولا يخفى انّ نفوس الناس تنفر من اطاعة هكذا شخص.



وذكر الفخر الرازي في تفسير آية أُولو الأمر: انّ هذه الآية تدلّ على عصمة أُولي الأمر وعدم جواز خطأهم والاّ للزم الأمر بمتابعتهم والنهي عنه، لأنّ المتابعة في المحرمات حرام(١).

وذكر في تفسير آية «**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**» انّ الصّادقين هم المعصومون، وقد أخبر الله تعالى عن عصمتهم في آية التطهير، كما سيبيّن فيما بعد(٢).

واعترف اكثر المفسرين انّ آية «**لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ**»(٣) تدلّ على عصمة الامام، لأنّ الله تعالى أوحى الى ابراهيم: «**اِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَاماً**»(٤) فطلب ابراهيم عليه السّلام أن يجعل الله تعالى هذا الشرف في بعض ذريّته، فقال تعالى : «**لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ**» أي انّ الخلافة لا تكون للظالمين، وكلّ فاسق ظالم لنفسه كما وصف الله تعالى مراراً الفساق بالظلم.

التنوير الثّالث

[في آية التطهير]

اعلم انّ الأحاديث من طرق الخاصة والعامة في انّ آية التطهير نزلت في شأن أهل البيت عليهم السّلام الذين هم أصحاب الكساء وصلت الى حدّ التواتر، وطبقاً لبعض أحاديثنا انّها تشمل جميع الأئمة عليهم السّلام، وقال صاحب الكشاف من متعصبي علماء السنة في قصة المباهلة:

---

(١) التفسير الكبير ١٠ : ١٤٤ (سورة النساء) وذكرناه بتلخيص وتصرّف طبقاً للترجمة .

(٢) راجع التفسير الكبير ١٦ : ٢٢٠ (سورة التوبة) ولم نجد فيه هذا النص بهذه الصورة فلاحظ .

(٣) البقرة : ١٢٤ .

(٤) البقرة : ١٢٤ .



«لما دعاهم الى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر، فلمّا تخالفوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترىٰ؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى انّ محمداً نبيّ مرسل، وقدجاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكنّ، فإن أبيتم الّا إلف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم.

فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها وهو يقول: «اذا أنا دعوت فأمّنوا».

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى انّي لأرىٰ وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وان نقرّك على دينك ونثبت على ديننا، قال: فاذا أبيتم عن المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا، قال: فانّي أناجزكم، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفي حلّة، ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً من حديد.

فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده انّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا».

وروى صاحب الكشاف أيضاً عن عائشة انّها قالت: انّ رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلّم خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم عليّ، ثم قال: «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت».

فإن قلت: ما كان دعاؤه الى المباهلة الّا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟

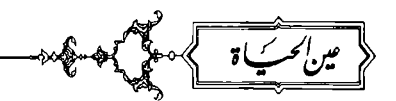
قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله، واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته، وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة، وخص الأبناء والنساء لأنّهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل[1].

وروي في موطّأ مالك ـ امام أهل السنة ـ عن أنس انّه قال: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان يمرّ بباب فاطمة إذا خرج الى صلاة الفجر لمّا نزلت هذه الآية قريباً من ستة أشهر يقول: الصلاة يا أهل البيت «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[2].

وروي في صحيح أبي داود السجستاني عن أنس مثله، وروي في صحيح البخاري مثل ما روىٰ صاحب الكشاف، وروي بهذا المضمون عن عائشة في صحيح مسلم وصحيح أبي داود والجمع بين الصحيحين للحميدي.

وروي في صحيح مسلم في باب فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام عن سعد

(١) تفسير الكشاف ١: ٣٦٨ و ٣٦٩ (سورة آل عمران) ـ عنه البحار ٢١: ٢٨٠ و ٢٨١ باب ٣٢.
(٢) راجع البحار ٣٥: ٢٢٣ باب ٥ عن موطّأ مالك.



الوقاص انّه قال: لما نزلت هذه الآية [أي آية المباهلة] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي[1].

وروىٰ في مكان آخر مثله، وروىٰ أبو داود في صحيحه عن أُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: انّ هذه نزلت في بيتها «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

قالت: وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله ألست من أهل؟ فقال: انّك الى خير، انّك من أزواج رسول الله، قالت: وفي البيت رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام فجلّلهم بكساء، وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[2].

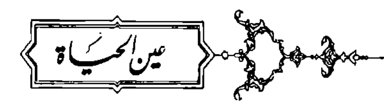
وروي نحو هذا في اكثر كتبهم بطرق متعددة، وعدّها يوجب التطويل، وانّ دلالة هذه الآية على عصمتهم ظاهرة، لتفسير عامة المحققين والمفسرين الرجس في الآية بالذنب، ويُراد من التطهير الطهارة من السوء والعيب والقبائح.

والظاهر من سياق الآية والأحاديث التعميم لجميع القبائح والأرجاس، والارادة الواردة في الآية يُراد منها الارادة التكوينية، لا الارادة التشريعية لأنّها لا تختص بهم فقط، وانّ الإرادة التكوينية هي التي لا تتخلف، اذاً فعصمتهم ثابتة، ومتى ما ثبتت عصمتهم لا يصح منهم الكذب، وقد ثبت ادعاؤهم الامامة، فدعواهم اذاً على حق، ولا يسع المقام اكثر من هذا.

---

(١) صحيح مسلم ٢ : ٣٦٠ فضائل عليّ عليه السّلام ـ عنه البحار ٣٥ : ٢٦١ باب ٧.

(٢) راجع العمدة لابن بطريق : ٤٤ ضمن حديث ٣١ فصل ٨ عن صحيح ابي داود ـ ومثله البحار ٣٥ : ٢٢٦ باب ٥ ولم نجدها في صحيح أبي داود فلاحظ.



التنوير الرابع

في فضل أهل البيت عليهم السّلام

رویٰ ابن بابويه بسند معتبر عن الامام محمد الباقر عليه السّلام، عن عليّ بن الحسين عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنّ عظيمة، عند الوفاة، وفي القبر، وفي النشور، وعند انكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط[1].

ورویٰ عن الحارث الهمداني انّه قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فقال: ما جاء بك؟ فقلت: حبّي لك يا أمير المؤمنين، فقال: يا حارث أتحبّني؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين.

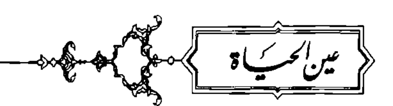
قال: أما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحبّ، ولو رأيتني وأنا أذود الرجال عن الحوض ذود غريبة الابل[2] لرأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا مارّ على الصراط بلواء ا لحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لرأيتني حيث تحبّ[3].

ورویٰ عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر، عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لعلي عليه السّلام: يا عليّ ما ثبت حبّك في قلب امرء مؤمن فزلّت به قدمه على الصراط الّا ثبتت له قدم حتى يدخله الله عزّ

(١) الخصال: ٣٦٠ ح ٤٩ باب السبعة ـ عنه البحار ٢٧: ١٥٨ ح ٣ باب ٦.

(٢) هذا مثل، وذلك انّ الابل إذا وردت الماء فدخل فيها غريبة من عيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها.

(٣) نقلناها عن البحار ٢٧: ١٥٧ ح ٢ عن أمالي الشيخ الطوسي.



وجلّ بحبك الجنّة[1].

وروي عن الصادق عليه السّلام انّه قال: ... انّ حبّنا ـ أهل البيت ـ ليحطّ الذنوب عن العباد كما تحط الريح الشديدة الورق عن الشجر[2].

وروي بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة ولو أتوني بذنوب أهل الأرض: معين أهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده[3].

وروي عنه عليه السّلام أيضاً انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: من أحبّنا أهل البيت حشره الله آمناً يوم القيامة[4].

وروي في كتاب بصائر الدرجات عن الامام جعفر الصادق عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ لقد مثّلت لي أمتي في الطين حتى رأيت صغيرهم وكبيرهم أرواحاً قبل أن يخلق الأجساد، وانّي مررت بك وبشيعتك فاستغفرت لكم، فقال عليّ عليه السّلام: يا نبيّ الله زدني فيهم.

قال: نعم يا عليّ تخرج أنت وشيعتك من قبورهم[5] ووجوهكم كالقمر ليلة البدر وقد فُرّجت عنكم الشدائد، وذهبت عنكم الأحزان، تستظلّون تحت العرش، يخاف الناس ولا تخافون، ويحزن الناس ولا تحزنون، وتوضع لكم مائدة والناس

---

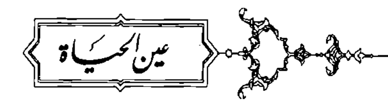
(١) أمالي الصدوق: ٤٦٧ ح ٢٨ مجلس ٨٥ ـ عنه البحار ٢٧: ٧٧ ح ٨ باب ٤.

(٢) قرب الاسناد: ٣٩ ح ١٢٦، عنه البحار ٢٧: ٧٧ ح ٩ باب ٤.

(٣) الخصال: ١٩٦ ح ١ باب الاربعة ـ عنه البحار ٢٧: ٧٧ ح ١٠ باب ٤.

(٤) البحار ٢٧: ٧٩ ح ١٥ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

(٥) هكذا في المصدر، وفي البحار: من قبوركم.



في الحساب[1].

وروي بأسانيد معتبرة عن الامام الرضا عليه السلام انّه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام: من أحبّك كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات وهو يبغضك فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلّم: أوّل ما يُسأل عن العبد حبّنا أهل البيت[3].

وروي بسند معتبر عن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: والله انّ في السماء لسبعين صنفاً من الملائكة لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلّهم يحصون عدد كلّ صنف منهم ما أحصوهم، وانهم ليدينون بولايتنا[4].

روى الشيخ الطوسي عليه الرحمة عن ميثم التمار ـ من أصحاب سرّ أمير المؤمنين عليه السلام ـ قال: تمسّينا ليلة عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال لنا: ليس من عبدٍ امتحن الله قلبه بالايمان الّا أصبح يجد مودّتنا على قلبه، ولا أصبح عبد ممن سخط الله عليه الّا يجد بغضنا على قلبه.

فأصبحنا نفرح بحبّ المؤمن لنا، ونعرف بغض المبغض لنا، وأصبح محبّنا مغتبطاً بحبّنا برحمة من الله ينتظرها كلّ يوم، وأصبح مبغضنا يؤسس بنيانه على شفا جرفٍ هار، فكأنّ ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنّم، وكأنّ أبواب الرحمة قد فُتحت لأصحاب الرحمة، فهنيئاً لأصحاب الرحمة رحمتهم، وتعساً لأهل النار مثواهم.

---

(١) بصائر الدرجات ٢: ١٠٤ ح ٥ باب ١٤ ـ عنه البحار ٦٨: ٢٧ ح ٥٠ باب ١٥ في فضائل الشيعة.
(٢) البحار ٢٧: ٧٩ ح ١٦ باب ٤ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.
(٣) البحار ٢٧: ٧٩ ح ١٨ باب ٤ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.
(٤) بصائر الدرجات ٢: ٨٧ ح ١ باب ٦.

انّ عبداً لن يقصر في حبّنا لخير جعله الله في قلبه، ولن يحبّنا من يحبّ مبغضنا، انّ ذلك لا يجتمع في قلب واحد و «**مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ**»[1] يحب بهذا قوماً ويحبّ بالآخر عدوّهم، والذي يحبّنا فهو يخلص حبّنا كما يخلص الذهب لا غشّ فيه.

نحن النجباء وأفراط الأنبياء، وأنا وصي الأوصياء، وأنا حزب الله ورسوله، والفئة الباغية حزب الشيطان، فمن أحبّ أن يعلم حاله من حبّنا فليمتحن قلبه، فإن وجد فيه حبّ من ألّب[2] علينا فليعلم انّ الله عدوّه وجبرئيل وميكائيل، والله عدوّ للكافرين[3].

وروىٰ عن أبي عبد الله الجدلي قال: قال لي عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: ألا أحدّثك يا أبا عبد الله بالحسنة التي من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة، والسيئة التي من جاء بها أكبّ الله وجهه في النار؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: الحسنة حبّنا، والسيئة بغضنا[4].

وروىٰ عن سلمان رحمه الله انّه قال: كنّا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلّم إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فناوله النبي صلى الله عليه وآله وسلّم حصاة، فما استقرّت الحصاة في كفّ عليّ عليه السّلام حتى نطقت، وهي تقول:

«لا اله الّا الله، محمد رسول الله، رضيت بالله ربّاً، وبمحمّد نبيّاً، وبعليّ بن أبي طالب وليّاً».

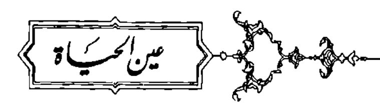
---

(١) الأحزاب: ٤.

(٢) أي تجمع وتحشد علينا.

(٣) أمالي الطوسي: ١٤٨ ح ٥٦ المجلس الخامس ـ عنه البحار ٢٧: ٨٣ ح ٢٤ باب ٤.

(٤) أمالي الطوسي: ٤٩٣ ح ٤٩ المجلس السابع عشر ـ عنه البحار ٢٧: ٨٥ ح ٢٧ باب ٤.



ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: من أصبح منكم راضياً بالله وبولاية عليّ بن أبي طالب فقد أمن خوف الله وعقابه[1].

وروىٰ ابن بابويه بأسانيد كثيرة عن عليّ بن موسى الرضا، عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن عليّ، عن عليّ بن الحسين، عن الحسين بن عليّ، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن اسرافيل، عن اللوح، عن القلم، قال: يقول الله عزّ وجلّ: ولاية عليّ بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي[2].

وورد في كتب الشيعة والسنة بأسانيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: قال الله جلّ جلاله: لو اجتمع الناس كلّهم على ولاية عليّ ما خلقت النار[3].

وروي عن أنس انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: انّ الله تبارك وتعالى يبعث أناساً وجوههم من نور على كراسيّ من نور، عليهم ثياب من نور، في ظلّ العرش بمنزلة الأنبياء وليسوا بالأنبياء، وبمنزلة الشهداء وليسوا بالشهداء ... قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: فوضع يده على رأس عليّ عليه السّلام وقال: هذا وشيعته[4].

وروىٰ الشيخ الطوسي بأسانيد معتبرة عن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام عن آبائه الكرام عليهم السّلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم انّه قال لعليّ عليه السّلام: إذا كان يوم القيامة، وفرغ الله من حساب الخلائق، دفع الخالق عزّ وجلّ مفاتيح الجنّة والنار

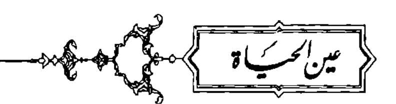
---

(١) أمالي الطوسي: ٢٨٣ ح ٨٧ المجلس العاشر ـ عنه البحار ٤١: ٢٥١ ح ٩ باب ١١٢.

(٢) البحار ٣٩: ٢٤٦ ح ١ باب ٨٧ عن الأمالي للصدوق وعيون أخبار الرضا عليه السّلام ومعاني الأخبار.

(٣) البحار ٣٩: ٢٤٧ ح ٤ باب ٨٧ عن الامالي للصدوق، وهناك مصادر أخر.

(٤) البحار ٦٨: ٨ ح ٣ باب ١٥ في فضائل الشيعة عن أمالي الصدوق.



اليّ فأدفعها إليك، فأقول: احكم[1].

وروىٰ ابن بابويه بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السّلام انّه قال: اذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلايق يقف عليه رجل، يقوم ملك عن يمينه وملك عن يساره، فينادي الذي عن يمينه، يقول: «يا معشر الخلايق هذا عليّ بن أبي طالب صاحب الجنّة يدخل الجنّة من شاء»، وينادي الذي عن يساره «يا معشر الخلايق هذا عليّ بن أبي طالب صاحب النّار يدخلها من شاء»[2].

وروىٰ عن عبد الله بن عمر انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لعليّ بن أبي طالب عليه السّلام: إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا علي على نجيب من نور، وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف، فيأتي النداء من عند الله جلّ جلاله: أين خليفة محمد رسول الله؟

فتقول: ها أناذا؟ قال: فينادي المنادي يا عليّ أدخل من أحبّك الجنّة ومن عاداك النار، فأنت قسيم الجنة، وأنت قسيم النار[3].

وروىٰ عن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام انّه قال: قال عليّ عليه السّلام: كنت جالساً عند الكعبة فاذا شيخ محدودب قد سقط حاجباه على عينيه من شدّة الكبر، وفي يده عكّازة وعلى رأسه برنس أحمر، وعليه مدرعة من الشعر، فدنا الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم والنبيّ مسند ظهره على الكعبة، فقال: يا رسول الله اُدع لي بالمغفرة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: خاب سعيك يا شيخ، وظلّ عملك.

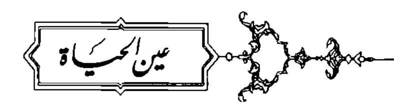
فلمّا تولّي الشيخ قال لي: يا أبا الحسن أتعرفه؟ قلت: لا، قال: ذلك اللعين

---

(١) البحار ٧: ٣٣٨ح ٢٥ باب ١٧، عن أمالي الطوسي: ٣٦٨ح ٣٥ مجلس ١٣.

(٢) علل الشرائع: ١٦٤ ح ٤ باب ١٣٠ ـ عنه البحار ٣٩: ١٩٨ ح ١٠ باب ٨٤.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٩٥ ح ١٤ مجلس ٥٧ ـ عنه البحار ٣٩: ١٩٩ ح ١٢ باب ٨٤.



ابليس.

قال علي عليه السّلام: فعدوت خلفه حتى لحقته وصرعته الى الأرض، وجلست على صدره، ووضعت يدي في حلقه لأخنقه، فقال لي: لا تفعل يا أبا الحسن فانّي من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم، والله يا عليّ انّي لأحبّك جدّاً، وما أبغضك أحد الاّ شركت أباه في أمّه فصار ولد زنا، فضحكت وخلّيت سبيله[1].

وروي عن سلمان رحمة الله عليه انّه قال: مرّ ابليس بنفر يتناولون أمير المؤمنين عليه السّلام فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذي وقف أمامنا، فقال: أنا أبو مرّة.

فقالوا: يا أبا مرّة أما تسمع كلامنا؟ فقال: سوءة لكم تسبون مولاكم عليّ بن أبي طالب، فقالوا له: من أين علمت انّه مولانا؟ فقال: من قول نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلّم «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

فقالوا له: فأنت من مواليه وشيعته، فقال: ما أنا من مواليه ولا من شيعته ولكنّي أحبّه، وما يبغضه أحد الاّ شاركته في المال والولد.

فقالوا: يا أبا مرّة فتقول في عليّ شيئاً، فقال لهم: اسمعوا منّي معاشر الناكثين والقاسطين والمارقين، عبدت الله عزّ وجلّ في الجان اثنتي عشرة الف سنة، فلمّا أهلك الله الجان شكوت الى الله عزّ وجلّ الوحدة فعرج بي الى السماء، فعبدت الله في السماء الدنيا اثنتي عشرة ألف سنة أُخرىٰ في جملة الملائكة.

فبينا نحن كذلك نسبّح الله عزّ وجلّ ونقدّسه إذ مرّ بنا نور شعشعاني فخرّت الملائكة لذلك النور سجّداً، فقالوا: سبوح قدوس، نور ملك مقرّب أو نبيّ مرسل،

---

(١) البحار ٢٧: ١٤٨ ح ١٣ باب ٥ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

فاذا النداء من قبل الله جلّ جلاله: لا نور ملك مقرب ولا نبي مرسل، هذا نور طينة عليّ بن أبي طالب عليه السّلام[1].

وروي عن أبي هريرة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم جاءه رجل، فقال : يا رسول الله أما رأيت فلاناً ركب البحر ببضاعة يسيرة، وخرج الى الصين فأسرع الكرة وأعظم الغنيمة حتى قد حسده أهل ودّه، وأوسع قراباته وجيرانه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: انّ مال الدنيا كلّما ازداد كثرة وعظماً ازداد صاحبه بلاءً، فلا تغتبطوا أصحاب الأموال الّا بمن جاذ بماله في سبيل الله، ولكن ألا أُخبركم بمن هو أقلّ من صاحبكم بضاعة، وأسرع منه كرّة، وأعظم منه غنيمة، وما أُعدّ له من الخيرات محفوظ له في خزائن عرش الرحمٰن؟

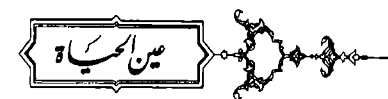
قالوا: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: انظروا الى هذا المقبل اليكم، فنظرنا فاذا رجل من الأنصار رثّ الهيئة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: انّ هذا لقد صعد له في هذا اليوم الى العلوّ من الخيرات والطاعات ما لو قسّم على جميع أهل السماوات والأرض لكان نصيب أقلّهم منه غفران ذنوبه ووجوب الجنّة له، قالوا: بماذا يا رسول الله؟ فقال: سلوه يخبركم عمّا صنع في هذا اليوم.

فأقبل عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقالوا: هنيئاً لك ما بشّرك به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فماذا صنعت في يومك هذا حتى كتب لك ما كتب؟ فقال الرجل: ما أعلم انّي صنعت شيئاً غير انّي خرجت من بيتي وأردت حاجة كنت أبطأت عنها فخشيت أن تكون فاتتني، فقلت في نفسي: لأعتاضنّ منها النظر

---

(١) أمالي الصدوق : ٢٨٤ ح ٦ مجلس ٥٥ ـ عنه البحار ٣٩ : ١٦٢ ح ١ باب ٨٣.



الى وجه عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: «النظر الى وجه عليّ عبادة».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: اي والله عبادة وأيّ عبادة، انّك يا عبد الله ذهبت تبتغي أن تكتسب ديناراً لقوت عيالك ففاتك ذلك، فاعتضت منه النظر الى وجه عليّ، وأنت له محبّ ولفضله معتقد، وذلك خير لك من أن لو كانت الدنيا كلّها لك ذهبة حمراء فأنفقتها في سبيل الله، ولتشفعنّ بعدد كلّ نفس تنفّسته في مصيرك إليه في ألف رقبة يعتقهم الله من النار بشفاعتك[1].

التنوير الخامس

في بيان انّ صحة العبادة مشروطة بالاعتقاد بالأئمة الاثني عشر عليهم السّلام، وبدونه لا ثمرة للعبادة بل توجب العقاب، وهذا ما أجمع عليه علماء الشيعة، والأحاديث في هذا الباب متواترة.

روى ابن بابويه بسند معتبر عن الامام الصادق عليه السّلام انّه قال: انّ أوّل ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جلّ جلاله عن الصلوات المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحجّ المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجّه، وإن لم يقرّ بولايتنا بين يدي الله جلّ جلاله لم يقبل الله عزّ وجلّ منه شيئاً من أعماله[2].

---

(١) البحار ٣٨: ١٩٧ ح ٥ باب ٦٤، عن أمالي الصدوق: ٢٩٦ ح ١ مجلس ٥٨.
(٢) البحار ٢٧: ١٦٧ ح ٢ باب ٧ عن أمالي الصدوق.



وروى عنه عليه السلام أيضاً بسند آخر انّه قال: نزل جبرئيل علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، فقال: يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهنّ، والأرضين السبع ومن عليهنّ، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو انّ عبداً دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين، ثم لقيني جاحداً لولاية عليّ لأكببته في سقر[١].

وروي في حديث آخر انّ الله تعالى أوحىٰ إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم: ... يا محمد لو أنّ عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي ...[٢].

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ... والذي نفس محمد بيده لو انّ عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي[٣].

روي عن أبي حمزة الثمالي انه قال: قال لنا عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام: أيّ البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله اعلم.

فقال: انّ أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو انّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة الّا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع، ثم لقى الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً[٤].

وقد تواتر عن طرق الشيعة والسنة حديث من مات ولم يعرف امام زمانه

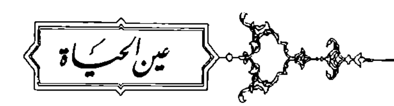
---

(١) أمالي الصدوق: ٣٩٢ ح ١٢ مجلس ٧٣ ـ عنه البحار ٢٧: ١٦٧ ح ٣ باب ٧.

(٢) كمال الدين: ٢٥٢ ضمن حديث ٢ باب ٢٣ ـ عنه البحار ٣٦: ٢٤٥ ضمن حديث ٥٨ باب ٤١.

(٣) أمالي الطوسي: ١٤٠ ح ٤٢ مجلس ٥ ـ عنه البحار ٢٧: ١٧٢ ح ١٥ باب ٧.

(٤) أمالي الطوسي: ١٣٢ ح ٢٢ مجلس ٥ ـ عنه البحار ٢٧: ١٧٢ ح ١٦ باب ٧.



مات ميتة الجاهلية.

التنوير السادس

في ذكر بعض صفات الامام وشرائط الامامة

ليعلم بما انّ احكام الدين والدنيا منوطة بالحكم، فلابد أن يكون الامام عالماً بأحكام الدين، واقفاً علىٰ خصوصيات الآيات القرآنية من المحكم والمتشابه والمجمل والمفصل والناسخ والمنسوخ والعام والخاص.

وكذلك لابدّ أن يكون مطّلعاً علىٰ الأخبار النبوية، والخلاصة انّه لابد أن يعلم جميع العلوم، وأن يكون له كمال الرأي والشجاعة كي يقدر علىٰ مجاهدة أعداء الدين، وأن يكون أعلم الناس لقبح تقديم المفضول علىٰ الفاضل، والمتعلم علىٰ المعلم، والجاهل علىٰ العالم عقلاً، كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن المجيد:

«**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمَّنْ لَّا يَهِدِّي اِلَّا اَنْ يُهْدىٰ**»(١).

وكيف يجوز ذلك مع انّ العلم مبدأ الفضل والكمال، ولذا فضّل الله تعالى آدم عليه السّلام علىٰ الملائكة بالعلم حتى أمر الملائكة بالسجود له، وكذلك اختار تعالى طالوت من حيث امتيازه بالعلم والقدرة، قال تعالى:

«**اِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**»(٢).

ويقول أيضاً في بيان تقدّم رتبة العلماء:

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) البقرة: ٢٤٧.



«هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ»[1].

ولو تأمّل شخص أدنىٰ تأمل لعلم انّ الامام لابد أن يكون أفضل الامة في جميع صفات الكمال، لأنّ الغرض الأصيل في وضع الشرائع والتكاليف تكميل افراد البشر ونجاتهم من النقائص والوصول إلى الكمال والسعادة.

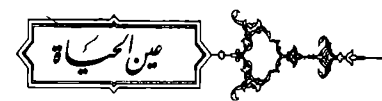
وبما انّ الامام نائب النبي في ارشاد الناس واكتمالهم لابد أن يكون مثل النبي في جميع الكمالات العلمية والعملية كي تترتب هذه الفائدة، وانّ أئمتنا عليهم السلام أكثر علماً وكمالاً من جميع الناس بالاتفاق.

روىٰ ابن بابويه رحمه الله بسند قويّ عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام انّه قال: للإمام علامات، يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس، ويولد مختوناً، ويكون مطهراً، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظلّ، وإذا وقع علىٰ الأرض من بطن امّه وقع علىٰ راحتيه رافعاً صوته بالشهادة.

ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ويكون محدّثاً، ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ولا يُرىٰ له بولٌ ولا غائطٌ لأنّ الله عزّ وجلّ قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه، ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم.

ويكون أشدّ الناس تواضعاً لله عزّ وجلّ، ويكون آخذ الناس بما يأمرهم به، وأكفّ الناس عمّا ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتى لو أنّه دعا علىٰ صخرة لانشقّت نصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وسيفه ذو الفقار،

(١) الزمر: ٩.



ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم الى يوم القيامة.

ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر إهاب ماعز وإهاب كبش، فيهما جميع العلوم حتى أرش الخدش وحتى الجلدة، ونصف الجلدة، وثلث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام[(١)].

وروى الكليني عن الامام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: للامام عشر علامات: يولد مطهّراً، مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينيه، ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب، ولا يتمطّى.

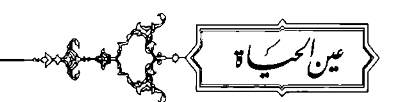
ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك، والأرض موكّلة بستره وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كانت عليه وفقاً، وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدّث إلى أن تنقضي أيامه[(٢)].

وروى الحميري في قرب الاسناد بسند قويّ عن أبي بصير، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: دخلت عليه فقلت له: جعلت فداك بم يعرف الامام؟

فقال: بخصال، أما أولاهنّ فشيء تقدم من أبيه فيه وعرفه الناس ونصبه لهم علماً حتى يكون حجة عليهم، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم نصب علياً عليه السلام علماً وعرفه الناس، وكذلك الأئمة يعرفونهم الناس وينصبونهم لهم حتى يعرفوه،

(١) الخصال: ٥٢٧ ح ١ أبواب الثلاثين ـ عنه البحار ٢٥: ١١٦ ح ١ باب ٤.

(٢) الكافي ١: ٣٨٨ ح ٨ باب مواليد الأئمة ـ عنه البحار ٢٥: ١٦٨ ح ٣٧ باب ٤.



ويُسأل فيجيب، ويُسكت عنه فيبتدئ، ويخبر الناس بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان.

وقال لي: يا أبا محمد الساعة قبل أن تقوم أعطيك علامة تطمئنّ إليها، فوالله ما لبثت أن دخل علينا رجل من أهل خراسان، فتكلّم الخراساني بالعربية، فأجابه هو بالفارسية.

فقال له الخراساني: أصلحك الله ما منعني أن أكلّمك بكلامي الّا انّي ظننت انّك لا تحسن، فقال: سبحان الله إذا كنت لا أُحسن أُجيبك، فما فضلي عليك؟!

ثم قال: يا أبا محمد انّ الامام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح، بهذا يعرف الامام، فان لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بامام[1].

وروي عن أبي نصر البزنطي[2] انّه قال: سُئل أبو الحسن [الرضا] عليه السّلام الامام بأيّ شيء يُعرف بعد الامام؟ قال: انّ للامام علامات، أن يكون أكبر ولد أبيه بعده، ويكون فيه الفضل، وإذا قدم الركب المدينة قال: إلى من أوصى فلان؟ قالوا: الى فلان، والسلاح فينا بمنزلة التابوت في بني اسرائيل، يدور مع الامام حيث كان[3].

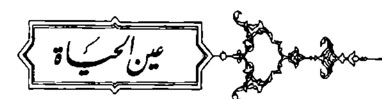
وروي عن عبد الله بن ابان .... انّه قال: قلت للرضا عليه السّلام: ادع الله لي

---

(١) قرب الاسناد: ٣٣٩ ح ١٢٤٤ ـ عنه البحار ٢٥: ١٣٣ ح ٥ باب ٤ وكذلك ٤٨: ٤٧ ح ٣٣ باب ٤ ـ والكافي ١: ٢٨٥ ح ٧ ـ والخرائج ١: ٣٣٣ ح ٢٤ باب ٨.

(٢) هكذا في الخصال والبحار والكافي، لكن في المتن الفارسي (ابو بصير) ولعلّه تصحيف، وفيه أيضاً سألت، لا سُئل بالمجهول.

(٣) الخصال: ١١٦ ح ٩٨ باب الثلاثة ـ عنه البحار ٢٥: ١٣٧ ح ٧ ـ وفي الكافي ١: ٢٨٤ ح ١.



ولأهل بيتي، فقال: أولست أفعل؟ والله انّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام[2]. [والأئمة من ولده].

وروى الكليني عن أبي بصير انه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ... فقال: يا أبا محمد علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت[3] ساعة في الأرض ثم قال: انّه لعلم وما هو ذاك.

قال: ثم قال: يا أبا محمد وانّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم واملائه من فلق فيه وخطّ عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده اليّ فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك انّما أنا لك، فاصنع ما شئت ، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا ـ كأنّه مغضب[4] ـ

قال: قلت: هذا والله العلم، قال: انّه لعلم وليس بذاك، ثم سكت ساعة، ثم قال: وانّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم، فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل، قال:

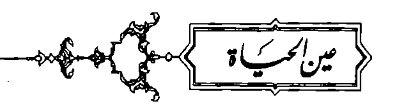
---

(١) التوبة : ١٠٥.

(٢) الكافي ١ : ٢١٩ ح ٤ باب عرض الأعمال على النبي والأئمة عليهم السلام.

(٣) النكت : أن تضرب في الأرض بقضيب فتؤثر فيها (البحار).

(٤) أي غمز غمزاً شديداً كأنّه مغضب (البحار).



قلت: انّ هذا هو العلم، قال: انّه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: وانّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحد.

قال: قلت: هذا والله العلم، قال: انّه لعلم وما هو بذاك، ثم سكت ساعة ثم قال: انّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم ا لساعة، قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: انّه لعلم وليس بذاك.

قال: قلت: جعلت فداك فأيّ شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر من بعد الأمر، والشيء من بعد الشيء إلى يوم القيامة(١).

وروىٰ بسند آخر عن حماد بن عثمان انّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك انّي نظرت في مصحف فاطمة عليها السّلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟

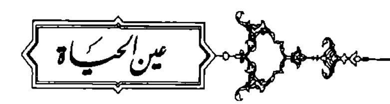
قال: انّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم دخل علىٰ فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه الّا الله عزّ وجلّ، فأرسل الله إليها ملكاً يسلّي غمّها ويحدّثها.

فشكت ذلك(٢) إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السّلام يكتب كلّما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: أما انّه ليس فيه شيء من

---

(١) الكافي ١: ٢٣٨ ح ١ ـ عنه كتاب الوافي ٣: ٥٧٩ ح ١ باب ٨٠ ـ وفي البحار ٢٦: ٣٨ ح ٧٠ باب ١.

(٢) فشكت ذلك لرعبها عليها السلام من الملك حال وحدتها به وانفرادها بصحبته (الوافي).



الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون[1].

وروىٰ بسند معتبر عن أبي يحيى الصنعاني، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال لي: يا أبا يحيى انّ لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن، قال: قلت: جعلت فداك وما ذاك الشأن.

قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى، وأرواح الأوصياء الموتى، وروح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربّها، فتطوف به اسبوعاً، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها، فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملؤا سروراً، ويصبح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمّ الغفير[2].

وروي عن سيف التمار انّه قال: [كنّا مع أبي عبد الله عليه السّلام جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين.

فقال: وربّ الكعبة وربّ البنيّة ـ ثلاث مرّات ـ[3]] لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما لأنّ موسى والخضر عليهما السلام أُعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وراثة[4].

---

(١) الكافي ١ : ٢٤٠ ح ٢ ـ وكتاب الوافي ٣ : ٥٨٠ ح ٢ باب ٨٠ ـ وفي البحار ٢٦ : ٤٤ ح ٧٧ باب ١ عن البصائر ٣ : ١٧٧ ح ١٨ باب ١٤.

(٢) الكافي ١ : ٢٥٣ ح ١ ـ والوافي ٣ : ٥٨٥ ح ١ باب ٨١ ـ والبحار ٢٦ : ٨٩ ح ٨ باب ٣ عن البصائر ٣ : ١٥٠ ح ٢ باب ٨.

(٣) ليس ما وضعناه بين المعكوفتين من المتن الفارسي، وجاء في البحار : « وربّ البيت ».

(٤) الكافي ١ : ٢٦٠ ح ١ ـ والوافي ٣ : ٦٠٠ ح ١ باب ٨٥ ـ والبحار ١٣ : ٣٠٠ ح ٢٠ باب ١٠.

وقال في حديث آخر: ... الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يـفرض طاعة عبد علىٰ العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً[١].

وروي أيضاً عنه عليه السّلام انّه قال: انّ جبرئيل عليه السّلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم برمّانتين، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم احداهما، وكسر الأخرىٰ بنصفين، فأكل نصفاً وأطعم علياً نصفاً.

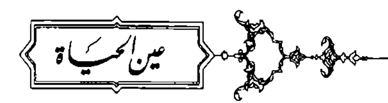
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يا أخي هل تدري ما هاتان الرمـانتان؟ قال: لا، قال: أما الأولىٰ فالنبوة ليس لك فيها نصيب، وأمّا الأخـرىٰ فـالعلم أنت شريكي فيه، فقلت: أصلحك الله كيف كان؟[٢] يكون شريكه فيه؟ قال: لم يعلّم الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم علماً الاّ وأمره أن يعلّمه علياً عليه السّلام[٣].

وروي عن أبي بصير انّه قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قـول الله عـزّ وجلّ: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى»[٤].

قال: خلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وهو مع الأئمة [يسدّدهم[٥]] وهو من الملكوت[٦].

وجاء في بعض الروايات [انّه لمّا تشاجر موسى والخضر عليهما السلام في قصة السفينة والغلام والجدار ورجع موسى الى قومه سأله أخوه هارون عمّا استعلمه

(١) الكافي ١: ٢٦١ ح ٣، باب انّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون.
(٢) هكذا، وفي بصائر الدرجات: كيف يكون....
(٣) الكافي ١: ٢٦٣ ح ١ ـ والوافي ٣: ٦٠٤ ح ١ باب ٨٦ ـ والبحار ٤٠: ٢٠٩ ح ٥ باب ٩٥ عن البصائر ٦: ٣١٢ ح ١ باب ١١.
(٤) الأسراء: ٨٥.
(٥) ليس من الرواية بل زيادة من الترجمة.
(٦) الكافي ١: ٢٧٣ ح ٣ ـ والوافي ٣: ٦٣١ ح ٣ باب ٩٣.



من الخضر عليه السلام وشاهده من عجائب البحر، قال:]

بينا أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر، أخذ في منقاره قطرة ورمى بها نحو المشرق، وأخذ ثانية ورماها في المغرب، وأخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، ورابعة رماها إلى الأرض، ثم أخذ خامسة وعاد ألقاها في البحر.

فبهتنا لذلك، فسألت الخضر عليه السلام عن ذلك فلم يجب، وإذا نحن بصيّاد يصطاد، فنظر الينا وقال: أنا رجل صيّاد قد علمت، وأنتما نبيّان ما تعلمان؟

قلنا: ما نعلم الّا ما علّمنا الله، قال: هذا طائر في البحر يسمّىٰ مسلم، لأنّه إذا صاح يقول في صياحه: مسلم، فأشار برمي الماء من منقاره إلى السماء والأرض والمشرق والمغرب إلى انّه يُبعث نبيّ بعدكما تملك أمّته المشرق والمغرب، ويصعد الى السماء ويدفن في الأرض.

وأما رميه الماء في البحر، يقول: انّ علم العالم عند علمه مثل هذه القطرة، وورث علمه وصيّه وابن عمّه، فسكن ما كنّا فيه من المشاجرة ... ثم غاب الصياد عنّا، فعلمنا انّه ملك بعثه الله الينا ليعرّفنا حيث ادعينا الكمال[1].

وروى الكليني عن عبد الأعلىٰ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله انّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّي، فيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزّ وجلّ: «**فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ**»[2][3].

وروىٰ أيضاً بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: انّ عيسى بن مريم عليه السلام أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطي ابراهيم

---

(١) البحار ١٣: ٣١٢ ح ٥٢ عن رياض الجنان.

(٢) النحل: ٨٩. والآية «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ».

(٣) الكافي ١: ٢٢٩ ح ٤ ـ والوافي ٣: ٥٦١ ح ٥ باب ٧٦.



ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرون حرفاً.

وانّ الله تعالى جمع ذلك كلّه لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وانّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أُعطي محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم اثنين وسبعين حرفاً، وحجب عنه حرف واحد[1].

وروى عن الامام علي النقي عليه السّلام انّه قال: اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف، فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان ... وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب[2].

وروى بسند موثق عن الامام محمد الباقر عليه السّلام قال: كانت عصا موسى لآدم عليه السّلام، فصارت إلى شعيب، ثم صارت إلى موسى بن عمران، وانّها لعندنا، وانّ عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها.

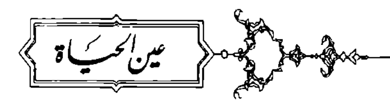
وانّها لتنطق إذا استنطقت، أُعدّت لقائمنا عليه السّلام يصنع بها ما كان يصنع موسى، وانّها لتروّع وتلقف ما يأفكون، وتصنع ما تؤمر به، انّها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، يفتح لها شعبتان إحداهما في الأرض والأخرىٰ في السقف، وبينها أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها[3].

---

(١) الكافي ١ : ٢٣٠ ح ٢ ـ وفي البحار ٢٧ : ٢٥ ح ٢ باب ١٢ عن البصائر ٤ : ٢٢٨ ح ٢ باب ١٢.

(٢) الكافي ١ : ٢٣٠ ح ٣ ـ والوافي ٣ : ٥٦٣ ح ٢ باب ٧٧ ـ وفي البحار ٢٧ : ٢٦ ح ٣ عن البصائر ٤ : ٢٣١ ح ٣ باب نادر.

(٣) الكافي ١ : ٢٣١ ح ١ ـ والوافي ٣ : ٥٦٥ ح ١ باب ٧٨ ـ وفي البحار ٢٦ : ٢١٩ ح ٤١ عن البصائر ٤ : ٢٠٣ ح ٣٦ باب ٤.



وقال الصادق عليه السلام: ألواح موسى عليه السلام عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثة النبيين(١).

وقال الباقر عليه السلام في حديث آخر: انّ القائم إذا قام بمكة وأراد أن يتوجّه إلى الكوفة نادى مناديه: ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً، ويحمل حجر موسى بن عمران وهو وقر بعير، فلا ينزل منزلاً الّا انبعث عين منه، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظامئاً روى، فهو زادهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة(٢).

وروىٰ أيضاً عنه عليه السلام انّه قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمة وهو يقول: همهمة همهمة، وليلة مظلمة، خرج عليكم الامام عليه قميص آدم، وفي يده خاتم سليمان، وعصا موسى عليهم السلام(٣).

وروى بسند آخر عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: أتدري ما كان قميص يوسف عليه السلام؟ قال: قلت: لا، قال: انّ ابراهيم عليه السلام لما أُوقدت له النار أتاه جبرئيل عليه السلام بثوب من ثياب الجنة فألبسه اياه، فلم يضرّه معه حرّ ولابرد، فلّما حضر ابراهيم الموت جعله في تميمة(٤) وعلّقه علىٰ اسحاق، وعلّقه اسحاق علىٰ يعقوب.

فلّما ولد يوسف عليه السلام علّقه عليه، فكان في عضده حتى كان من أمره ما كان، فلمّا أخرجه يوسف بمصر من التميمة وجد يعقوب ريحه وهو قوله:

(١) الكافي ١ : ٢٣١ ح ٢ ـ والوافي ٣ : ٥٦٥ ح ٢ باب ٧٨.

(٢) الكافي ١ : ٢٣١ ح ٣ ـ والوافي ٣ : ٥٦٦ ح ٣ باب ٧٨.

(٣) الكافي ١ : ٢٣١ ح ٤ ـ والوافي ٣ : ٥٦٦ ح ٤ باب ٧٨ ـ والبحار ٢٦ : ٢١٩ ح ٤٠ عن البصائر ٤ : ٢٠٨ ح ٥٢ باب ٤.

(٤) التميمة : الخرزة التي تعلّق علىٰ الانسان وغيره من الحيوانات وتقال لكلّ عوذة تعلّق عليه (الوافي).

«اِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ»[1].

فهو ذلك القميص الذي أنزل الله من الجنة، قلت: جعلت فداك فإلى من صار ذلك القميص؟ قال: إلى أهله، ثم قال: كلّ نبيّ ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم[2].

وروىٰ عن سعيد السمان انّه قال: قال الصادق عليه السلام: ... وانّ عندي لسيف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وانّ عندي لراية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودرعه ولامته ومغفره[3] ... وانّ عندي لراية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المغلبة ...

وانّ عندي الطست الذي كان موسى يقرّب به القربان، وانّ عندي الاسم الذي كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة، وانّ عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة.

ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني اسرائيل، كانت بنو اسرائيل في أيّ أهل بيت وجد التابوت علىٰ أبوابهم اُوتوا النبوة، ومن صار إليه السلاح منّا اُوتى الامامة ...[4].

وروىٰ محمد بن الحسن الصفار باسناده عن مسمع انّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: انّي اعتللت فكنت إذا أكلت عند الرجل تأذّيت به، وانّي أكلت من طعامك ولم أتأذّ به.

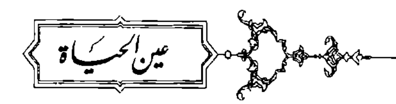
قال: انّك لتاكل طعام قوم تصافحهم الملائكة علىٰ فرشهم، قال: قلت:

(١) يوسف: ٩٤، «تفندون» أي تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من الهرم (الوافي).

(٢) الكافي ١: ٢٣٢ ح ٥ ـ والوافي ٣: ٥٦٦ ح ٥ باب ٧٨.

(٣) اللامة: ضرب من الدرع، والمغفر: نسيج الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح.

(٤) الكافي ١: ٢٣٢ ح ١ ـ والوافي ٣: ٥٦٨ ح ١ باب ٧٩.



ويظهرون لكم؟ قال: هم ألطف بصبياننا منّا[1].

وروىٰ بسند معتبر عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا حسين بيوتنا مهبط الملائكة، ومنزل الوحي، وضرب بيده إلى مساور في البيت، فقال: ياحسين مساور والله طال ما اتكت عليها الملائكة، وربّما التقطنا من زغَبها[2].

وروىٰ عن أبي حمزة الثمالي، قال: دخلت علىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام فاحتبست في الدار ساعة، ثم دخلت عليه البيت وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده في وراء الستر، فناوله من كان في البيت.

فقلت: جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقط ايّ شيء؟ فقال: فضلة من زغب[3] الملائكة نجمعه إذا جاؤونا، نجعله سخاباً[4] لأولادنا، قال: قلت له: جعلت فداك وانّهم ليأتونكم؟ قال: يا أبا حمزة انّهم ليزاحمونا علىٰ تكأتنا[5].

وروىٰ بسند آخر عن المفضل بن عمر انّه قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فبينا أنا جالس عنده إذ أقبل موسى ابنه وفي رقبته قلادة فيها ريش غلاظ، فدعوت به فقبّلته وضممته اليّ، ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أيّ شيء هذا الذي في رقبة موسى؟ فقال: هذا من أجنحة الملائكة.

قال: فقلت: وانّها لتأتينّكم؟ قال: نعم، انّها لتأتينا وتتعفّر في فرشنا، وانّ هذا

---

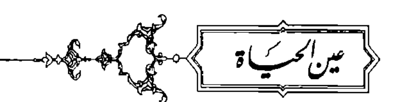
(١) بصائر الدرجات ٢: ١١٠ ح ١ باب ١٧ ـ عنه البحار ٢٦: ٣٥١ ح ٣ باب ٩.

(٢) بصائر الدرجات ٢: ١١٠ ح ٢ باب ١٧ ـ عنه البحار ٢٦: ٣٥٢ ح ٤ باب ٩.

(٣) الزغب بالتحريك: صغار الشعر والريش ولينهما، واوّل ما يبدو منها. (البحار).

(٤) السخاب ككتاب: خيط ينظم فيه خرز ويلبسه الصبيان والجواري، وقيل: هو قلادة يتخذ من قرنفل ومحلب وسكّ ونحوه وليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء (البحار).

(٥) بصائر الدرجات ٢: ١١١ ح ٦ باب ١٧ ـ عنه البحار ٢٦: ٣٥٣ ح ٨ باب ٩.



الذي في رقبة موسى من أجنحتها[1].

وروى أيضاً بسند آخر عنه عليه السلام انّه قال: انّ الملائكة لتتنزل علينا في رحالنا، وتتقلّب علىٰ فرشنا، وتحضر موائدنا، وتأتينا في كلّ نبات[2] في زمانه رطب ويابس.

وتقلّب علينا أجنحتها، وتقلّب أجنحتها علىٰ صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل الينا، تأتينا في وقت كلّ صلاة لتصلّيها معنا، وما من يوم يأتي علينا ولا ليل الّا وأخبار الأرض عندنا وما يحدث فيها، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره الّا وتأتينا بخبره، وكيف كان سيرته في الدنيا[3].

ورىٰ بسند معتبر عن سدير الصيرفي انّه قال: أوصاني أبو جعفر [الباقر] عليه السلام بحوائج له بالمدينة، قال: فبينا أنا في فجّ الروحاء علىٰ راحلتي إذا انسان يلوى بثوبه، قال: فملت إليه وظننت انّه عطشان فناولته الأداوة، قال: فقال: لاحاجة لي بها، ثم ناولني كتاباً طينه رطبٌ.

قال: فلمّا نظرت إلى ختمه إذا هو خاتم أبي جعفر عليه السلام، فقلت له: متى عهدك بصاحب الكتاب؟ قال: الساعة، قال: فاذا فيه اشياء يأمرني بها، ثم قال: التفتّ فإذا ليس عندي أحد.

قال: فقدم أبو جعفر عليه السلام فلقيته، فقلت له: جعلت فداك رجل أتاني بكتاب وطينه رطب، قال: إذا عجّل لنا أمر أرسلت بعضهم، بعني الجن[4].

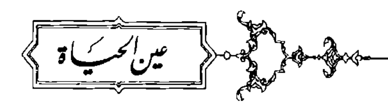
---

(١) بصائر الدرجات ٢: ١١٣ ح ١٣ باب ١٧ ـ عنه البحار ٢٦: ٣٥٥ ح ١٥ باب ٩.

(٢) في البحار « من كلّ نبات » ولعلّه أصح.

(٣) بصائر الدرجات ٢: ١١٣ ح ١٧ باب ١٧ ـ عنه البحار ٢٦: ٣٥٦ ح ١٨ باب ٩.

(٤) بصائر الدرجات ٢: ١١٦ ح ٢ باب ١٨ ـ عنه البحار ٢٧: ١٧ ح ٥ باب ١١ ـ وكذلك ج ٤٦: ٢٨٣ ح ٨٦ باب ٥ ـ وأيضاً في الكافي ١: ٣٩٥ ح ٤.



وروىٰ بسند صحيح عن ابي حمزة الثمالي انّه قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فيما بين مكة والمدينة إذا التفت عن يساره فاذا كلب أسود، فقال: مالك قبحك الله؟ ما أشد مسارعتك؟ فاذا هو شبيه بالطائر، فقلت: ما هو جعلت فداك؟ فقال: هذا عتم بريد الجن، مات هشام الساعة فهو يطير ينعاه في كلّ بلدة[1].

وروى الكليني رحمه الله عن سعد الاسكاف انّه قال: أتيت أبا جعفر عليه السلام في بعض ما أتيته، فجعل يقول: لاتعجل، حتى حميت الشمس عليّ وجعلت أتتبع الأفياء، فما لبث أن خرج عليّ قوم كأنّهم الجراد الصفر، عليهم البتوت قد أنهكتهم العبادة.

فلمّا دخلت عليه ... فقال: يا سعد رأيتهم؟ قلت: نعم، قال: أُولئك إخوانك من الجن، قال: قلت: يأتونك؟ قال: نعم يأتونا يسألونا عن معالم دينهم وحلالهم، وحرامهم[2].

وروىٰ عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ المنبر إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد، فهّم الناس أن يقتلوه، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام أن كفّوا، فكفّوا وأقبل الثعبان ينساب[3] حتى انتهى إلى المنبر، فتطاول فسلّم علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، فأشار أمير المؤمنين عليه السلام اليه أن يقف حتى يفرغ من خطبته، ولمّا فرغ من خطبته أقبل عليه، فقال: من أنت ؟

فقال: أنا عمرو بن عثمان خليفتك علىٰ الجنّ وانّ أبي مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين، فما تأمرني به وما ترى؟

(١) بصائر الدرجات ٢ : ١١٦ ح ٤ باب ١٨ ـ عنه البحار ٢٧ : ١٨ ح ٧ باب ٩.
(٢) الكافي ١ : ٣٩٤ ح ١ ملخصاً.
(٣) الانسياب : مشي الحيّة وما يشبهها.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: اوصيك بتقوى الله، وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجنّ، فانّك خليفتي عليهم، قال: فودّع عمرو أمير المؤمنين وانصرف، فهو خليفته علىٰ الجن، فقلت له: جعلت فداك فيأتيك عمرو وذاك الواجب عليه؟ قال: نعم(١).

ورویٰ بسند معتبر عن النعمان بن بشير انّه قال: كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفي، فلمّا أن كنّا بالمدينة دخل علىٰ أبي جعفر عليه السلام فودّعه وخرج من عنده وهو مسرور حتى وردنا الأُخيرجة ـ اوّل منزل نعدل من فيد إلى المدينة ـ يوم الجمعة فصلّينا الزوال.

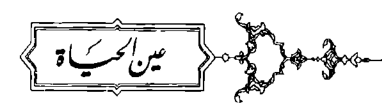
فلمّا نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم معه كتاب، فناوله جابراً، فتناوله فقبّله ووضعه علىٰ عينيه وأذا هو: «من محمد بن عليّ إلى جابر بن يزيد»، وعليه طين أسود رطب.

فقال له: متى عهدك بسيّدي؟ فقال: الساعة، فقال له: قبل الصلاة أو بعد الصلاة؟ فقال: بعد الصلاة، ففكّ الخاتم وأقبل يقرؤه ويقبض وجهه حتى أتى علىٰ آخره، ثم أمسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولامسروراً حتى وافى الكوفة .

فلمّا وافينا الكوفة ليلاً بتّ ليلتي، فلما أصبحت أتيته إعظاماً له، فوجدته قد خرج عليّ وفي عنقه كعابٌ قد علّقها وقد ركب قصبة وهو يقول: «أجد منصور بن جمهور أميراً غير مأمور» وابياتاً من نحو هذا.

فنظر في وجهي ونظرت في وجهه، فلم يقل لي شيئاً ولم أقل له، وأقبلت أبكي لما رأيته، واجتمع عليّ وعليه الصبيان، والناس، وجاء حتى دخل الرحبة

(١) الكافي ١: ٣٩٦ ح ٦ ـ عنه البحار ٣٩: ١٦٣ ح ٣ باب ٨٣.



وأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون: جُنّ جابر بن يزيد جُنّ.

فو الله ما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى واليه ، أن انظر رجلاً يقال له: جابر بن يزيد الجعفي، فاضرب عنقه وابعث اليّ برأسه، فالتفت إلى جلسائه فقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي؟

قالوا: أصلحك الله كان رجلاً له علم وفضل وحديث، وحجّ فجنّ وهو ذا في الرحبة مع الصبيان علىٰ القصب يلعب معهم، قال: فأشرف عليه فاذا هو مع الصبيان يلعب علىٰ القصب، فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله، قال: ولم تمض الأيام حتى دخل منصور بن جمهور الكوفة وصنع ما كان يقول جابر[1] .

وروى محمد بن الحسن الصفار بسند صحيح عن جعفر بن محمد عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

«وَكَذٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»[2].

قال: كشط لابراهيم السماوات السبع حتى نظر إلى مافوق العرش، وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء، وفُعل بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل ذلك، وانّي لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك[3].

وروىٰ بأسانيد كثيرة معتبرة عنه عليه السلام انه قال: انّ لله علماً لايعلمه أحد غيره، وعلماً قد علّمه ملائكته ورسله، فنحن نعلمه[4].

وروىٰ أيضاً بأسانيد معتبرة عن الأئمة عليهم السلام انّ العلم الذي هبط مع آدم

(١) الكافي ١ : ٣٩٦ ح ٧ ـ عنه البحار ٤٦ : ٢٨٢ ح ٨٥ باب ٥.

(٢) الانعام : ٧٥.

(٣) بصائر الدرجات ٢ : ١٢٧ ح ٢ باب ٢٠ ـ عنه البحار ٢٦ : ١١٤ ح ١٥ باب ٦.

(٤) بصائر الدرجات ٢ : ١٣٠ ح ٨ باب ٢١ ـ عنه البحار ٢٦ : ١٦٥ ح ١٥ باب ١٢.



لم يرفع، وانّ العلم يتوارث، وما يموت منّا عالم حتى يخلفه من أهله من يعلم علمه أو ما شاء الله[1].

وروىٰ أيضاً بأسانيد صحيحة عنهم عليهم السلام: انّ توراة موسى، وانجيل عيسى، وزبور داوُد، وصحف ابراهيم، وكتب جميع الأنبياء عندنا، ونقرؤها كما يقرؤونها، ونعلم تفسيرها[2].

وروىٰ بأسانيد مختلفة عن جويرية بن مسهر انّه قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين عليه السلام من قتل الخوارج، حتى إذا قطعنا في ارض بابل حضرت صلاة العصر.

قال: فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس، فقال أمير المؤمنين: يا أيها الناس انّ هذه الأرض ملعونة وقد عذّبت من الدهر ثلاث مرّات، وهي احدى المؤتفكات، وهي أوّل أرض عبد فيها وثن، انّه لايحلّ لنبيّ ولوصيّ نبيّ أن يصلّي فيها، فأمر الناس فمالوا عن جنبي الطريق يصلّون، وركب بغلة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فمضى عليها.

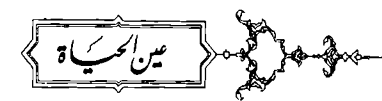
قال جويرية: فقلت: والله لأتبعنّ أمير المؤمنين، ولأقلّدنّه صلاة[3] اليوم، قال: فمضيت خلفه، فوالله ما صرنا جسر سورا حتى غابت الشمس ... قال: فقال: يا جويرية اذّن، قال: فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فنزل ناحية، فتوضّأ ثم قام، فنطق بكلام لا أحسبه الّا بالعبرانية، ثم نادى بالصلاة، فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير، فصلّى العصر وصلّيت معه.

---

(١) بصائر الدرجات ٣: ١٣٤ إلى ١٣٧ تجد روايات كثيرة بهذا المضمون ـ وكذلك البحار ٢٦: ١٦٧ باب ١٢.

(٢) راجع بصائر الدرجات ٣: ١٥٥ باب ١٠ ـ وكذلك البحار ٢٦: ١٨٠ باب ١٣ ـ والكافي ١: ٢٢٧.

(٣) هكذا في البصائر، وفي البحار: صلاتي.



قال: فلمّا فرغنا من صلاته عاد الليل كما كان، فالتفت اليّ فقال: يا جويرية بن مسهر انّ الله يقول: «**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**»[1] فانّي سألت الله باسمه العظيم، فردّ عليّ الشمس[2].

ورویٰ الصفار بسند معتبر عن الحارث الأعور انه قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهى إلى العاقول، فاذا هو بأصل شجرة قد وقع لحاؤها[3] وبقي عمودها.

فضربها بيده، ثم قال: ارجعي باذن الله خضراء مثمرة، فاذا هي تهتز بأغصانها، حملها الكمثرى، فقطعنا وأكلنا وحملنا معنا، فلما كان من الغد غدونا فاذا نحن بها خضراء فيها الكمثرى[4].

ورویٰ عن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: خرج الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بعض عمرة، ومعه رجل من ولد الزبير ... قال: فنزلوا في منهل من تلك المناهل، قال: نزلوا تحت نخل يابس، فقد يبس من العطش، قال: فَفُرش الحسن[5] تحت نخلة، وللزبيري بحذائه تحت نخلة أُخرى.

قال: فقال الزبيري ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، قال: فقال له الحسن: وانّك لتشتهي الرطب، قال: نعم.

فرفع الحسن عليه السلام يده إلى السماء فدعا بكلام لم يفهمه الزبيري،

(١) الواقعة: ٩٦.

(٢) بصائر الدرجات ٥: ٢٣٧ ح ١ باب ٢ ـ عنه البحار ٤١: ١٧٨ ح ١٣ باب ١٠٩ ـ وعلل الشرائع: ٣٥٢ ح ٤ باب ٦١.

(٣) اللّحاء: قشر الشجر.

(٤) بصائر الدرجات ٥: ٢٧٤ ح ٣ باب ١٣ ـ عنه البحار ٤١: ٢٤٨ ح ١ باب ١١٢.

(٥) هكذا في البصائر، وفي البحار: للحسن.

فاخضرت النخلة ثم صارت إلى حالها، وفارقت وحملت رطباً، قال: فقال له الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله، قال: فقال له الحسن: ويلك ليس بسحر، ولكن دعوة ابن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم مجابة ...[1].

وروي أيضاً عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو عبد الله البلخي، معه فانتهى إلى نخلة خاوية، فقال: ايتها النخلة السامعة المطيعة لربّها، أطعمينا فيما جعل الله فيك، قال: فتساقط علينا رطب مختلف ألوانه، فأكلنا حتى تضلّعنا، فقال البلخي: جعلت فداك سنّة فيكم كسنّة مريم[2].

وروىٰ في حديث آخر عن الحسن بن عبد الله انّه طلب من الامام موسى الكاظم عليه السلام معجزة، فقال له:

«اذهب إلى تلك الشجرة، وأشار إلى أم غيلان، فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي، قال: فأتيتها، قال: فرأيتها والله تجبّ الأرض جبوباً حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت ...»[3].

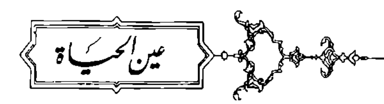
وروىٰ بسند حسنٍ عن أبي بصير انّه قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم؟ قال: نعم، قلت: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلّما علموا؟ فقال لي: نعم، فقلت: أنتم تقدرون علىٰ أن تحيوا الموتى وتبرؤا الأكمه والأبرص؟ فقال لي: نعم، باذن الله.

ثم قال: ادن منّي يا أبا محمد، فمسح يده علىٰ عيني ووجهي، وأبصرت

(١) بصائر الدرجات ٥: ٢٧٦ ح ١٠ باب ١٣ ـ عنه البحار ٤٣: ٣٢٣ ح ١ باب ١٥ ـ وكذلك في الثاقب في المناقب: ٣٠٨ ح ١ فصل ٣ باب ٥ ـ وعيون المعجزات: ٦٠ ـ وكشف الغمة ٢: ١٨٠.

(٢) بصائر الدرجات ٥: ٢٧٤ ح ٥ باب ١٣ ـ عنه البحار ٤٧: ٧٦ ح ٤٥ باب ٥.

(٣) بصائر الدرجات ٥: ٢٧٥ ح ٦ باب ١٣ ـ عنه البحار ٤٨: ٥٢ ح ٤٨ باب ٤.



الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلّ شيء في الدار، قال: أتحبّ أن تكـون هكذا ولك ما للناس، وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً، قلت: أعود كما كنت، قال: فمسح علىٰ عيني فعدت كما كنت[1].

وروىٰ بسند آخر عن أبي بصير انّ ابا عبد الله عليه السلام مسح علىٰ عينه فجعل ينظر إليه، ثم قال عليه السلام له:

«يا أبا محمد لولا شهرة الناس لتركتك بصيراً علىٰ حالك ...» ثم مسح يده علىٰ عيني فاذا أنا كما كنت[2].

وروىٰ بسند معتبر عن عليّ بن المغيرة انّه قال: مرّ العبد الصالح [موسى بن جعفر عليه السلام] بامرأة بمنى، وهي تبكي وصبيانها حولها يبكون، وقد ماتت بقرة لها، فدنا منها ثم قال لها: ما يبكيك يا امة الله؟ قالت: يا عبد الله انّ لي صبياناً أيتاماً فكانت لي بقرة، معيشتي ومعيشة صبياني كان منها، فقد ماتت وبقيت منقطعة بي وبولدي ولاحيلة لنا.

فقال لها: يا أمة الله هل لك أن أُحييها لك؟ قال[3]: فأُلهمت ان قالت: نعم يا عبد الله، قال: فتنحّى ناحية، فصلّى ركعتين ثم رفع يديه يمينه وحرّك شفتيه، ثم قام فمرّ بالبقرة فنخسها نخساً أو ضربها برجله، فاستوت علىٰ الأرض قائمة.

فلما نظرت المرأة إلى البقرة قد قـامت صـاحت عـيسى بـن مـريم ورب الكعبة، قال: فخالط الناس وصار بينهم ومضى بينهم[4].

---

(١) بصائر الدرجات ٦: ٢٨٩ ح ١ باب ٣ ـ عنه البحار ٤٦: ٢٣٧ ح ١٣ باب ٥.
(٢) بصائر الدرجات ٦: ٢٩١ ح ٧ باب ٣ ـ عنه البحار ٤٧: ٧٩ ح ٥٩ باب ٥.
(٣) هكذا في البحار، وفي البصائر: (قالت) ولعلّه تصحيف.
(٤) بصائر الدرجات ٦: ٢٩٢ ح ٢ باب ٤ ـ عنه البحار ٤٨: ٥٥ ح ٦٢ باب ٤.

ورویٰ عن داود بن كثير انّه قال: حجّ رجل من أصحابنا، فدخل علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال: فداك أبي وأُمي انّ أهلي قد توفيت وبقيت وحيداً، فقال ابو عبد الله عليه السلام: أفكنت تحبّها؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: ارجع إلى منزلك فانّك سترجع إلى المنزل وهي تاكل شيئاً، قال: فلما رجعت من حجتي ودخلت منزلي رأيتها قاعدة وهي تأكل(١).

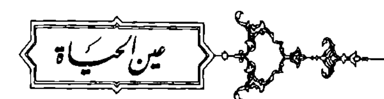
ورویٰ بسند صحيح عن الحسين بن عليّ الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال لي بخراسان: رأيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ها هنا والتزمته(٢).

وروى بأسانيد كثيرة عن أبي عبد الله عليه السلام انّ أمير المؤمنين عليه السلام لقى أبا بكر فاحتجّ عليه، ثم قال له: أما ترضى برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بيني وبينك؟ قال: فكيف لي به، فأخذ بيده وأتى مسجد قبا، فاذا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فيه، فقضى علىٰ أبي بكر(٣).

[وفي رواية أُخرى قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: الم آمرك بالتسليم لعليّ واتباعه](٤) فرجع أبو بكر مذعوراً، فلقى عمر فأخبره، فقال: ما لك أما علمت سحر بني هاشم(٥).

وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام انّه قال: كنت ردف أبي وهو يريد العريض، قال: فلقيه شيخ أبيض الرأس واللحية يمشي، قال: فنزل إليه فقبل بين

(١) بصائر الدرجات ٦: ٢٩٤ ح ٥ باب ٤ ـ عنه البحار ٤٧: ٨٠ ح ٦٤ باب ٥.
(٢) بصائر الدرجات ٦: ٢٩٤ ح ١ باب ٥ ـ عنه البحار ٦: ٢٤٧ ح ٨٠ باب ٨.
(٣) وطبقاً للترجمة قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم له: « اعتزل عن ظلم أمير المؤمنين ».
(٤) بصائر الدرجات ٦: ٢٩٧ ضمن حديث ١٠ باب ٥.
(٥) بصائر الدرجات ٦: ٢٩٤ ح ٢ باب ٥ ـ ونحوه في البحار ٢٢: ٥٥١ ح ٥ باب ٣.



عينيه ... ثم جعل يقول له: جعلت فداك، والشيخ يوصيه ... قال: وقام أبي حتى توارى الشيخ ثم ركب، فقلت: يا أبة من هذا الذي صنعت به مالم أرك صنعته بأحد؟ قال: هذا أبي يا بنيّ(1).

وروىٰ عن سماعة انّه قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام وأنا أُحدّث نفسي، فرعاني فقال: ما لك تحدّث نفسك، تشتهي أن ترىٰ أبا جعفر عليه السلام؟ قلت: نعم، قال: فقم فادخل البيت، فدخلت فاذا هو أبو جعفر عليه السلام.

قال: اتى قوم من الشيعة الحسن بن عليّ عليه السلام بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام فسألوه، قال: تعرفون أمير المؤمنين عليه السلام إذا رأيتموه؟ قالوا: نعم، قال: فارفعوا الستر، فرفعوه فاذا هم بأمير المؤمنين عليه السلام لاينكرونه [وقال أمير المؤمنين عليه السلام: يموت من مات منّا وليس بميّت، ويبقى من بقي منّا حجة عليكم](2).

وروىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: لما اخرج بعليّ عليه السلام ملبباً، وقف عند قبر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: يا ابن أُم انّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، قال: فخرجت يد من قبر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يعرفون انّها يده، وصوت يعرفون انّه صوته نحو أبي بكر: أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً(3).

وفي رواية اخرى انّها كانت مكتوبة علىٰ اليد.

وروىٰ بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: خرج أمير المؤمنين عليه

(1) بصائر الدرجات ٦: ٢٩٤ ح ٣ باب ٥ ـ عنه البحار ٦: ٢٤٨ ح ٨٤ باب ٨.

(2) بصائر الدرجات ٦: ٢٩٥ ح ٤ باب ٥ وليس ما بين المعكوفتين في المتن الفارسي.

(3) بصائر الدرجات ٦: ٢٩٥ ح ٥ باب ٥ ـ عنه البحار ٢٨: ٢٢٠ ح ١٠ باب ٤ ـ والاختصاص: ص ٢٧٥.

السلام بالناس يريد صفين حتى عبر الفرات، فكان قريباً من الجبل بصفين إذ حضرت صلاة المغرب، فأمعن بعيداً ثم توضّأ واذّن.

فلمّا فرغ من الاذان انفلق الجبل عن هامة بيضاء بلحية بيضاء ووجه أبيض، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، مرحباً بوصيّ خاتم النبيين، وقائد الغرّ المحجلين، والأعز المأثور، والفاضل، والفائق بثواب الصديقين، وسيد الوصيّين.

قال له: وعليك السلام يا أخي شمعون بن حمون، وصيّ عيسى بن مريم روح القدس، كيف حالك؟ قال: بخير يرحمك الله، أنا منتظر روح الله ينزل ، فلا أعلم احداً أعظم في الله بلاء، ولا أحسن غداً ثواباً، ولا أرفع مكاناً منك، اصبر يا أخي علىٰ ما أنت عليه حتى تلقى الحبيب غداً، فقد رأيت أصحابك بالأمس أقواماً لقوا ما لاقوا من بني اسرائيل، نشروهم بالمناشير، وحملوهم علىٰ الخشب.

فلو تعلم هذه الوجوه الغريزة الشافهة[1] ما أعدّ الله لهم من عذاب ربّك وسوء نكاله لاقصروا، ولو تعلم هذه الوجوه المضيئة ماذا لهم من الثواب في طاعتك، لتمنّت انّها قرضت بالمقاريض، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، والتأم الجبل، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى عسكره.

فسأله عمار بن ياسر، وابن عباس، ومالك الأشتر، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وقيس بن سعد الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعبادة بن صامت، وأبو الهيثم بن التيهان عن الرجل، فأخبرهم انّه شمعون بن حمون وصيّ عيسى بن مريم.

---

(١) في البحار: « الوجوه العزيزة الشائهة ».

وسمعوا كلامهما فازدادوا بصيرة، فقال له عبادة بن صامت وأبو أيوب: لاهلعنّ[1] قلبك يا أمير المؤمنين، بأُمّهاتنا وآبائنا نفديك يا أمير المؤمنين، فوالله لننصرنّك كما نصرنا أخاك رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، ولايتخلّف عنك من المهاجرين والأنصار الّا شقي، فقال لهما معروفاً، وذكرهما بخير[2].

وروى أيضاً عن عباية الأسدي انه قال: دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وعنده رجل رثّ الهيئة، وأمير المؤمنين عليه السلام مقبل عليه يكلّمه، فلمّا قام الرجل قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الذي أشغلك عنّا؟ قال: هذا وصيّ موسى عليه السلام[3].

وروي في أخبار مستفيضة عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال له رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: «يا عليّ إذا أنا متّ فاغسلني، وكفّني، ثم اقعدني واسألني واكتب»[4].

وروى بأسانيد معتبرة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انّه قال: كنت خلف أبي وهو علىٰ بغلته، فنفرت بغلته، فاذا رجل شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه، فقال: يا عليّ بن الحسين اسقني اسقني، فقال الرجل: لاتسقه لاسقاه الله، قال: وكان الشيخ معاوية[5].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام بطرق كثيرة انّه قال: كنت أسير مع أبي في طريق مكة ونحن علىٰ ناقتين، فلمّا صرنا بوادي ضجنان خرج رجل في عنقه

---

(١) في البحار: «لايهلعنّ» أي لايجزعنّ.
(٢) بصائر الدرجات ٦: ٣٠٠ ح ١٦ باب ٥ ـ عنه البحار ٣٩: ١٣٤ ح ٧ باب ٧٩.
(٣) بصائر الدرجات ٦: ٣٠٢ ح ١٩ باب ٥ ـ عنه البحار ٣٩: ١٣٤ ح ٦ باب ٧٩.
(٤) بصائر الدرجات ٦: ٣٠٢ ح ١ باب ٦.
(٥) بصائر الدرجات ٦: ٣٠٤ ح ١ باب ٧ ـ عنه البحار ٣٣: ١٦٧ ح ٤٣٩ باب ١٧.

سلسله يجرّها، فقال: يا أبا جعفر اسقني سقاك الله.

فتبعه رجل آخر، فاجتذب السلسلة وقال: يا ابن رسول الله لاتسقه لاسقاه الله، قال: ثم التفت اليّ أبي فقال: يا جعفر عرفت هذا؟ هذا معاوية[١].

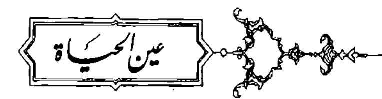
وروىٰ عن يحيى بن امّ طويل انّه قال: صحبت عليّ بن الحسين عليه السلام في المدينة إلى مكة وهو علىٰ بغلته، وأنا على راحلة فجزنا وادي ضجنان ... (ثم ساق الحديث نحو ما مرّ)[٢].

وروىٰ عن أبي حمزة انّه قال: كنت مع عليّ بن الحسين عليه السلام فانتشرت العصافير وصوّتت، فقال: يا أبا حمزة أتدري ما تقول؟ قلت: لا، قال: تقدّس ربّها، وتسأل قوت يومها، قال: ثم قال: يا أبا حمزة عُلّمنا منطق الطير، وأُوتينا من كلّ شيء[٣].

وروىٰ عن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده إذ نظرت إلى زوج حمام عنده، فهدر الذكر على الأنثى، فقال لي: أتدري ما يقول؟ قلت: لا، قال: يقول: ياسكني وعرسي، ما خلق أحبّ اليّ منك الّا أن يكون مولاي جعفر بن محمد عليهما السلام[٤].

وروى باسناد معتبر عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت عنده يوماً إذ وقع عليه زوج ورشان فهدرا، فردّ عليهما أبو جعفر عليه السلام كلامهما ساعة ثم نهضا، فلما صارا علىٰ الحائط هدل الذكر علىٰ الأُنثى ساعة ثم نهضا.

(١) بصائر الدرجات ٦: ٣٠٥ ح ٥ باب ٧ ـ وفي البحار ٤٦: ٢٨٠ ح ٨١ باب ٥.
(٢) بصائر الدرجات ٦: ٣٠٦ ح ٦ باب ٧ ـ عنه البحار ٣٣: ١٦٨ ح ٤٤١ باب ١٧.
(٣) بصائر الدرجات ٧: ٣٦١ ح ٢ باب ١٤ ـ عنه البحار ٤٦: ٢٣ ح ٣ باب ٣ ـ والاختصاص: ٢٩٣.
(٤) بصائر الدرجات ٧: ٣٦٢ ح ٤ باب ١٤ ـ عنه البحار ٤٧: ٨٥ ح ٨٠ باب ٥.



فقلتْ: جعلت فداك ما حال الطير؟ فقال: يا ابن مسلم كلّ شيء خلقه الله من طين، أو بهيمة، أو شيء فيه روح، هو أسمع لنا وأطوع من ابن آدم، انّ هذا الورشان آساءه ظنّ السوء، فَحَلَفَتْ له ما فَعَلَتْ، فقالت: ترضى بمحمد بن عليّ، فرضيا بي، وأخبرته انّه لها ظالم، فصدّقها[1].

وروى عن سليمان الجعفري انّه قال: كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام في حائط له إذ جاء عصفور، فوقع بين يديه وأخذ يصيح ويكثر الصياح ويضطرب، فقال لي: يا فلان أتدري ما يقول هذا العصفور؟ قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

قال: انّها تقول انّ حيّة تريد أكل فراخي في البيت فقم فخذ تيك النبعة وادخل البيت واقتل الحية، قال: فأخذت النبعة، وهي العصا، ودخلت البيت وإذا حيّة تجول في البيت، فقتلتها[2].

وروى عن أحمد بن هارون انّه قال: [أتيت ابا الحسن عليه السلام لأُسلّم عليه، فقال لي: اركب ندور في أموالنا، فأتيت فازة[3] قد ضربت على جدول ماء كان عنده خضرة، فاستنزه ذلك فضربت له الفازة.

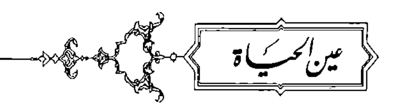
فجلست حتى أتى على فرس له، فقبّلت فخذه ونزل، فأمسكت ركابه وأهويت لأخذ العنان، فأبى وأخذه هو فأخرجه من رأس الدابة][4] وعلّقه في طنب من أطناب الفازة، فجلس وسألني عن مجيئي وذلك عند المغرب.

(١) بصائر الدرجات ٧: ٣٦٢ ح ٥ باب ١٤ ـ عنه البحار ٤٦: ٢٣٨ ح ١٧ باب ٥ ـ وفي الكافي ١: ٤٧٠ ح ٤.

(٢) بصائر الدرجات ٧: ٣٦٥ ح ١٩ باب ١٤ ـ عنه البحار ٤٩: ٨٨ ح ٨ باب ٦.

(٣) الفازة: مظلّة بعمودين.

(٤) ليس ما وضعناه بين المعكوفتين في المتن الفارسي.



فأعلمت بمجيئي من القصر إلى ان حمحم الفرس، فضحك عليه السلام ونطق بالفارسية وأخذ بعرفها، فقال: اذهب فبل، فرفع رأسه فنزع العنان، ومرّ يتخطّى الجداول والزرع إلى براح حتى بال ورجع، فنظر اليّ فقال: انّه لم يعط داود وآل داود شيئاً الّا وقد أُعطي محمد وآل محمد أكثر منه(١).

وروى بسند معتبر عن محمد بن مسلم انّه قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام بين مكة والمدينة، وأنا أسير علىٰ حماري وهو علىٰ بغلته إذ أقبل ذئب من رأس الجبل حتى انتهى إلى أبي جعفر عليه السلام.

فحبس البغلة، ودنا الذئب حتى وضع يده على قربوس السرج، ومدّ عنقه إلى اذنه، وأدنى أبو جعفر عليه السلام أُذنه منه ساعة، ثم قال: امض فقد فعلت، فرجع مهرولاً.

قال: قلت: جعلت فداك لقد رأيت عجباً، قال: وتدري ما قلت؟ قال: قلت: الله ورسوله اعلم، قال: انّه قال لي: يا ابن رسول الله انّ زوجتي في ذلك الجبل، وقد تعسّر عليها ولادتها، فادع الله أن يخلصها ولايسلّط أحداً من نسلي علىٰ أحدٍ من شيعتكم، قلت: فقد فعلت(٢).

وروى بأسانيد معتبرة انّه كان ابو محمد عليّ بن الحسين عليه السلام قاعداً في جماعة من أصحابه إذ جاءته ظبية، فبصبصت وضربت بيديها، فقال أبو محمد: أتدرون ما تقول الظبية؟ قالوا: لا.

قال: تزعم انّ فلان بن فلان ـ رجلاً من قريش ـ اصطاد خشفاً لها في هذا

---

(١) بصائر الدرجات ٧: ٣٦٩ ح ٩ باب ١٥ ـ عنه البحار ٤٨: ٥٧ ح ٦٦ باب ٤.
(٢) بصائر الدرجات ٧: ٣٧١ ح ١٢ باب ١٥ ـ عنه البحار ٤٦: ٢٣٩ ح ٢٠ باب ٥.

اليوم، وانّما جاءت اليّ تسألني أن أسأله أن يضع الخشف بين يديها فترضعه.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام لأصحابه: قوموا بنا إليه، فقاموا بأجمعهم فأتوه، فخرج إليهم، قال: فداك أبي وأُمي ما حاجتك؟ فقال: أسألك بحقّي عليك الّا أخرجت اليّ هذه الخشف التي اصطدتها اليوم، فأخرجها فوضعها بين يدي أمها فأرضعتها، ثم قال عليّ بن الحسين عليه السلام: أسألك يا فلان لما وهبت لي هذه الخشف.

قال: قد فعلت، قال: فأرسل الخشف مع الظبية، فمضت الظبية فبصبصت وحرّكت ذنبها، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: أتدرون ما تقول الظبية؟ قالوا: لا، قال: انّها تقول: ردّ الله عليكم كلّ غائب لكم، وغفر لعليّ بن الحسين كما ردّ عليّ ولدي[1].

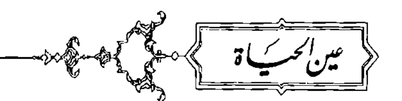
وروى بسند معتبر عن يونس بن ظبيان، والمفضل بن عمر، وأبو سلمه السراج، والحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قالوا: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: لنا خزائن الأرض ومفاتيحها، ولو شئت أن أقول باحدى رجلي أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت.

قال: فقال باحدى رجليه، فخطها في الأرض خطّاً فانفجرت الأرض، ثم قال بيده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر فتناولها، فقال: انظروا فيها حسّاً حسناً لاتشكّوا.

ثم قال: انظروا في الأرض، فاذا سبائك في الأرض كثيرة بعضها علىٰ بعض يتلألأ، فقال له بعضنا: جعلت فداك اعطيتم كلّ هذا وشيعتكم محتاجون، فقال: انّ

---

(١) راجع البحار ٤٦: ٢٦ ح ١١ باب ٣ ـ عن بصائر الدرجات ٧: ٣٧٢ ح ١٤ باب ١٥.



الله سيجمع لّنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة، يدخلهم جنات النعيم، ويدخل عدوّنا الجحيم [١].

وروىٰ أيضاً انّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مع أصحابه في مسجد الكوفة، فقال له رجل: بأبي وأمي انّي لأتعجب من هذه الدنيا التي في أيدي هؤلاء القوم وليست عندكم.

فقال: يا فلان أترى انّا نريد الدنيا فلا نعطاها، ثم قبض قبضة من الحصى فاذا هي جواهر، فقال: ما هذا؟ فقلت: هذا من أجود الجواهر، فقال: لو أردناه لكان ولكن لا نريده، ثم رمىٰ بالحصى فعادت كما كانت [٢].

وروى عن جابر الجعفي انّه قال: كنت يوماً عند أبي جعفر جالساً، فالتفت اليّ فقال لي: ياجابر ألك حمار فيقطع ما بين المشرق والمغرب في ليلة؟ فقلت له: لا جعلت فداك، فقال: انّي لأعرف رجلاً بالمدينة له حمار يركبه، فيأتي المشرق والمغرب في ليلة [٣] (يعني نفسه).

وروى بسند معتبر عن سدير الصيرفي انّه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: انّي لأعرف رجلاً من أهل المدينة أخذ قبل انطباق الأرض إلى الفئة التي قال الله في كتابه:

«وَمِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» [٤].

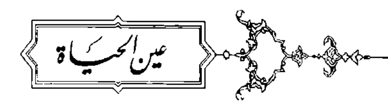
---

(١) بصائر الدرجات ٨: ٣٩٤ ح ١ باب ٢ ـ عنه البحار ٤٧: ٨٧ ح ٨٨ باب ٥.

(٢) بصائر الدرجات ٨: ٣٩٥ ح ٣ باب ٢ ـ عنه البحار ٤١: ٢٥٤ ح ١٥ باب ١١٢.

(٣) بصائر الدرجات ٨: ٤١٧ ح ٢ باب ١٢ ـ عنه البحار ٢٥: ٣٦٩ ح ١٦ باب ١٣.

(٤) الاعراف: ١٥٩.



لمشاجرة كانت فيما بينهم وأصلح بينهم ورجع ولم يقعد، فمرّ بنطفكم[١] فشرب منها يعني الفرات، ثم مرّ عليك يا أبا الفضل يقرع عليك بابك[٢]، ومرّ برجل عليه مسوح معقل به عشرة موكلون يستقبل في الصيف عين الشمس، ويوقد حوله النيران ويدورون به حذاء الشمس حيث دارت ... فمرّ به رجل فقال: ما قصتك؟ قال له الرجل: إن كنت عالماً فما اعرفك بأمري، ويقال انّه ابن آدم القاتل.

وقال محمد بن مسلم: وكان الرجل محمد بن عليّ عليه السلام[٣].

وروىٰ عن عبد الصمد بن عليّ انّه قال: دخل رجل علىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا منجم.

قال: فأنت عرّاف، قال: فنظر إليه ثم قال: هل أدلّك علىٰ رجل مرّ مذ دخلت علينا في أربع عشر عالماً، كلّ عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرّات، لم يتحرّك من مكانه؟ قال: ومن هو؟ قال: أنا، وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادّخرت في بيتك[٤].

وروىٰ عن أبان بن تغلب بسند معتبر انّه قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فدخل عليه رجل من أهل اليمن، فقال: يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: يسير في ليلة مسيرة شهرين، يزجر الطير، ويقفوا الأثر.

---

(١) النطفة بالضم: الماء الصافي قلّ أو كثر والجمع نطاف ونطف.

(٢) وزاد في المتن الفارسي: «ولم يصبر حتى تفتح الباب خوفاً من الشهرة».

(٣) بصائر الدرجات ٨: ٤١٩ ح ١١ باب ١٢ ـ عنه البحار ٤٦: ٢٤١ ح ٢٨ باب ٥.

(٤) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٠ ح ١٣ باب ١٢ ـ عنه البحار ٤٦: ٢٦ ح ١٢ باب ٣.



فقال أبو عبد الله عليه السلام: عالم المدينة أعلم من عالمكم، قال: فما بلغ من علم عالم المدينة؟ قال: يسير في ساعة من النهار مسيرة شمس سنة حتى يقطع اثنى عشر ألف مثل عالمكم هذا، ما يعلمون انّ الله خلق آدم ولا ابليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم ما افترض عليهم الّا ولايتنا، والبراءة من عدوّنا[1].

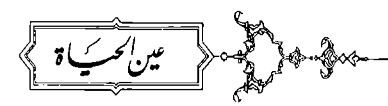
وروىٰ عن محمد بن حسان [عن عليّ بن خالد، وكان زيدياً]انّه قال: كنت في العسكر فبلغني انّ هناك رجل محبوس اتي به من ناحية الشام مكبولاً، وقالوا: انّه تنبّأ، قال عليّ: فداريت القوّادين والحجب حتّى وصلت إليه، فإذا رجل له فهم، فقلت له: يا هذا ما قصّتك وما امرك؟

فقال لي: كنت رجلاً بالشام أعبد الله عند رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فبينا أنا في عبادتي إذ أتاني شخص، فقال: قم بنا، قال: فقمت معه، قال: فبينا أنا معه في مسجد الكوفة فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ قلت: نعم هذا مسجد الكوفة، قال: فصلّي وصلّيت معه.

فبينا أنا معه في مسجد المدينة، قال: فصلّى وصلّيت وصلّى علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعا له، فبينا أنا معه إذا أنا بمكّة، فلم أزل معه حتّى قضى مناسكه وقضيت مناسكي معه، قال: فبينا أنا معه إذا أنا بموضعي الّذي كنت أعبد الله فيه بالشام.

قال: ومضى الرّجل، قال: فلمّا كان عام قابل في أيّام الموسم إذا أنا به، وفعل بي مثل فعلته الاولى، فلمّا فرغنا من مناسكنا وردّني إلى الشام وهّم بمفارقتي،

(١) بصائر الدرجات ٨: ٤٢١ ح ١٥ باب ١٢ ـ عنه البحار ٢٥: ٣٦٩ ح ١٤ باب ١٣ ـ وكذلك في ٥٨: ٢٢٨ ح ١٠ باب ١٠.



قلت له: سألتك بحقّ الّذي أقدرك علىٰ ما رأيت إلّا أخبرتني من أنت قال: فأطرق طويلاً ثمّ نظر الّي فقال: أنا محمّد بن عليّ بن موسى.

فتراقى الخبر إلى محمّد بن عبد الملك الزّيات، قال: فبعث الّي فأخذني وكبّلني في حديد، وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى.

قال: قلت له: ارفع قصّتكم إلى محمّد بن عبد الملك، فقال ومن لي يأتيه بالقصّة، قال: فأتيته بقرطاس ودوات فكتب قصّته إلى محمّد بن عبد الملك، فذكر في قصّته ما كان.

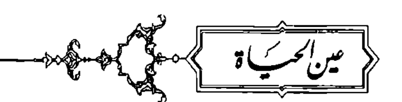
قال: فوقّع في القصّة (قل للّذي أخرجك في ليلة من الشام إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى المدينة، ومن المدينة إلى المكان، أن يخرجك من حبسك) قال عليّ: فغمّني أمره ووقفت له وأمرته بالعزاء.

قال: ثمّ بكرت عليه يوماً فاذا الجند وصاحب الحرس وصاحب السجن وخلق عظيم يتفحّصون حاله، قال: فقلت: ما هذا؟ قالوا: المحمول من الشام الّذي تنبّأ افتقد البارحة، لاندري خسف به الأرض، أو اختطفه الطير في الهواء[1].

وروى عن حفص التمار انّه قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام ايّام صلب المعلّى بن خنيس، قال: فقال لي: يا أبا حفص انّي أمرت المعلّى بن خنيس بأمر فخالفني فابتلى بالحديد.

انّي نظرت إليه يوماً وهو كئيب حزين، فقلت له: مالك يا معلىّ كأنّك ذكرت أهلك ومالك وولدك وعيالك؟ قال: أجل، قلت: ادن منّي، فدنا منّي، فمسحت وجهه فقلت: أين تراك؟ قال: أراني في بيتي، هذه زوجتي، وهذا ولدي فتركته

(١) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٢ ح ١ باب ١٣ ـ عنه البحار ٥٠: ٣٨ ح ٣ باب ٣ ـ وفي الكافي ١: ٤٩٢ ح ١.



حتّى تملاء منهم واستترت منهم حتّى نال منها ما ينال الرّجل من أهله ثمّ قلت له: أُدن منّي، فدنا فمسحت وجهه فقلت: أين تراك؟ فقال: أراني معك في المدينة هذا بيتك.

قال: قلت له: يا معليّ انّ لنا حديثاً من حفظ علينا حفظ الله عليه دينه ودنياه، يا معليّ لاتكونوا أسرى في أيدي النّاس بحديثنا، إن شاؤا آمنوا عليكم، وإن شاؤا قتلوكم.

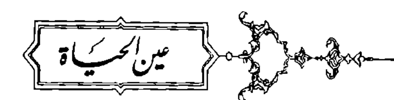
انّه من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نورا بين عينيه، ورزقه الله العزّة في الناس، ومن أذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتّى يعضّه السلاح، أو يموت كبلا، يا معليّ بن خنيس وأنت مقتول فاستعدّ(١).

وروى عن عبد الله بن سنان انّه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، فقال لي: حوض ما بين بصرى إلى صنعاء أتحبّ أن تراه؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: فأخذ بيديّ وأخرجني إلى ظهر المدينة.

ثمّ ضرب برجله فنظرت إلى النهر يجري لايدرك حافتيه الّا الموضع الّذي أنا فيه قائم، فانّه شبيه بالجزيرة، فكنت أنا وهو وقوفا، فنظرت إلى نهر يجري جانبه ماء أبيض من الثلج، ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج، وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت، فما رأيت شيئاً أحسن من تلك الخمر بين اللّبن والماء، فقلت له: جعلت فداك من أين يخرج هذا ومجراه.

فقال: هذه العيون الّتي ذكرها الله في كتابه أنهار في الجنّة، عين من ماء، وعين من لبن، وعين من خمر، تجري في هذا النهر ورأيت حافتيه عليهما شجر

(١) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٣ ح ٢ باب ١٣ ـ عنه البحار ٤٧: ٨٧ ح ٩١ باب ٥.



فيهنّ حور معلّقات، برؤوسهنّ شعر ما رأيت شيئاً أحسن منهنّ، وبأيديهنّ آنية ما رأيت آنية أحسن منها، ليست من آنية الدنيا، فدنا من احديهنّ فاومى بيده تسقيه، فنظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها.

فاغترفت فمالت الشجرة معها، ثمّ ناولته فشرب، ثمّ ناولها وأومى إليها فمالت لتغرف فمالت الشجرة معها، ثمّ ناولته فناولني، فشربت، فما رأيت شراباً كان ألين منه، ولا ألذّ منه، وكانت رايحته رايحة المسك.

فنظرت في الكأس فاذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب، فقلت له: جعلت فداك ما رأيت كاليوم قطّ، ولا كنت أرى انّ الأمر هكذا، فقال لي: هذا أقلّ ما أعدّه الله لشيعتنا، انّ المؤمن إذا توفّى صارت روحه إلى هذا النّهر، ورغب[1] في رياضه، وشربت من شرابه، وانّ عدوّنا إذا توفّي صارت روحه إلى وادي برهوت، فأخلدت في عذابه، وأطعمت من زقّومه، وأسقيت من حميمه، فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي[2].

وروىٰ عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام[3]، قال: سألته عن قول الله عزّوجل «**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»[4].

قال: فكنت مطرقا إلى الأرض، فرفع يده إلى فوق، ثمّ قال لي: ارفع رأسك، فرفعت رأسي فنظرت الى السقف قد انفجر حتّى خلص بصري إلى نور ساطع حار بصري دونه، قال: ثمّ قال لي: رأى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض هكذا.

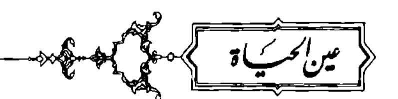
---

(١) هكذا، وفي البحار: ورعت.

(٢) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٣ ح ٣ باب ١٣ ـ عنه البحار ٤٧: ٨٨ ح ٩٣ باب ٥.

(٣) هكذا في البصائر والبحار والاختصاص، لكن ورد في المتن الفارسي «أبو عبد الله عليه السلام».

(٤) الانعام: ٧٥.



ثمّ قال لي: أطرق، فأطرقت، ثمّ قال لي: ارفع رأسك، فرفعت رأسي، فاذا السقف على حاله، قال: ثمّ أخذ بيدي وقام وأخرجني من البيت الّذي كنت فيه، وأدخلني بيتاً آخر، فخلع ثيابه الّتي كانت عليه ولبس ثياباً غيرها، ثمّ قال لي: غضّ بصرك، فغضضت بصري، وقال لي: لا تفتح عينك.

فلبثت ساعة، ثمّ قال لي: أتدري أين أنت؟ قلت: لا جعلت فداك، فقال لي: أنت في الظلمة الّتي سلكها ذو القرنين، فقلت له: جعلت فداك أتأذن لي أن أفتح عيني؟ فقال لي: افتح فإنّك لاترى شيئاً، ففتحت عيني فاذا أنا في ظلمة لا أبصر فيها موضع قدمي.

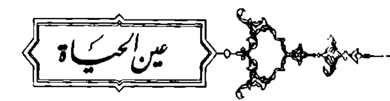
ثمّ صار قليلاً ووقف، فقال لي: هل تدري أين أنت؟ قلت: لا، قال: أنت واقف على عين الحياة الّتي شرب عنها الخضر عليه السلام، وخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر، فسلكنا فيه فرأينا كهيئة عالمنا في بنائه ومساكنه وأهله، ثمّ خرجنا إلى عالم ثالث كهيئة الأوّل والثاني، حتّى وردنا خمسة عوالم.

قال: ثمّ قال: هذه ملكوت الأرض ولم يرها ابراهيم، وانّما رأى ملكوت السماوات وهي اثنى عشر عالماً، كلّ عالم كهيئة ما رأيت كلّما مضى منّا إمام سكن أحد هذه العوالم حتّى يكون آخرهم القائم في عالمنا الّذي نحن ساكنوه.

قال: ثمّ قال: غضّ بصرك، فغضضت بصري، ثمّ أخذ بيدي فاذا نحن بالبيت الّذي خرجنا منه، فنزع تلك الثياب ولبس الثياب الّتي كانت عليه، وعدنا إلى مجلسنا، فقلت: جعلت فداك كم مضى من النّهار؟ قال: عليه السلام ثلاث ساعات[1].

وروى بسند معتبر عن أبي بصير انّه قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام

(١) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٤ ح ٤ باب ١٣ ـ عنه البحار ٤٧: ٩٠ ح ٩٦ باب ٥ ـ وفي الاختصاص: ٣٢٢.



فركس برجله الأرض فاذا بحر فيه سفن من فضّة، فركب وركبت معه حتّى انتهى إلى موضع فيه خيام من فضّة، فدخلها، ثمّ خرج فقال: رأيت الخيمة الّتي دخلتها أولاً؟ فقلت: نعم.

قال: تلك خيمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، والأخرى خيمة أمير المؤمنين عليه السلام، والثالث خيمة فاطمة، والرابعة خيمة خديجة، والخامسة خيمة الحسن، والسّادسة خيمة الحسين، والسابعة خيمة عليّ بن الحسين، والثامنة خيمة أبي، والتاسعة خيمتي، وليس أحد منّا يموت الّا وله خيمة يسكن فيها[1].

وروى عن صالح بن سعيد انّه قال: دخلت علىٰ أبي الحسن عليه السلام فقلت له: جعلت فداك في كلّ الأمور أرادوا اطفاء نورك والتقصير بك حتّى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصّعاليك، فقال: هاهنا أنت يا ابن سعيد، ثمّ اومى بيده، فقال: أُنظر فاذا انا بروضات ناضرات فيهنّ خيرات عطرات وولدان كأنّهن اللؤلؤ، وأطباق رطبات، فحار بصري، فقال: حيث كنا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك[2].

وروي بأسانيد معتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: انّ الدنيا تمثّل للامام في فلقة الجوز، فما تعرض لشيء منها، ... فلا يعزب عنه منها شيء[3].

وروى بأسانيد متعددة عن الامام الباقر عليه السلام انّه قال: اما انّ ذا القرنين قد خيّر السحابين، فاختار الذلول وذخر لصاحبكم الصعب، قلت: وما الصعب؟

قال: ما كان من سحاب فيه رعد وبرق وصاعقة، فصاحبكم يركبه، أما انه

---

(١) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٥ ح ٥ باب ١٣ ـ عنه البحار ٤٧: ٩١ ح ٩٧ باب ٥.
(٢) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٧ ح ١١ باب ١٣ ـ عنه البحار ٥٠: ١٣٢ ح ١٥ باب ٣.
(٣) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٨ ح ٣ باب ١٤ ـ عنه البحار ٢٥: ٣٦٧ ح ١١ باب ١٣.

سيركب السحاب ويرقى في الأسباب، أسباب السماوات السبع، خمسة عوامر واثنين خراب[1].

وقال في حديث آخر: انّ عليّاً عليه السّلام ملك ما في الأرض وما في تحتها، فعرضت له السحابان الصعب والذلول، فاختار الصعب، وكان في الصعب ملك ما تحت الأرض، وفي الذلول ملك ما فوق الأرض، واختار الصعب علىٰ الذلول فدارت به سبع أرضين، فوجد ثلاث خراب وأربع عوامر[2].

وروى عن الامام الصادق عليه السّلام بأسانيد صحيحة إنّه قال: انّ الله إذا أراد أن يخلق الامام أنزل قطرة من ماء المزن، فيقع علىٰ كلّ شجرة، فيأكل منه ثم يواقع، فيخلق الله الامام، فيسمع الصوت في بطن أمّه.

فاذا وقع علىٰ الأرض رفع له منار من نور يرى أعمال العباد، فاذا ترعرع كتب علىٰ عضده الأيمن «وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً، لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم»[3].

وروىٰ الكليني وغيره بأسانيد معتبرة عن أبي عبد الله عليه السّلام انّه قال: انّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يخلق الامام من الامام بعث ملكاً، فأخذ شربة من ماء تحت العرش، ثم أوقعها أو دفعها إلى الامام فشربها، فيمكث في الرحم أربعين يوماً لا يسمع الكلام، ثم يسمع الكلام بعد ذلك.

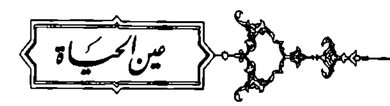
فاذا وضعته امّه بعث الله إليه ذلك الملك الذي أخذ الشربة، فكتب علىٰ عضده الأيمن:

---

(١) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٨ ح ١ باب ١٥ ـ عنه البحار ٢٧: ٣٢ ح ١ باب ١٤.

(٢) بصائر الدرجات ٨: ٤٢٩ ح ٢ باب ١٥ ـ عنه البحار ٣٩: ١٣٦ ح ٢ باب ٨٠.

(٣) بصائر الدرجات ٩: ٤٥١ ح ١ باب ٧ ـ عنه البحار ٢٥: ٣٨ ح ٥ باب ٢.



«وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ»[1].

فاذا قام بهذا الأمر رفع الله له في كلّ بلدة مناراً ينظر به إلى أعمال العباد[2].

وروى عنه عليه السّلام بسند آخر قال: الأوصياء إذا حملت بهم امّهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها ذلك إن كان نهاراً، أو ليلتها إن كان ليلاً، ثم ترىٰ في منامها رجلاً يبشّرها بغلام عليم حليم فتفرح لذلك.

ثم تنتبه من نومها فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: حملت بخير، وتصيرين إلى خير، وجئت بخير، أبشري بغلام حليم عليم، وتجد خفّة في بدنها، ثم لم تجد بعد ذلك امتناعاً من جنبيها وبطنها.

فاذا كان لتسع من شهرها سمعت في البيت حسّاً شديداً، فاذا كانت الليلة التي تلد فيها ظهر لها في البيت نور تراه لا يراه غيرها الّا أبوه، فاذا ولدته ولدته قاعداً، وتفتحت له حتى يخرج متربعاً يستدير بعد وقوعه إلى الأرض، فلا يخطئ القبلة حيث كانت بوجهه.

ثم يعطس ثلاثاً يشير بإصبعه بالتحميد، ويقع مسروراً مختوناً، ورباعيتاه من فوق وأسفل، وناباه وضاحكاه، ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور، ويقيم يومه وليلته تسيل يداه ذهباً، وكذلك الأنبياء إذا ولدوا، وانّما الأوصياء أعلاق من الأنبياء[3].

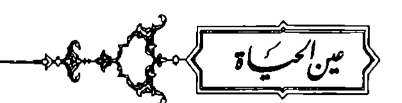
وروىٰ الصفار عن أبي عبد الله عليه السّلام، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: انّ لله بلدة خلف المغرب يقال لها جابلقا وفي جابلقا

---

(١) الانعام: ١١٥.

(٢) الكافي ١: ٣٨٧ ح ٣ باب مواليد الأئمة عليهم السّلام.

(٣) الكافي ١: ٣٨٧ ح ٥ باب مواليد الأئمة عليهم السّلام.



سبعون ألف أمّة ليس منها أمّة الّا مثل هذه الأمّة، فما عصوا الله طرفة عين فما يعملون عملاً، ولا يقولون قولاً الّا الدعاء على الأوّلين، والبراءة منهما، والولاية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم[1].

وروىٰ عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السّلام انّه قال: أنّ لله مدينة خلف البحر سعتها مسيرة أربعين يوماً للشمس، فيها قوم لم يعصوا الله قط، ولا يعرفون ابليس، ولا يعلمون خلق ابليس، نلقاهم في كلّ حين فيسألونا عمّا يحتاجون إليه، ويسألونا الدعاء فنعلّمهم، ويسألونا عن قائمنا متى يظهر.

وفيهم عبادة واجتهاد شديد، ولمدينتهم أبواب ما بين المصراع إلى المصراع مائة فرسخ، لهم تقديس واجتهاد شديد، لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم، يصلّي الرجل منهم شهراً لا يرفع رأسه من سجوده، طعامهم التسبيح، ولباسهم الورق، ووجوههم مشرقة بالنور.

إذا رأوا منّا واحداً لحسوه[2] واجتمعوا إليه، وأخذوا من أثره من الأرض يتبرّكون به، لهم دويّ إذا صلّوا أشد من دوّي الريح العاصف، فيهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا، ينتظرون قائمنا، يدعون أن يريهم ايّاه، وعمر أحدهم ألف سنة، إذا رأيتهم رأيت الخشوع والإستكانة وطلب ما يقرّبهم إليه.

إذا احتبسنا ظنّوا انّ ذلك من سخط، يتعاهدون الساعة التي نأتيهم فيها، لا يسأمون ولا يفترون، يتلون كتاب الله كما علّمناهم، وانّ فيما نعلّمهم ما لو تلي على الناس لكفروا به ولأنكروه.

يسألوننا عن الشيء إذا ورد عليهم من القرآن ولا يعرفونه، فاذا أخبرناهم به

(١) بصائر الدرجات ١٠: ٥١٠ ح ١ باب ١٤ ـ عنه البحار ٥٧: ٣٢٩ ح ١١ باب ٢.

(٢) اللحس: أخذ الشيء باللسان، ولعلّ المراد به هاهنا اهتمامهم في أخذ العلم (البحار).

انشرحت صدورهم لما يسمعون منّا، وسألوا الله طول البقاء وأن لا يفقدونا، ويعلمون انّ المنّة من الله عليهم فيما نعلّمهم عظيمة.

ولهم خرجة مع الإمام إذا قام، يسبقون فيها أصحاب السلاح منهم، ويدعون الله أن يجعلهم ممّن ينتصر به لدينه، فيهم كهول وشبّان، إذا رأى شابّ منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتى يأمره.

لهم طريق هم أعلم به من الخلق الى حيث يريد الامام، فاذا أمرهم الإمام بأمر قاموا عليه أبداً حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره، لو انّهم وردوا علىٰ ما بين المشرق والمغرب من الخلق لأفنوهم في ساعة واحدة، لا يختل الحديد فيهم.

ولهم سيوف من حديد غير هذا الحديد، لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقدّه حتى يفصله، يغزوا بهم الامام الهند، والديلم، والكرك، والترك، والروم وبربر، وما بين جابرسا إلى جابلقا، وهما مدينتان، واحدة بالمشرق، والأخرىٰ بالمغرب.

لا يأتون علىٰ أهل دين الّا دعوهم إلى الله وإلى الإسلام وإلى الإقرار بمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم، ومن لم يقرّ بالإسلام، ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد الّا أقرّ[1].

وروي بأسانيد معتبرة عن الحسن بن عليّ عليه السّلام انّه قال: انّ لله مدينة في المشرق ومدينة في المغرب، علىٰ كلّ واحد سور من حديد، في كلّ سور سبعون ألف مصراع، يدخل من كلّ مصراع سبعون ألف لغة آدميّ، ليس منها لغة الّا مخالف الأخرىٰ، وما فيها لغة الّا وقد علمناها، وما فيهما وما بينهما ابن نبيّ غيري وغير أخي، وأنا الحجّة عليهم[2].

---

(١) البحار ٢٧: ٤١ ح ٣ باب ١٥ ـ عن بصائر الدرجات ١٠: ٥١٠ ح ٤ باب ١٤.

(٢) بصائر الدرجات ١٠: ٥١٢ ح ٥ ـ عنه البحار ٢٧: ٤٤ ح ٤ باب ١٥.

[قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله :]

واعلم يا أبا ذر انّ الله عزّ وجلّ جعل أهل بيتي في أُمتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطة في بني اسرائيل، من دخله كان آمناً.

اعلم انّ الله تعالى أمر بني اسرائيل بقوله:

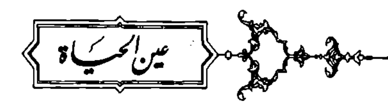
«أُدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ»[1].

وزعم جمع من المفسرين انّ باب حطة في قرية بيت المقدس، فيكون المعنى: ادخلوا أحد أبواب قرية بيت المقدس بذلّ وخضوع، أو انحنوا في الدخول لصغر الباب، أو اسجدوا بعد الدخول واستغفروا وقولوا: اللهمّ تجاوز عن ذنوبنا، كي نغفرها لكم.

وقال البعض: انّ المراد من الباب باب قرية أريحا، وذهب بعض المحققين إلى انّ المراد باب القبة التي جُعلت قبلتهم في التيه وكانوا يصلّون نحوها، فامتنع البعض من الدخول أو دخل من باب أُخرى، وغيّر البعض من الذين دخلوا كلمة الاستغفار وقالوا: حنطة، بدل حطة، فأبلاهم الله بطاعون قتل منهم أربعة وعشرين ألف نفراً في ساعة واحدة.

واعلم انّ مضمون هذين التشبيهين البليغين قد تواتر في أحاديث الشيعة والسنة، وهذا يدلّ علىٰ وجوب الانقياد والتسليم لأهل البيت عليهم السلام في كلّ شيء

(١) البقرة: ٥٨.



وعدم مخالفتهم، ولا يُكتفى بمجرد وضع اسم (الشيعة) مع البعد عن طريقتهم في العمل والاعتقادات، بل انّهم الوسيلة بين الخلق والخالق، ولا تكون الهداية الّا منهم.

روىٰ ابن بابويه عليه الرحمة والشيخ الطبرسي بسند معتبر عن الصادق عليه السّلام انّه قال: بليّة الناس عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[1].

وروىٰ الشيخ الطوسي بسند معتبر عنه عليه السّلام قال: نحن السبب بينكم وبين الله عزّ وجلّ[2].

وروى الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن عبد الله بن سليمان انّه قال: كنت عند أبي جعفر عليه السّلام فقال له رجل من أهل البصرة ...: انّ الحسن البصري يزعم انّ الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم من يدخل النار.

فقال أبو جعفر عليه السّلام: فهلك إذاً مؤمن آل فرعون، والله مدحه بذلك، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله عزّ وجلّ رسوله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فو الله ما يوجد العلم الّا هاهنا، وكان عليه السّلام يقول: محنة الناس علينا عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[3].

وروىٰ ابن بابويه عليه الرحمة بسند معتبر عن اسحاق بن اسماعيل، انّ العالم كتب إليه ـ يعني الحسن بن عليّ [العسكري] عليه السّلام ـ: انّ الله عزّ وجلّ بمنّه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض، لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه، بل

(١) البحار ٢٣: ٩٩ ح ١ باب ٦ عن أمالي الصدوق.

(٢) أمالي الطوسي: ١٥٧ ح ١٢ مجلس ٦ ـ عنه البحار ٢٣: ١٠١ ح ٥ باب ٦.

(٣) الاحتجاج ٢: ١٩٣ ح ٢١٢ ـ عنه البحار ٢٣: ١٠١ ح ٧ باب ٦ ـ وكذلك ٤٢: ١٤٢ ح ٣ باب ١٢٣.

رحمة منه اليكم لا اله الّا هو، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتسابقوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنّته.

ففرض عليكم الحج، والعمرة، وايقام[1] الصلاة، وايتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وجعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض ومفتاحاً إلى سبيله، ولو لا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم والأوصياء من ولده كنتم حيارىٰ كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخل قرية الّا من بابها؟

فلمّا منّ الله عليكم باقامة الأولياء بعد نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلّم قال الله عزّ وجلّ:

«اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ اَلْاِسْلَامَ دِيناً»[2].

وتواتر عن طريق الشيعة والسنة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب[3].

والأخبار في هذا الباب أكثر من أن تحد وتحصى، وكما يظهر من الأحاديث المعتبرة انّهم عليهم السّلام لم يكونوا سفينة نجاة هذه الأمة فحسب، بل لقد فازت الملائكة وفاز الأنبياء بالسعادة ببركة ولايتهم، ولجؤوا إلى أنوارهم في جميع الشدائد، وهم عليهم السّلام العلّة الغائية لايجاد جميع السماوات والأرض، والعرش والكرسي، والملك والجنّ والإنس.

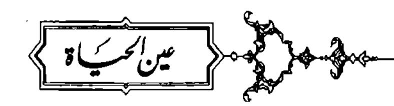
كما ورد في أحاديث كثيرة انّ الله تعالى خاطب محمداً وعلياً صلوات الله عليهما بقوله: **«لو لاك لما خلقت الأفلاك»** وتبيين سرّ هذه الأخبار موقوف علىٰ تبيين رمز

---

(١) في البحار: إقام الصلاة.

(٢) علل الشرائع: ٢٤٩ ح ٦ باب ١٨٢ ـ عنه البحار ٢٣: ٩٩ ح ٣ باب ٦؛ والآية في سورة المائدة: ٣.

(٣) شرح الأخبار ١: ٨٩ ـ وذكر المجلسي رحمه الله في البحار ٤٠: ٢٠٠ باب ٩٤ اسانيد أُخر لهذا الحديث.



يوجب انكشاف هذا المعنى.

فاعلم انّ الله تعالى فيّاض مطلق، وذاته المقدسة تقتضي افاضة الوجود، ويشترط حينئذٍ قابلية المادة للوجود من حيث الممكنات كي لا تكون الافاضة قبيحة عقلاً، ويشترط أيضاً وجود شخص يكون أهلاً لبناء مثل هذا العالم لأجله، بما فيه من شمس وقمر وكواكب وأفلاك وأشجار وأنهار ورياحين وفواكه، وتزيين النشأة الآخرة ـ وهذه الدنيا نموذج حقير منها ـ أعني الجنة بالحور والقصور، وجعل الملائكة المقرّبين والجنّ والطيور والوحوش والبهائم خدماً له، فصاحب هذه المراتب لابدّ أن يكون عظيماً يليق بهذه الكرامات.

فلو استفاد الغير بطفيل وجوده من هذه الموائد والنعم، لا يكون قبيحاً عقلاً بل هو جدير عند العقلاء، لكن لو هيّأت هذه النعم لأمثالنا الذين لا نليق لهذه الكرامات يكون قبيحاً عقلاً، كما لو جاء قرويّ جاهل إلى ملك عظيم الشأن، ويأمر الملك بتزيين الطريق، وفرشه ووضع المصابيح وغيرها من النعم، وإحضار جميع الأمراء لخدمته.

فيكون هذا الملك معرضاً لذم العقلاء بأنّ هذا الشخص لا يليق لهذه الكرامات بل غاية الإكرام بالنسبة إليه اعطاؤه دراهم أو دنانير معدودة، ولا يفسح له المجال لحضور مجلس الملك.

لكن لو هيأت هذه الأمور كلّها لرجل كامل عظيم الشأن، ثم استفاد منها آلاف العوام من الناس بطفيل وجود هذا الرجل العظيم، لا يكون قبيحاً بل هو ممدوح عند العقلاء.

فكذلك عالم الوجود، فبما انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السّلام

أشرف الكائنات وزبدة الممكنات، وعندهم آخر مراتب الكمالات والسعادات، فهم المادة القابلة لجميع الفيوضات، وكلّ فيض يفيض عليهم أولاً وبالذات، ثم يسري بفضل وجودهم إلى غيرهم كلٌّ بحسب استعداده.

كما انّ نعمة الإيجاد ـ وهي اوّل النعم ـ فاضت علىٰ ساحته المقدسة صلى الله عليه وآله وسلّم، ثم علىٰ غيره كما قال: «**اوّل ما خلق الله نوري**»[1]، وكذلك النبوة فانّها حصلت له في البداية وببركته سرت إلى غيره، كما قال: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[2]. وقال: «نحن آخر السابقين الذين ظهروا بعد الكل ولهم جميع الكمالات»[3].

وهذا معنى الشفاعة الكبرىٰ حيث أُفيضت وتُفاض جميع الخيرات والكمالات بهم إلى الخلق من الأزل إلى الأبد، وهذا سرّ الصلوات عليهم عند ارادة جميع المطالب، حيث يبتدأ بهم في طلب الحوائج كي تُقضىٰ، لأنّ أحد العلل في عدم قضاء الحوائج عدم قابلية الانسان ولياقته، فاذا صُلّي عليهم وطُلبت الرحمة لهم يزول هذا المانع، ويُستجاب الطلب لأجلهم.

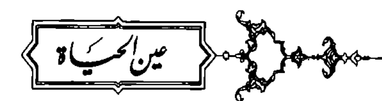
وكلٌّ يأخذ نصيبه من الماء بقدر وسعة وضيق طريقه نحو العين، فمن له نهر عظيم إلى منبع الكمال من طريق الولاية والإخلاص والتوسل، يستفيد بقدره من الخيرات والبركات، ومن له ساقية صغيرة يستفيد بقدرها، فعلم انّ حصة الأنبياء والمقرّبين من تلك الأنوار المقدسة أكثر من الغير، ولهم عليهم السّلام المنّ علىٰ الأنبياء والمقربين أكثر من غيرهم.

---

(١) البحار ١ : ٩٧ ح ٧ باب ٢.

(٢) البحار ١٦ : ٤٠٢ ح ١ باب ١٢ عن المناقب.

(٣) مضمون النص.



ويمكن بيان هذا المطلب بوجه أدقّ، فاعلم انّه كلّما كانت المناسبة بين الفاعل والقابل، والمفيض والمستفيض أكثر تكون الإفاضة أكثر، بل اعتقد البعض بعدم الإفاضة لو لم تكن أدنى مناسبة.

فهؤلاء الناقصون الذين هم في أعلىٰ مرتبة النقص لابدّ لهم في تقبّل فيض الكامل من جميع الجهات، من واسطة لها ارتباط من جهة الكمال بذي الجلال، ولها أيضاً مناسبة مع الممكنات الناقصة من جهة الإمكان وعوارضه كي تتم الإفاضة والإستفاضة، كما في الهداية وايصال الأحكام والحقائق الى الخلق، وقد أشرنا إليه في أبواب النبوة وكذلك في بيان معنى القرب.

واعلم بما انّهم مظهرٌ للصفات الكمالية الالهيّة، ومتصفون بنوع من صفات جلاله وجماله يقال لهم: «كلمات الله» و «اسماء الله»، والأحاديث في هذا الباب متضافرة.

وكما انّ أسماء الله تدلّ علىٰ كلماته، فهم أيضاً يدلّون علىٰ صفاته من حيث اتصافهم بها، كاسم الرحمن الدال علىٰ اتصاف الله تعالى بصفة الرحمة والشفقة، ومع مشاهدة رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وشفقته التي هي مع كثرتها بمنزلة القطرة من بحر رحمته تعالى تدلّك علىٰ كمال الله تعالى، وكذلك في سائر الكمالات.

بل انّ دلالتهم عليها اكثر من دلالة الأسماء، واسماء الله المقدسة تتأثّر كي تدلّ علىٰ المسمّىٰ، فلهذا تظهر منهم عليهم السّلام آثار عجيبة في العالم لكونهم أسماء الله المقدسة، ومظهر قدرته وكماله.

ولقد علمت فيما مضىٰ استحالة العلم بالذات والصفات، ولكن هناك درجات مختلفة للعارفين في وجوه الصفات والتعبير عنها، وصاحب ايّ معرفة

يستفيد من كلّ اسم حسب معرفته، وعلىٰ سبيل المثال انّ مراتب معرفة السلطان عند الناس مختلفة.

فمنهم من يعرفه بانّه القادر علىٰ اعطاء الف دينار مثلاً إلى شخص من دون أيّ حرج، فهذا يعرف الملك بصفات التجار، فإحسان الملك إليه يكون بحسب معرفته، ومنهم من أدرك عظمة السلطان فيرجى منه عطاء حكومة الدول العظيمة، وعطاء منصب ينتج في السنة آلاف الألوف، فالملك يهب لهذا الشخص بقدر معرفته.

وهكذا حال العرفاء في مراتب المعرفة، فكلّ عارف مثلاً يضع للفظ الرحمن معنى، ويستفيد علىٰ قدرها حتى يصل إلى ذلك العارف الكامل، فيريد من الرحمن فيض الأزل والأبد للممكنات.

وكذلك الأمر في مراتب معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السّلام الذين هم أسماء الله المقدسة، وكلّ ينتفع حسب معرفته، فمنهم من عرف عليّاً عليه السّلام بانّه القادر علىٰ إجابة أيّ سؤال، فيعرفه بانّه علّامة ولم يجعل علياً عليه السّلام الوسيلة بل جعل العلامة هي الوسيلة.

ومنهم من عرفه بانّه القادر علىٰ قتل خمسمائة نفر في ليلة، فهذا عرف مالك الأشتر لا علي عليه السّلام، ومنهم من عرف بأنّه لو تشفّع لأُعطي لهذا الشخص ألف دينار مثلاً، وهكذا إلى أن تصل إلى مَن عرف عليّاً عليه السّلام بنحو كامل، لو قرأ اسمه علىٰ السماء لانشقّت، وعلىٰ الأرض لاحترقت.

كما ورد في أحاديث كثيرة انّ اسماءهم كتبت علىٰ العرش فاستقرّ، وعلىٰ الكرسي فقام، وعلىٰ السماوات فارتفعت، وعلىٰ الأرض فاستقرّت، وعلىٰ الجبال

فثبتت.

ولقد علم المحبّون بأنّهم ينتفعون في الدعاء حسب معرفتهم وتوسلهم إلى الأئمة عليهم السّلام، وجاء البعض بتمثيل لتوضيح هذا المعنى بأنّه جيء بفيل إلى مدينة العميان، فاجتمعوا حوله لمّا سمعوا وصفه، وجعل كلّ منهم يلمسه ، فمنهم من لمس أُذنه ومنهم من لمس يده وهكذا.

ثم اجتمعوا بينهم بعد ذهاب الفيل وبدؤوا بوصفه، فتنازعوا فمن لمس أُذنه قال: انّ الفيل شيء عريض كالبساط، ومن لمس خرطومه قال: انّه كالميزاب الطويل، وهكذا كلٌّ وصفه حسب معرفته، فحكم بينهم شخص سليم البصر. فقال: لم يعرفه أحد منكم، لكن كلّ واحد عثر علىٰ طريق لمعرفته.

فكذلك الأمر ـ بلا تشبيه ـ بالنسبة الى عميان عالم الإمكان والجهالة في معرفة واجب الوجود، ولا يسع المقام اكثر من هذا.

ويدلّ علىٰ هذا أخبار كثيرة، كما روىٰ ابن بابويه بسند معتبر عن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام، عن آبائه عليهم السّلام، عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي.

قال عليّ عليه السّلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا عليّ انّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين علىٰ ملائكته المقرّبين، وفضّلني علىٰ جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمة من بعدك، فانّ الملائكة لخدامنا وخدّام محبينا، يا عليّ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربّهم، ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا عليّ لو لا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّا، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا

الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ، ومعرفة ربّنا عزّ وجلّ، وتسبيحه، وتقديسه، وتهليله لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتمجيده.

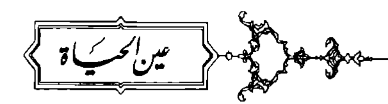
ثمّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمورنا، فسبحنا لتعلم الملائكة انّا خلق مخلوقون، وانّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة لتسبيحنا، ونزّهته عن صفاتنا.

فلمّا شاهدوا عظم شأننا هللّنا لتعلم الملائكة أن لا إله الّا الله، وانّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله الّا الله، فلمّا شاهدوا كبر محلّنا، كبّرنا الله لتعلم الملائكة انّ الله أكبر من أن ينال، وانّه عظيم المحل.

فلمّا شاهدوا ما جعل الله لنا من العزّة والقوّة قلنا: لا حول ولا قوّة الّا بالله العليّ العظيم، لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوّة الّا بالله، فقالت الملائكة: لا حول ولا قوّة الّا بالله، فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا، وأوجبه لنا من فرض الطاعة، قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحقّ الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله.

فبنا اهتدوا إلى معرفة الله تعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده، ثمّ انّ الله تعالى خلق آدم عليه السّلام وأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا واكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّة، ولآدم اكراماً وطاعة لكوننا في صلبه ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون.

وانّه لما عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى ، ثم قال: تقدم يا محمد، فقلت: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم لأنّ الله تبارك



وتعالى اسمه فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين وفضلك خاصة، فتقدّمت وصلّيت بهم ولا فخر.

فلمّا انتهينا إلى حجب النور، قال لي جبرئيل عليه السّلام: تقدّم يا محمد ، وتخلّف عنّي، فقلت: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمد انّ هذا انتهاء حدّي الذي وضعه الله عزّ وجلّ لي في هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي لتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله.

فزخّ[1] بي زخّة في النور حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله عزّ وجلّ من ملكوته، فنوديت: يا محمد، فقلت: لبيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت: يا محمد أنت عبدي وأنا ربّك فايّاي فاعبد، وعليّ فتوكّل، فانّك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي، وحجّتي في بريّتي، لمن تبعك خلقت جنّتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتك أوجبت ثوابي.

فقلت: يا ربّ ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد انّ أوصياءكَ المكتوبون على ساق العرش، فنظرت ـ وأنا بين يدي ربّي ـ إلى ساق العرش، فرأيت اثني عشر نوراً، في كلّ نور سطر أخضر مكتوب عليه اسم كلّ وصيّ من أوصيائي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم مهديّ أمّتي.

فقلت: يا ربّ هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريّتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك ، وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي، ولأطهرنّ

---

(١) زخّ به على المجهول أي دفع ورمي.

الأرض بآخرهم من أعدائي.

لأملكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرنّ له الرياح، ولأذلّلنّ له الرقاب الصعاب، ولأرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدّنّه بملائكتي، حتى يعلن دعوتي، ويجمع الخلق علىٰ توحيدي، ثم لأديمنّ ملكه، ولأداولنّ الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة[1].

وروى بسند معتبر عن الصادق عليه السّلام انّه قال: كان جبرئيل إذا أتىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه[2].

ورویٰ عن الامام الحسن العسكري انه قال: سأل المنافقون[3] النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فقالوا: يا رسول الله أخبرنا عن عليّ هو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: وهل شرّفت الملائكة الّا بحبّها لمحمد وعليّ، وقبولها لولايتهما، انّه لا أحد من محبّي عليّ عليه السّلام نظّف قلبه من قذر الغش، والدغل، والغلّ، ونجاسة الذنوب، الّا كان أطهر وأفضل من الملائكة ...[4].

ورویٰ بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السّلام انّه قال: أتىٰ يهودي النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فقام بين يديه يحد النظر إليه، فقال: يا يهودي ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي ....

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: انّه يكره للعبد أن يزكي نفسه ولكنّي أقول: انّ

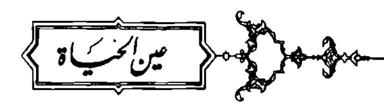
---

(١) كمال الدين: ٢٥٤ ح ٤ باب ٢٣ ـ وعلل الشرائع: ٥ ح ١ باب ٧ ـ عنهما البحار ٢٦: ٣٣٥ ح ١ باب ٨.

(٢) علل الشرائع: ٧ ح ٢ باب ٧ ـ عنه البحار ٢٦: ٣٣٨ ح ٢ باب ٨.

(٣) في المتن الفارسي سُئل النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، ورواها المؤلّف رحمه الله هناك عن ابن بابويه، ووجدناها في البحار عن الاحتجاج وتفسير الامام العسكري عليه السّلام.

(٤) البحار ٢٦: ٣٣٨ ح ٤ باب ٨، عن الاحتجاج وتفسير الامام العسكري عليه السّلام.



آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهمّ انّي أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفرها الله له، وانّ نوحاً لما ركب السفينة وخاف الغرق، قال: اللهمّ انّي أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق، فنجاه الله عنه.

وانّ إبراهيم لما أُلقي في النّار قال: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما أنجيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

وانّ موسى لما ألقى عصاه، وأوجس في نفسه خيفة قال: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما آمنتني، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف انّك أنت الأعلى.

يا يهودي انّ موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوّة، يا يهودي ومن ذريتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه وصلّى خلفه[1].

وروى بسند معتبر انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ انّ الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثمّ أطلع ثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي ...[2].

وورد في الأحاديث المعتبرة كيفية أخذ الميثاق من ذريّة آدم وجميع الملائكة والأنبياء وسائر الخلق بهذه الصورة:

قال الله تعالى: ألست بربكم، ومحمد بنبيكم، وعليّ امامكم، والأئمة الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى[3]، فمن سبق وعزم على التمسك بالميثاق والثبات

---

(١) أمالي الصدوق: ١٨١ ح ٤ مجلس ٣٩، عنه البحار ٢٦: ٣١٩ ح ١ باب ٧.

(٢) الخصال: ٢٠٦ ح ٢٥ باب الأربعة، عنه البحار ٢٦: ٢٧٠ ح ٧ باب ٦.

(٣) راجع البحار ٥: ٢٣٦ ح ١٢ باب ١٠.

عليه أكثر، صار من أولي العزم، وكلّ ملك قبل الولاية أكثر من الغير صار من المقرّبين.

[قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أبا ذر احفظ ما أُوصيك به تكن سعيداً في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة، والفراغ.

يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

يا أبا ذر ايّاك والتسويف بأملك، فانّك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غداً لك، فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غداً لك لم تندم علىٰ ما فرطت في اليوم.

يا أبا ذر كم مستقبل يوماً لا يستكمله، ومنتظر غداً لا يبلغه.

يا أبا ذر لو نظرت إلى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره.

يا أبا ذر كن كأنّك في الدنيا غريب أو كعابر سبيل، وعد نفسك من أصحاب القبور.

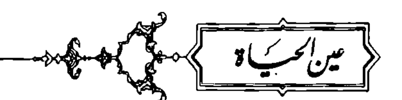
يا أبا ذر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخُذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، لا تدري ما اسمك غداً.

يا أبا ذر ايّاك أن تدركك الصرعة عند الغفلة، فلا تمكّن من الرجعة، ولا يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به.

يا أبا ذر ما رأيت كالنار نام هاربها، ولا مثل الجنّة نام طالبها.

يا أبا ذر كن علىٰ عمرك أشح علىٰ درهمك ودينارك.

يا أبا ذر هل ينتظر أحدكم الا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً ، أو



هرماً مقعداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فانّه شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر.

وتوضيح هذه الكلمات الطريفة، والمواعظ الشريفة تتم في طيّ مقاصد ثلاثة:

المقصد الأوّل

اعلم انّ مفاد هذه النصائح الشافية الاهتمام بالعمل، والاحتراز عن طول الأمل الذي هو من امهات الصفات الذميمة، لأنه يورث خصال أربع:

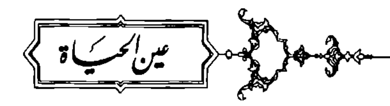
الأولى: الكسل وترك الطاعة، لأنّ الشيطان يسوّف له ويغريه بطول المدّة، وانّ في الشيب والهرم يمكنه العبادة والطاعة، ومدّة الشباب للعيش والطرب.

الثانية: ترك التوبة وتأخيرها ظنّاً بوجود المهلة والفرصة في المستقبل، لكن يأتيه الموت فجأة ولا يمهله.

الثالثة: يوجب الحرص لجمع الأموال وما يترتب عليه، لزعمه أن يعمّر ولابدّ من توفير ما سيحتاجه في المستقبل، ولا يعتمد على الله الذي لو شاء لأفقره سريعاً فلا ينفعه ما جمعه وادّخره، ولو شاء لأغناه.

الرابعة: يوجب قساوة القلب ونسيان الآخرة.

فهذه الصفات الذميمة توجب الشقاء الأبدي، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام بأسانيد معتبرة انّه قال: ألا انّ أخوف ما أخاف عليكم خصلتين: اتباع الهوى وطول الأمل، أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، وطول الأمل ينسي



الآخرة[1].

وقال عليه السّلام أيضاً: من طال أمله ساء عمله[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قـال: انّ صـلاح اوّل هـذه الأمـة بـالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشح والأمل[3].

وروي انّه صلى الله عليه وآله وسلّم قال لعليّ عليه السّلام: يا عليّ أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وبُعد الأمل، وحبّ البقاء[4].

وقال في حديث آخر: يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان: الحرص، والأمل[5].

وعلاج هذا المرض كثرة التفكّر في الموت والشدائد بعده، والتفكّر في عدم اعتبار العمر وسرعة انقضائه، ومن الظاهر انّ الموت يأتي للهرم والشاب بل انّه أقرب للشاب، وفي كلّ يوم يموت شخص من ذوي عمره، فليتفكّر ويقول: يمكن انّ هذا الموت حلّ بي دونه فأكون في حسرات عظيمة.

وليتفكّر في جسمه وكونه معرضاً للخراب والإنهدام في كلّ ساعة، وفي كلّ يوم تضعف قوّة من قواه، وعضواً من أعظائه، وهو غرض سهام الموت في كلّ لحظة، وليطالع المواعظ والنصائح الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السّلام، ولينظر إليها بنظر الايـمان، ويـوقن لأنّـهم أطـبة النـفوس ومـواعـظهم

(١) الخصال: ٥١ ح ٦٣ باب الاثنين ـ عنه البحار ٧٣: ١٦٣ ح ١٦ باب ١٢٨.

(٢) الخصال: ١٥ ح ٥٢ باب الواحد ـ عنه البحار ٧٣: ١٦٣ ح ١٩ باب ١٢٨.

(٣) الخصال: ٧٩ ح ١٢٨ باب الاثنين ـ وأمالي الصدوق: ١٨٨ ح ٧ مجلس ٤٠ ـ عنهما البحار ٧٣: ١٦٤ ح ٢٠ باب ١٢٨.

(٤) الخصال: ٢٤٣ ح ٩٧ باب الأربعة ـ عنه البحار ٧٣: ١٦٤ ح ٢١ باب ١٢٨.

(٥) الخصال: ٧٣ ح ١١٣ باب الاثنين ـ عنه البحار ٧٣: ١٦١ ح ٨ باب ١٢٨.

وحكمهم دواء داء نفوس الخلائق.

وليذهب إلى المقابر ويعتبر بحالهم، كما روي عن عباية بن ربعي انّه قال: انّ شاباً من الأنصار كان يأتي عبد الله بن عباس، وكان عبد الله يكرمه ويدنيه، فقيل له: انّك تكرم هذا الشاب وتدنيه وهو شابّ سوء، يأتي القبور فينبشها بالليالي.

فقال عبد الله بن عباس: إذا كان ذلك فأعلموني، قال: فخرج الشاب في بعض الليالي يتخلّل القبور، فأُعلم عبد الله بن عباس بذلك، فخرج لينظر ما يكون من أمره، ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشاب.

قال: فدخل قبراً قد حفر، ثم اضطجع في اللحد، ونادىٰ بأعلىٰ صوته : يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي، ونطقت الأرض من تحتي، فقالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً، قد كنت أبغضك وأنت علىٰ ظهري، فكيف وقد صرت في بطني؟!

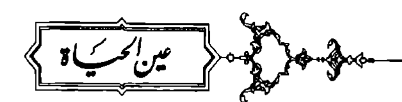
بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفاً، والملائكة صفوفاً، فمن عدلك غداً من يخلّصني؟ ومن المظلومين من يستنقذني؟ ومن عذاب النار من يجيرني؟ عصيت من ليس بأهل أن يُعصى، عاهدت ربّي مرّة بعد أُخرى فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءً.

وجعل يردّد هذا الكلام ويبكي، فلمّا خرج من القبر التزمه ابن عباس وعانقه، ثم قال له: نعم النباش، نعم النباش، ما أنبشك للذنوب والخطايا، ثم تفرّقا[1].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: اكثروا ذكر الموت، ويوم

---

(١) البحار ٦: ١٣٠ ح ٢٤ باب ٤ ـ عن أمالي الصدوق: ٢٧١ ح ١١ مجلس ٥٣.



خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عزّ وجلّ تهون عليكم المصائب[١].

وقال أيضاً: ما أنزل الموت حق منزلته من عدّ غداً من أجله[٢].

وقال في وصيّته عند وفاته: يا بنيّ ... وقصّر الأمل، واذكر الموت، وازهد في الدنيا، فإنّك رهين موت، وغرض بلاء، وصريع سقم[٣].

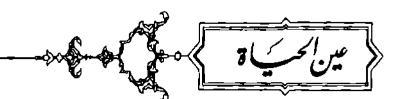
وكتب عليه السّلام لأهل مصر: «... يا عباد الله انّ الموت ليس منه فوت، فاحذروه قبل وقوعه، واعدّوا له عدّته، فانّكم طُرّد الموت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تُطوىٰ خلفكم.

فاكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات، وكفى بالموت واعظاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت، فيقول: اكثروا ذكر الموت فانّه هادم اللذات، حائل بينكم وبين الشهوات...»[٤].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: لو انّ البهائم يعلمن من الموت ما تعلمونَ أنتم ما أكلتم منها سميناً[٥].

وروي بسند معتبر عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: انّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا، واوّل يوم من أيّام الآخرة مُثّل له ماله وولده وعمله،

(١) الخصال: ٦١٦ ضمن حديث ١٠ حديث الأربعمائة ـ عنه البحار ٦: ١٣٢ ح ٢٦ باب ٤.
(٢) البحار ٦: ١٣٠ ح ٢٢ باب ٤ عن أمالي الصدوق.
(٣) أمالي الطوسي: ٧ ح ٨ مجلس ١ ـ عنه البحار ٦: ١٣٢ ح ٢٩ باب ٤.
(٤) أمالي الطوسي: ٢٧ ح ٣١ مجلس ١ ـ عنه البحار ٦: ١٣٢ ح ٣٠ باب ٤.
(٥) أمالي الطوسي: ٤٥٣ ضمن حديث ١٧ مجلس ١٦ ـ عنه البحار ٦: ١٣٢ ح ٣١ باب ٤.



فيلتفت إلى ماله فيقول: والله انّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول: خُذ منّي كفنك.

قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله انّي كنت لكم محبّاً، وانّي كنت عليكم محامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك الى حفرتك نواريك فيها.

قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله انّي كنت فيك لزاهداً، وإن كنت عليّ لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربّك.

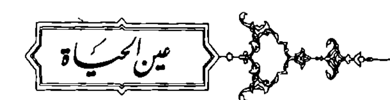
قال: فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً، وأحسنهم منظراً، وأحسنهم رياشاً[1]، فقال: أبشر بروح وريحان وجنّة نعيم، ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنّة.

وانّه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يعجّله، فاذا اُدخل قبره أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارهما، ويخدّان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاصف، فيقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: الله ربّي، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

فيقولان له: ثبتك الله فيما تحبّ وترضى ... ثم يفسحان له في قبره مدّ بصره، ثم يفتحان له باباً إلى الجنّة، ثم يقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم ... .

قال: وإن كان لربّه عدوّاً فإنّه يأتيه أقبح من خلق الله زيّاً ورؤياً، وأنتنه ريحاً، فيقول له: أبشر بنزل من حميم، وتصلية جحيم، وانّه ليعرف غاسله، ويناشد

(١) الرياش: اللباس الفاخر.



حملته أن يحبسوه، فاذا أُدخل القبر أتاه ممتحنا القبر، فألقيا عنه أكفانه، ثم يقولان له: مَن ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لا دريت ولا هديت.

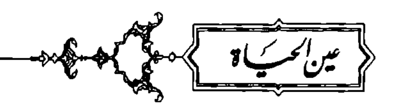
فيضربان يافوخه[1] بمرزبة[2] معهما ضربة ما خلق الله عزّ وجلّ من دابة الّا وتذعر[3] لها ما خلا الثقلين، ثم يفتحان له باباً إلى النار.

ثم يقولان له: نم بشرّ حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا[4] من الزج، حتى انّ دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامّها، فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانّه ليتمنّىٰ قيام الساعة فيما هو فيه من الشرّ[5].

وقال أبو جعفر عليه السّلام: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّي كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها، وليس من نبيّ الاّ وقد رعى الغنم، وكنت أنظر اليها قبل النبوة وهي متمكّنة في المكينة ما حولها شيء يهيّجها حتى تذعر فتطير، فأقول: ما هذا؟ وأعجب حتى حدّثني جبرئيل عليه السّلام انّ الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئاً الّا وسمعها ويذعر لها الّا الثقلين[6].

وروي بسند معتبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إذا حُمل عدوّ الله إلى قبره نادى حملته: ألا تسمعون يا أخوتاه انّي أشكو اليكم ما وقع فيه أخوكم

(١) يافوخه: الموضع الذي يتحرّك من رأس الطفل إذا كان قريب العهد من الولادة.
(٢) المرزبة: عصا كبيرة من حديد تتخذ لتكسير المدر.
(٣) تذعر: تفزع، والثقلين: الجنّ والإنس.
(٤) القنا: الرمح، والزج: الحديدة التي في أسفلها الرمح.
(٥) الكافي ٣: ٢٣١ ح ١ ـ وتفسير القمي ١: ٣٦٩ (سورة ابراهيم) ـ عنه البحار ٦: ٢٢٤ ح ٢٦ باب ٨.
(٦) الكافي ٣: ٢٣٣ ضمن حديث ١ ـ عنه البحار ٦: ٢٢٦ ح ٢٨ باب ٨.



الشقي، انّ عدوّ الله خدعني فأوردني ثم لم يصدرني وأقسم لي انّه ناصح لي فغشني.

وأشكو إليكم دنيا غرّتني حتى إذا اطمأننت إليها صرعتني، وأشكو إليكم أخلّاء الهوى منّوني ثم تبرّؤوا منّي وخذلوني، وأشكو إليكم أولاداً حميت عنهم، وآثرتهم علىٰ نفسي فأكلوا مالي وأسلموني، وأشكو إليكم مالاً منعت منه حقّ الله، فكان وباله عليّ وكان نفعه لغيري.

وأشكو إليكم داراً أنفقت عليها حريبتي[1] وصار ساكنها غيري، وأشكو اليكم طول الثواء في قبري، ينادي أنا بيت الدود، أنا بيت الظلمة والوحشة والضيق، يا اخوتاه فأحبسوني ما استطعتم، واحذروا مثل ما لقيت فانّي قد بشّرت بالنّار وبالذل والصغار، وغضب العزيز الجبار.

واحسرتاه علىٰ ما فرّطت في جنب الله، ويا طول عولتاه، فمالي من شفيع يطاع، ولا صديق يرحمني، فلو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين[2].

وروي عن الصادق عليه السّلام انّه قال: انّ للقبر كلاماً في كلّ يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار[3].

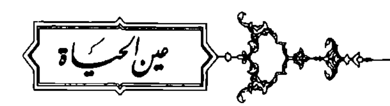
وروي عن أبي جعفر عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الموت الموت، ألا ولابدّ من الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحة والكرة المباركة إلى جنّة عالية لأهل دار الخلود، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم.

---

(١) حريبة الرجل: ماله الذي يعيش به.

(٢) الكافي ٣: ٢٣٣ ح ٢ ـ عنه البحار ٦: ٢٥٨ ح ٩٤ باب ٨.

(٣) الكافي ٣: ٢٤٢ ح ٢ ـ عنه البحار ٦: ٢٦٧ ح ١١٥ باب ٨.



وجاء الموت بما فيه، بالشقوة والندامة وبالكرة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم.

ثم قال: وقال: إذا استحقّت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين، وذهب الأمل وراء الظهر، وإذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين، وذهب الأجل وراء الظهر.

قال: وسُئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أي المؤمنين أكيس؟ فقال: أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم استعداداً[1].

وروي عن أبي صالح قال: قال لي أبو عبدالله عليه السّلام: يا أبا صالح إذا أنت حملت جنازة فكن كأنّك أنت المحمول، وكأنّك سألت ربّك الرجوع إلى الدنيا ففعل، فانظر ماذا تستأنف قال: ثم قال: عجبٌ لقوم حبس أولهم عن آخرهم، ثم نودي فيهم الرحيل وهم يلعبون[2].

وروي عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سألته عن لحظة ملك الموت، قال: أما رأيت الناس يكونون جلوساً، فتعتريهم السكتة فما يتكلّم أحدٌ منهم، فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم[3].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: انّ عيسى بن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السّلام وكان سأل ربّه أن يحييه له فدعاه، فأجابه وخرج إليه من القبر، فقال له: ما تريد منّي؟

فقال له: أُريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: يا عيسى ما سكنت

---

(١) الكافي ٣: ٢٥٧ ح ٢٧ باب النوادر.

(٢) الكافي ٣: ٢٥٨ ح ٢٩ باب النوادر ـ مثله البحار ٧١: ٢٦٦ ح ١٠ باب ٧٦.

(٣) الكافي ٣: ٢٥٩ ح ٣١ باب النوادر ـ عنه البحار ٦: ١٤٣ ح ١١ باب ٥.



عنّي حرارة الموت، وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود عليّ حرارة الموت، فتركه فعاد إلى قبره[1].

وروي عن أبي جعفر عليه السّلام انّه قال: انّ فتية من أولاد ملوك بني اسرائيل كانوا متعبّدين، وكانت العبادة في أولاد ملوك بني اسرائيل، وانّهم خرجوا يسيرون في البلاد ليعتبروا، فمرّوا بقبر علىٰ ظهر الطريق قد سفى عليه السافي[2]، ليس يبيّن منه الا رسمه.

فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر، فساءلناه كيف وجد طعم الموت، فدعوا الله، وكان دعاؤهم الذي دعوا به: «أنت إلهنا يا ربنا، ليس لنا إلهٌ غيرك، والبديع الدائم غير الغافل، والحيّ الذي لا يموت، لك في كلّ يوم شأن، تعلم كلّ شيء بغير تعليم، أُنشر لنا هذا الميت بقدرتك».

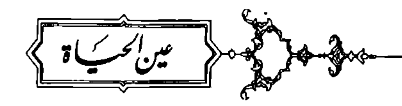
قال: فخرج من ذلك القبر رجلٌ أبيض الرأس واللحية، ينفض رأسه من التراب فزعاً شاخصاً بصره إلى السماء، فقال لهم: ما يوقفكم علىٰ قبري؟ فقالوا: دعوناك نسألك كيف وجدت طعم الموت، فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسعة وتسعين سنة ما ذهب عنّي ألم الموت وكربه، ولا خرج مرارة طعم الموت من حلقي.

فقالوا له: مِتَّ يوم مِتَّ وأنت علىٰ ما نرىٰ أبيض الرأس واللحية؟ قال: لا، ولكن لمّا سمعت الصيحة: أُخرج، اجتمعت تربة عظامي إلى روحي، فنفست فيه فخرجت فزعاً شاخصاً بصري، مهطعاً[3] إلى صوت الداعي، فابيضّ لذلك رأسي

(١) الكافي ٣: ٢٦٠ ح ٣٧ باب النوادر ـ عنه البحار ٦: ١٧٠ ح ٤٧ باب ٦.

(٢) سفت الريح التراب إذا ذرته وحملته.

(٣) مهطعاً: أي مقبلاً خائفاً.



ولحيتي[1].

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: من كان معه كفنه في بيته لم يكتب من الغافلين، وكان مأجوراً كلّما نظر إليه[2].

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ملك ينادي كلّ يوم: يا ابن آدم لدْ للموت، واجمع للفناء، وابن للخراب[3].

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: انّ العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فاذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى ملائكته: انّي قد عمّرت عبدي عمراً ... فغلّظا وشدّدا وتحفّظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره، وصغيره وكبيره[4].

روي عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال: إذا أتت علىٰ العبد أربعون سنة قيل له: خذ حذرك فانّك غير معذور[5].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: ما من يوم يمرّ علىٰ ابن آدم الّا قال له ذلك اليوم: ياابن آدم أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل فيّ خيراً، واعمل فيّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة، فانّك لن تراني بعده أبداً[6].

وروي انّ قيس بن عاصم جاء إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال له: يا نبيّ الله

(١) الكافي ٣: ٢٦٠ ح ٣٨ باب النوادر ـ عنه البحار ٦: ١٧١ ح ٤٨ باب ٦.

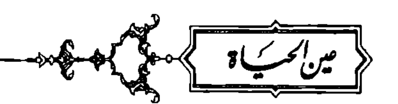
(٢) الكافي ٣: ٢٥٦ ح ٢٣ باب النوادر ـ ومثله البحار ٨١: ٢٣٠ ضمن حديث ٢٨ باب ٩ عن فلاح السائل: ٧٢.

(٣) الكافي ٢: ١٣١ ح ١٤ ـ عنه البحار ٧٣: ٦٤ ح ٣٢ باب ١٢٢.

(٤) الخصال: ٥٤٥ ح ٢٤ باب الأربعين ـ والبحار ٧٣: ٣٨٨ ح ٥ باب ١٤٠.

(٥) الخصال: ٥٤٥ ح ٢٤ باب الأربعين ـ عنه البحار ٧٣: ٣٨٩ ح ٧ باب ١٤١.

(٦) أمالي الصدوق: ٩٥ ح ٢ مجلس ٢٣ ـ عنه البحار ٧١: ١٨١ ح ٣٥ باب ٦٤.



عظنا موعظة، فانّا قوم نعبر في البرية.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ مع العزّ ذلاً، وانّ مع الحياة موتاً، وانّ مع الدنيا آخرة، وانّ لكلّ شيء حسيباً، وعلىٰ كلّ شيء رقيباً، وانّ لكلّ حسنة ثواباً، ولكلّ سيّئة عقاباً، ولكلّ أجل كتاباً، وانّه لابد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حيّ، وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك، وان كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر الّا معك، ولا تُبعث الّا معه، ولا تسأل الّا عنه، فلا تجعله الّا صالحاً، فانّه إن صلح آنست به، وان فسد لا تستوحش الّا منه، وهو فعلك ...[1].

وقال الباقر عليه السّلام لجابر: ... يا جابر بلّغ شيعتي عنّي السلام، وأعلمهم انّه لا قرابة بيننا وبين الله عزَّ وجلَّ، ولا يتقرب إليه الّا بالطاعة له، يا جابر من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا ...[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: من أراد عزّاً بلا عشيرة، وهيبة من غير سلطان، وغنى من غير مال، وطاعة من غير بذل، فليتحوّل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته، فانّه يجد ذلك كلّه[3].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأسانيد معتبرة انّه قال: لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت[4].

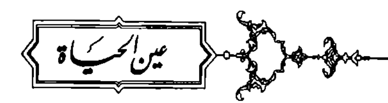
---

(١) الخصال: ١١٤ ح ٩٣ باب الثلاثة ـ والبحار ٧٧: ١١٠ ح ١ باب ٦ ـ وروضة الواعظين: ٤٨٧.

(٢) أمالي الطوسي: ٢٩٦ ح ٢٩ مجلس ١١ ـ عنه البحار ٧٨: ١٨٢ ح ٨ باب ٢٢، ولا يخفى انّ المؤلف رحمه الله رواها عن أبي عبدالله عليه السّلام ولم نعثر عليها.

(٣) أمالي الطوسي: ٥٢٤ ح ٦٨ مجلس ١٨ ـ عنه البحار ٧١: ١٧٩ ح ٢٩ باب ٦٤ ـ غرر الحكم: ١٨٤ ح ٣٥٠١.

(٤) أمالي الصدوق: ٤٢ ح ٩ مجلس ١٠ ـ عنه البحار ٧١: ١٨٠ ح ٣٢ باب ٦٤.



وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: في التوراة مكتوب: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، ولا أكلك إلى طلبك، وعليّ أن أسدّ فاقتك، وأملأ قلبك خوفاً منّي، وان لا تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك شغلاً بالدنيا، ثم لا أسدّ فاقتك وأكلك إلى طلبك[1].

وروي عن عليّ بن الحسين عليه السّلام انّه قال: انّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وانّ الاخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا.

ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، ألا انّ الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، وقرّضوا من الدنيا تقريضاً[2].

ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب.

ألا انّ لله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنه مخلّدين، وكمن رأى أهل النار في النار معذّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة، فصاروا بعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافّون أقدامهم تجري دموعهم علىٰ خدودهم وهم يجأرون[3] إلى ربّهم، يسعون في فكاك رقابهم.

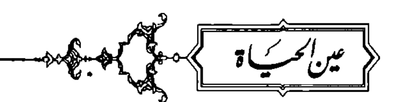
وأما النهار فحلماء، علماء، بررة، أتقياء، كأنّهم القداح قد براهم الخوف من

---

(١) الكافي ٢: ٨٣ ح ١ باب العبادة ـ عنه البحار ٧٠: ٢٥٢ ح ٨ باب ٥٥.

(٢) القرض: القطع أي قطعوا أنفسهم من الدنيا تقطيعاً بأقلاع قلوبهم عنها.

(٣) أي يتضرعون، جأر إلى الله أي تضرع.



العبادة، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، أم خولطوا، فقد خالط القوم أمرٌ عظيم؛ من ذكر النار وما فيها[1].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: مر عيسى بن مريم عليه السّلام علىٰ قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها، فقال: أما انّهم لم يموتوا الّا بسخطة، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا، فقال الحواريّون: يا روح الله وكلمته، أُدع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم، فنجتنبها.

فدعا عيسى عليه السّلام ربّه، فنودي من الجوّ أن نادهم، فقام عيسى عليه السّلام بالليل علىٰ شرف من الأرض، فقال: يا أهل هذه القرية، فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله وكلمته، فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟

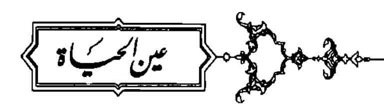
قال: عبادة الطاغوت، وحبّ الدنيا مع خوف قليل، وأمل بعيد، وغفلة في لهو ولعب، فقال: كيف كان حبكم للدنيا؟ قال: كحبّ الصبيّ لأُمّه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا، وإذا أدبرت عنّا بكينا وحزنّا، قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي.

قال: كيف كان عاقبة أمركم؟ قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية، فقال: وما الهاوية؟ فقال: سجّين، قال: وما سجّين؟ قال: جبالٌ من جمر، توقد علينا إلى يوم القيامة، قال: فما قلتم وما قيل لكم؟ قال: قلنا: ردّنا إلى الدنيا فنزهد فيها، قيل لنا: كذبتم.

قال: ويحك كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله انّهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد وانّي كنت فيهم ولم أكن منهم،

---

(١) الكافي ٢: ١٣١ ح ١٥ باب ذم الدنيا ـ عنه البحار ٧٣: ٤٣ ح ١٨ باب ١٢٢.



فلمّا نزل العذاب عمّني معهم، فانا معلّق بشعرة علىٰ شفير جهنّم، لا أدري أُكبكب فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسى عليه السّلام إلى الحواريين فقال: يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش، والنوم علىٰ المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة[1].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّ داود لمّا صدر منه تركُ الأولى بقي أربعين يوماً ساجداً يبكي نهاره، ولا يقوم الاّ وقت الصلاة حتى انخرق جبينه، وسال الدم من عينيه، فلما كان بعد أربعين يوماً نودي: يا داود ما لك؟ أجائع أنت فنشبعك، أم ظمآن فنسقيك، أم عريان فنكسوك، أم خائف فنؤمنك؟

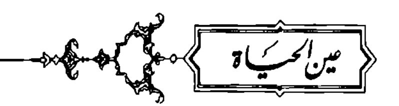
فقال: أي ربّ وكيف لا أخاف وقد عملت ما عملت، وأنت الحكم العدل الذي لا يجوزك ظلم ظالم، فأوحى الله إليه: تب يا داود ... .

فخرج داود عليه السّلام يمشي علىٰ قدميه ويقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى حجر ولا شجر ولا جبل ولا طائر ولا سبع الاّ يجاوبه، حتى انتهى إلى جبل وعليه نبيّ عابد يقال له حزقيل، فلمّا سمع دويّ الجبال وصوت السباع علم انّه داود، فقال: هذا النبيّ الخاطئ، فقال داود: يا حزقيل أتأذن لي أن أصعد إليك؟

قال: لا، فانّك مذنب، فبكى داود عليه السّلام، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى حزقيل: يا حزقيل لا تعيّر داود بخطيئته وسلني العافية، فنزل حزقيل وأخذ بيد داود وأصعد اليه، فقال له داود: يا حزقيل هل هممت بخطيئة قط؟ قال: لا.

قال: فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادة الله عزَّ وجلَّ؟ قال: لا، قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهواتها ولذاتها؟ قال: بلى ربّما عرض

(١) الكافي ٢: ٣١٨ ح ١١ باب حب الدنيا ـ عنه البحار ٧٣: ١٠ ح ٣ باب ١٢٢.



ذلك بقلبي، قال: فما تصنع؟ قال: أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه.

قال: فدخل داود عليه السلام الشعب، فاذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام نخرة، وإذا لوح من حديد وفيه مكتوب، فقرأه داود فاذا فيه: أنا أروى بن سلم، ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف جارية، وكان آخر أمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادي، والحيّات والديدان جيراني، فمن يراني فلا يغترّ بالدنيا ...[1].

المقصد الثاني

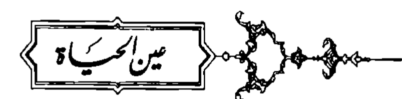
في الدجال

اعلم انّ من فتن آخر الزمان خروج الدجال قبل ظهور صاحب الأمر صلوات الله عليه، وكما ورد في أحاديث أبناء العامة انّه ولد في زمن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وذهب النبي إليه وكلّمه وعرض عليه الدخول في الإسلام، فأبى وقال: لست أولى منّي بالنبوة، وذكر أراجيف أُخر وادعى ادعاءات كبيرة.

فقال له النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: ابتعد فانّك لا تجاوز أجلك، ولا تصل إلى أُمنيتك، ولن تجد غير ما قُدّر لك، ثم ذكر لأصحابه انّه ما من نبيّ الّا وحذّر قومه من فتنة الدجال، وقد أخّره الله وأظهره في هذه الأُمّة، فاذا ادعى الألوهية واشتبه عليكم الأمر فاعلموا انّ الهكم لا يكون أعوراً.

وانّه يخرج علىٰ حمار مسافة ما بين أُذينه ميلاً، ومعه جنة ونار، وجبل من خبز، ونهر من ماء، وأكثر أتباعه اليهود والنساء وأهل القرى، ويجول في العالم،

(١) البحار ١٤: ٢١ ضمن حديث ١ باب ٢ ـ عن تفسير القمي.



ويدخل آفاق الأرض سوى مكة والمدينة وموضعين آخر من أطراف المدينة فانّه لا يدخلها[1].

روى ابن بابويه رحمه الله عن النزال بن سبرة انّه قال: خطبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه وصلّى على محمد وآله، ثمّ قال: سلوني أيّها النّاس قبل أن تفقدوني ـ ثلاثاً ـ

فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدّجّال؟ فقال له عليّ عليه السّلام: اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً كحذو النعل بالنعل، وان شئت أنبأتك بها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

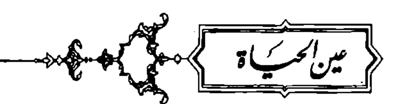
فقال عليه السّلام: احفظ فإنّ علامة ذلك: إذا أمات النّاس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الرّبا، وأخذوا الرُّشا، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدّين بالدّنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدّماء.

وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأُمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة[2]، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادت الزّور، واستعلن الفجور، وقول البهتان، والإثم والطغيان، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطوّلت المنارات، وأكرمت الأشرار، وازدحمت الصفوف، واختلفت القلوب، ونقضت العهود، واقترب الموعود.

---

(١) مضمون النص.

(٢) العرفاء جمع عريف، وهو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أُمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم.



وشارك النساء أزواجهنّ في التّجارة حرصاً على الدُّنيا، وعلت أصوات الفسّاق واستمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتّقى الفاجر مخافة شرّه، وصدّق الكاذب، وائتمن الخائن، واتّخذت القيان والمعازف[1].

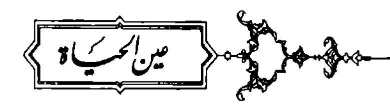
ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها، وركب ذوات الفروج السروج، وتشبّه النساء بالرّجال، والرّجال بالنساء، وشهد الشاهد من غير أن يُستشهد، وشهد الآخر قضاء لذمام بغير حقّ عرفه، وتُفقّه لغير الدّين، وآثروا عمل الدّنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذّئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف، وأمرُّ من الصبر، فعند ذلك ألوحا ألوحا، ثمّ العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس، وليأتينّ على النّاس زمانٌ يتمنىّ أحدهم انّه من سكّانه.

فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين من الدّجّال؟ فقال: ألا انّ الدّجّال صائد بن الصيد، فالشّقي من صدّقه. والسعيد من كذّبه، يخرج من بلدة يقال لها اصفهان، من قرية تعرف باليهوديّة، عينه اليمنى ممسوحة، والعين الأخرى في جبهته تضيء كأنّها كوكب الصبح، فيها علقة كأنّها ممزوجة بالدّم.

بين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كلّ كاتب وأمّي، يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يُري النّاس انّه طعام، يخرج حين يخرج في قحط شديد، تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميلٌ، تطوي له الأرض منهلاً منهلاً.

لا يمرُّ بماء الّا غار إلى يوم القيامة، ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجنّ والإنس والشياطين يقول: إليّ أوليائي «**أنا الذي خلق فسوّى**

(١) القنية: الامة المغنيّة، والمعازف: الملاهي كالعود والطنبور.



وقدّر فهدىٰ، **أنا ربّكم الأعلى**». وكذب عدوُّ الله، انّه أعور يطعم الطعام، ويمشي في الأسواق، وانّ ربّكم عزَّ وجلَّ ليس بأعور، ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

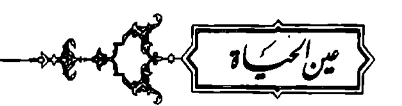
ألا وانّ أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزّنا، وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله عزَّ وجلَّ بالشام علىٰ عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة علىٰ يد من يصلّي المسيح، عيسى بن مريم عليه السّلام خلفه، ألا انّ بعد ذلك الطامّة الكبرى.

قلنا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: خروج دابّة [من] الأرض من عند الصفا، معها خاتم سليمان بن داود، وعصى موسى عليه السّلام، يضع الخاتم علىٰ وجه كلِّ مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمن حقّاً، ويضعه علىٰ وجه كلِّ كافر فينكتب، هذا كافرٌ حقاً، حتّى أنّ المؤمن لينادي: الويل لك يا كافر، وانّ الكافر ينادي: طوبى لك يا مؤمن، وددت أنّي اليوم كنت مثلك فأفوز فوزاً عظيماً.

ثمّ ترفع الدّابّة رأسها فيراها من بين الخافقين باذن الله جلّ جلاله، وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع **«ولا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً»**.

ثمّ قال عليه السّلام: لا تسألوني عمّا يكون بعد هذا، فانّه عهدٌ عهده إليّ حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن لا أُخبر به غير عترتي.

قال النزال بن سبرة: فقلت لصعصعة بن صوحان: يا صعصعة ما عنى أمير المؤمنين عليه السّلام بهذا؟ فقال صعصعة: يا ابن سبرة انّ الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم عليه السّلام هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن علي عليه السّلام،



وهو الشمس الطالعة من مغربها، يظهر عند الركن والمقام فيطهّر الأرض، ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحدٌ أحداً[1].

ويظهر من الأحاديث المعتبرة انّ دابة الأرض أمير المؤمنين عليه السّلام يظهر بعد انقضاء ملك صاحب الأمر عليه السّلام ويتصل بقيام القيامة.

المقصد الثالث

في ذكر المعاد وأهواله

اعلم انّ المعاد هو إحياء الخلائق من قبل الله يوم القيامة لمحاسبتهم، والمعاد من ضروريات الدين لدى جميع الأنبياء، ويظهر هذا الأمر من الآيات القرآنية الصريحة، والأحاديث النبوية، واجماع الامة، ظهوراً لا يشوبه شك ولا شبهة، وانكاره أو تأويله بأنّ الروح لا ترجع لهذا الجسد يوجب الكفر والزندقة.

ويجب علىٰ كلّ مكلف الاعتقاد واليقين بأنّ السماوات والأرض سوف تزول، وتُطوى السماوات بأمر الله تعالى، وتخر الجبال، وسيحيي الله الناس بعين أجسامهم حيث يجمع عظامهم البالية، ويحييها بقدرته الكاملة، ويمزج أرواح الخلائق بتلك الأبدان، وهو غير محال علىٰ الله، ويدلّ عليه الآيات الكثيرة، والروايات المتواترة فلا يبقى مجال للتأويل.

ولابد من الاعتقاد أيضاً بوقوع جميع خصوصيات القيامة من قبيل الصراط والميزان والمحاسبة وأمثالها، ثم يهب الله الجنة لمستحقها، جنّةً خالدة فيها حور وقصور وبساتين وغلمان وغير ذلك مما يلتذ به الانسان، ويعذّب أصحاب النار

(١) كمال الدين: ٥٢٥ ح ١ باب ٤٧ ـ عنه البحار ٥٢: ١٩٢ ح ٢٦ باب ٢٥.

بأشدّ العذاب، من نار وحيّات وعقارب، وزقوم وحميم وأمثال ذلك من الأمور المؤذية والمؤلمة، وجميع هذه ثبتت من طرق الآيات والأحاديث ولا يمكن تأويلها.

ولابد من الاعتقاد أيضاً بوقوع أحوال ما بعد الموت، بمقتضى الآيات والأخبار، من قبيل عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير وغير ذلك، وانّ الأرواح موجودة بعد الموت وقبل القيامة في البرزخ، وانّها تتعلّق بأبدانها ثم يقع عليها سؤال منكر ونكير وضغطة القبر ـ التي تكون لأكثر الأموات ـ

ثم تطير أرواح المؤمنين في الهواء بأجسام مثالية ويكونون في جنّة الدنيا يتنعمون بنغيمها وقد يحضرون وادي السلام في النجف، ويطّلعون على قبورهم وزوارهم، وتكون أرواح الكفار في أجسام مثالية وتعذّب في وادي برهوت أو غيره إلى أن يُحشروا، ولا يُصغى هنا إلى شبهات الملاحدة بعد إخبار المخبر الصادق بوقوعها، لتسدّ أبواب التأويل فانّه سرعان ما يوجب إلحاد صاحبه.

روي عن حبة العرني بسند معتبر انّه قال: خرجت مع أمير المؤمنين إلى الظهر[1]، فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتى أعييت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين انّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: يا حبّة إن هو الّا محادثة مؤمن أو مؤانسته.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين وانّهم لكذلك؟ قال: نعم ولو كشفت لك لرأيتهم

(١) أي ظهر الكوفة.

حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون، فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض الّا قيل لروحه: إلحقي بوادي السلام، وانّها لبقعة من جنة عدن[1].

وروي انّ رجلاً قال لأبي عبدالله عليه السلام: انّ أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها، فقال: ما تبالي حيثما مات، أما انّه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها الّا حشر الله روحه إلى وادي السلام، قلت له: وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة، أما انّي كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدثون[2].

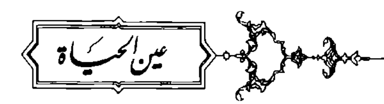
وروي بسند معتبر عن أبي ولاد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك يروون انّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش؟ فقال: لا، المؤمن أكرم علىٰ الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، ولكن في أبدان كأبدانهم[3].

وروي عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارف وتسائل، فاذا قدمت الروح علىٰ الأرواح يقول: دعوها فانّها قد أفلتت من هول عظيم، ثم يسألونها ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيّاً ارتجوه، وان قالت لهم: قد هلك، قالوا: هوى هوى[4].

وروي عن أبي بصير بسند معتبر انّه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن أرواح

---

(١) الكافي ٣: ٢٤٣ ح ١ باب أرواح المؤمنين ـ عنه البحار ٦: ٢٦٧ ح ١١٧ باب ٨.
(٢) الكافي ٣: ٢٤٣ ح ٢ باب أرواح المؤمنين ـ عنه البحار ٦: ٢٦٨ ح ١١٨ باب ٨.
(٣) الكافي ٣: ٢٤٤ ح ١ ـ عنه البحار ٦: ٢٦٨ ح ١١٩ باب ٨.
(٤) الكافي ٣: ٢٤٤ ح ٣ ـ عنه البحار ٦: ٢٦٩ ح ١٢١ باب ٨.



المؤمنين، فقال: في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويقولون: ربنا أقم الساعة لنا، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأوّلنا[1].

وروي بسند معتبر عن ضريس الكناسي انّه قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام انّ الناس يذكرون انّ فراتنا يخرج من الجنة فكيف هو، وهو يقبل من المغرب، وتصبّ فيه العيون والأودية؟

قال: فقال أبو جعفر عليه السّلام ...: انّ لله جنّة خلقها الله في المغرب، وماء فراتكم يخرج منها، واليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء، فتسقط على ثمارها وتأكل منها، وتتنعّم فيها، وتتلاقى وتتعارف، فاذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض، تطير ذاهبة وجائية، وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس، وتتلاقى في الهواء وتتعارف.

قال: وانّ لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار، ويأكلون من زقومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فاذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له (برهوت) أشدّ حرّاً من نيران الدنيا، كانوا فيها يتلاقون ويتعارفون، فاذا كان المساء عادوا إلى النار، فهم كذلك إلى يوم القيامة ...[2].

روى عليّ بن ابراهيم بسند معتبر عن ثوير بن أبي فاخته، عن عليّ بن الحسين عليه السّلام قال: سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ماشاء الله، فقيل له: فاخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟

فقال: أما النفخة الأولى فإنّ الله يأمر اسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه

(١) الكافي ٣: ٢٤٤ ح ٤ عنه البحار ٦: ٢٦٩ ح ١٢٢ باب ٨.

(٢) الكافي ٣: ٢٤٦ ح ١ باب جنة الدنيا ـ عنه البحار ٦: ٢٨٩ ح ١٤ باب ٩.

الصور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض.

قال: فاذا رأت الملائكة اسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط اسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فاذا رأوه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض.

قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو روح الّا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات، فلا يبقى في السماوات ذو روح الّا صعق ومات الّا اسرافيل.

قال: فيقول الله لاسرافيل: يا اسرافيل مت، فيموت اسرافيل، فيمكثون في ذلك ماشاء الله، ثم يأمر الله السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير [وهو قوله: «**يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً ● وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً**»(١) يعني تبسط، وتبدل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة](٢) ويعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّة مستقلاً بعظمته وقدرته.

قال: فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قبله، جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين: «**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**» فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبار مجيباً لنفسه: «**لله الواحد القهار، وأنا قهرت الخلائق كلّهم وأمتّهم، انّي أنا الله لا اله الا أنا، وحدي لا شريك لي ولا وزير لي، وأنا خلقت خلقي بيدي، وأنا أمتّهم بمشيئتي،**

---

(١) الطور: ٩ ـ ١٠.

(٢) ليست هذه الزيادة من المتن الفارسي.

وأنا أُحييهم بقدرتي».

قال: فينفخ الجبار نفخة في الصور، فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات أحد الّا حيي وقام كما كان، ويعود حملة العرش، وتحضر الجنّة والنار، وتحشر الخلائق للحساب.

قال: فرأيت عليّ بن الحسين عليه السّلام يبكي عند ذلك بكاءاً شديداً[1].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: إذا كان يوم القيامة يقول الله عزَّ وجلَّ لملك الموت: يا ملك الموت وعزّتي وجلالي وارتفاعي وعلوّي لأذيقنّك طعم الموت كما أذقت عبادي[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: إذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يبعث الخلق أمطر السماء أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال، ونبتت اللحوم[3].

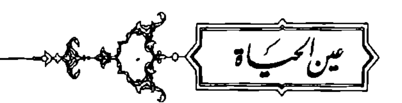
وروي عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله: «هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ»[4] قال: إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب، فيمرّون بأهوال يوم القيامة، فينتهون إلى العرصة ويشرف الجبار عليهم حتى يجهدوا جهداً شديداً.

قال: يقفون بفناء العرصة ويشرف الجبار عليهم وهو علىٰ عرشه، فأوّل من يُدعا بنداء يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمد بن عبدالله النبيّ القرشي العربيّ.

قال: فيتقدّم حتى يقف علىٰ يمين العرش، قال: ثم يدعا بصاحبكم عليّ،

---

(١) تفسير القمي ٢ : ٢٥٢ (سورة الزمر) ـ عنه البحار ٦ : ٣٢٤ ح ٢ باب ٢.
(٢) البحار ٦ : ٣٢٨ ح ٧ باب ٢ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.
(٣) أمالي الصدوق : ١٤٩ ح ٥ مجلس ٣٣ ـ عنه البحار ٧ : ٣٣ ح ١ باب ٣.
(٤) المائدة : ١١٩.



فيتقدّم حتى يقف على يسار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثم يُدعا بامّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، فيقفون عن يسار عليّ، ثم يُدعا كلّ نبيّ وأُمته معه من أوّل النبيين إلى آخرهم وأُمتهم معهم، فيقفون عن يسار العرش.

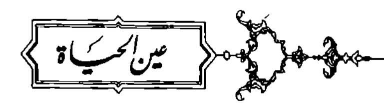
قال: ثم أوّل من يُدعا للمسألة القلم، قال: فيتقدّم فيقف بين يدي الله في صورة الآدميين، فيقول الله: هل سطرت في اللوح ما ألهمتك وأمرتك به من الوحي؟ فيقول القلم: نعم يا ربّ قد علمت اني قد سطرت في اللوح ما أمرتني وألهمتني به من وحيك.

فيقول الله: فمن يشهد لك بذلك؟ فيقول: يا رب هل اطلع على مكنون سرّك خلق غيرك؟ قال: فيقول له: أفلجت حجتك.

قال: ثم يُدعا باللوح، فيتقدم في صورة الآدميين حتى يقف مع القلم، فيقول له: هل سطر فيك القلم ما ألهمته وأمرته به من وحي؟ فيقول اللوح: نعم يا رب وبلّغته اسرافيل، ثم يُدعا باسرافيل فيتقدّم مع القلم واللوح في صورة الآدميين، فيقول الله له: هل بلّغك اللوح ما سطر فيه القلم من الوحي؟ فيقول: نعم يا رب وبلغته جبرئيل.

فيدعا بجبرئيل فيتقدّم حتى يقف مع اسرافيل، فيقول الله له: أبلّغك اسرافيل ما بلّغ؟ فيقول: نعم يا ربّ وبلّغته جميع أنبيائك وأنفذت إليهم جميع ما انتهى إليّ من أمرك، وأديت رسالاتك إلى نبيٍّ نبيٍّ ورسولٍ رسولٍ، وبلّغتهم كلّ وحيك وحكمتك وكتبك، وانّ آخر من بلّغته رسالتك ووحيك وحكمك وعلمك وكتابك وكلامك محمد بن عبدالله العربيّ القرشيّ الحرميّ حبيبك.

قال أبو جعفر عليه السّلام: فأوّل من يُدعا من ولد آدم للمسألة محمد بن عبدالله،



فيدنيه الله حتى لا يكون خلق أقرب إلى الله يومئذ منه، فيقول الله: يا محمد هل بلّغك جبرئيل ما أوحيت إليك، وأرسلته به إليك من كتابي وحكمتي وعلمي؟ وهل أوحى ذلك إليك؟

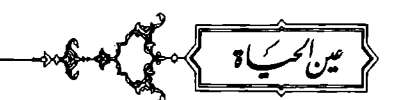
فيقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: نعم يا ربّ قد بلّغني جبرئيل جميع ما أوحيته إليه، وأرسلته به من كتابك وحكمتك وعلمك، وأوحاه إليّ.

فيقول الله لمحمد: هل بلّغت أمتك ما بلّغك جبرئيل من كتابي وحكمتي وعلمي؟ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: نعم يا ربّ قد بلّغت أُمتي ما أوحيت اليّ من كتابك وحكمتك وعلمك وجاهدت في سبيلك، فيقول الله لمحمد: فمن يشهد لك بذلك؟ فيقول محمد: يا رب أنت الشاهد لي بتبليغ الرسالة، وملائكتك والأبرار من أُمتي، وكفى بك شهيداً.

فيُدعا بالملائكة فيشهدون لمحمد بتبليغ الرسالة، ثم يُدعا بأُمّة محمد فيسألون: هل بلّغكم محمد رسالتي وكتابي وحكمتي وعلمي، وعلّمكم ذلك؟ فيشهدون لمحمد بتبليغ الرسالة والحكمة والعلم، فيقول الله لمحمد: فهل استخلفت في امتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي، ويفسّر لهم كتابي، ويبيّن لهم ما يختلفون فيه من بعدك، حجة لي وخليفة في الأرض؟

فيقول محمد: نعم يا ربّ، قد خلّفت فيهم عليّ بن أبي طالب، أخي ووزيري ووصيي وخير أُمتي، ونصبته لهم علماً في حياتي، ودعوتهم إلى طاعته، وجعلته خليفتي في أمتي اماماً يقتدى به الامة بعدي إلى يوم القيامة.

فيدعا بعليّ بن أبي طالب، فيقال له: هل أوصى إليك محمد واستخلفك في أُمته، ونصبك علماً لأُمته في حياته؟ فهل قمت فيهم من بعده مقامه؟ فيقول له



عليّ: نعم يا رب قد أوصى إليّ محمد، وخلّفني في أمته، ونصبني لهم علماً في حياته، فلمّا قبضت محمداً إليك جحدتني أمته، ومكروا بي، واستضعفوني، وكادوا يقتلونني، وقدّموا قدّامي من أخرت، وأخروا من قدّمت، ولم يسمعوا منّي، ولم يطيعوا أمري، فقاتلتهم في سبيلك حتى قتلوني.

فيقال لعليّ: فهل خلّفت من بعدك في أمة محمد حجة وخليفة في الأرض، يدعو عبادي إلى ديني وإلى سبيلي؟ فيقول عليّ: نعم يا رب قد خلّفت فيهم الحسن ابني وابن بنت نبيك، فيدعا الحسن بن عليّ، فيسأل عمّا سئل عنه عليّ بن أبي طالب.

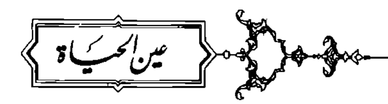
قال: ثم يُدعا بامام امام وبأهل عالمه، فيحتجّون بحجّتهم فيقبل الله عذرهم ويجيز حجتهم، قال: ثم يقول الله «**الْيَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**»[1].

وروي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق، كان نوح صلّى الله عليه أوّل من يُدعا به، فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد بن عبدالله.

قال: فيخرج نوح صلّى الله عليه فيتخطّى الناس حتى يجيء إلى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو على كثيب المسك ومعه عليّ عليه السّلام .. فيقول نوح لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا محمد انّ الله تبارك وتعالى سألني هل بلّغت؟ فقلت: نعم، فقال: من يشهد لك؟ فقلت: محمد، فيقول: يا جعفر ويا حمزة اذهبا واشهدا له انّه قد بلّغ.

فقال أبو عبدالله عليه السّلام: فجعفر وحمزة هما الشاهدان على الأنبياء عليه السّلام بما بلّغوا، فقلت: جعلت فداك فعليّ عليه السّلام أين هو؟ فقال: هو أعظم منزلة من

(١) البحار ٧: ٢٨٠ ح ٣ باب ١٢ ـ عن تفسير القمي ١: ١٩١ (سورة المائدة).



ذلك[1].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مثل ألف سنة ممّا تعدّون، ثمّ تلا هذه الآية: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[2].

وقال أبو جعفر [الباقر] عليه السّلام: لما نزلت هذه الآية «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ»[3] سئل عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: أخبرني الروح الأمين انّ الله لا اله غيره إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنم تُقاد بألف زمام، أخذ بكلّ زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها وهدة تغيّط[4] وزفير، وانّها لتزفر الزفرة فلولا انّ الله عزَّ وجلَّ أخرهم إلى الحساب لأهلكت الجمع.

ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البر منهم والفاجر، فما خلق الله عزَّ وجلَّ عبداً من عباده ملكاً ولا نبياً الاّ نادى: ربّ نفسي نفسي، وأنت يا نبيّ الله تنادي أُمتي أُمتي.

ثمّ يوضع عليها صراط أدق من حد السيف عليه ثلاث قناطر، أما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأما الثانية فعليها الصلاة، وأماالأُخرى فعليها عدل ربّ العالمين لا اله غيره، فيكلّفون الممر عليه فتحبسهم الرحم والأمانة فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين جل وعز وهو قوله تبارك وتعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ»[5].

---

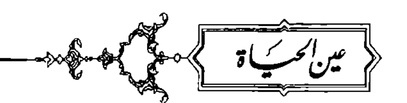
(١) البحار ٧: ٢٨٢ ح ٤ باب ١٢ ـ عن الكافي ٨: ٢٦٧ ح ٣٩٢.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٦ ح ٧ مجلس ٢ ـ عنه البحار ٧: ١٢٦ ح ٣ باب ٦ ـ الآية في سورة المعارج: ٤.

(٣) الفجر: ٢٣.

(٤) هكذا في الأمالي للصدوق، لكن في البحار «هدة وتغيّظ» والهدة صوت وقع الحائط ونحوه.

(٥) الفجر: ١٤.



والناس على الصراط، فمتعلق وقدم تزل وقدم تستمسك والملائكة حولهم ينادون: يا حليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلم وسلم، والناس يتهافتون فيها كالفراش، فاذا نجا ناج برحمة الله عزَّ وجلَّ نظر إليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك بعد أياس بمنّه وفضله انّ ربنا لغفور شكور[1].

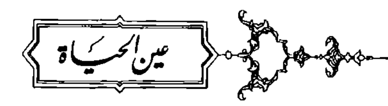
وقال الصادق عليه السلام: الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر متعلّقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً[2].

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: يوقف العبد بين يدي الله فيقول: قيسوا بين نعمي عليه وبين عمله، فتستغرق النعم العمل، فيقولون: قد استغرقت النعم العمل.

فيقول: هبوا له نعمي وقيسوا بين الخير والشرّ منه، فإن استوى العملان أذهب الله الشر بالخير وأدخله الجنة، فإن كان له فضل أعطاه الله بفضله، وان كان عليه فضل وهو من أهل التقوى لم يشرك بالله واتقى الشرك به، فهو من أهل المغفرة يغفر الله له برحمته ان شاء ويتفضّل عليه بعفوه[3].

روي [عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم الثقفي قال:] سألت أبا جعفر محمد بن عليّ عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: «**فَأُولَـئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ**

(١) أمالي الصدوق: ١٤٨ ح ٣ مجلس ٣٣ ـ عنه البحار ٧: ١٢٥ ح ١ باب ٦.
(٢) أمالي الصدوق: ١٤٩ ح ٤ مجلس ٣٣ ـ عنه البحار ٨: ٦٤ ح ١ باب ٢٢.
(٣) أمالي الطوسي: ٢١٢ ح ١٩ مجلس ٨ ـ عنه البحار ٧: ٢٦٢ ح ١٤ باب ١١.



حَسَنَاتٍ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَحِيماً»[1].

فقال عليه السلام: يُؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يُقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذى يتولى حسابه لا يُطلع علىٰ حسابه أحداً من الناس.

فيعرّفه ذنوبه حتى إذا أقرّ بسيائته قال الله عزَّ وجلَّ لملائكته: بدّلوها حسنات، وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذٍ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به الجنة، فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين من شيعتنا خاصة[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنة، فقير في الدنيا وغنيّ في الدنيا، فيقول الفقير: يا رب علىٰ ما أوقف، فوعزتك انك لتعلم انك لم تولني ولاية فأعدل فيها أو أجور، ولم ترزقني مالاً فأُءَدي منه حقاً أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني منها الا كفافاً علىٰ ما علمت وقدّرت لي.

فيقول الله جل جلاله: صدق عبدي خلوا عنه يدخل الجنة، ويبقى الآخر حتى يسيل منه العرق ما لو شربه أربعون بعيراً لكفاها ثم يدخل الجنة.

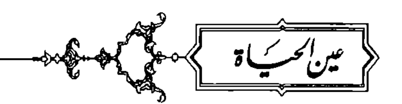
فيقول له الفقير: ما حبسك؟ فيقول: طول الحساب ما زال الشيء يجيئني بعد الشيء يغفر لي، ثم أُسأل عن شيء آخر حتى تغمدني الله عزَّ وجلَّ منه برحمته وألحقني بالتائبين، فمن أنت؟ فيقول: أنا الفقير الذي كنت معك آنفاً، فيقول: لقد غيّرك النعيم بعدي[3].

---

(١) الفرقان: ٧٠.

(٢) أمالي الطوسي: ٧٢ ح ١٤ مجلس ٣ ـ عنه البحار ٧: ٢٦١ ح ١٢ باب ١١.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٩٤ ح ١١ مجلس ٥٧ ـ عنه البحار ٧: ٢٥٩ ح ٤ باب ١١.



وروي أنّ قوماً يعرض عليهم أعمالهم فينكرونها، فيقولون: ما عملنا منها شيئاً، فيشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم.

فقال الصادق عليه السّلام: فيقولون لله: يا ربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً، وهو قول الله: «**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ**»[1].

وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين، فعند ذلك يختم الله علىٰ ألسنتهم وينطق جوارحهم، فيشهد السمع بما سمع ممّا حرّم الله، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم الله، وتشهد اليدان بما أخذتا، وتشهد الرجلان بما سعتا مما حرّم الله، وتشهد الفرج بما ارتكبت ممّا حرّم الله، ثم أنطق الله ألسنتهم فيقولون هم لجلودهم: «**لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا**» فيقولون: «**أَنْطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**»[2]

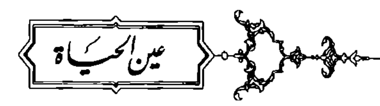
وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيدٍ واحدٍ من الأولين والآخرين عُراة حُفاة، فيوقفون علىٰ طريق المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً وتشتدّ أنفاسهم، فيمكثون بذلك ماشاء الله ... .

ثم قال: ينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين النبيّ الأمّي؟ قال: فيقول الناس: قد أسمعت كلّاً فسمّ باسمه، فقال: فينادي: أين نبيّ الرحمة محمد بن عبدالله؟ قال: فيقوم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيتقدم أمام الناس كلّهم حتى ينتهي إلى حوضٍ طوله ما بين ايلة[3] وصنعاء، فيقف عليه، ثم ينادي بصاحبكم، فيقوم أمام الناس

(١) المجادلة : ١٨.

(٢) البحار ٧: ٣١٢ح ٤ باب ١٦ ـ عن تفسير القمي ـ الآية في سورة فصّلت : ٢١.

(٣) ايلة : مدينة علىٰ ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام.



فيقف معه، ثم يؤذن للناس فيمرّون.

قال أبو جعفر عليه السّلام: فبين واردٍ يومئذٍ وبين مصروف، وإذا رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من يُصرف عنه من محبينا أهل البيت بكى، وقال: يا ربّ شيعة عليّ، يا ربّ شيعة عليّ.

قال: فيبعث الله إليه ملكاً فيقول له: ما يبكيك يا محمد؟ قال: فيقول: وكيف لا أبكي لأُناس من شيعة أخي عليّ بن أبي طالب، أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار، ومنعوا من ورود حوضي.

قال: فيقول الله عزَّ وجلَّ: يا محمد قد وهبتهم لك وصفحت لك عن ذنوبهم، وألحقتهم بك وبمن كانوا يتولّون من ذرّيتك، وجعلتهم في زمرتك، وأوردتهم حوضك، وقبلت شفاعتك فيهم، وأكرمتك بذلك.

ثم قال أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين عليه السّلام: فكم من باكٍ يومئذٍ وباكية ينادون يا محمد إذا رأوا ذلك، قال: فلا يبقى أحد يومئذٍ كان يتولاّنا ويُحبنا الّا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا[1].

وروي عن أبي أيوب الأنصاري انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سُئِل عن الحوض؟ فقال: اما إذا سألتموني عنه فأُخبركم، انّ الحوض أكرمني الله به، وفضّلني على من كان قبلي من الأنبياء وهو ما بين ايلة وصنعاء، فيه من الآنية عدد نجوم السماء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل.

حصاه الزمرّد والياقوت، بطحاؤه مسك أذفر، شرط مشروط من ربّي لا

(١) أمالي الطوسي: ٦٧ ح ٦ مجلس ٣ ـ عنه البحار ٨: ١٧ ح ١ باب ٢٠.

يرده أحد من أُمتي الّا النقيّة قلوبهم، الصحيحة نياتهم، المسلّمون للوصي من بعدي، الذين يعطون ما عليهم في يُسرٍ، ولا يأخذون ما عليهم في عسر، يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته، كما يذود الرجل البعير الأجرب من ابله، من شرب منه لم يظمأ أبداً[1].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في أخبار متواترة أنه قال: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي.

ثم قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: ... يلجم الناس يوم القيامة العرق، فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربّه، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربّك، فيقول: انّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتى ينتهون إلى عيسى، فيقول: عليكم بمحمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء.

فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه، فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنّة ويستقبل باب الرحمن ويخرّ ساجداً، فيمكث ماشاء الله، فيقول الله عزّ وجلّ: ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعط، وذلك قوله: «**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**»[3]

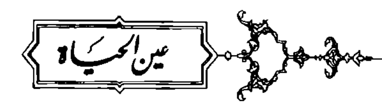
وروي بسند معتبر انّ رجلاً قال لأبي جعفر الباقر عليه السّلام: يا أبا جعفر

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٢٧ ح ٥٠ مجلس ٨ ـ عنه البحار ٨: ٢١ ح ١٤ باب ٢٠.

(٢) أمالي الصدوق: ١٦ ح ٤ مجلس ٢ ـ عنه البحار ٨: ٣٤ ح ٤ باب ٢١.

(٣) البحار ٨: ٣٥ ح ٧ باب ٢١ ـ عن تفسير القمي ـ الآية في سورة الاسرى: ٧٩.



تغرّون الناس وتقولون شفاعة محمد، شفاعة محمد.

فغضب أبو جعفر عليه السّلام حتى تربد وجهه، ثم قال: ويحك ... أغرك أن عفّ بطنك وفرجك؟ أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويلك فهل يشفع الّا لمن وجبت له النار؟ ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين الّا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: انّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الشفاعة في أُمته، ولنا الشفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم، ثم قال: وانّ المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وانّ المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول له: يا ربّ حق خدمتي، كان يقيني الحرّ والبرد[1].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: ثلاثة يشفعون إلى الله عزّ وجلّ فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: سأل عليّ عليه السّلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تفسير قوله: «**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ اِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً**»[3].

قال: يا عليّ انّ الوفد لا يكونون الّا ركباناً، أُولئك رجال اتقوا الله فأحبّهم الله واختصّهم ورضي أعمالهم، فسمّاهم الله المتقين.

ثم قال: يا عليّ أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة انّهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن، عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلألأ.

---

(١) البحار ٨: ٣٨ ح ١٦ باب ٢١ ـ عن تفسير القمي.
(٢) الخصال: ١٥٦ ح ١٩٧ باب ٣ ـ عنه البحار ٨: ٣٤ ح ٢ باب ٢١.
(٣) مريم: ٨٥.



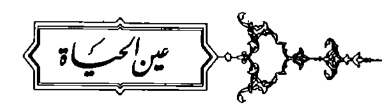
وفي حديث آخر قال: انّ الملائكة لتستقبلنّهم بنوق من العزة عليها رحائل الذهب، مكلّلة بالدر والياقوت وجلالها الاستبرق والسندس، وخطامها جدل الأرجوان، وزمامها من زبرجد، فتطير بهم إلى المجلس، مع كلّ رجل منهم ألف ملك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله يزفّونهم زفاً حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم، وعلى باب الجنة شجرة الورقة منها تستظلّ تحتها مائة ألف من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكية.

قال: فيسقون منها شربة فيطهّر الله قلوبهم من الحسد، ويسقط من أبشارهم الشعر... ثم يرجعون إلى عين أُخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون منها، وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً.

قال: ثم يوقف بهم قدّام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبرد أبداً، قال: فيقول الجبار للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنة فلا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم، ووجبت رحمتي لهم، فكيف أُريد أن أُوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات.

فيسوقهم الملائكة إلى الجنة، فاذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم ضربوا الملائكة الحلقة ضربة، فتصرّ صريراً، فيبلغ صوت صريرها كلّ حوراء خلقها الله واعدّها لأوليائه، فيتباشرون إذ سمعوا صرير الحلقة، ويقول بعضهم لبعض: قد جاءنا أولياء الله.

فيفتح لهم الباب، فيدخلون الجنة، ويشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين، فيقلن لهم: مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا إليكم، ويقول لهنّ أولياء الله مثل ذلك، فقال عليّ عليه السّلام: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى



الله عليه وآله وسلّم: هؤلاء شيعتك يا عليّ، وأنت امامهم[1].

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد، وينادي مناد من عند الله يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، يقول: أين أهل الصبر؟

فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون لهم: ما كان صبركم هذا الذي صبرتم؟ فيقولون: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله، قال: فينادي مناد من عندالله: صدق عبادي، خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنه بغير حساب.

قال: ثم ينادي مناد آخر يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، فيقول: أين أهل الفضل، فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون: ما فضلكم هذا الذي نوديتم به؟ فيقولون: كنّا يجهل علينا في الدنيا فنحتمل، ويُساء إلينا فنعفوا. قال: فينادي مناد من عند الله تعالى: صدق عبادي، خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنه بغير حساب.

قال: ثم ينادي مناد من عندالله عزَّ وجلَّ، يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، فيقول: أين جيران الله جلّ جلاله في داره؟ فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم: ماذا كان عملكم في دار الدنيا، فصرتم به اليوم جيران الله تعالى في داره؟

فيقولون: كنا نتحاب في الله عزَّ وجلَّ، ونتباذل في الله، ونتوازر في الله، فينادي مناد من عندالله: صدق عبادي خلّوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله في الجنة

(١) البحار ٧: ١٧٢ ح ٢ باب ٨ ـ عن تفسير القمي ٢: ٥٣ (سورة مريم).

بغير حساب.

قال: فينطلقون إلى الجنة بغير حساب، ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: فهؤلاء جيران الله في داره، يخاف الناس ولا يخافون، ويُحاسب الناس ولا يحاسبون[1].

وقال الصادق عليه السّلام: إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع ابليس في رحمته[2].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأسانيد معتبرة أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: يا عليّ أنت أوّل من يدخل الجنة، وبيدك لوائي وهو لواء الحمد وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر ...[3].

وورد في حديث آخر انّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال له: ... يا علي انّ أوّل من يُدعى يوم القيامة يُدعى بك، هذا لقرابتك منّي ومنزلتك عندي، فيدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد، فتسير به بين السماطين.

وانّ آدم وجميع من خلق الله يستظلون بظل لوائي يوم القيامة، وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه يا قوتة حمراء، قصبه فضة بيضاء، زجه درّة خضراء.

له ثلاث ذوائب من نور، ذوابة في المشرق، وذوابة في المغرب، وذوابة في وسط الدنيا، مكتوب عليها ثلاثة أسطر، الأول: بسم الله الرحمن الرحيم، والآخر: الحمد لله رب العالمين، والثالث: لا اله الا الله، محمد رسول الله.

طول كل سطر مسيرة ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللواء،

---

(١) أمالي الطوسي: ١٠٢ ح ١٢ مجلس ٤ ـ عنه البحار ٧: ١٧١ ح ١ باب ٨.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧١ ح ٢ مجلس ٣٧ ـ عنه البحار ٧: ٢٨٧ ح ١ باب ١٣.

(٣) البحار ٨: ٤ ح ٤ باب ١٨ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

والحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين ابراهيم في ظل العرش، فتكسى حلّة خضراء من حلل الجنة، ثم ينادي مناد من عند العرش: نعم الأب أبوك ابراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ ...[1].

وروي بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: إذا سألتم الله فاسألوه الوسيلة[2]، فسألنا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الوسيلة.

فقال: هي درجتي في الجنة، وهي ألف مرقاة جوهرة إلى مرقاة زبرجد، إلى مرقاة لؤلؤ، إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة فضة، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين، وهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا شهيد ولا صديق الّا قال: طوبى لمن كانت هذه درجته، فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين: هذه درجة محمد.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: فأقبل يومئذٍ متزراً بريطة[3] من نور علىٰ رأسي تاج الملك، مكتوب عليه: لا اله الا الله، محمد رسول الله، عليّ وليّ الله، المفلحون هم الفائزون بالله.

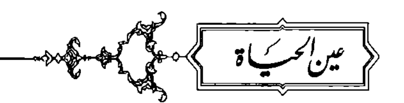
[وإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقربان، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما] حتى أعلو الدرجة وعليّ يتبعني، حتى إذا صرت في أعلىٰ الدرجة منها وعليّ أسفل منّي وبيده لوائي، فلا يبقى يومئذٍ نبي

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٦٦ ح ١٤ مجلس ٥٢ ـ عنه البحار ٨: ١ ح ١ باب ١٨.

(٢) هكذا في التفسير القمي، وفي البحار: «فاسألوه لي الوسيلة» وطبقاً للترجمة الفارسية «إذا سألتم الله لي فاسألوه الوسيلة».

(٣) الريطة: كل ملأة ليست بلفقتين، وقيل: كلّ ثوب رقيق ليّن.



ولا مؤمن الا رفعوا رؤوسهم إليّ يقولون: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما علىٰ الله.

فينادي المنادي يسمع النبيين وجميع الخلائق: هذا حبيبي محمد، وهذا وليي عليّ بن أبي طالب، طوبى لمن أحبه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه.

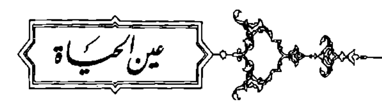
ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك الّا استروح إلى هذا الكلام وابيضّ وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك، ونصب لك حرباً، وجحد لك حقاً الا اسودّ وجهه واضطربت قدماه.

فبينا انا كذلك إذا بملكين قد أقبلا إليّ، أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما الآخر فمالك خازن النار، فيدنو إليّ رضوان ويسلّم عليّ ويقول: السلام عليك يا رسول الله، فأرد عليه السّلام، فأقول: أيها الملك الطيب الريح، الحسن الوجه، الكريم علىٰ ربه من أنت؟

فيقول: أنا رضوان خازن الجنة، أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح الجنة، فخذها يا محمد، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد علىٰ ما أنعم به عليّ، إدفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، فيدفعها إلى عليّ ويرجع رضوان.

ثم يدنو مالك خازن النار فيسلم عليّ ويقول: السلام عليك يا حبيب الله، فأقول له: عليك السلام أيها الملك، ما أنكر رؤيتك وأقبح وجهك، من أنت؟ فيقول أنا مالك خازن النار، أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح النار، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد علىٰ ما أنعم به عليّ وفضلني، إدفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، فيدفعها إليه.

ثم يرجع مالك، فيقبل عليّ عليه السّلام ومعه مفاتيح الجنه ومقاليد النار حتى



يقف علىٰ شفير جهنم، ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها، واشتد حرّها، وكثر شررها، فتنادي جهنم: يا عليّ جزني قد أطفأ نورك لهبي، فيقول لها عليّ عليه السّلام: يا جهنم ذري هذا وليي، وخذي هذا عدوي.

فلجهنّم يومئذٍ أشد مطاوعة لعليّ من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهب به يمنة، وإن شاء يذهب به يسرة، ولجهنم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ فيما يأمرها به من جميع الخلائق ...[1].

---

(١) تفسير القمي ٢ : ٣٢٤ (سورة ق) ـ عنه البحار ٧ : ٣٢٦ ح ٢ باب ١٧.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أباذر انّ شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لا يَنتفع بعلمه، ومن طلب علماً ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنة.

يا أباذر من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ريح الجنة.

يا أباذر إذا سُئلت عن علم لا تعلمه فقل: لا أعلمه، تنج من تبعته، ولا تفت بما لا علم لك به تنج من عذاب الله يوم القيامة.

يا أباذر يطلع قوم من أهل الجنة علىٰ قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وقد دخلنا الجنة بتأديبكم وتعليمكم، فيقولون: انّا كنّا نأمر بالخير ولا نفعله.

وتوضيح هذا الفصل يبتني علىٰ قواعد.

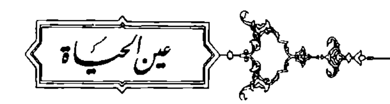
القاعدة الأولى

في فضل العلم والعلماء وتعليم العلم وتعلّمه

اعلم انّ العلم من أشرف السعادات وأفضل الكمالات، والآيات والأخبار في فضله كثيرة، منها ما وجب في أصول الدين وفروعه وجوباً عينياً، وفضل الانسان علىٰ جميع المخلوقات بالعلم، وهو رأس مال جميع الكمالات، كما روي بأسانيد معتبرة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: طلب العلم فريضة علىٰ كلّ مسلم، الا انّ الله يحب بغاة العلم[1].

---

(١) الكافي ١: ٣٠ ح ١ كتاب فضل العلم ـ في البحار ١: ١٧٢ ح ٢٦ باب ١.



وسُئل أبو الحسن [موسى بن جعفر عليه السّلام]: هل يسع الناس ترك المسألة عمّا يحتاجون إليه؟ فقال: لا[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: أيها الناس اعلموا انّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، وانّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، انّ المال مقسومٌ بينكم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم، وضمنه سيفي لكم به، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أُمرتم بطلبه منهم، فاطلبوه ...[2].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: ... من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكّ له عملاً[3].

وقال عليه السّلام: من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين[4].

وقال عليه السّلام: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا خير في العيش الّا لرجلين: عالم مطاع، أو مستمع واع[5].

وروي عن معاوية بن عمار انّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيهما أفضل؟

قال: الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد[6].

---

(١) الكافي ١: ٣٠ ح ٣ كتاب فضل العلم ـ في البحار ١: ١٧٦ ح ٤٣ باب ١.

(٢) تحف العقول: ١٣٧ ـ عنه البحار ١: ١٧٥ ح ٤١ باب ١.

(٣) الكافي ١: ٣١ ح ٧، كتاب فضل العلم.

(٤) البحار ١: ١٧٧ ح ٤٩ باب ١.

(٥) البحار ١: ١٩٥ ح ١٢ باب ٢.

(٦) الكافي ١: ٣٣ ح ٩، وبصائر الدرجات ١: ٢٧ ح ٦ باب ٤ ـ عنه البحار ٢: ١٤٥ ح ٨ باب ١٩.

وقال عليه السلام: ... اغد عالماً أو متعلّماً أو أحب العلماء، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم[1].

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وانّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وانّه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر.

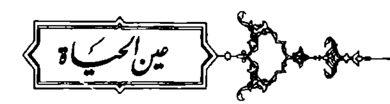
وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر النجوم ليلة البدر، وانّ العلماء ورثة الأنبياء، انّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثو العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر[2].

وروي عن الامام الحسن العسكري عليه السلام انّه قال: حدثني أبي عن آبائه عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: أشدّ من يتم اليتيم الذي انقطع عن أمه وأبيه يتم يتيمٍ انقطع عن امامه، ولا يقدر علىٰ الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه.

ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج

(١) الخصال: ١٢٣ ح ١١٧ باب ٣ ـ عنه البحار ١: ١٨٧ ح ٢ باب ٢.
(٢) البحار ١: ١٦٤ ح ٢ باب ١ ـ عن أمالي الصدوق.
(٣) الاحتجاج ١: ٩ ح ٢: عنه البحار ٢: ٢ ح ١ باب ٨.



ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به[1]، جاء يوم القيامة وعلىٰ رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع العرصات، وحلّة لا يقوّم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد:

«يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبّث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزه الجنان».

فيخرج كلّ من كان علّمه في الدنيا خيراً، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً، أو أوضح له عن شبهة[2].

وقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: ... سمعت أبي يقول: انّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في ارشاد عباد الله حتى يخلع علىٰ الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور، ثمّ ينادي منادي ربنا عزَّ وجلَّ:

«أيها الكافلون لأيتام آل محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم، ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا».

فيخلعون علىٰ كلّ واحد من أولئك الأيتام علىٰ قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى انّ فيهم ـ يعني في الأيتام ـ لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام علىٰ من تعلّم منهم.

---

(١) حبوناه: أعطيناه بلا عوض (مجمع البحرين).

(٢) الاحتجاج ١: ١٠ ح ٣ ـ عنه البحار ٢: ٢ ح ٢ باب ٨.

ثم انّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتمّوا لهم خلعهم، وتضعّفوها لهم فيتمّ لهم، ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم.

وقالت فاطمة عليها السلام: ... انّ سلكة من تلك الخلع لأفضل ممّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرّة ...[1].

وقال الحسن عليه السلام: فضل كافل يتيم آل محمد ـ المنقطع عن مواليه، الناشب في رتبة الجهل، يخرجه من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه ـ على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها[2].

وقال: من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال الله عزَّ وجلَّ له:

«يا أيها العبد الكريم المواسي لأخيه أنا أولى بالكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كلّ حرف علّمه ألف ألف قصر، وضمّوا إليها ما يليق بها من سائر النعم»[3].

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى موسى: حبّبني إلى خلقي وحبّب خلقي إليّ، قال: يا رب كيف أفعل؟

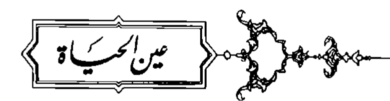
قال: ذكّرهم آلائي ونعمائي ليحبّوني، فلإن تردّ آبقاً عن بابي، أو ضالاً عن فنائي، أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها وقيام ليلها.

---

(١) البحار ٢: ٣ح ٣ باب ٨.

(٢) الاحتجاج ١: ١٠ح ٤ ـ عنه البحار ٢: ٣ح ٤ باب ٨.

(٣) الاحتجاج ١: ١١ح ٥ ـ عنه البحار ٢: ٤ح ٥ باب ٨.



قال موسى: ومن هذا العبد الابق منك؟ قال: العاصي المتمرّد، قال: فمن الضالّ عن فنائك؟ قال: الجاهل بامام زمانه تعرّفه، والغائب عنه بعد ما عرفه، الجاهل بشريعة دينه، تعرّفه شريعته وما يعبد به ربّه، ويتوصّل به إلى مرضاته.

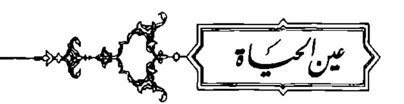
قال عليّ بن الحسين عليه السّلام: فأبشروا علماء شيعتنا بالثواب الأعظم، والجزاء الأوفر[1].

وقال محمد بن عليّ الباقر عليه السّلام: العالم كمن معه شمعة تضئ للناس، فكلّ من أبصر بشمعته دعا له بخير، كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة، فكلّ من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل، فهو من عتقائه من النار، والله يعوّضه عن ذلك [بكل شعرة لمن أعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار على غير الوجه الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها][2]، لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة يصلّيها من بين يدي الكعبة[3].

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام: علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي ابليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلّط عليهم ابليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرّة، لأنّه يدفع عن أديان شيعتنا ومحبينا، وذلك يدفع عن أبدانهم[4].

---

(١) البحار ٢: ٤ ح ٦ باب ٨.
(٢) ليست هذه الزيادة في المتن الفارسي.
(٣) الاحتجاج ١: ١١ ح ٦ ـ عنه البحار ٢: ٤ ح ٧ باب ٨.
(٤) الاحتجاج ١: ١٢ ح ٧ ـ عنه البحار ٢: ٥ ح ٨ باب ٨.



وقال موسى بن جعفر عليه السلام: فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنّا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشدّ علىٰ ابليس من ألف عابد، لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وامائه لينقذهم من يد ابليس ومردته(1).

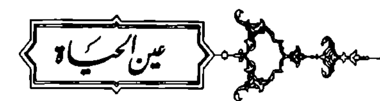
ويقال للفقيه [يوم القيامة]: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد، الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلّم منك، فيقف فيدخل الجنة معه فئاماً وفئاماً(2) ـ حتى قال عشراً ـ وهم الذين أخذوا عنه علومه، وأخذوا عمن أخذ عنه، وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة(3).

وقال عليّ بن محمد عليه السلام: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ومردته، ومن فخاخ(4) النواصب لما بقي أحد الا ارتد عن دين الله عزَّ وجلَّ، ولكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، اولئك هم الأفضلون عند الله عزَّ وجلَّ(5).

وروى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: من خرج من بيته يطلب علماً شيّعه سبعون ألف ملك يستغفرون له(6).

وروي عن عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السّلام، عن رسول الله صلّى الله عليه

(1) الاحتجاج ١: ١٣ ح ٨ ـ عنه البحار ٢: ٥ ح ٩ باب ٨.
(2) الفئام: الجماعة الكثيرة، وفسّر في خطبة أمير المؤمنين عليه السّلام في يوم الغدير بمائة ألف.
(3) الاحتجاج ١: ١٤ ح ٩ ـ عنه البحار ٢: ٦ ضمن حديث ١٠ باب ٨.
(4) الفخ: المصيدة.
(5) الاحتجاج ١: ١٥ ح ١١ ـ عنه البحار ٢: ٦ ح ١٢ باب ٨.
(6) البحار ١: ١٧٠ ح ٢١ باب ١ عن أمالي الطوسي.



وآله وسلّم انّه قال: طلب العلم فريضة علىٰ كلّ مسلم، فاطلبوا العلم في مظانّه، واقتبسوه من أهله، فإنّ تعلّمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة فيه تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى.

لأنّه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدّث في الخلوة، والدليل في السرّاء والضرّاء، والسلاح علىٰ الأعداء، والزين عند الأخلّاء.

يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة، تقتبس آثارهم، ويُهتدى بفعالهم، وينتهى إلى آرائهم، ترغب الملائكة في خلّتهم، وبأجنحتها تمسّهم، وفي صلاتها تبارك عليهم، يستغفر لهم كلّ رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه.

انّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة، وقوّة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة.

الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يُطاع الربّ ويعبد، وبه توصل الأرحام، ويُعرف الحلال من الحرام، العلم امام العمل والعمل تابعه، يلهم به السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظّه[١].

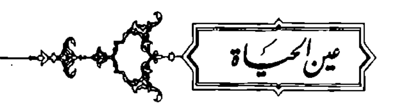
وقال: طالب العلم بين الجهّال كالحيّ بين الأموات[٢].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٨٧ ح ٣٨ مجلس ١٧ ـ عنه البحار ١: ١٧١ ح ٢٤ باب ١.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٧٧ ح ٥ مجلس ٢٣ ـ عنه البحار ١: ١٨١ ح ٧١ باب ١.



الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء علىٰ دماء الشهداء[1].

القاعدة الثانية

في أصناف العلم والنافع منه

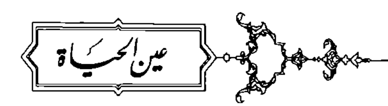
اعلم انّ طالب العلم بعد الاخلاص في النية ـ وسنذكره فيما بعد ـ لابد له من اختيار علم يكون فيه رضى الله حتى يحصل علىٰ السعادة الأبدية، لأنّ من الأمور البديهية عدم كون كل علم موجباً للنجاة، كطلب علم السحر والكهانة، فإن أمثال ذلك يُعد ضلالاً وفعلاً حراماً.

وقد ظهر مما سبق في مباحث التوحيد والامامة انّ العلم النافع الذي يوجب النجاة هو العلم الواصل بطرق أهل البيت عليهم السلام لتفسير محكمات القرآن في الأحاديث، ووصل إلينا أيضاً تفسير أكثر المتشابهات، والتفكر في ما لم يصل إلينا غير حسن.

ويلزم تعلّم العلوم التي توصلنا إلى فهم كلامهم، وأما ما عداه فهو اما لغو ولا فائدة فيه وموجب لتضييع العمر، أو يكون سبباً لحدوث الشبهات في النفس المنتهى إلى الكفر والضلالة في أكثر الأحيان، وان احتملت النجاة بصورة ضعيفة.

ولا يورد نفسه أيّ عاقل في هذه المهالك بحيث لا يدري أينجو أم لا، مع غضّ النظر عن تضييع العمر الذي يمكن من خلاله تحصيل السعادة في كلّ

(١) أمالي الصدوق: ١٤٢ ح ١ مجلس ٣٢ ـ عنه البحار ٢: ١٤ ح ٢٦ باب ٨ ـ وفي من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٨ ح ٥٨٥٣.



لحظة، كما روي عن موسى بن جعفر عليه السّلام انّه قال:

دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المسجد فاذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامة، فقال: وما العلامة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية، والأشعار العربية.

قال: فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: ذاك علم لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه، ثم قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل(1).

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال لقمان لابنه: ... وللعالم ثلاث علامات: العلم بالله، وبما يحب، وبما يكره(2).

وروي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: وجدت علم الناس كلّه في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثانى أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك(3).

وروي بسند صحيح عن زرارة ومحمد بن مسلم وبريد قالوا: قال رجل لأبي عبدالله عليه السّلام: انّ لي ابناً قد أحبّ أن يسألك عن حلال وحرام لا يسألك عمّا لا يعنيه، قال: فقال: وهل يسأل الناس من شيء أفضل من الحلال والحرام؟(4).

---

(1) الكافي ١: ٣٢ ح ١، وفي المتن الفارسي «فهو فضول وزيادة» بدل فهو فضل.
(2) الخصال: ١٢١ ضمن حديث ١١٣ باب الثلاثة ـ عنه البحار ١: ٢١٠ ح ٢ باب ٦.
(3) الكافي ١: ٥٠ ح ١١ ـ والبحار ١: ٢١٢ ح ٦ باب ٦ ـ عن الخصال ومعاني الأخبار.
(4) البحار ١: ٢١٣ ح ٩ باب ٦ عن علل الشرائع.

القاعدة الثالثة

في شرائط العلم وآدابه والعمل به، وذكر أصناف العلماء

اعلم انّ العلم أشرف العبادات، فلابد فيه من رعاية شرائط العبادة على الوجه الأكمل كي يثمر السعادة والكمال، وذكرنا سابقاً انّ عمدة شرائط قبول العمل الاخلاص في النية، لذا فلابد ان يسعى المرء لاخلاص النية فيه، فيجعل غرضه من طلب العلم هو رضا الله تعالى.

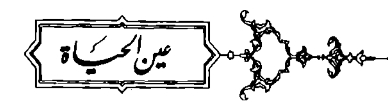
وليفرغ نفسه من الأغراض الفاسدة، والنيات الدنيّة، وليتوسل دائماً بالله تعالىٰ، ويطلب التوفيق منه حتى تُفاض عليه العلوم الحقة من قِبَلِ الفيّاض المطلق من دون مزج التخيلات الشيطانية.

وكلّما كان العمل عظيماً كان سعي الشيطان لتضييعه أكثر، فلذا يصعب تحصيل الاخلاص في طلب العلم أكثر منه في سائر الأعمال، ويكون مشوباً في أكثر الأوقات بالأغراض الباطلة، لأنّ أكثر العبادات لا تُبقي أثراً في العابد موجباً للافتخار بالحساب الدنيوي، بخلاف العلم فانه بنفسه كمال يوجب الفخر بالحساب الدنيوي، ويُرجح في بعض الأمور، وثمرته ظاهرة، فلذا تكون للشيطان وساوس كثيرة في هذا الباب.

فقد روي بأسانيد معتبرة عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة[1].

---

(١) الكافي ١: ٤٦ ح ٢ باب المستأكل بعلمه والمباهي به.



وروي عن الامام محمد الباقر عليه السّلام انّه قال: من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه، فليتبّوأ مقعده من النار...[1].

ومن شرائط العلم أيضاً تطهير النفس من الصفات الذميمة والأخلاق الدنيّة، وقلع جذور الحسد والكبر والرياء والبغض وحب الدنيا وأمثالها عن القلب، حتى تكون نفسه مستعدة لافاضة الحقائق.

وقد شبّه العلم والحكمة بالبذر، فنماؤه يختلف باختلاف وقوعه على الأرض، فإنّه تارة يقع على الحجر فلا ينمو ولا ينتج شيئاً، وتارة أُخرى يقع على أرض ظاهرها تراب وباطنها حجر، فإنّ البذر وان كان ينمو هنا لكنه بمجرد وصول الجذر إلى الحجر يتوقف النمو والانتاج.

وتارة ثالثة يقع على أرض سبخة، فلا ينمو، ورابعة فقد يقع على أرض فيها نبات ضارّ فيختلط هذا بذاك ولا يثمر.

وهذا هو السبب لعدم تأثير الحكمة في قلوب من جلسوا في مجلس الوعظ وقلوبهم أشد قسوة من الحجر، أو تأثيرها في قلوب البعض بصورة سطحية لاختلاطه بما هو ضارّ، فلا تنفعهم هذه الحِكَم والمواعظ ولا يظهر أثرها فيهم.

وتكون ثمرتها في البعض أكثر لكن بما أنّ القلب مملوّ بالحقد والحسد وحب الدنيا فلا تتحكم الحكمة في قلوبهم، والبعض الذين طهّروا قلوبهم من هذه الرذائل بمجرد سماعهم للموعظة تتأصل في قلوبهم، وتظهر آثارها على

(١) البحار ٢: ٣٨ ح ٦٥ باب ٩ عن منية المريد.



أعضائهم وجوارحهم.

كما روي عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: ... انّ قلوب المؤمنين لمطويّة بالايمان طياً، فاذا أراد الله انارة ما فيها فتحها بالوحي، فزرع فيها الحكمة زارعها وحاصدها[1].

وهناك تشبيه آخر للعلم والحكمة حيث شُبّها بالطعام المقوي للجسم، فكما انّ الجسم يتقوى بالأطعمة وتكون حياته بها، فكذلك الروح تتقوى بالحكم والمعارف، وتكون حياتها بها كما انّ الله تعالى يصف الكافرين والجهال في غير موضع من القرآن بالأموات، حيث يقول: «أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ»[2].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: انّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم[3].

وورد في أخبار كثيرة انّ العلم حياة القلوب، ومهما كانت الأجسام سقيمة فانّ الأطعمة اللطيفة توجب طغيان المرض وازدياد السقم، فالمريض يُمنع من اللحوم والدسوم والحلوى إلى أن يبرأ من المرض ثم يسمح له بتناولها.

فكذلك أطباء النفوس والأرواح ففي الوهلة الأولى يزيلون الأمراض النفسية عن النفس، ثم يقوّونها بالعلم والحكمة، فانّك ترى المبتلين بهذه الأمراض لا يزيدهم العلم الاّ فساداً، وانّ الشيطان يوصلهم إلى كمال الشقاء بهذا العلم.

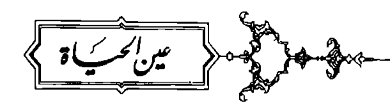
وشُبّه العلم أيضاً بضياء المصباح وضياء الشمس، فإنّ الأعمى لا يرى لهما

---

(١) البحار ٧٠: ٥٤ ح ٢١ باب ٤٤ ـ عن قرب الاسناد.

(٢) النحل: ٢١.

(٣) نهج البلاغة قصار الحكم رقم ٩١ ـ عنه البحار ١٨٢ ح ٧٨ باب ١.



أثراً، والباقون يرون النور والضياء بحسب صحة العين وسقمها، إذن لابد أولاً من علاج عين القلب كي ينفع العلم، كما يصف الله تعالى بعض الأشقياء بقوله:

«... لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»[1].

وبما ان الكلام تطرق إلى عين البصيرة فتجدر الاشارة إلى شيء من صفات القلب وأحواله، وصلاحه وفساده، ومعنى نوره وظلمته، وزيادة الايمان فيه ونقصانه.

اعلم انّ القلب يُطلق علىٰ معنيين، الأول: علىٰ العضو الواقع في الجنب الأيسر، والثاني: علىٰ النفس الناطقة.

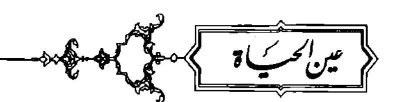
انّ حياة الجسم بالروح الحيوانية، وهي التي تجري في الدم علىٰ هيئة بخار لطيف تنبع من القلب، وتتصاعد منه إلى الدماغ، ثم تسري من هناك بواسطة العروق إلى جميع الأعضاء والجوارح.

وبما انّ كمال واستعداد النفس الناطقة موقوف على الجسم وانّ الجسم يفيدها، فلذا تتعلّق في أول الأمر بالروح الحيوانية، وبما انّ القلب هو منبع الروح الحيوانية تتعلق به أكثر من سائر الجوارح، فلذا يعبّر عن النفس في أكثر الآيات والأخبار بالقلب، ومدار صلاح وفساد الجسم علىٰ القلب بهذا المعنىٰ.

وكل صفة من علم أو غيره من الكمالات تظهر في النفس تسري في الجسم والأعضاء والجوارح، وكلّما كانت الصفة أكمل في النفس تكون أكثر ظهوراً في الجسم، كما أنّ الروح الظاهرية والروح الجسمانية كلّما ازداد ما يقوّيهما في القلب ظهر أثر تلك القوّة في الأعضاء والجوارح أكثراً فأكثر، كالعين التي تجري منها

---

(١) الحج: ٤٦.



الأنهار فكلّما كان ماؤها أكثر كانت الأنهار أكثر.

فتجري أنهار من القلب (العضو المخصوص) إلى جميع الجسم، وتجري أنهار من القلب الروحاني علىٰ الأعضاء سواء فيها الحياة المعنوية من ايمان ويقين ومعارف، وهاتان العينان تجريان من بحار فيض الله تعالى اللامتناهي، فعلى الانسان حفر هذه الأنهار، ورفع الأوساخ والذنوب والشبهات وسائر المواد الفاسدة عنها كي تجري بصفاء وسهولة من غير كدر ووساخة.

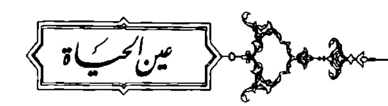
روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: في الانسان مضغة إذا هي سلمت وصحّت سلم بها سائر الجسد، فاذا سقمت سقم بها سائر الجسد وفسد، وهي القلب[1].

وقال أيضاً: إذا طاب قلب المرء طاب جسده، وإذا خبث القلب خبث الجسد[2].

وأوصى أمير المؤمنين عليه السّلام إلى ابنه الحسن عليه السّلام: يا بنيّ انّ من البلاء الفاقة، وأشدّ من ذلك مرض البدن، وأشدّ من ذلك مرض القلب، وانّ من النعم سعة المال، وأفضل من ذلك صحة البدن، وأفضل من ذلك تقوى القلوب[3].

وروي عن أبي جعفر عليه السّلام انّه قال: القلوب ثلاثة: قلبٌ منكوس لا يعي علىٰ شيء من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يعتلجان، فما كان منه أقوى غلب عليه، وقلبٌ مفتوح فيه مصباح يزهر ولا يطفأ

(١) الخصال: ٣١ ح ١٠٩ باب ١ ـ عنه البحار ٧٠: ٥٠ ح ٤ باب ٤٤.
(٢) الخصال: ٣١ ح ١١٠ باب ١ ـ عنه البحار ٧٠: ٥٠ ح ٦ باب ٤٤.
(٣) البحار ٧٠: ٥١ ح ٨ باب ٤٤ ـ عن أمالي الطوسي.



نوره إلى يوم القيامة، وهو قلب المؤمن(١).

وقال الصادق عليه السلام: ... انّ منزلة القلب من الجسد بمنزلة الامام من الناس الواجب الطاعة عليهم، ألا ترى انّ جميع جوارح الجسد شرط للقلب وتراجمة له مؤدّية عنه [الأذنان والعينان والأنف والفم واليدان والرجلان والفرج، فإنّ القلب إذا همّ بالنظر فتح الرجل عينيه، وإذا همّ بالاستماع حرّك أُذنيه وفتح مسامعه فسمع.

وإذا همّ القلب بالشم استنشق بأنفه فأدّى تلك الرائحة إلى القلب، وإذا همّ بالنطق تكلّم باللسان، وإذا همّ بالحركة سعت الرجلان، وإذا همّ بشهوة تحرك الذكر، فهذه كلّها مؤدّية عن القلب بالتحريك](٢)، وكذلك ينبغي الامام أن يطاع للأمر منه(٣).

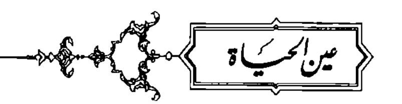
وقال أبو جعفر عليه السلام: انّ القلوب بين اصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء...(٤).

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: ألا انّ للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فاذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه، فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه(٥).

وقال أبو عبدالله عليه السلام: انّ للقلب أُذنين، روح الايمان يسارّه بالخير،

---

(١) معاني الأخبار: ٣٩٥ ح ٥٠ نوادر المعاني ـ عنه البحار ٧٠: ٥١ ح ٩ باب ٤٤.
(٢) ليس ما وضعناه بين المعكوفتين من المتن الفارسي.
(٣) البحار ٧٠: ٥٢ ح ١٤ باب ٤٤ ـ عن علل الشرائع.
(٤) البحار ٧٠: ٥٣ ح ١٤ باب ٤٤.
(٥) الخصال: ٢٤٠ ح ٩٠ باب ٤ ـ عنه البحار ٧٠: ٥٣ ح ١٦ باب ٤٤.



والشيطان يسارّه بالشر فأيّهما ظهر علىٰ صاحبه غلبه[1].

وقال الصادق عليه السّلام: كان أبي يقول: ما شيء أفسد للقلب من الخطيئة، انّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه، فيصير أسفله أعلاه، وأعلاه أسفله[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى عليه السّلام: يا موسى ... لا تدع ذكري علىٰ كلّ حال، ... وانّ ترك ذكري يقسي القلوب[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: ما جفّت الدموع الّا لقسوة القلوب، وما قست القلوب الّا لكثرة الذنوب[4].

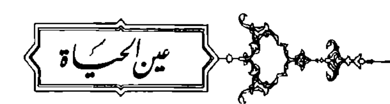
عزيزي! لمّا اطلعت في الجملة علىٰ معنى القلب وبعض أحواله، فاعلم انّ الظاهر من الآيات والأحاديث الكثيرة انّ الايمان قابل للزيادة والنقصان.

ويظهر من أحاديث كثيرة انّ الأعمال جزء الايمان، ولكل عضو من الأعضاء نصيب وحصة من الايمان، ومعنى ايمان كل عضو اطاعته أوامر الله فيما يتعلق به من التكاليف، ووردت أخبار كثيرة بأنّ المؤمن المرتكب للكبيرة تفارقه روح الايمان.

ويمكن تصحيح هذه الآيات والأخبار بأحد وجهين:

الوجه الأول: القول بأنّ للايمان في الشرع معان مختلفة، والظاهر من أكثر الأخبار انّ الايمان يُطلق علىٰ الاعتقادات الحقّة مع ترك الكبائر وفعل الفرائض

(١) البحار ٧٠: ٥٣ ح ١٧ باب ٤٤ ـ عن قرب الاسناد.
(٢) أمالي الصدوق: ٣٢٤ ح ٩ مجلس ٦٢ ـ عنه البحار ٧٠: ٥٤ ح ٢٢ باب ٤٤.
(٣) البحار ٧٠: ٥٥ ح ٢٣ باب ٤٤ ـ عن علل الشرائع.
(٤) البحار ٧٠: ٥٥ ح ٢٤ باب ٤٤ ـ عن علل الشرائع.



التي تركها من الذنوب الكبيرة، كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وما شاكل.

ومعنى آخر للايمان هو الاعتقاد مضافاً إلى فعل الواجبات كافة، وترك المحرمات كافة ـ كما يظهر من بعض الأخبار ـ.

وهناك معنى ثالث له وهو الاعتقادات الكاملة الباقية مع فعل الواجبات والسنن، وترك المحرمات والمكروهات، وله معنى آخر يرادف معنى الإسلام، وهو العقائد الضرورية فقط مع عدم انكارها، أو الاقرار بها ظاهراً، ويطلق الإسلام علىٰ معنى أعم من هذا أيضاً أي التكلم بالشهادتين ولو كان منافقاً منكراً في القلب.

وظاهر أكثر الأحاديث المعنى الأول، كما روي عن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام انّه قال: انّ أصحاب الكبائر لا مؤمنين ولا كافرين بل محلّ الشفاعة ومن المسلمين[1].

وروي بأسانيد مستفيضة عن عليّ الرضا وسائر الأئمة عليهم السّلام بأنّ الايمان اقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان[2].

وتترتب ثمرات علىٰ كل معنى من معاني الايمان والإسلام، والإسلام أي التلفظ بالشهادتين لا ينفع في الآخرة من دون اعتقاد، لكن ينفع في الدنيا بحقن الدماء ... ويثمر الايمان الذي بمعنى مجموع الاعتقادات الحقّة واظهارها، عدم الخلود في النار واستحقاق المغفرة والشفاعة، وصحة الأعمال والعبادات وعدم

---

(١) مضمون النص.

(٢) البحار ٦٩: ٦٣ ح ٩ باب ٣٠.



بطلانها.

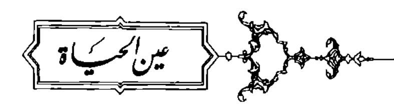
فما جاء في الأخبار والآيات من أنّ المؤمن يرتكب الكبائر، ويُعذّب في النار محمول علىٰ هذا المعنى، والتي دلّت علىٰ خروجه عن الايمان بارتكاب الكبائر محمول علىٰ المعنى الأول.

وما دلّ منها علىٰ خروجه من الايمان بارتكاب جميع الذنوب محمول علىٰ المعنى الثاني، وما جاء في الأحاديث من صفات المؤمن التي لا تجتمع في غير الأنبياء والأوصياء تُحمل علىٰ المعنى الثالث.

وتحقيق ذلك انّ فعل جميع العبادات، وتحصيل جميع الكمالات، وترك جميع المنهيات، وازالة جميع الصفات الذميمة والنقائص من أجزاء الايمان، وأجزاء الشيء يختلف بعضها مع بعض، فمنها ما ينتفى الكلّ بانتفائها، ومنها ما لا يكون كذلك كالرأس إذا زال ينتفى وجود الانسان وكالقلب أيضاً، ومنها ما يذهب بانتفائه عمدة الفوائد والانتفاعات، ومنها ما توجب حسن الشخص وكماله وبانتفائها تزول فوائد جمّة.

وكذلك أجزاء الايمان، فالاعتقادات الحقة بالنسبة إلى الايمان كالأعضاء الرئيسية التي بزوالها يزول الانسان، فكذلك يزول الايمان بزوال الاعتقادات مطلقاً.

وترك الفرائض واتيان المعاصي الكبيرة تكون بالنسبة إلى الايمان كالذي قطعت يده، فانّه لا يموت ويبقى انساناً لكن ناقصاً، وتكون حياته معرضاً للزوال، وكذلك لو قلعت عينه أو قطع لسانه، فالتارك لجميع الفرائض والفاعل لجميع الكبائر والمناهي، يكون كالذي قطعت يده ورجله ولسانه وعينيه وأُذنيه، فهذا



بمنزلة الأموات وإن كان حيّاً.

فكما انّ هكذا حياة لا تنفع، كذلك لا ينفع هكذا ايمان، وكما انّ حياة هذا الشخص تزول بسرعة، فكذلك ايمان هذا الشخص يزول بأدنى شيء.

وكل عمل [من الأعمال الصالحة] يكون حصاراً لدفع الشيطان والبلايا التي تسبب زوال الايمان، كما روي من انّه: لا يزال الشيطان يرعب من بني آدم ما حافظ علىٰ الصلوات الخمس، فاذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه وأوقعه في العظائم[1].

فالذي أبعد التوفيقات الالهية اللازمة للعبادة عن نفسه، سرعان ما يورده الشيطان في المهالك، وهذا الأمر كالذي فتح باب داره لسارق ويقول له: خذ الأشياء البسيطة ودع لنا الثمينة، ويذهب هو وينام، فالسارق حينئذٍ يسرق الأشياء الثمينة قبل كلّ شيء، وهذا سبب سرعة ضلال أرباب المعاصي وجهلهم وكفرهم وخلودهم في النار.

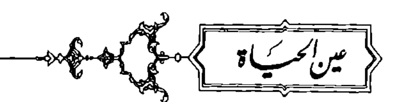
والمستحبات والصفات الحسنة تقوّى الروح كما تقوّى الأطعمة الروح الجسمانيّة، فروح الايمان تتقوى بصلاة الليل، وتكون أقدر علىٰ حفظ الايمان.

الوجه الثاني: القول بأنّ الايمان هو أصل الاعتقاد، والاعتقاد والايمان في تزايد، ويكملان بالطاعات والأعمال حتى يصلا إلى اليقين، ولليقين مراتب كثيرة، ولكلّ مرتبة من مراتب الايمان واليقين شاهد من الأعمال والعبادات.

وعلىٰ سبيل المثال إذا قيل لشخص: انّ أفعى مقبلة نحوك، فلا يعتني به وان حصل له خوف، أما لو جاءه شخص آخر وقال له كالأول فإن حذره سوف يزداد، حتى ينتهي به الأمر إلى الهرب.

---

(١) البحار ٨٢: ٢٠٢ ح ٢ باب ١ ـ عن جامع الأخبار.



فكذلك الأمر في مراتب الايمان بالثواب والعقاب، فكلّما كمل ايمانه ازداد شوقه إلى الأمور الموجبة للثواب، وازداد حذره عما يوجب العقاب، فالأعمال إذن شواهد الايمان، كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«ليس الايمان بالتحلّي ولا بالتمنّي[1]، ولكن الايمان ما خلص في القلب، وصدّقه الأعمال»[2].

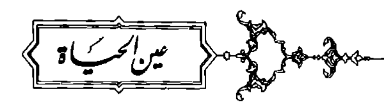
وطبقاً لما ذكر في باب القلب فإن كلّ صفة وكمال من علم وايمان وسائر الكمالات تحصل في النفس، فإنّ منبعها القلب وتجري منه إلى الأعضاء والجوارح، وتظهر الآثار عليها، فكلّما ازداد ايمانه وعلمه بالله تعالى وعظمته وجلاله وجنّته وناره، وبالصلاة والزكاة والعبادات، وعلم حسنها وقبح الذنوب، وحسن الصفات الحسنة، وقبح الصفات الذميمة، كمل يقينه، وازدادت الروافد الجارية من العين الفياضة إلى الأعضاء والجوارح، وكلّما عملت الأعضاء والجوارح أكثر فاضت العين أكثر فأكثر، وصفا ماؤها وعذب، فالعمل يوجب كمال العلم، والايمان يوجب كمال الأعمال.

روي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صلّى بالناس الصبح فنظر إلى شابّ في المسجد [يقال له حارثة بن مالك] وهو يخفق ويهوى برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه.

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا

(١) «التحلّي» بان يتزيّن به ظاهراً من غير يقين بالقلب، و«لا بالتمني» بأن يتمنّى النجاة بمحض العقائد من غير عمل.

(٢) معاني الأخبار: ١٨٧ ح ٣ باب معنى الإسلام والايمان ـ عنه البحار ٦٩: ٧٢ ح ٢٦ باب ٣٠.



رسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من قوله، وقال: انّ لكلّ يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟

فقال: انّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني، وأسهر ليلي، وأظمأ هواجزي، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأنّي أنظر إلى عرش ربي وقد نُصب للحساب، وحُشر الخلائق لذلك وأنا فيهم.

وكأنّي أنظر إلى أهل الجنة يتنعّمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأصحابه: هذا عبدٌ نوّر الله قلبه بالايمان، ثم قال له: ألزم ما أنت عليه، فقال الشابّ: ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم[١] فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[٢].

وروي عن الصادق عليه السّلام انّه قال: العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه والّا ارتحل عنه[٣].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: يا طالب العلم انّ العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأُذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأُمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء.

---

(١) في المتن الفارسي بعثه مع جعفر بن أبي طالب.

(٢) الكافي ٢: ٥٣ ح ٢ ـ عنه البحار ٧٠: ١٥٩ ح ١٧ باب ٥٢.

(٣) الكافي ١: ٤٤ ح ٢، باب استعمال العلم.

وهمّته السلامة، وحكمته الورع، ومستقرّه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراه، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبّة الأخيار(١).

القاعدة الرابعة

في أصناف العلماء، ومن يمكن متابعته

روي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتهموه على دينكم، فإنّ كلّ محبّ لشيء يحوط ما أحبّ(٢)، وقال عليه السّلام: أوحى الله إلى داود عليه السّلام:

«لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبتي، فإنّ أُولئك قطّاع طريق عبادي المريدين، انّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم»(٣).

وروى الصادق عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: صنفان من أُمتي إذا صلحا صلحت أُمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ قال: الفقهاء، والأمراء(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: ألا أُخبركم بالفقيه حقّاً؟ قالوا: بلى يا أمير

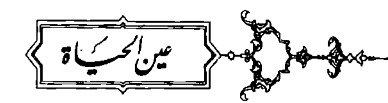
---

(١) الكافي ١: ٤٨ ح ٢ باب النوادر.

(٢) وزاد في المتن الفارسي «وربّما ضيّع دينكم لدنياه».

(٣) الكافي ١: ٤٦ ح ٤ ـ في البحار ٢: ١٠٧ ح ٧ و٨ باب ١٥ ـ عن علل الشرائع.

(٤) الخصال: ٣٦ ح ١٢ باب ٢ ـ عنه البحار ٢: ٤٩ ح ١٠ باب ١١.



المؤمنين، قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ...[1].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم، صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل.

فصاحب الجهل والمراء موذٍ ممارٍ متعرّض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع، فدقّ الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه[2]، وصاحب الاستطالة والختل، ذو خِبٍّ[3]، وملق، يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنّك في برنسه، وقام الليل في حندسه، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً، مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشدّ الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه[4].

---

(١) البحار ٢: ٤٨ ح ٨ باب ١١ ـ عن معاني الأخبار ـ وفي الكافي ١: ٣٦ ح ٣.

(٢) الحيزوم: وسط الصدر.

(٣) الخب بالكسر: الخدعة.

(٤) الكافي ١: ٤٩ ح ٥ باب النوادر ـ أمالي الصدوق: ٥٠٢ ح ٩ مجلس ٩١ ـ عنه البحار ٢: ٤٦ ح ٤ باب ١١ عن أمير المؤمنين عليه السّلام.

القاعدة الخامسة

في ذم العمل بغير علم

روي عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: العامل علىٰ غير بصيرة كالسائر علىٰ غير الطريق، لا يزيده سرعة السير الّا بعداً[1].

وروي عنه عليه السلام أيضاً انّه قال: لا يقبل الله عملاً الّا بمعرفة، ولا معرفة الاّ بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة علىٰ العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا انّ الايمان بعضه من بعض[2].

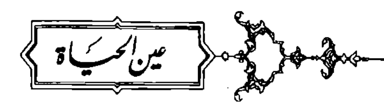
وروي عنه عليه السلام أيضاً انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من عمل علىٰ غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح[3].

ولقد ظهر انّ عقل الانسان غير مستقل في ادراك خصوصيات العبادة الموجبة للنجاة، والّا لوجب أن يكون ارسال الرسل لغواً لا فائدة فيه، ولكلّ عبادة شرائط كثيرة تبطل العبادة بفوت كلّ واحد منها، فلذا لا يمكن عبادة الله بالنحو الذي أَمَرَه تعالى من دون علم.

وكما لا يمكن طيّ الطريق الا بالدليل، لا يمكن طيّ طريق العبوديّة لله تعالى ـ وهو أخطر الطرق وفي كلّ قدم منه كمين، وفي كلّ كمين آلاف الشياطين من الجنّ والانس ـ الّا بالدليل والقائد، ودليل هذا الطريق الشرع وأهله من الأنبياء

---

(١) الكافي ١: ٤٣ ح ١ ـ في البحار ١: ٢٠٦ ح ١ باب ٥ ـ عن أمالي الصدوق: ٣٤٣ ح ١٨ مجلس ٦٥.
(٢) الكافي ١: ٤٤ ح ٢ ـ مثله البحار ١: ٢٠٦ ح ٢ باب ٥ ـ عن أمالي الصدوق: ٣٤٤ ح ١٩ مجلس ٦٥.
(٣) الكافي ١: ٤٤ ح ٣ ـ مثله البحار ١: ٢٠٨ ح ٧ باب ٥.



والأئمة عليهم السلام والعلماء الذين استقوا من علومهم، ويعلمون طرق النجاة والهلاك.

القاعدة السادسة

في افتاء من ليس له أهلية الافتاء

اعلم انّ أقبح الذنوب ـ كما يُستفاد من الآيات والأخبار ـ الافتراء علىٰ الله والرسول، والافتراء أن يفتي شخص ليست له أهلية الافتاء وفهم الحكم من الآيات والأخبار، بحكم من أحكام الله تعالى ولا ينسبه إلى من له أهليّة الافتاء.

أما لو لم تكن أهلية الفهم لهذا الشخص لكن ينقل الحكم عن عالم خبير بانّي سمعت منه هكذا فهذا جائز، وبغير هذين الوجهين فإن ما يقوله يعتبر خطأً وصاحبه مذنب وان وافق الواقع، انّ الله سبحانه وتعالى يقول:

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً»[1].

ويقول أيضاً: «تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ»[2].

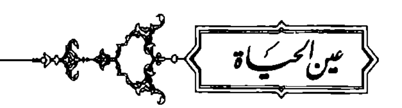
وحكم تعالى بكفر من يحكم بغير ما أنزل الله تارة، وحكم أخرى بظلمهم، وثالثة بفسقهم.

وروي بسند صحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج انّه قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: ايّاك وخصلتين فيهما هلك من هلك، اياك أن تفتي الناس برأيك،

---

(١) الانعام: ٢١.

(٢) الزمر: ٦٠.



أو تدين الله بما لا تعلم(١).

وروي عن أبي جعفر عليه السّلام بسند صحيح انّه قال: من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله، لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه(٢).

وقال عليه السّلام أيضاً: [انّ من حق الله علىٰ العباد] أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عند ما لا يعلمون(٣).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من عمل بالمقائيس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه، فقد هلك وأهلك(٤).

---

(١) الخصال: ٥٢ ح ٦٦ باب الاثنين ـ عنه البحار ٢: ١١٤ ح ٦ باب ١٦.

(٢) البحار ٢: ١١٨ ح ٢٣ باب ١٦ ـ مثله الكافي ١: ٤٢ ح ٣.

(٣) الكافي ١: ٤٣ ح ٧ ـ مثله البحار ٢: ١١٣ ح ٢ باب ١٦.

(٤) الكافي ١: ٤٣ ح ٩ ـ مثله البحار ٢: ١١٨ ح ٢٤ باب ١٦.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لابي ذر رحمه الله:]

يا أباذر انّ حقوق الله جلّ ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد، وانّ نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين.

وهذه الجمل الشريفة تشتمل علىٰ خصال من مكارم الخصال:

الخصلة الأولى

عدم الاغترار بالعبادة والاعتراف بالعجز

اعلم انّ العجب من أقبح الصفات الذميمة وهذا ينشأ من الجهل، لأنّه لو تفكر الشخص في شرائط قبول العبادة الكاملة ـ كما أشرنا سابقاً من أول الكتاب إلى بعضها ـ ونظر في عيوبه ودناءته وعجزه ونقصه بعين البصيرة، وعرف عظمة المعبود لعلم انّه لم يعبد أصلاً، ولا يمكن الاعتماد علىٰ غير لطف المعبود الذي هو أكرم الأكرمين.

كما روي عن الامام موسى بن جعفر عليه السّلام انّه قال لبعض ولده: ... وعليك بالجد، ولا تخرجنّ نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته فإنّ الله لا يُعبد حقّ عبادته ...[1].

وقال الامام محمد الباقر عليه السّلام لجابر: يا جابر لا أخرجك الله من النقص،

---

(١) تحف العقول: ٣٠٦ ـ عنه البحار ٧٨: ٣٢٠ ح ١٥ باب ٢٥.

ولا التقصير[1].

وروي عن الامام الرضا عليه السلام انّه قال: انّ رجلاً في بني اسرائيل عبد الله أربعين سنة ثم قرّب قرباناً، فلم يقبل منه، فقال لنفسه: ما اتيت الّا منك وما الذنب الّا لك، قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة[2].

وروي عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام انّه قال: ... وكلّ عمل تريد به الله عزَّ وجلَّ فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإنّ الناس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون الّا من عصمه الله عزَّ وجلَّ[3].

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: انّ الله علم انّ الذنب خيرٌ للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب أبداً[4].

وروي عنه عليه السلام أيضاً انّه قال: انّ الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه، ويعمل العمل فيسرّه ذلك، فيتراخى عن حاله تلك، فلأن يكون على حاله تلك خيرٌ له مما دخل فيه[5].

وروي عنه عليه السلام أيضاً انّه قال: أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يسأل عن صلاته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا.

قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي، فقال له العالم: فإنّ

---

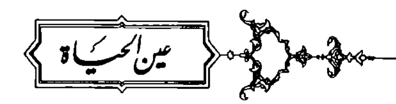
(١) الكافي ٢: ٧٢ح ٢ ـ عنه البحار ٧١: ٢٣٥ح ١٧ باب ٦٧.

(٢) الكافي ٢: ٧٣ح ٣ ـ مثله قرب الاسناد: ٣٩٢ح ١٣٧١ ـ عنه البحار ٧١: ٢٢٨ح ١ باب ٦٧.

(٣) الكافي ٢: ٧٣ح ٤ ـ عنه البحار ٧١: ٢٣٣ح ١٤ باب ٦٧.

(٤) الكافي ٢: ٣١٣ح ١ باب العجب ـ عنه البحار ٧٢: ٣٠٦ح ١ باب ١١٧.

(٥) الكافي ٢: ٣١٣ح ٤ باب العجب ـ عنه البحار ٧٢: ٣١١ح ٥ باب ١١٧.



ضحكك وأنت خائف أفضل من بكاؤك وأنت مدلّ، انّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء[1].

وروي عن الامام محمد الباقر عليه السّلام انّه قال: دخل رجلان المسجد أحدهما عابدٌ والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق، وذلك انّه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يدلّ بها فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في التندّم علىٰ فسقه، ويستغفر الله عزَّ وجلَّ مما صنع من الذنوب[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: بينما موسى عليه السّلام جالساً إذ أقبل أبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلمّا دنىٰ من موسى عليه السّلام خلع البرنس وقام إلى موسى فسلّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ فقال: أنا ابليس، قال: أنت فلا قرّب الله دارك.

قال: انّي انّما جئت لأُسلّم عليك لمكانك من الله، قال: فقال له موسى عليه السّلام: فما هذا البرنس؟ قال: به أختطف قلوب بني آدم، فقال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه[3]، قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه.

وقال: قال الله عزَّ وجلَّ لداود عليه السّلام: يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين، قال: كيف أُبشّر المذنبين وأُنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين انّي أقبل التوبة، وأعفو عن الذنب، وأنذر الصدّيقين الاّ يعجبوا بأعمالهم فانّه ليس

(١) الكافي ٢: ٣١٣ح ٥ باب العجب ـ عنه البحار ٧٢: ٣٠٧ح ٢ باب ١١٧.
(٢) الكافي ٢: ٣١٤ح ٦ باب العجب ـ عنه البحار ٧٢: ٣١١ح ٦ باب ١١٧.
(٣) استحواذ الشيطان علىٰ العبد: غلبته واستمالته إلى ما يريد منه.

عبدٌ أنصبه للحساب الّا هلك[1].

الخصلة الثانية

في شكر النعم

انّ الشكر من امّهات الصفات الحميدة، وضدّه أي الكفران من الأصول الذميمة، وشكر كلّ نعمة يوجب زيادتها، وكفرانها يوجب الحرمان، كما يقول الله تعالى:

«... لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ اِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ»[2].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: من اُعطي أربعاً لم يحرم أربعاً، من اُعطي الدعاء لم يحرم الاجابة، ومن اُعطي الاستغفار لم يحرم التوبة، ومن اُعطي الشكر لم يحرم الزيادة، ومن اُعطي الصبر لم يحرم الأجر[3].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: ثلاث لا يضرّ معهنّ شيء: الدعاء عند الكرب، والاستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة[4].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب، والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، والمعطي الشاكر له من الأجر كالمحروم القانع[5].

---

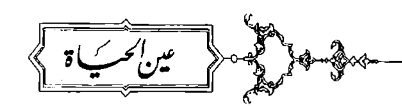
(١) الكافي ٢: ٣١٤ ح ٨ باب العجب ـ عنه البحار ٧٢: ٣١٢ ح ٨ باب ١١٧.

(٢) ابراهيم: ٧.

(٣) معاني الأخبار: ٣٢٣ ح ١ ـ الخصال: ٢٠٢ ح ١٦ باب ٤ ـ عنهما البحار ٧١: ٤٤ ح ٤٤ باب ٦١.

(٤) الكافي ٢: ٩٥ ح ٧ باب الشكر ـ عنه البحار ٧١: ٣٩ ح ٢٦ باب ٦١.

(٥) الكافي ٢: ٩٤ ح ١ باب الشكر ـ عنه البحار ٧١: ٢٢ ح ١ باب ٦١ ـ مثله مشكاة الأنوار: ٢٧.



واعلم انّ شكر كلّ نعمة يشتمل علىٰ أمور:

الأول: أن يعرف منعمه ولا ينسب إلى ذاته وصفاته ما لا يليق به، وكلّ ما قابل هذا المعنى فهو الكفران، وقد ذمّ الله تعالى في كثير من الآيات الكفار بكفران النعم، وانكار وجود منعمهم وجعل الشريك له.

الثاني: أن يعلم هذه النعمة مِن قبل مَن جاءت، ولا ينسب نعم الله إلى غيره، كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها[1].

الثالثة: أن يُظهر تلك النعمة، ويجري ثناء المنعم علىٰ اللسان، كما روي بأسانيد معتبرة عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: ما أنعم الله علىٰ عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلّا أدّى شكرها[2].

الرابع: أن يصرف تلك النعمة فيما يرضي المنعم، وأن يؤدي الحق الذي جعله الله تعالى في تلك النعمة، فمثلاً انّ شكر نعمة اللسان التحدّث بما أوجب الله تعالى التحدّث عنه أو سنّه، وحفظه عن المحرمات والمكروهات.

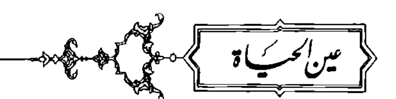
وكذلك شكر العين والأُذن واليد والرجل وسائر الاعضاء والجوارح والقوى، وشكر المال صرفه فيما يرضي المنعم وأداء ما أوجبه فيه، وشكر العلم بذله إلى طلّابه والعمل به ولا يجعله آلة للباطل، وفي كلّ هذا يعوّضه الله تعالى وفقاً لما وعده.

واعلم انّ كل معصية كفران لنعم غير متناهية من نعم الله تعالى، سواء أفي

---

(١) الكافي ٢: ٩٦ ح ١٥ باب الشكر ـ عنه البحار ٧١: ٣٢ ح ١٠ باب ٦١.

(٢) الكافي ٢: ٩٦ ح ١٤ باب الشكر ـ عنه البحار ٧١: ٣٢ ح ٩ باب ٦١.



أصول الدين أم في فروعه، مثلاً انّ وجود نبيّ آخر الزمان صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعثته من أعظم النعم الالهية علىٰ العباد، فقد جعله الله تعالى وسيلة للسعادة الأبـدية، وواسطة للنعم الدنيوية والأُخروية، وكذلك أوصياؤه عليه السّلام.

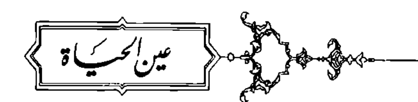
وشكر هذه النعمة الاقـرار بـعظمتهم واطـاعتهم فـي الأوامـر والنـواهـي، فانكارهم أقبح مصاديق الكفران بنعمة وجودهم، وبـعد الاقـرار فـفي كـلّ ذنب يكون كافراً لهذه النعمة العظيمة، والذنب لابد أن يصدر من عضو من الأعـضاء فيكون الكفر بنعمة ذلك العضو، والعقل والنفس والمشاعر والقوى والاعضاء التي لها دخل في عمل ذلك العضو كلّها من النعم، وقد كفر بأجمعها لأنه صرفها في غير محلّها.

وكذلك الكفر بنعمة الطعام الذي أكله وسبب قوّته علىٰ فعل ذلك القبيح، وكذلك الأمور التي لها دخل في تـحصيل هـذا الطـعام مـن العـرش والكـرسي والسماوات والأرض والملائكة وآلاف من البشر.

ولقد كفر أيضاً بالعلم الذي أكرمه الله إليه بفعل هذا القبيح، لذا فلو تفكرت لوجدت انّ كلّ معصية فيها كفران لنعم غير متناهية، كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: شكر النعمة اجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل: الحـمد لله رب العالمين[1].

واعلم انّ من جملة شكر المنعم، التفكر في نعمه والاقرار بأنّها لا تُحصىٰ، ولو تفكر شخص في نعم الله التي تترتب علىٰ أكل لقمة خبز من طريقة تحصيلها الى صيرورتها بهذه الهيئة القابلة للأكل، وما يترتب عليها بعد الأكل إلى صيرورتها

(١) الكافي ٢: ٩٥ ح ١٠ باب الشكر ـ عنه البحار ٧١: ٤٠ ح ٢٩ باب ٦١.



جزء الجسم كمدخلية اليد والفم والأسنان واللسان والمعدة وقوّة الهاضمة والماسكة والدافعة والجاذبة، وسائر التدبيرات ...، وانقسامها بالأخلاط الأربعة، وذهابها من العروق والشرايين إلى محلّها.

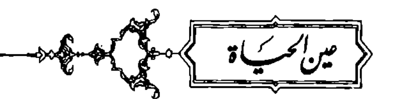
فلو تفكر في هذا كلّه لأذعن باستحالة عدّ نعم الله، بل لو تفكر جيداً لرأى انّ كلّ نعمة أنعمها الله تعالى إلى غيره تكون نعمة له أيضاً، لأنّ الانسان مدني بالطبع ومحتاج إلى الآخرين.

فمثلاً كلّ نعمة أنعمها الله علىٰ ذلك النسّاج الهندي من أعضاء وجوارح وتغذية وتنمية وسائر النعم، كلّها نعمة لك أيضاً لأنّه لولاها لما أمكنه نسج القماش وغزله، ولما انتفعت بذلك القماش، وكلّ نعمة أنعمها علىٰ آباء ذلك النساج التي لها دخل في وجوده فهي نعمة لك أيضاً.

إذن كلّ نعمة أُنعمت علىٰ كلّ شخص من لدن آدم عليه السّلام إلى زمانك هذا لها دخل في وجودك وبقائك وكمالك، ومن تفكر في بساتين نعم الله ورحمانيته لانفتحت علىٰ عقله ألوان رياحين الحقائق بفضل الله تعالى ... فهذا هو التفكر الممدوح والذي أمر به الأئمة عليهم السّلام، وله فوائد جمّة لأنّه يوجب مزيد المعرفة بالمنعم، ويعرف عجز الانسان ونقصه واحتياجه، فيكون باعثاً علىٰ العبادة ومانعاً عن المحرمات، ويوجب الرضا بقضاء الله، وعدم كفران نعمه.

فقد روي عن الامام محمد التقي عليه السّلام انّه قال: دعا سلمان أباذر رحمه الله إلى منزله فقدّم إليه رغيفين، فأخذ أبوذر الرغيفين يقلّبهما، فقال له سلمان: يا أباذر لأيّ شيء تقلّب هذين الرغيفين؟ قال: خفت أن لا يكونا نضيجين.

فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً، ثم قال: ما أجرأك حيث تقلّب هذين



الرغيفين؟ فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش، وعملت فيه الملائكة حتى ألقوه إلى الريح، وعملت فيه الريح حتى ألقته إلى السحاب.

وعمل فيه السحاب حتى أمطره إلى الأرض، وعمل فيه الرعد والملائكة حتى وضعوه مواضعه، وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح، وما لا أُحصيه أكثر، فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر؟ فقال أبوذر: إلى الله أتوب، وأستغفر الله ممّا أحدثت، وإليك أعتذر مما كرهت.

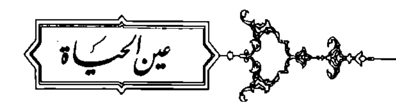
قال: ودعا سلمان أباذر رحمه الله ذات يوم إلى ضيافة، فقدم إليه من جرابه كسراً يابسة وبلّها من ركوته، فقال أبوذر: ما أطيب هذا الخبز لو كان مع ملح.

فقام سلمان وخرج، فرهن ركوته بملح وحمله إليه، فجعل أبوذر يأكل ذلك الخبز ويذر عليه ذلك الملح، ويقول: الحمد لله الذي رزقنا هذه القناعة، فقال سلمان: لو كانت قناعة لم تكن ركوتي مرهونة[1].

واعلم بما انّ كمال كلّ صفة كمالية في الممكن تكون بالاقرار بالعجز عن ادراكها، فكذلك في مراتب الشكر كلّما شكر الانسان أكثر وتفكر في النعم التي أعطاها الله اياه في وقت الشكر وانّ ما يتوقف عليه الشكر كلّه من الله، وتوفيق الشكر منه أيضاً، لعلم انّ في كلّ شكر آلاف من الشكر، فيقرّ بالعجز عن أداء شكره تعالى، كما روي عن الصادق عليه السّلام انّه قال:

أوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى اشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ كيف أشكرك حقّ شكرك؟ ليس من شكر أشكرك به الّا وأنت أنعمت به عليّ،

(١) البحار ٢٢ : ٣٢٠ ح ٨ باب ١٠ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام ـ أمالي الصدوق : ٣٥٩ ح ٦ مجلس ٦٨ إلى قوله : « مما كرهت ».



فقال: يا موسى شكرتني حقّ شكري حين علمت انّ ذلك منّي[1].

الخصلة الثالثة

في التـوبة

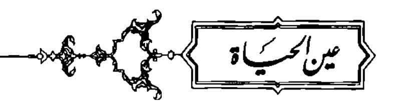
اعلم انّ التوبة من النعم العظيمة التي أكرمها الله لهذه الأُمة، وسهّلها لهـم ببركة نبي آخر الزمان صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السّلام، لأنّ التـوبة فـي الامـم السابقة كانت صعبة، كما أُمروا بقتل أنفسهم في التوبة عن عبادة العجل كي تُقبل توبتهم.

إذن لقد أنعم الله تعالى علىٰ هذه الامة نعماً عظيمة بستر الذنوب والتوسعة في أمر التوبة، كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ... يهمّ العبد بالحسنة فيعملها، فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته، وان هو عملها كتب الله له عشراً.

ويهمّ بالسيئة أن يعملها، فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء، وان عـملها أُجّل سبع ساعات، وقال صاحب الحسـنات لصـاحب السـيئات وهـو صـاحب الشمال:

لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها، فـإنّ الله عـزَّ وجـلَّ يـقول: «اِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»[2] أو الاستغفار، فإن هو قال: «أستغفر الله الذي لا اله الاّ هو، عالم الغيب والشهادة، العزيز الحكيم، الغفور الرحيم، ذو الجلال والاكـرام

(١) البحار ٧١: ٥١ ح ٧٥ باب ٦١ ـ عن قصص الأنبياء للراوندي.
(٢) هود: ١١٥.



وأتوب إليه» لم يكتب عليه شيء، وان مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة واستغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات: اكتب على الشقّي المحروم[1].

[وروي عن معاوية بن وهب انّه قال:] سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقي الله عزّ وجلّ حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب[2].

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انّه قال: انّ الله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها[3].

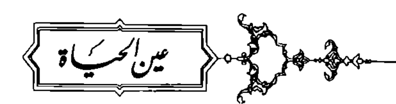
وقال أبو عبدالله عليه السلام: انّ الله يحب العبد المفتّن التواب، ومن لم يكن ذلك منه كان أفضل[4].

وروي عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال: انّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود عليه السلام أن ائت عبدي دانيال فقل له: انّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك.

فأتاه داود عليه السلام، فقال: يا دانيال انّني رسول الله إليك وهو يقول لك: انّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك ... .

---

(١) الكافي ٢: ٤٢٩ ح ٤ ـ عنه البحار ٥: ٣٢٦ ح ١٧ باب ١٧.
(٢) الكافي ٢: ٤٣٦ ح ١٢ ـ مثله البحار ٦: ٢٨ ح ٣١ باب ٢٠ ـ عن ثواب الأعمال.
(٣) الكافي ٢: ٤٣٥ ح ٨ ـ عنه البحار ٦: ٤٠ ح ٧٣ باب ٢٠.
(٤) الكافي ٢: ٤٣٥ ح ٩ ـ عنه البحار ٦: ٤٠ ح ٧٤ باب ٢٠.



فقال له دانيال: قد أبلغت يا نبي الله، فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجى ربّه، فقال: يا ربّ انّ داود نبيك أخبرني عنك أنني قد عصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك انني ان عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فو عزّتك لئن لم تعصمني لأعصينّك، ثمّ لأعصينّك، ثم لأعصينّك[١].

وروي بأسانيد معتبرة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: انّ السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال: انّ الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال: انّ الجمعة لكثيرة، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال: ان اليوم لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته[٢].

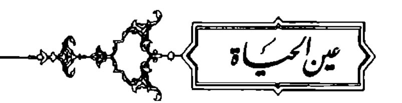
وروي انّه: لكلّ داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار[٣].

وقال الصادق عليه السّلام: ... انّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربّه فيغفر له، وانّ الكافر لينساه من ساعته[٤].

وقال أيضاً: من قال «استغفر الله» مائة مرة في كلّ يوم، غفر الله عزَّ وجلَّ له سبعمائة ذنب، ولا خير في عبد يذنب في كلّ يوم سبعمائة ذنب[٥].

وقال أيضاً: مرّ عيسى بن مريم عليه السّلام علىٰ قوم يبكون، فقال: علىٰ ما

(١) الكافي ٢: ٤٣٥ ح ١١ ـ عنه البحار ١٤: ٣٧٦ ح ١٩ باب ٢٥.
(٢) البحار ٦: ١٩ ح ٤ باب ٢٠.
(٣) البحار ٩٣: ٢٧٩ ح ١١ باب ١٥.
(٤) الكافي ٢: ٤٣٧ ح ٣ ـ عنه البحار ٦: ٤١ ح ٧٧ باب ٢٠.
(٥) الكافي ٢: ٤٣٩ ح ١٠.



يبكون هؤلاء؟ فقيل: يبكون علىٰ ذنوبهم، قال: فليدعوها يغفر لهم[١].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ... ليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: العجب ممّن يقنط ومعه الممحاة، فقيل له: وما الممحاة؟ قال: الاستغفار[٣].

وقال أيضاً: تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب[٤].

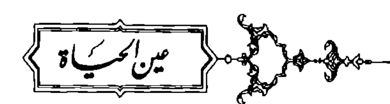
وروي انّه: دخل معاذ بن جبل علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم باكياً فسلّم، فردّ عليه السّلام ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: يا رسول الله انّ بالباب شابّاً طريّ الجسد، نقيّ اللون، حسن الصورة، يبكي علىٰ شبابه بكاء الثكلى علىٰ ولدها، يريد الدخول عليك.

فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: ادخل عليّ الشاب يا معاذ، فأدخله عليه، فسلّم فردّ عليه السّلام، ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً ان أخذني الله عزّ وجلّ ببعضها أدخلني نار جهنّم، ولا أراني الّا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: هل أشركت بالله شيئاً؟ قال: أعوذ بالله أن أُشرك بربّي شيئاً، قال: أقتلت النفس التي حرّم الله؟ قال: لا، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: يغفر الله لك ذنوبك وان كانت مثل الجبال الرواسي.

---

(١) البحار ٦: ٢٠ ح ٧ باب ٢٠ ـ عن أمالي الصدوق: ٤٠١ ح ١ مجلس ٧٥.
(٢) البحار ٦: ٢١ ح ١٥ باب ٢٠.
(٣) أمالي الطوسي: ٨٨ ح ٤٣ مجلس ٣ ـ عنه البحار ٦: ٢١ ح ١٧ باب ٢٠.
(٤) أمالي الطوسي: ٣٧٢ ح ٥٢ مجلس ١٣ ـ عنه البحار ٦: ٢٢ ح ١٨ باب ٢٠.



فقال الشاب، فانّها أعظم من الجبال الرواسي، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: يغفر الله لك ذنوبك وان كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فانّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

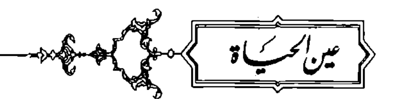
فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها، ومثل العرش والكرسي، قال: فانّها أعظم من ذلك.

قال: فنظر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إليه كهيئة الغضبان، ثم قال: ويحك ياشابّ ذنوبك أعظم أم ربّك؟ فخر الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان ربّي ما شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبيّ الله من كل عظيم.

فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: فهل يغفر الذنب العظيم الّا الرب العظيم؟ قال الشاب: لا والله يا رسول الله ثم سكت الشاب، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: ويحك يا شابّ ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟

قال: بلى أُخبرك، انّي كنت أنبش القبور سبع سنين اخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليهم الليل، أتيت قبرها فنبشتها، ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجرّدة على شفير قبرها، ومضيت منصرفاً.

فأتاني الشيطان فأقبل يزيّنها لي ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها، ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها، فاذا أنا بصوت من ورائي يقول:



يا شابّ ويل لك من ديّان يوم الدين، يوم يقفني واياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جنبة إلى حسابي، فويل لشبابك من النار، فما أظنّ انّي أشم ريح الجنة أبداً، فما ترى لي يا رسول الله؟

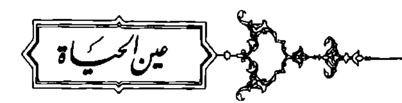
فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: تنحّ عنّي يا فاسق انّي أخاف أن أحترق بنارك فما أقربك من النار، ثم لم يزل يقول ويشير إليه حتى أمعن من بين يديه، فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها، ثم أتى بعض جبالها فتعبّد فيها، ولبس مسحاً، وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه ونادى:

«يا رب هذا عبدك بهلول، بين يدك مغلول، يا ربّ أنت الذي تعرفني، وزلّ منّي ما تعلم سيدي، يا ربّ أصبحت من النادمين، وأتيت نبيك تائباً فطردني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخيّب رجائي سيدي، ولا تبطل دعائي، ولا تقنّطني من رحمتك».

فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلمّا تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء وقال:

«اللهم ما فعلت في حاجتي؟ ان كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي، فأوح إلى نبيك، وان لم تستجب لي دعائي، ولم تغفر لي خطيئتي، وأردت عقوبتي فعجّل بنار تحرقني، أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة».

فأنزل الله تبارك وتعالى علىٰ نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**» يعني الزنا «**أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**» يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا، ونبش القبور



وأخذ الأكفان «ذَكَرُوا آللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ» يقول: خافوا الله فعجّلوا التوبة «وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ آللهُ».

يقول عزَّ وجلَّ: أتاك عبدي يا محمد تائباً فطردته، فأين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري؟ ثم قال عزَّ وجلَّ: «وَلَمْ يُصِرُّوا عَلىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» يقول: لم يقيموا علىٰ الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان «أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ».

فلمّا نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خرج وهو يتلوها ويتبسّم، فقال لأصحابه: من يدلني علىٰ ذلك الشاب التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا انّه في موضع كذا وكذا.

فمضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب، فاذا هم بالشاب قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، قد اسود وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، وهو يقول:

«سيدي قد أحسنت خلقي، وأحسنت صورتي، فليت شعري ماذا تريد بي؟ أفي النار تحرقني، أو في جوارك تسكنني؟ اللهم انّك قد أكثرت الاحسان إليّ وأنعمت عليّ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري، إلى الجنة تزفّني؟ أم إلى النار تسوقني؟ اللهم انّ خطيئتي أعظم من السماوات والأرض، وكرسيّك الواسع، وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة؟».

فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثو التراب علىٰ رأسه، وقد أحاطت به السباع، وصفّت فوقه الطير، وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

فأطلق يديه من عنقه، ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول أبشر فانّك عتيق الله من النار.

ثم قال: صلّى الله عليه وآله وسلّم لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثم تلا عليه ما أنزل الله عزَّ وجلَّ فيه، وبشّره بالجنّة[1].

وليعلم انّ للتوبة شرائط وبواعث، والباعث الأول التفكر في عظمة الله الذي عصاه، وفي عظمة الذنوب التي ارتكبها، وفي عقوباتها ونتائجها في الدنيا والآخرة مما ورد في الآيات والأخبار، وسوف نشير إليها فيما بعد.

والتفكر في المنافع العظيمة التي فاتته بسبب الذنوب، كي تحصل له الندامة لفوتها ولاكتساب العقوبات، وهذه الندامة تكون باعثة نحو ثلاثة أُمور تتركب التوبة منها:

الأول منها يتعلق بالحال، وهو ترك الذنوب التي يرتكبها في الحال الحاضر.

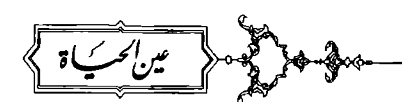
والثاني منها يتعلق بالمستقبل، وهو العزم الجازم علىٰ عدم العود إلى هذا الذنب إلى آخر العمر.

والثالث منها يتعلق بالماضي، وهو الندامه علىٰ ما مضىٰ، وتدارك ما فات ان أمكن.

واعلم انّ الذنوب الذي يُتاب عنها علىٰ أقسام:

الأول: انّ الذنب لا يستلزم يوم القيامة حكماً آخر غير العقوبة كلبس الحرير للرجل، ويكفي في التوبة لرفع العقوبة، الندامة والعزم علىٰ الترك.

(١) البحار ٦: ٢٣ ح ٢٦ باب ٢٠ ـ عن أمالي الصدوق: ٤٥ ح ٣ مجلس ١١.



الثاني: أن يستلزم حكماً آخر، وهو على أقسام، فأمّا أن يكون حق الله أو حق الناس، فإن كان الحق لله وكان ماليّاً كما في بعض الذنوب التي يلزمه عتق رقبة كفارة عنه، فلا يرتفع عنه العقاب بمجرد الندامة من دون أداء الكفارة ان كان قادراً.

وإن كان الحق غير ماليّ كما لو فاتت صلاته، أو ترك صومه فلابد من القضاء، أو فعل أمراً يستوجب الحد كما لو شرب الخمر ولم يثبت عند الحاكم، فأمّا أن يتوب بينه وبين الله، واما أن يقرّ عند الحاكم كي يحدّه، وعدم الاظهار أولى.

وان كان حق الناس وكان مالياً يجب عليه أداؤه إلى صاحب الحق أو إلى وارثه، وان كان غير ماليّ كما لو أضلّ شخصاً فيجب عليه ارشاده، وان كان قِصاصاً فالمشهور بين العلماء إخبار صاحب القصاص بأنّه فعل كذا ويمكّن نفسه فإن شاء اقتص منه.

وإن كان حدّاً كما في الفحش، فإن علم ذلك الشخص انّه قد سُبّ، فيجب على الساب التمكين للحد، ووقع الخلاف بين العلماء فيما لو لم يعلم ذلك، وذهب أكثرهم إلى انّ إعلامه بالسّب يوجب اذيّته [فلا يُعلمه]، وكذلك في الغيبة، وسيأتي ذكره في باب الغيبة.

وذهب أكثر العلماء إلى انّ هذه الأمور لم تكن من شرائط التوبة، وانّما هي واجبات في محلّها، وتتحقق التوبة بدونها، ويُعاقب على تركها، ولكن الظاهر من بعض الأحاديث كونها من شرائط قبول التوبة، والتوبة الكاملة تدارك مافات بقدر الامكان، وازالة ما بقي من آثار الذنوب عن النفس، كما أشار إليه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحديث السابق، فقد حدّد سنة للتوبة الكاملة كي يتدارك ما فات بالمجاهدات والرياضات، ثم شهراً وهي أنقص من الأولى، ثم يوماً، وأقلّ مراتب



التوبة قبل المعاينة، أما بعدها فلا تُقبل.

وروي انّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال لقائل قال بحضرته: استغفر الله: ثكلتك امّك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع علىٰ ستة معان:

أولها: الندم علىٰ ما مضى.

والثاني: العزم علىٰ ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت علىٰ السحت، فتذيبه بالأحزان حتى تُلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: «استغفر الله»[1].

(١) قصار الحكم رقم ٤١٧ ـ عنه البحار ٦: ٣٦ ح ٢٧ باب ٢٠.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أباذر انك في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة ومن يزرع خيراً يوشك أن يحصد خيراً، ومن يزرع شرّاً يوشك أن يحصد ندامة، ولكلّ زارع مثل ما زرع.

يا أباذر لا يسبق بطيئ بحظّه، ولا يدرك حريص ما لم يقدّر له، ومن أُعطي خيراً فانّ الله أعطاه، ومن وُقي شرّاً فإنّ الله وقاه.

اعلم انّ الرزق ـ كما يستفاد من الآيات والأحاديث ـ شيء يَنتفع به ذو الحياة سواء أكان مأكولاً أم ملبوساً أم غير ذلك، مقدّرٌ من قبل الله سبحانه لعباده طبقاً للحِكَمِ والمصالح.

ووقع الخلاف في كون الرزق الحرام مقدّراً أم لا، والحق أن الله تعالى قدّر لكل شخص رزقه من طريق الحلال يصل إليه بترك الطرق المحرمة، وكلّما استفاد من الحرام منع بقدره من الرزق الحلال، كما روي بسند صحيح عن الامام محمد الباقر عليه السّلام انّه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجة الوداع: ألا انّ الروح الأمين نفث في روعي، انّه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً، ولم يقسمها حراماً.

فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حلّه، ومن هتك حجاب ستر الله عزّ

وجلّ، وأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه[1].

واعلم انّ الأحاديث في طلب الرزق كثيرة، وكذلك الأحاديث في الدعاء لكثرة الرزق، وقد يظن الشخص أن السعي والدعاء لا فائدة فيه بعد ان كان الرزق مقدراً، لأنّ بعض الرزق قُدّر حصوله من دون سعي، وبعضه قدّر بالسعي والعمل، وقدّر حصول بعضه بالدعاء.

فعلى الانسان ـ امتثالاً لأمر الله تعالى ـ السعي لطلب الرزق لكن لا يبالغ في السعي بحيث يمنع العبادة والطاعة، ومضافاً إلى السعي لابد أن يتوكل علىٰ الله، وليذعن انّ السعي من دون مشيئة الله لا ينتج، ولا يزاد الرزق المقدر بالحرص وكثرة السعي، وترك عبادة الله.

وليدعو الله وليعلم انّه من جملة أسباب تقدير الرزق، والّا فترك التجارة والكسب مذموم ويدل عليه أحاديث كثيرة.

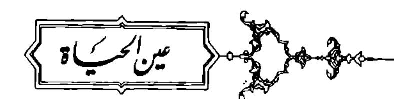
وليعتقد انّ الرزق من الله تعالى، وانّ جميع الخيرات ودفع جميع الشرور منه تعالى، ولو جعل الله واسطة للاحسان إلى شخص فلابد من شكر هذا المحسن الذي صار واسطة، بل لابد أن يشكر كلّ من يُحسن إليه، لكن لا يعتمد عليه ولا يحسبه رازقاً ولا يخالف ربّه لرضاه.

وليعلم انّ هذا واسطة من قبل الله لإيصال رزقٍ إليه، وإن لم يرد الله ذلك لما وصل الرزق إليه، كما روي عن عليّ بن الحسين عليه السّلام انّه قال: ... يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثم قال: أشكركم لله أشكركم للناس[2].

---

(١) البحار ٥: ١٤٨ ح ١٣ باب ٥ ـ عن الكافي.

(٢) الكافي ٢: ٩٩ ح ٣٠ باب الشكر ـ عنه البحار ٧١: ٣٨ ح ٢٥ باب ٦١.



وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: من صحّة يقين المرء المسلم أن لا يرضي الناس بسخط الله، ولا يحمدهم علىٰ ما رزق الله، ولا يلومهم علىٰ ما لم يؤته الله، فإنّ رزق الله لا يسوقه حرص حريص، ولا يردّه كره كارهٍ، ولو انّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه قبل موته كما يدركه الموت[1].

وروي بسند معتبر عن الحسين بن علوان انّه قال: كنّا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار، فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً، فقال: اذاً والله لا تسعف حاجتك، ولا يبلغك أملك، ولا تنجح طلبتك، قلت: وما علمك رحمك الله؟

قال: انّ أبا عبدالله عليه السّلام حدّثني انّه قرأ في بعض الكتب انّ الله تبارك وتعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي علىٰ عرشي لاقطعنّ أمل كلّ مؤمّل غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلّة عند الناس، ولأنحينّه من قربي، ولأبعدنّه من فضلي.

أيؤمّل غيري في الشدائد والشدائد بيدي، ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري، وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه منّي؟

جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم انّ من طرقته نائبة من نوائبي انّه لا يملك كشفها أحدٌ غيري الّا من بعد اذني.

---

(١) البحار ١٠٣: ٣٥ ح ٦٧ باب ٢ ـ عن قصص الأنبياء للراوندي.

فما لي أراه لاهياً عنّي، أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني ردّه وسأل غيري، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أُسأل فلا أُجيب سائلي؟ أبخيل أنا فيبخّلني عبدي؟ أو ليس الجود والكرم لي؟ أو ليس العفو والرحمة بيدي؟ أو ليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دوني؟

أفلا يخشى المؤملون أن يؤمّلوا غيري فلو انّ أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثمّ أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرّة، وكيف ينقص ملك انا قيّمه، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني[1].

(١) الكافي ٢: ٦٦ ح ٧ ـ عنه البحار ٧١: ١٣٠ ح ٧ باب ٦٣.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أباذر المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة، انّ المؤمن ليرى ذنبه كأنّه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، وانّ الكافر ليرى ذنبه كأنّه ذباب مرّ علىٰ أنفه.

يا أباذر انّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً جعل ذنوبه بين عينيه ممثّلة، والاثم عليه ثقيلاً وبيلاً، وإذا أراد بعبد شرّاً أنساه ذنوبه.

يا أباذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت.

يا أباذر انّ نفس المؤمن أشدّ ارتكاضاً من الخطيئة، من العصفور حين يقذف به في شركه[1].

يا أباذر من وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظّه، ومن خالف قوله فعله فانّما يوبّخ نفسه.

يا أباذر انّ الرجل ليحرم رزقه بالذنب يصيبه.

اعلم انّ التقوى درجة رفيعة من درجات المقربين ـ وسوف نذكر فيما بعد شمّة من أحوال المتقين ان شاء الله ـ ومجالسة العلماء الربانيين العاملين بشرائط العلم والمتصفين بآثاره، توجب سعادة الدنيا والآخرة، كما روي عن موسى بن جعفر عليه السلام انّه قال: محادثة العالم علىٰ المزبلة خيرٌ من محادثة الجاهل علىٰ الزرابيّ[2].

---

(١) الشرك ـ بالتحريك ـ حبالة الصيد.

(٢) البحار ١: ٢٠٥ ح ٢٧ باب ٤.

وقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: قال الحواريّون لعيسى عليه السّلام: يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله[1].

وروي انّ لقمان قال لابنه: يا بنيّ اختر المجالس علىٰ عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله عزَّ وجلَّ فأجلس معهم، فانّك ان تك عالماً ينفعك علمك ويزيدوك علماً، وان كنت جاهلاً علّموك ولعلّ الله أن يظلّهم برحمة فتعمّك معهم.

وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فانّك ان تك عالماً لا ينفعك علمك، وان تك جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبة فتعمّك معهم[2].

واعلم انّ مفاسد الذنوب عظيمة وان كانت صغيرة، وتوجب جرأة الشيطان وسلب التوفيق، وقساوة القلب وظلمته، والبعد عن رحمة الله، بل لابد أن لا يُتسامح في المكروهات أيضاً، فإنّ ارتكابها يسبب الدخول في المحرمات والذنوب الصغيرة.

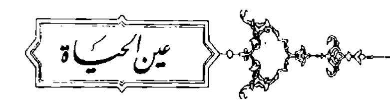
وهي ان أُصرّ عليها من دون توبة تصبح كبيرة، لأنّ الاصرار علىٰ الصغائر من الكبائر، وتسبب الجرأة أيضاً علىٰ الذنوب الكبيرة، وارتكاب الكبائر يوصل الانسان إلى الكفر والشرك نعوذاً بالله، اذاً لابد أن لا تُحتقر الذنوب بل يُنظر إلى عظمة الله، فإنّ عصيانه ليس بهيّن.

روي عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: لا يصغر ما ينفع يوم القيامة، ولا

---

(١) البحار ١: ٢٠٣ ح ١٨ باب ٤.

(٢) البحار ١: ٢٠١ ح ١١ باب ٤.



يصغر ما يضرّ يوم القيامة ...[1].

وروي عن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام انّه قال: الصغائر من الذنوب طرق الى الكبائر، ومن لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير، ولو لم يخوّف الله الناس بجنّة ونار لكان الواجب عليهم أن يطيعوه لتفضّله عليهم واحسانه إليهم، وما بدأهم به من انعامه الذي ما استحقّوه[2].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا تحقّروا شيئاً من الشر وان صغر في أعينكم، ولا تستكثروا الخير وان كثر في أعينكم، فانّه لا كبير مع الاستغفار، ولا صغير مع الاصرار[3].

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: يا ليتني لا أؤاخذ الّا بهذا[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: ما من عبد الّا وعليه أربعون جنّة حتى يعمل أربعين كبيرة، فاذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن، فتقول الملائكة من الحفظة الذين معه: يا ربنا هذا عبدك قد انكشفت عنه الجنن، فيوحي الله عزَّ وجلَّ اليهم أن استروا عبدي بأجنحتكم.

فتستره الملائكة بأجنحتها، فما يدع شيئاً من القبيح الّا قارفه حتى يتمدّح الى الناس بفعله القبيح، فتقول الملائكة: يا رب هذا عبدك ما يدع شيئاً الّا ركبه وانّا لنستحي ممّا يصنع، فيوحي الله إليهم: أن ارفعوا أجنحتكم عنه.

---

(١) الكافي ٢: ٤٥٦ ح ١٤ باب محاسبة العمل.

(٢) البحار ٧٣: ٣٥٣ ح ٥٥ باب ١٣٧ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٥٢ ضمن حديث ١ مجلس ٦٦ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٥٥ ح ٦٢ باب ١٣٧.

(٤) الخصال: ٢٤ ح ٨٣ باب ١ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٥٥ ح ٦٣ باب ١٣٧.

فاذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت، فعند ذلك يهتك الله ستره في السماء ويستره في الأرض، فتقول الملائكة: هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر، فيوحي الله إليهم: لو كان لي فيه حاجة ما أمرتكم أن ترفعوا أجنحتكم عنه[1].

وقال عليه السلام أيضاً: ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً، والموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لبّ فرحاً[2].

وقال الصادق عليه السلام: إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكّره الاستغفار، وإذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عزّ وجلّ «**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**»[3] بالنعم عند المعاصي[4].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: انّ الله يحبّ العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم، ويبغض العبد أن يستخفّ بالجرم اليسير[5].

وقال عليه السلام أيضاً: اتقوا المحقرات من الذنوب فانّها لا تغفر، قلت: وما المحقّرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك[6].

وقال عليه السلام أيضاً: انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كلّ انسان بما قدر عليه.

---

(١) البحار ٧٣: ٣٥٤ ح ٦١ باب ١٣٧ ـ مثله الكافي ٢: ٢٧٩ ح ٩ باختلاف يسير.

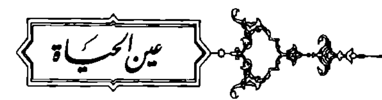
(٢) الكافي ٢: ٤٥١ ح ١.

(٣) الأعراف: ١٨٢.

(٤) الكافي ٢: ٤٥٢ ح ١ ـ مثله البحار ٧٣: ٣٨٧ ح ١ باب ١٤١ ـ عن علل الشرائع.

(٥) البحار ٧٣: ٣٥٩ ح ٨٠ باب ١٣٧ ـ عن المحاسن.

(٦) الكافي ٢: ٢٨٧ ح ١ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٤٥ ح ٢٩ باب ١٣٧.



فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه علىٰ بعض، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: اياكم والمحقّرات من الذنوب فإنّ لكلّ شيء طالباً، الا وانّ طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في امام مبين[1].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وان زاد زادت حتى تغلب علىٰ قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً[2].

وقال الباقر عليه السّلام: انّ العبد يسأل الحاجة من حوائج الدنيا فيكون من شأن الله قضاءها إلى أجل قريب أو وقت بطيء، فيذنب عند ذلك ذنباً، فيقول الله للملك الموكل بحاجته: لا تنجز حاجته واحرمه إياها، فانّه تعرّض لسخطي، واستوجب الحرمان منّي[3].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: اما انّه ليس من سنة أقلّ مطراً من سنة، ولكن الله يضعه حيث يشاء، انّ الله جلّ جلاله إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم وإلى الفيافي والبحار والجبال.

وانّ الله ليعذّب الجعل في جحرها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلتها لخطايا من بحضرتها، وقد جعل الله لها السبيل إلى مسلك سوى محلة أهل المعاصي، ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: فاعتبروا يا أُولي الأبصار ...[4].

---

(١) الكافي ٢: ٢٨٨ ح ٣ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٤٦ ح ٣١ باب ١٣٧.

(٢) الكافي ٢: ٢٧١ ح ١٣ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٢٧ ح ١٠ باب ١٣٧.

(٣) الاختصاص: ٣١ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٦٠ ح ٨٦ باب ١٣٧.

(٤) أمالي الصدوق: ٢٥٣ ح ٢ مجلس ٥١ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٧٢ ح ٥ باب ١٣٨ ـ كذلك في الكافي ج ٢: ٢٧٢ ح ١٥ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٢٩ ح ١٢ باب ١٣٧.

وقال أبو عبدالله عليه السلام: انّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وانّ العمل السيّئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم[1].

وقال عليه السلام أيضاً: من همّ بسيّئة فلا يعملها، فانّه ربّما عمل العبد السيّئة فيراه الربّ تبارك وتعالى فيقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً[2].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام، وانّه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعّمن[3].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: ... انّ الله قضى قضاء حتماً ألّا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها ايّاه حتى يُحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب، ولا خوف أشدّ من الموت، وكفى بما سلف تفكراً، وكفى بالموت واعظاً[5].

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام: الذنوب التي تغيّر النعم: البغي، والذنوب التي تورث الندم: القتل، والتي تنزل النقم: الظلم، والتي تهتك الستر: شرب الخمر، والتي تحبس الرزق: الزنا، والتي تُعجّل الفناء: قطيعة الرحم، والتي تردّ الدعاء وتُظلم الهواء: عقوق الوالدين[6].

---

(١) الكافي ٢: ٢٧٢ ح ١٦ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٣٠ ح ١٣ باب ١٣٧.
(٢) الكافي ٢: ٢٧٢ ح ١٧ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٣١ ح ١٤ باب ١٣٧.
(٣) الكافي ٢: ٢٧٢ ح ١٩ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٣١ ح ١٦ باب ١٣٧.
(٤) الكافي ٢: ٢٧٣ ح ٢٢ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٣٤ ح ١٩ باب ١٣٧.
(٥) الكافي ٢: ٢٧٥ ح ٢٨ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٤٢ ح ٢٥ باب ١٣٧.
(٦) الكافي ٢: ٤٤٧ ح ١ ـ مثله البحار ٧٣: ٣٧٤ ح ١١ باب ١٣٨ ـ عن علل الشرائع.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أباذر دع ما لست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخزن لسانك كما تخزن ورقك.

يا أباذر انّ الله جلّ ثناؤه ليدخل قوماً الجنة فيعطيهم حتى يملّوا، وفوقهم قوم في الدرجات العلى فاذا نظروا إليهم عرفوهم، فيقولون: ربنا اخواننا كنّا معهم في الدنيا، فبم فضّلتهم علينا؟

فيقال: هيهات هيهات انّهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمأون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفظون.

اعلم ان الانسان يحصل علىٰ السعادة بسبب الكلام كما ربما يكون سبباً للشقاء الأبدي بكلمة، أو يسبب مفاسد في أُمور الدنيا لا يمكن اصلاحها، كما إذا نطق كلمة الارتداد فانه يخلّد في النار، أو يقول كلمة شرّ تسبب قتل الآلاف، ويمكن أن يتلفظ بكلمة خير تسبب خلاصّ الآلاف من القتل.

وبما انّ مفاسد الكلام كثيرة ويتكلّم الانسان غالباً من دون تفكر، وبما انّه تترتب مفاسد كثيرة بسببه في الدنيا والآخرة، فلذا وردت أحاديث كثيرة في الصمت وفضله، والمراد منه الصمت عن الكلام الذي لا يعلم فيه الخير، ولو كان لسانه لهجاً بالأذكار والأدعية وتلاوة القرآن فهو أفضل بداهة لأنه يورث السعادة الأبدية.

وأما اذا تكلم بغير الذكر فلابد أن يتفكر فيه أولاً، وينظر إلى المفاسد التي

تترتب عليه، ثم يتكلم ان رأى فيه خيراً أُخروياً أو صلاحاً دنيوياً، والاّ فليسكت فانّه طريق السلامة والنجاة، كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال لقمان لابنه: يا بنيّ ان كنت زعمت انّ الكلام من فضّة، فإنّ السكوت من ذهب[1].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: نجاة المؤمن [في] حفظ لسانه[2].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السّلام: كان أبوذر رحمه الله يقول: يا مبتغي العلم انّ هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شرّ، فاختم علىٰ لسانك كما تختم علىٰ ذهبك وورقك[3].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: كان المسيح عليه السّلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإنّ الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون[4].

وقال عليّ بن الحسين عليه السّلام: انّ لسان ابن آدم يشرف علىٰ جميع جوارحه كلّ صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير ان تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: انّما نثاب ونعاقب بك[5].

وروي انّه جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني، قال: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني، قال: احفظ لسانك، ويحك وهل يكبّ الناس علىٰ مناخرهم في النار

---

(١) الكافي ٢: ١١٤ ح ٦ ـ عنه البحار ٧١: ٢٩٧ ح ٧٠ باب ٧٨.
(٢) الكافي ٢: ١١٤ ح ٩ ـ عنه البحار ٧١: ٣٠٠ ح ٧٣ باب ٧٨.
(٣) الكافي ٢: ١١٤ ح ١٠ ـ عنه البحار ٧١: ٣٠١ ح ٧٤ باب ٧٨.
(٤) الكافي ٢: ١١٤ ح ١١ ـ عنه البحار ٧١: ٣٠١ ح ٧٥ باب ٧٨.
(٥) الكافي ٢: ١١٥ ح ١٣ ـ عنه البحار ٧١: ٣٠٢ ح ٧٧ باب ٧٨.

الّا حصائد ألسنتهم(١).

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث آخر: من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه، وحضر عذابه(٢).

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يعذّب الله اللسان بعذاب لا يعذّب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أي ربّ عذّبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً.

فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام، وانتهب بها المال الحرام، وانتهك بها الفرج الحرام، وعزتي وجلالي لأُعذّبنّك بعذاب لا أُعذّب به شيئاً من جوارحك(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان(٤).

وقال عليه السّلام أيضاً: طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من كلامه(٥).

وسُئل عليّ بن الحسين عليه السّلام عن الكلام والسكوت أيّهما أفضل؟ فقال عليه السّلام: لكل واحد منهما آفات، فاذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت.

قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ الله عزَّ وجلَّ ما بعث الأنبياء

---

(١) الكافي ٢: ١١٥ ح ١٤ ـ عنه البحار ٧١: ٣٠٣ ح ٧٨ باب ٧٨.
(٢) الكافي ٢: ١١٥ ح ١٥ ـ عنه البحار ٧١: ٣٠٤ ح ٧٩ باب ٧٨.
(٣) الكافي ٢: ١٥١ ح ١٦ ـ عنه البحار ٧١: ٣٠٤ ح ٨٠ باب ٧٨.
(٤) الخصال: ١٤ ح ٥١ باب الواحد ـ عنه البحار ٧١: ٢٧٧ ح ١١ باب ٧٨.
(٥) البحار ٧١: ٢٨٣ ح ٣٤ باب ٧٨ ـ عن تفسير القمي.

والأوصياء بالسكوت، انّما بعثهم الله بالكلام، ولا استحقت الجنّة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنّب سخط الله بالسكوت.

انّما ذلك كلّه بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، انّك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: جمع الخير كلّه في ثلاث خصال: النظر، والسكوت، الكلام.

فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكلّ سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة، وكلّ كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، فطوبى لمن كان نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه ذكراً، وبكى على خطيئته، وأمن الناس من شرّه[2].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل[3].

---

(١) الاحتجاج ١: ١٤٦ ح ١٨٤ ـ عنه البحار ٧١: ٢٧٤ ح ١ باب ٧٨.

(٢) أمالي الصدوق: ٩٦ ح ٦ مجلس ٢٣ ـ عنه البحار ٧١: ٢٧٥ ح ٢ باب ٧٨.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٥٨ ح ١ مجلس ٦٨ ـ عنه البحار ٧١: ٢٧٦ ح ٦ باب ٧٨.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أباذر جعل الله جلّ ثناؤه قرّة عيني في الصلاة، وحبّب إليّ الصلاة كما حبّب إلى الجائع الطعام وإلى الظمآن الماء، وانّ الجائع إذا أكل شبع، وانّ الظمآن إذا شرب روي، وأنا لا أشبع من الصلاة.

يا أباذر انّ الله عزّ وجلّ بعث عيسى بن مريم بالرهبانية، وبُعثت بالحنيفية السمحة، وحبب إليّ النساء والطيب، وجعل في الصلاة قرّة عيني.

يا أباذر أيّما رجل تطوّع في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة كان له حقّاً واجباً بيت في الجنة.

يا أباذر إنك مادمت في الصلاة فانّك تقرع باب الملك الجبّار، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له.

يا أباذر ما من مؤمن يقوم مصلّياً الّا تناثر عليه البرّ ما بينه وبين العرش، ووكّل به ملك ينادي: يا ابن آدم لو تعلم مالك في الصلاة ومن تناجي ما انفتلت.

وتوضيح هذه المضامين القدسية يتمّ في طيّ لمعات:

اللمعة الأولى

في فضل الصلاة

اعلم انّ الصلاة تأتي في المرتبة الأولى بعد الاعتقاد بالأصول ـ كما يستفاد ذلك من الأحاديث المعتبرة ـ وهي أفضل من جميع الأعمال، ويدلّ عليه «حيّ



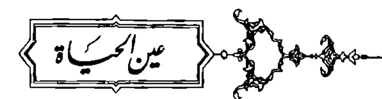
علىٰ خير العمل» المتواتر في الأذان.

ولا يستبعد شخص أفضلية الصلاة علىٰ الأعمال الشّاقة، كما أنكر عمر هذا المعنى ونهى الناس عن «حيّ علىٰ خير العمل» في الأذان، لأنّنا لا ندرك كمال العبادات ونقصها بعقولنا الناقصة، لكن الحكيم علىٰ الاطلاق يعلم انّ العمل الفلاني له دخل في صلاح حالنا والقرب إليه أكثر من غيره، ولا سبيل لمشقة العمل وسهولته في فضل العمل ومفضوليته.

ومن الواضح انّه لا فضيلة لمن رقى جبلاً عالياً، أو سدّ رجليه بحبل وعلّق نفسه وبقي كذلك يوماً كاملاً، مع كونهما أصعب من الصلاه وأشق، ولو فعل ذلك رجاء للثواب كان معاقباً، وكالطبيب الذي يداوي المريض بدواء لا يتجاوز دراهم ولا يمكنه مداواته بالدواء الذي يُعمل مدّة عشر سنين، ويتجاوز سعره الدنانير الكثيرة، والقوّة والنشاط الحاصلان من لقمة لحم وأُرز لا تحصلان من أي معجون آخر وإن صرف عليه الجواهر.

فكذلك الحكيم علىٰ الاطلاق، وطبيب نفوس الخلائق وأرواحهم وعقولهم، فقد جعل لكل عمل أثراً في تكميل العقول والنفوس وتقوية الايمان واليقين، ولكل واحد منها درجة من الفضل بحيث لا غنىً لواحد منها عن الآخر، ولكل تأثير خاص لا يحصل من الآخر.

اذن لا يتصور شخص انّ الصلاة لكونها أفضل الأعمال تُغني عن سائر الأعمال، ولابد أن لا يُعمل شيء آخر غيرها، وهذا كمن يقول انّ اللحم لكونه أكثر تقوية فيغني عن الماء، بل انّ كل عمل من الأعمال دخيل في كمال الايمان ولا يكون لغيره هذه المدخلية.



أما الصلاة فهي أكثر فائدة من سائر الأعمال، وأكثر قُرباً، وهي معراج المؤمن، والحديث المشهور «أفضل الأعمال أحمزها أو أصعبها» يحتمل أن يكون المراد انّ المطلوب اختيار الأشد والأصعب في كلّ نوع من أنواع العمل، كأفضلية الصلاة التي فيها مشقة علىٰ التي ليست فيها هذه المشقة، وكأفضلية الصوم في حرّ الصيف على الصوم في الشتاء لمشقته وصعوبته، وليس المراد انّه أفضل من سائر الأعمال.

روي بسند صحيح عن معاوية بن وهب انّه قال: سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربهم وأحبّ ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ ما هو؟

فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى انّ العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السّلام قال: «**وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً**[(١)]»[(٢)].

وقال في حديث آخر: أحبّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ الصلاة وهي آخر وصايا الأنبياء عليهم السّلام، فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضّأ فيسبغ الوضوء، ثم يتنحّى حيث لا يراه أنيس فيشرف الله عليه وهو راكع أو ساجد، انّ العبد إذا سجد فأطال السجود نادى ابليس: يا ويلاه أطاع وعصيت، وسجد وأبيت[(٣)].

وقال الرضا عليه السّلام: الصلاة قربان كلّ تقي[(٤)].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: مثل

---

(١) مريم: ٣١.

(٢) الكافي ٣: ٢٦٤ ح ١ باب فضل الصلاة ـ دعوات الراوندي: ٢٧ ح ٤٨ باب ١ ـ عنه البحار ٨٢: ٢٢٥ ح ٥٠ باب ١ ـ وسائل الشيعة ٣: ٢٥ ح ١ باب ١٠.

(٣) الكافي ٣: ٢٦٤ ح ٢ باب فضل الصلاة ـ مثله وسائل الشيعة ٣: ٢٦ ح ٢ باب ١٠.

(٤) الكافي ٣: ٢٦٥ ح ٦ باب فضل الصلاة ـ مثله البحار ٨٢: ٣٠٧ ح ٤ باب ٤ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.



الصلاة مثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء[1].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام[2]: يؤتى بشيخ يوم القيامة فيدفع إليه كتابه ظاهره مما يلي الناس، لا يرى الاّ مساوي، فيطول ذلك عليه، فيقول: يا ربّ أتأمرني إلى النار، فيقول الجبار جل جلاله: يا شيخ أنا أستحي أن أُعذّبك وقد كنت تصلّي لي في دار الدنيا، اذهبوا بعبدي إلى الجنة[3].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السّلام: ما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلاة الاّ اكتنفته بعدد من خالفه ملائكة يصلّون خلفه، يدعون الله له حتى يفرغ من صلاته[4].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا كان يوم القيامة يدعى بالعبد، فأوّل شيء يُسأل عنه الصلاة، فإن جاء بها تامة والاّ زخّ في النار[5].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما سرّه أن يرفع رأسه من السجود[6].

---

(١) الكافي ٣: ٢٦٦ ح ٩ باب فضل الصلاة ـ وفي التهذيب ٢: ٢٣٨ ح ١١ باب ١٢.

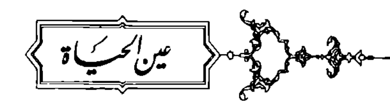
(٢) هكذا في أمالي الصدوق، الخصال والبحار ووسائل الشيعة، لكن رواها المؤلف رحمه الله عن الامام موسى الكاظم عليه السّلام.

(٣) أمالي الصدوق: ٤٠ ح ٢ مجلس ١٠ ـ والخصال: ٥٤٦ ح ٢٦ باب ٤٠ ـ عنهما البحار ٨٢: ٢٠٤ ح ٤ باب ١.

(٤) البحار ٨٢: ٢٠٥ ح ٧ باب ١ ـ عن أمالي الصدوق.

(٥) البحار ٨٢: ٢٠٧ ح ١٥ باب ١ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

(٦) البحار ٨٢: ٢٠٧ ح ١٢ باب ١ ـ عن الخصال.



اللمعة الثانية

في اختلاف الشرائع وذمّ البدعة في الدين

اعلم انّ الله تعالى جعل لكلّ نبيّ من أُولي العزم شريعة موافقة لمصالح ذلك الزمان، وبعد ذهاب النبي الأول ومجيء النبي الثاني تكون بعض مصالح وحِكَم أهل زمانه تخالف مصالح أمة النبيّ الأول، فكان يبدّلها ويجعل لامته أحكاماً جديدة تخالف تلك الأحكام.

وهذا ـ والعياذ بالله ـ ليس من الجهل، بأن يرى شيئاً بنحو ثم يتغيّر رأيه ويعمل على خلافه، كما أنكر اليهود اللعناء النسخ لأجل هذا السبب، بل انّما تتبدل الأحكام باعتبار اختلاف أحوال الأمم، كما انّ الطبيب يرى المصلحة في استعمال دواء وطعام معين في أول المرض، ثم يغيّره في وسط المرض، وكذلك عند نهاية المرض.

فمثلاً انّ قوم موسى عليه السّلام شرّع الله لهم تكاليف شاقّة كي تصلحهم وذلك للجاجهم وعنادهم وشرهم، فعلى سبيل المثال كان تطهيرهم من البول بقرضهم موضع الملاقاة بالمقاريض كي يطهر، وأيضاً في باب القصاص حيث كان القصاص بالقتل واجباً عليهم ولا يجوز عندهم العفو.

وأسقط الجهاد عن أمة عيسى عليه السّلام لهدوئهم وملائمتهم، وجعل هدايتهم بالنصيحة والموعظة [بدل الجهاد]، وأمرهم بالرهبانية والسير في الأرض، وقررّ لهم الدية والعفو في القصاص.

وجعل أحكام أمة نبي آخر الزمان صلّى الله عليه وآله وسلّم وسطاً لكونها الأُمة

الوسطى، فقد خيّرهم في قتل النفس بين القصاص وبين الدية أو العفو، وكذلك في سائر الأحكام، وذكرنا سابقاً في باب النبوة انّ عقول الخلائق عاجزة عن الاحاطة بحسن خصوصيات الشريعة وقبحها، فلابد في كلّ شريعة العمل طبقاً لما جاء به صاحبها، لا اختراع العبادات والبدع بالعقول الناقصة الموجبة للضلال والتيه.

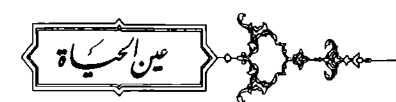
ولا يُصغى إلى وسوسة الشيطان بانّي أُحبّ هكذا عبادة أكثر، وهي توصلني إلى الله تعالى أسرع، لأنّنا لا نفهم بعقولنا الناقصة والمشوبة بالآف الشهوات معنى القرب والبعد من الله، بل انّ عقول الأنبياء والأوصياء تنال هذه الرتبة فقط.

يزعم القسيس النصراني انّ عبادته ورياضاته توجب القرب، والحال انّه لا يزداد بها الّا كفراً وعناداً وبعداً.

واعلم انّ البدعة تحليل ما حرّمه الله تعالى، أو جعله مكروهاً والله تعالى لم يجعله كذلك، أو فرض ما لم يفرضه الله أو تسنين ما لم يسنّه الله وان كان باعتبار خصوصيّة، كما لو قال الله تعالى: يُستحب اتيان الصلاة في كلّ وقت، فلو صلّى شخص بهذا العنوان، وكون الصلاة تستحب في أي وقت وهذا الحين من الأوقات، فيكون مأجوراً ويُثاب علىٰ عمله.

لكن لو صلّى ركعتين في وقت الغروب باعتبار انّ الله تعالى طلب منّي اتيان هذه الصلاة في خصوص هذا الوقت لكان بدعة وحراماً، كما جعل الثاني ست ركعات في وقت خاص وحكم باستحبابها، فصار هذا العمل بدعة وحراماً ونهى عنه الأئمة عليهم السّلام.

وكذلك لو صلّى شخص صلاة مستحبة بثلاث ركعات وتسليمة فهذا



العمل بدعة وحرام لعدم وروده عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو ركع في كلّ ركعة مرّتين.

وكذلك في كلمة «لا اله الّا الله» التي تستحب في كلّ وقت وهي من أحسن الأذكار، فلو قرّر شخص قراءتها ألف وخمسمائة مرة بعد صلاة الفجر، وانّ هذا العمل بهذا العدد المخصوص وفي هذا الوقت المخصوص سنة جاء من الشارع، أو جعله عبادة من قبل نفسه، فكان مبدعاً والبدعة في الدين من أعظم المعاصي.

وهذا هو وجه امتياز الشيعة علىٰ السنة، فالشيعة يتبعون قول أئمتهم عليهم السّلام دائماً لكن أهل السنة وقعوا في البدع بترك متابعة الأئمة عليهم السّلام، وهذا وجه ذمّ الأئمة ايّاهم.

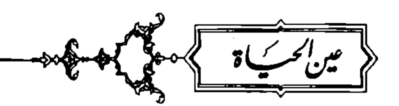
روى الكليني وغيره بأسانيد متواترة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعن الأئمة عليهم السّلام انّ كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة إلى النار[1].

وروىٰ أيضاً بسند معتبر عن يونس انّه قال: قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السّلام: بما أُوحّد الله؟ فقال: يا يونس لا تكوننّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر[2].

وروىٰ عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: ... من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله حيث أحلّ، وحرّم فيما لا يعلم[3].

وروىٰ عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: ما أحدٌ ابتدع بدعة الّا ترك بها

(١) الكافي ١: ٥٦ ح ١٢.
(٢) الكافي ١: ٥٦ ح ١٠ باب البدع والرأي.
(٣) الكافي ١: ٥٧ ح ١٧ باب البدع والرأي.



سنة[1].

وروى بسند معتبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله[2].

وقال: من أتى ذا بدعة فعظّمه، فانّما يسعى في هدم الإسلام[3].

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم أيضاً: أبىٰ الله لصاحب البدعة بالتوبة، قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: انّه أُشرب قلبه حبّها[4].

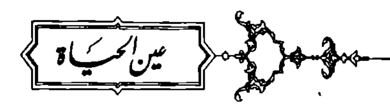
وروىٰ ابن بابويه رحمه الله بسند صحيح عن الامام جعفر الصادق عليه السّلام انّه قال: كان رجل في الزمن الأوّل طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا انّك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها، وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها، أفلا أدلّك علىٰ شيء تكثر به دنياك، ويكثر به تبعك.

قال: بلى، قال: تبتدع ديناً وتدعو إليه الناس، ففعل فاستجاب له الناس، فأطاعوه وأصاب من الدنيا، ثم فكر فقال: ما صنعت! ابتدعت ديناً ودعوت الناس، ما أرى لي توبة الّا آتى من دعوته إليه فأردّه عنه.

فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: انّ الذي دعوتكم إليه باطل وانّما ابتدعته، فجعلوا يقولون: كذبت وهو الحق، ولكنّك شككت في دينك فرجعت عنه.

---

(١) الكافي ١: ٥٨ ح ١٩ باب البدع والرأي.
(٢) الكافي ١: ٥٤ ح ٢ باب البدع والرأي.
(٣) الكافي ١: ٥٤ ح ٣ باب البدع والرأي.
(٤) الكافي ١: ٥٤ ح ٤ باب البدع والرأي.



فلمّا رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتدلها وتداً ثم جعلها في عنقه وقال: لا أُحلّها حتى يتوب الله تعالى عليّ، فأوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء، قل لفلان: وعزتي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد من مات إلى ما دعوته إليه، فيرجع منه(١).

وروىٰ بسند صحيح عن الحلبي انّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما أدنى ما يكون به العبد كافراً؟ قال: أن يبتدع به شيئاً فيتولّى عليه ويتبرّء ممّن خالفه(٢).

وروىٰ بسند معتبر آخر عن أبي الربيع الشامي انّه قال: قلت [لأبي عبدالله عليه السلام](٣): ما أدنى ما يخرج به الرجل من الايمان؟ قال: الرأي يراه مخالفاً للحقّ فيقيم عليه(٤).

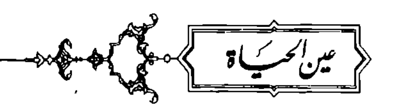
وروى بسند صحيح آخر عن بريد العجلي انّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما أدنى ما يصير به العبد كافراً؟

قال: فأخذ حصاة من الأرض، فقال: أن يقول لهذه الحصاة انّها نواة، ويبرء ممّن خالفه علىٰ ذلك، ويدين الله بالبراءة ممّن قال بغير قوله، فهذا ناصب قد أشرك بالله، وكفر من حيث لا يعلم(٥).

وروىٰ بسند آخر انّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن السنّة والبدعة، وعن الجماعة وعن الفرقة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: السنّة ما

---

(١) علل الشرائع: ٤٩٢ ح ٢ باب ٢٤٣ ـ عنه البحار ٧٢: ٢١٩ ح ٢ باب ١١٠.
(٢) معاني الأخبار: ٣٩٣ ح ٤٣ باب نوادر المعاني ـ عنه البحار ٧٢: ٢٢٠ ح ٥ باب ١١٠.
(٣) ليست هذه الزيادة في الرواية.
(٤) معاني الأخبار: ٣٩٣ ح ٤٢ باب نوادر المعاني ـ عنه البحار ٧٢: ٢٢٠ ح ٤ باب ١١٠.
(٥) معاني الأخبار: ٣٩٣ ح ٤٤ باب نوادر المعاني ـ عنه البحار ٧٢: ٢٢٠ ح ٦ باب ١١٠.



سنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، والبدعة ما أُحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً[1].

وروى الكليني رحمه الله عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: انّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمّة الّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، وجعل علىٰ من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً[2].

وروىٰ بسند صحيح عن عليّ بن الحسين عليه السّلام انّه قال: انّ أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنّة وإن قلّ[3].

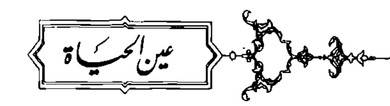
وروىٰ بسند معتبر عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا قول الّا بعمل، ولا قول ولا عمل الّا بنيّة، ولا قول ولا عمل ولا نيّة الاّ باصابة السنة[4].

وروي انّه أمر الله ابليس بالسجود لآدم، فقال: يا ربّ وعزّتك ان أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله جل جلاله: انّي أُحبّ أن أُطاع من حيث أُريد[5].

وروى الشيخ الطوسي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: عليكم بسنّتي، فعمل قليل في سنّةٍ خير من عمل كثير

---

(١) معاني الأخبار: ١٥٤ ح ٣ ـ عنه البحار ٢: ٢٦٦ ح ٢٣ باب ٣٢.
(٢) الكافي ١: ٥٩ ح ٢.
(٣) الكافي ١: ٧٠ ح ٧.
(٤) الكافي ١: ٧٠ ح ٩.
(٥) البحار ٦٣: ٢٥٠ ح ١١٠ باب ٣ ـ عن قصص الأنبياء للراوندي.



في بدعة[1].

وروىٰ بسند معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انّه قال: ... وان اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده، وردّوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا[2].

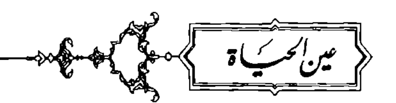
ولهذا الباب أحاديث كثيرة لا يمكن احصاؤها في الكتاب، وقد ذكرنا بعضها في باب العمل بغير علم، وبعد ملاحظة هذه الأخبار لا يخفى علىٰ ذي البصيرة انّ الأعمال مهما كانت شاقة وصعبة لا تكون منجية ما لم توافق السنة، والبدعة توجب الضلال، ومن له قدرة علىٰ الرجوع إلى أخبار أهل البيت عليهم السلام وفهم معاني كلامهم لابد أن يُخلص نيّته ثم يرجع إلى كلامهم، والله تعالى بمقتضى قوله: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»[3] يهديه إلى طريق الحق.

ومن ليس له هذه الأهليّة فقد أُمر بالرجوع إلى رواة أخبار الأئمة عليهم السلام العالمين بعلومهم، والتاركين متابعة الدنيا، كما روى الكليني رحمه الله انّ اسحاق بن يعقوب كتب عريضة إلى الحجة عليه السلام يسأل فيها عن التكليف في الأمور المشتبه، فورد التوقيع المبارك:

«... وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فانّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله»[4].

وورد في أحاديث معتبرة الأمر بالرجوع إلى رواة الأحاديث عند التنازع، منها: «... ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا،

(١) أمالي الطوسي: ٥٢٢ ح ٦٠ مجلس ١٨ ـ عنه البحار ٢: ٢٦١ ح ١ باب ٣٢.
(٢) البحار ٢: ٢٥٨ ح ٥ باب ٣١ ـ عن أمالي الطوسي.
(٣) العنكبوت: ٦٩.
(٤) راجع الاحتجاج ٢: ٥٤٣ ح ٣٤٤ ـ عنه البحار ٢: ٩٠ ح ١٣ باب ١٤.



وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فانّي قد جعلته عليكم حاكماً، فـاذا حكـم بحكمنا فلم يقبله منه فانّما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا الراد علىٰ الله، وهو علىٰ حدّ الشرك بالله ...»[1].

وليعلم انّ الله تعالى لا يعذرك يوم القيامة في متابعة أيّ شخص حتى تعلم انّه عالم بعلوم أهل البيت عليهم السّلام ويخبر عن كلامهم، ولا يأوّله للدنيا، كما روي عن الامام الحسن العسكري عليه السّلام انّه قال: قال عليّ بن الحسين عليه السّلام:

إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه[2] وتماوت في منطقه[3]، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرّنكم فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف نيته ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدين فخّاً لها[4]، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام، فرويداً لا يـغرنكم فـإنّ شـهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وان كثر، ويحمل نفسه عـلى شوهاء[5] قبيحة، فيأتي منها محرماً.

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك، فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا مـا عـقدة عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

---

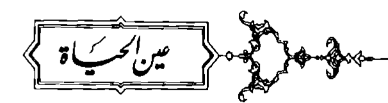
(١) الكافي ١: ٦٧ ح ١٠ باب اختلاف الحديث.

(٢) السمت: الطريق، وهيئة أهل الخير، والهدي: الطريقة والسيرة.

(٣) يقال تماوت الرجل: إذا أظهر من نفسه التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم.

(٤) الفخّ: آلة يُصطاد بها.

(٥) أي يحمل نفسه علىٰ امرأة قبيحة مشوّهة الخلقة فيزني بها ولا يتركها فضلاً عن الحسناء (البحار).



فاذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا أمع هواه يكون علىٰ عقله؟ أو يكون مع عقله علىٰ هواه؟ وكيف محبته للرياسات الباطلة وزهده فيها، فانّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا، ويرى انّ لذة الرياسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة الباطلة حتى إذا قيل له: اتق الله أخذته العزّة بالاثم، فحسبه جهنّم ولبئس المهاد[1].

فهو يخبط خبط عشواء، ويقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، لا يبالي مافات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد شقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل كلّ الرجل نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذّل مع الحق أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ فى الباطل، ويعلم انّ قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وانّ كثير ما يلحقه من سرّائها ان اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال.

فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسكوا، وبسنته فاقتدوا، وإلى ربكم فبه فتوسّلوا، فانّه لا ترد له دعوة، ولا تخيب له طلبة[2].

ونُقل بسند معتبر انّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قطع ظهري رجلان من الدنيا، رجلٌ عليم اللسان فاسق، ورجلٌ جاهل القلب ناسك، هذا يصدّ بلسانه عن

---

(١) استشهاد بالآية ٢٠٦ من سورة البقرة.

(٢) الاحتجاج ٢: ١٥٩ح ١٩٢ ـ مثله البحار ٢: ٨٤ح ١٠ باب ١٤ ـ عن تفسير الامام العسكري عليه السّلام.

فسقه، وهذا بنسكه عن جهله، فاتقوا الفاسق من العلماء، والجاهل من المتعبّدين، أُولئك فتنة كلّ مفتون، فانّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: يا عليّ هلاك أمتي على يدي كلّ منافق عليم اللسان[1].

ونُقل بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال لأبي حمزة الثمالي: اياك والرئاسة، واياك أن تطأ أعقاب الرجال، فقلت: جعلت فداك أما الرئاسة فقد عرفتها، وأمّا أن أطأ أعقاب الرجال فما ثلثا ما في يديّ الّا ممّا وطئت أعقاب الرجال، فقال: ليس حيث تذهب، اياك أن تنصب رجلاً دون الحجة فتصدّقه في كلّ ما قال[2].

ولقد علمت انّ النجاة لا تكون بمتابعة كلّ ناع، وانّ استحقاق الثواب لا يكون لكلّ علم، وانّ قرب الله تعالى لا يحصل بكلّ أمر صعب وشاق، وانّ مدار حسن الأشياء وقبحها كلام الله ورسوله والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم، وانّ النجاة في اتباع طريقتهم.

وسأذكر في لمع أُخر بعض البدع المخالفة للشرع، وبعض سنن أهل البيت عليهم السّلام وطريقتهم، وأُتمم حجة الله عليك بتوضيح أحاديثهم، وأُخلّص نفسي من لعنة الله، فلعلّ الله أن يرزقني بفضله ثواباً بعملك وبدلالتي اياك على الخير، وان لم تعمل فلن يُكتب ذنبك في صحيفة أعمالي، كما قال الله تعالى:

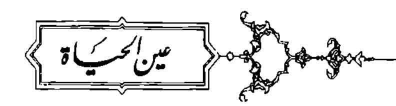
«قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ»[3].

---

(١) الخصال: ٦٩ ح ١٠٣ باب الاثنين ـ عنه البحار ٢: ١٠٦ ح ٣ باب ١٥.

(٢) البحار ٢: ٨٣ ح ٥ باب ١٤ ـ عن معاني الأخبار.

(٣) يونس: ١٠٨.



اللمعه الثالثة

في انّ الرهبانية بدعة ولم تكن في هذه الأمة

اعلم انّ الرهبانية تتركب من ترك النساء، والعزلة عن الناس، وترك المطاعم والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، وكان أكثر هذه الأمور ممدوحة في أمة عيسى عليه السّلام، فكانوا يأوون إلى الجبال، ويلبسون اللباس الخشن.

لكن جرت سنّة نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم علىٰ خلاف هذه الأُمور وذُمّت الرهبانية، وصار النكاح من السنن المؤكدة، كما روىٰ ابن بابويه في كتاب الخصال بسند معتبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: ليس في امّتي رهبانيّة ولا سياحة ولا زمّ، يعني السكوت[1].

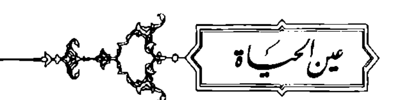
وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث آخر: رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وخصاء أمتي الصيام[2].

وروى الكليني بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: جاءت امرأة عثمان بن مضعون إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالت: يا رسول الله انّ عثمان يصوم النهار ويقوم الليل.

فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مغضباً يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلّي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال له: يا عثمان لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفيّة السهلة السمحة،

(١) الخصال: ١٣٧ح ١٥٤ باب ٣ ـ عنه البحار ٧٠: ١١٥ح ٢ باب ٥١.

(٢) مضمون النص.



أصوم وأُصلّي وألمس أهلي، فمن أحبّ فطرتي فليستنّ بسنّتي ومن سنّتي النكاح[1].

وروى أيضاً بسند معتبر آخر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دخل بيت أم سلمة فشمّ ريحاً طيبة، فقال: أتتكم الحولاء؟ فقالت: هو ذا هي تشكو زوجها، فخرجت عليه الحولاء فقالت: بأبي أنت وأمّي انّ زوجي عنّي معرض، فقال: زيديه يا حولاء، قالت: ما أترك شيئاً طيباً مما أتطيّب له به وهو عنّي معرض.

فقال: أما لو يدري ماله باقباله عليك، قالت: وماله باقباله عليّ؟ فقال: اما انّه اذا أقبل اكتنفه ملكان، فكان كالشاهر سيفه في سبيل الله، فاذا هو جامع تحاتّ عنه الذنوب كما يتحاتّ ورق الشجر، فاذا هو اغتسل انسلخ من الذنوب[2].

وروى بسند معتبر آخر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: انّ ثلاث نسوة أتين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالت احداهنّ: انّ زوجي لا يأكل اللحم، وقالت الاخرى: انّ زوجي لا يشمّ الطيب، وقالت الاخرى: انّ زوجي لا يقرب النساء.

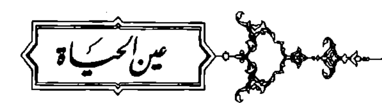
فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يجرّ رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام من أصحابي لا يأكلون اللحم، ولا يشمّون الطيب، ولا يأتون النساء، أما انّي آكل اللحم، وأشمّ الطيب، وآتي النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي[3].

---

(١) الكافي ٥ : ٤٩٤ ح ١ باب كراهية الرهبانية.

(٢) الكافي ٥ : ٤٩٦ ح ٤ باب كراهية الرهبانية.

(٣) الكافي ٥ : ٤٩٦ ح ٥ باب كراهية الرهبانية.



وقال أبو عبدالله عليه السّلام: من أخلاق الأنبياء عليه السّلام حبّ النساء[1].

وقال: ما أظنّ رجلاً يزداد في الايمان خيراً الّا ازداد حبّاً للنساء[2].

وروىٰ بسند صحيح عن ابراهيم بن عبد الحميد، عن سكين النخعي، وكان تعبّد وترك النساء والطيب والطعام، فكتب إلى أبي عبدالله عليه السّلام يسأله عن ذلك.

فكتب إليه: أمّا قولك في النساء فقد علمت ما كان لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من النساء، وأما قولك في الطعام فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يأكل اللحم والعسل[3].

وقال عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام: ثلاث من سنن المرسلين: العطر، وأخذ الشعر، وكثرة الطروقة[4].

وروي بأسانيد معتبرة عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: ركعتان يصلّيهما المتزوّج أفضل من سبعين ركعة يصلّيها أعزب[5].

وقال عليه السّلام: من تزوّج أحرز نصف دينه[6].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: رذال موتاكم العزّاب[7].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: جاء رجل إلىٰ أبي فقال له: هل لك زوجة؟ قال: لا، قال: لا أُحبّ انّ لي الدنيا وما فيها وانّي أبيت ليلة ليس لي زوجة.

---

(١) الكافي ٥: ٣٢٠ ح ١ باب حب النساء.

(٢) الكافي ٥: ٣٢٠ ح ٢ باب حب النساء ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٤ ح ٤٣٥١.

(٣) الكافي ٥: ٣٢٠ ح ٤ باب حب النساء.

(٤) الكافي ٥: ٣٢٠ ح ٣ باب حب النساء.

(٥) الكافي ٥: ٣٢٨ ح ١ باب كراهة العزوبة ـ من لا يحضرة الفقيه ٣: ٣٨٤ ح ٤٣٤٦.

(٦) الكافي ٥: ٣٢٨ ح ٢ باب كراهة العزوبة.

(٧) الكافي ٥: ٣٢٩ ح ٣ باب كراهة العزوبة ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٤ ح ٤٣٤٨.



قال: ثم قال: انّ ركعتين يصليهما رجل متزوج أفضل من رجل يقوم ليـله ويصوم نهاره أعزب، ثم أعطاه سبعة دنانير، قال: تزوج بهذه ... ثم قال أبي: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: اتخذوا الأهل فانّه أرزق لكم[1].

وروىٰ عليّ بن ابراهيم بسند صحيح في تفسير قوله تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ**»[2] عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السّلام، وبلال، وعثمان بن مظعون.

فأمّا أمير المؤمنين عليه السّلام حلف أن لا ينام في الليل أبداً، وأما بلال حلف أن لا يفطر بالنهار أبداً، وأما عثمان بن مظعون فانّه حلف أن لا ينكح أبداً.

فدخلت امرأة عثمان علىٰ عائشة وكانت امرأة جميلة، فقالت عائشة: مالي أراك متعطّلة؟ فقالت: ولمن أتزين؟ فوالله ما قربني زوجي منذ كذا وكذا، فانّه قد ترهب، ولبس المسوح وزهد في الدنيا، فلما دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبرته عائشة بذلك، فخرج فنادى: الصلاة جامعة.

فاجتمع الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام يحرمون علىٰ أنفسهم الطيبات؟ ألا انّي أنام بالليل، وأنكح، وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله فقد حلفنا علىٰ ذلك، فأنزل الله: «**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ...**[3]»[4][ثم بيّن كفارته].

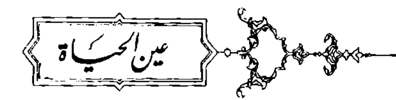
---

(١) قرب الاسناد: ٢٠ ح ٦٧ و٦٨ ـ عنه البحار ١٠٣: ٢١٧ ح ١ باب ١ ـ مثله الكافي ٥: ٣٢٩ ح ٦ باب كراهة العزوبة.

(٢) المائدة: ٨٧.

(٣) المائدة: ٨٩.

(٤) البحار ٧٠: ١١٦ ح ٤ باب ٥١ ـ عن تفسير القمي ١: ١٧٩ (سورة المائدة).



وروى ابن بابويه انّه: توفي ابنٌ لعثمان بن مظعون، فاشتد حزنه عليه حتى اتخذ من داره مسجداً يتعبد فيه، فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال له: يا عثمان انّ الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية، انّما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله ...[1].

اللمعة الرابعة

في الاعتزال عن الخلق

اعلم انّ الاعتزال عن الخلق كافة ليس بممدوح في هذه الامة كما يظهر ذلك من أحاديث متواترة، وهناك أحاديث كثيرة في فضل تزاور المؤمنين، وعيادة مرضاهم، واعانة ذوي الحوائج منهم، وحضور جنائزهم، وقضاء حوائجهم، ولا تجتمع هذه الأمور مع الاعتزال، ولقد وجب أيضاً على الجاهل تحصيل المسائل الضرورية بالاجماع والأحاديث المتواترة، وعلى العالم هداية الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يمكن تحصيل ذلك مع الاعتزال.

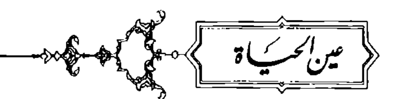
كما روى الكليني بسند معتبر انّه جاءٍ رجل إلى أبي عبدالله عليه السّلام فقال له: جعلت فداك رجل عرف هذا الأمر، لزم بيته ولم يتعرّف إلى أحد من اخوانه، قال: فقال: كيف يتفقّه هذا في دينه؟![2]

وروى بسند معتبر عنه عليه السّلام أيضاً انّه قال: عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، واقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انّه لابد لكم من الناس،

---

(١) أمالي الصدوق: ٦٣ ح ١ مجلس ١٦ ـ عنه البحار ٧٠: ١١٤ ح ١ باب ٥١.

(٢) الكافي ١: ٣١ ح ٩ باب فرض العلم.



ان أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لابد لبعضهم من بعض[١].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن يسمع رجلاً ينادي «يا للمسلمين» فلم يجبه، فليس بمسلم[٢].

وسُئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أحبّ الناس إلى الله؟ قال: أنفع الناس للناس[٣].

وروي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال في حق المسلم على المسلم: سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ الا وهو عليه واجب، ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه من نصيب ... قال:

أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

والحق الثاني: أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره.

والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

والحق الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تروي ويظمأ، ولا تلبس ويعري.

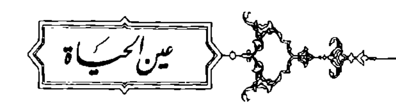
والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهّد فراشه.

والحق السابع: أن تبر قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، واذا علمت انّ له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألكها ولكن

(١) الكافي ٢: ٦٣٥ ح ١ باب ما يجب من المعاشرة.

(٢) الكافي ٢: ١٦٤ ح ٥ باب الاهتمام بأمور المسلمين ـ عنه البحار ٧٤: ٣٣٩ ح ١٢٠ باب ٢٠.

(٣) الكافي ٢: ١٦٤ ح ٧ باب الاهتمام بأمور المسلمين ـ عنه البحار ٧٤: ٣٣٩ ح ١٢٢ باب ٢٠.



تبادره مبادرة، فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك(١).

وقال عليه السلام في حديث آخر: من زار أخاه لله لا لغيره التماس موعد الله وتنجز ما عندالله، وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادونه: ألا طبت وطابت لك الجنة(٢).

وروى بسند معتبر عن خيثمة انّه قال: دخلت علىٰ أبي جعفر عليه السلام أُودّعه، فقال: يا خيثمة أبلغ من ترى من موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيّهم علىٰ فقيرهم، وقويّهم علىٰ ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا.

[يا خيثمه أبلغ موالينا انّا لا نغني عنهم من الله شيئاً الّا بعمل، وانّهم لن ينالوا ولايتنا الّا بالورع، وانّ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره](٣).

وقال أبو عبدالله عليه السلام لأصحابه: اتقوا الله وكونوا اخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه(٤).

وقال عليه السلام في حديث آخر: لأن أمشي في حاجة أخ لي مسلم أحبّ إليّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل في سبيل الله علىٰ ألف فرس مسرجة ملجمة(٥).

---

(١) الكافي ٢: ١٦٩ ح ١ ـ عنه البحار ٧٤: ٢٣٨ ح ٤٠ باب ١.
(٢) الكافي ٢: ١٧٥ ح ١ ـ عنه البحار ٧٤: ٣٤٢ ح ١ باب ٢١.
(٣) الكافي ٢: ١٧٥ ح ٢ ـ عنه البحار ٧٤: ٣٤٣ ح ٢ باب ٢١ وليس ما بين المعقوفتين في المتن الفارسي.
(٤) الكافي ٢: ١٧٥ ح ١ باب التراحم والتعاطف ـ عنه البحار ٧٤: ٤٠١ ح ٤٥ باب ٢٨.
(٥) الكافي ٢: ١٩٧ ح ٤ باب السعي في حاجة المؤمن ـ عنه البحار ٧٤: ٣٣٢ ح ١٠٨ باب ٢٠.



اعلم انّ لكلّ واحد من هذه الأمور أحاديث متواترة، وسنذكر بعضها في محلّها ان شاء الله، ومن الواضح انّ العزلة توجب الحرمان عن ادراك هذه الفضائل، والأخبار الواردة في الاعتزال انّما هي في الاعتزال عن شرار الناس الذين لا يُهتدى بمجالستهم، والذين يضرون جليسهم في دينه، والّا فمعاشرة الصلحاء وهداية الضالّين طريقة الأنبياء ومن أفضل العبادات.

بل انّ الاعتزال الممدوح يحصل حتى في وسط الناس، والمعاشرة المذمومة تحصل حتى في الخلوة، لأنّ مفسدة معاشرة الخلق الركون إلى الدنيا والتخلق بأخلاق أهلها، وتضييع العمر بصحبة أهل الباطل، وكم من معتزل عن الخلق والشيطان يصرف ذهنه وجميع حواسه إلى تحصيل الجاه واعتبار الدنيا وان كان بعيداً عن الناس، لكنّه يعاشرهم في قلبه، ويقوّي أخلاقهم [السيّئة] في نفسه.

وكم من حاضر في مجالس أهل الدنيا وهو منزجر من أفعالهم، فهذه المعاشرة توجب زيادة بصيرته وتنفره من الدنيا، ويترتب عليها أجر عظيم لكونها لله، أو لهداية خلق الله، أو غيرها من الأغراض الصحيحة.

فقد روي بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: طوبى لعبد نؤمة[1] عرف الناس فصاحبهم ببدنه، ولم يصاحبهم في أعمالهم بقلبه، فعرفوه في الظاهر، وعرفهم في الباطن[2].

فالمطلوب من الاعتزال هو اعتزال القلب عن أفعال الخلق القبيحة، وعدم الاعتماد عليهم في الأمور والتوكل علىٰ الله تعالى، والاستفادة من فوائد الخلق

(١) أي الذي لا يؤبه له ولا يلتفت إليه.

(٢) معاني الأخبار: ٣٨٠ ح ٨ باب نوادر المعاني ـ عنه البحار ٧٥: ٧٠ ح ٨ باب ٤٥.

والحذر من مفاسدهم، والاّ فالخلوة والبعد عن الناس ليسا بالطريق الصائب للانسان بل يوجبا تقوية أكثر الصفات الذسيمة كالعجب لأنّه يزعم لبعده عن الناس وعدم الاختلاط معهم رفع أكثر الصفات الذميمة عنه، فلو خالطهم وحضر مجلساً من مجالسهم ولم تُرع حرمته هناك، فيبغضهم بقلبه ويهددهم بالقتل ولا يرضىٰ عنهم إلى يوم القيامة.

والمسكين الذي يخالط الناس دائماً لم يكن له هذا النوع من العجب، لوقوعه في هذه المهالك كثيراً، فقد عرف نفسه ولانت بتكرار هذه الاهانات، فقلّ كبره ولا ينزعج بهذه الاهانات.

ومن الأُمور التي تطوّق المنعزل الرياء، فبما انّه لم ير احداً كي يتظاهر أمامه يزعم الخلوص في العبادة، وقد خفيت عليه أوهام وخيالات النفس، وغفل عن وساوس الشيطان التي يلقيها في مسامع قلبه في الليالي المظلمة بأنّ الناس يعلمون انعزالك في هذا المكان، وتركك الخلق وعبادتك، فما أحسن شهرتك في الآفاق، وما أكثر ذكرك بالحسن والصلاح في العالم، ويوشك أن يؤخذ تراب أقدامك للتبرك.

لكن الذي مع الناس بما أنّه عرف نفسه، ورأى منها هذه الأُمور، وبما انّه لا يُمدح على عباداته بل قد يُذمّ وتنسب أعماله إلى الرياء والمخادعة، فهو من هذه الناحية أبعد من الرياء.

وكذلك في باب التوكل وعدمه، فإنّ بمعاشرة الناس والتفكر في أحوالهم يعلم ضعفهم وعجزهم فييأس منهم، وكذلك في جميع الصفات.

ولو تأمّل متأمل ونظر بعين البصيرة لعلم انّ الذي يستعين بالله ويتوسل به

في مقام اصلاح نفسه لابد أن تتصف نفسه بفضل الله بالكمالات وهو بين الناس أكثر مما لو كان منعزلاً، ألا تعلم انّ معاشرة الصلحاء ورؤية أفعالهم وسماع حكمهم دواء لداء النفوس ؟ ... .

اللمعة الخامسة

في الانفاق وطلب المال الحلال

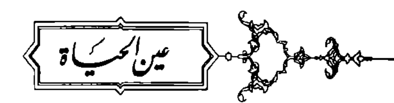
اعلم انّ المستفاد من الأحاديث المعتبرة حُسن طلب المال من الحلال بل وجوبه ولزومه، لكن يقبح لو صدّ عن العمل بسنن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو سبّب الإعتماد علىٰ طلب نفسه، بل لابد من العمل بفرائض الله وسننه، وكما قيل من انّ الانسان لابد أن يسعىٰ، ومع هذا فإنّ المعطي هو الله تعالى، فلابدّ أن يُطلب منه ولا يغفل عن ذكره، كما مدحهم الله تعالى:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[1].

ثم عليه القناعة، فلو كان الحلال قليلاً فليشق علىٰ نفسه بترك اللذائذ ولبس اللباس الخلق الخشن كي لا ينحرف إلى الحرام، وان وسّع الله عليه في الرزق فلا ينسى أداء الحقوق الواجبة الالهية، والتوسعة علىٰ العيال والمؤمنين، واعانة الفقراء والمساكين.

وليراع الحدّ الأوسط في كلّ مكان، فلا يسرف في الانفاق علىٰ الفقراء حتى يصبح محتاجاً، ولا يكدّس أكثر ممّا يحتاج، ثمّ لا يتعلّق بما جمعه وحفظه، ولا يزعم انّ رزقه منحصر في هذا، ولا يضيّق علىٰ عياله، وليأكل الأطعمة اللذيذة

(١) النور : ٣٧.



ويعطيها إلى المؤمنين أيضاً، ويلبس الأقمشة النفيسة وليكسيها غيره، كل ذلك بدون إسراف.

ولو كان عنده مقدار من المال يمكنه شراء طعام لذيذ به لكن يرى فقيراً محتاجاً فيقنع هو بالقليل ويعطي الزائد إلى الفقير، فهذا هو الايثار، والايثار درجة المقربين.

والخلاصة انّ الاعتقاد بكون ترك اللذائذ كمالاً في نفسه ليس بصحيح، بأن يُدعىٰ إلى طعام لذيذ مثلاً فلا يأكله، ويقول: انّي أرتاض وهذا مذموم فلا آكله، لكن لو ضيّق علىٰ نفسه لفقير محتاج، أو لاعانة مؤمن فهذا حسن، وكذلك في سائر الأمور التي يحتاج إليها من دابة وبيت ونحوهما.

روى الكليني بسند معتبر انّه:

دخل سفيان الثوري علىٰ أبي عبدالله عليه السّلام فرأى عليه ثياب بيض كأنّها غرقىء البيض[1] فقال له: انّ هذا اللّباس ليس من لباسك، فقال له: اسمع منّي وعِ ما أقول لك، فانّه خيرٌ لك عاجلاً وآجلاً ان أنت متّ[2] علىٰ السنّة والحقّ، ولم تمت علىٰ بدعة.

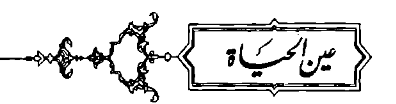
أُخبرك أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان في زمان مقفر جدب[3] فأمّا إذا أقبلت الدُّنيا فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فجّارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها، فما أنكرت يا ثوريّ، فوالله إنّني لمع ما ترى ما أتى عليّ مذ عقلت صباح ولا مساء ولله في مالي حقٌّ أمرني أن أضعه موضعاً الّا وضعته.

---

(١) الغرقىء ـ كزبرج ـ: القشره الملتزمة ببياض البيض أو البياض الذي يؤكل، قال الفراء: وهمزته زائدة.

(٢) أي انتفاعك بما أقول آجلا انما يكون إذا تركت البدع.

(٣) القفر: خلو الأرض من الماء. والجدب: انقطاع المطر ويبس الأرض.



قال: فأتاه قوم ممّن يظهرون الزُّهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم علىٰ مثل الذي هم عليه من التقشّف، فقالوا له: انّ صاحبنا حصر[1] عن كلامك، ولم تحضره حججه.

فقال لهم: فهاتوا حججكم، فقالوا له: انّ حججنا من كتاب الله، فقال لهم: فأدلوا بها[2] فانّها أحقُّ ما اتّبع وعمل به، فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**»[3] فمدح فعلهم.

وقال في موضع آخر: «**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**»[4] فنحن نكتفي بهذا، فقال رجل من الجلساء: انّا رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيّبة، ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتّى تمتّعوا أنتم منها؟

فقال أبو عبدالله عليه السّلام: دعوا عنكم ما لا تنتفعون به، أخبروني أيّها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلّ من ضلّ، وهلك من هلك من هذه الأمّة؟ فقالوا له: أو بعضه فأمّا كلّه فلا.

فقال لهم: فمن هنا أُتيتم[5]. وكذلك أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[6]، فامّا ما ذكرتم من اخبار الله عزَّ وجلَّ ايّانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم

---

(١) التقشف ـ محركة ـ: قذر الجلد ورثاثة الهيئة وسوء الحال وترك النظافة والترفة. والحصر: العى في المنطق والعجز عن الكلام.

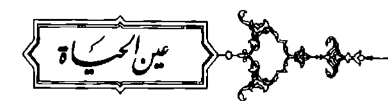
(٢) الادلاء بالشيء: احضاره أي احضروها.

(٣) الحشر: ٩، والخصاصة: الفقر والحاجة، والشح: البخل.

(٤) الدهر: ٨.

(٥) «أُتيتم» بالبناء للمفعول أي دخل عليكم البلاء وأصابكم ما أصابكم.

(٦) أي فيها أيضاً ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وأنتم لا تعرفونها.



بحسن فعالهم فقد كان مباحاً جائزاً[١]، ولم يكونوا نهوا عنه، وثوابهم منه على الله عزَّ وجلَّ، وذلك أنّ الله جلّ وتقدّس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم.

وكان نهى الله تبارك وتعالى رحمة منه للمؤمنين، ونظراً لكيلا يضرُّوا بأنفسهم وعيالاتهم، منهم الضعفة الصغار، والولدان، والشيخ الفاني، والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع، فإن تصدّقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً.

فمن ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: خمس تمرات، أو خمس قرص، أو دنانير، أو دراهم يملكها الانسان وهو يريد ان يمضيها، فأفضلها ما أنفقه الانسان على والديه، ثمّ الثانية على نفسه وعياله، ثمّ الثالثة على قرابته الفقراء، ثمّ الرابعة على جيرانه الفقراء، ثمّ الخامسة في سبيل الله وهو أخسّها أجراً.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للأنصاريّ حين أعتق عند موته خمسة أو ستّة من الرّقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار: لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنوه مع المسلمين، يترك صبيّة صغاراً يتكفّفون الناس[٢].

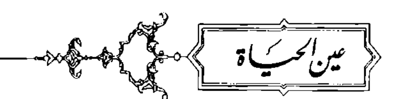
ثمّ قال: حدّثني أبي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إبدأ بمن تعول، الأدنى فالأدنى ثمّ هذا ما نطق به الكتاب ردّاً لقومكم ونهياً عنه مفروضاً من الله العزيز الحكيم، قال: «**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**»[٣].

---

(١) هذا لا ينافي ما ذكره عليه السّلام في جواب الثوري فانه علة شرعية الحكم أولاً وصحته ثانياً.

(٢) الصبية ـ بالتثليث ـ جمع صبي. وقوله: « يتكفّفون » يقال: تكفف إذا سأل كفاً من الطعام.

(٣) الفرقان: ٦٧، والقتر: القليل من العيش، يقال: فلان قتر على عياله أي ضيق عليهم في النفقة. والمقتر: الفقر المقل. والقوام: العال بين الشيئين لاستقامة الطرفين.



أفلا ترون أنّ الله تبارك وتعالى قال غيرما أراكم تدعون الناس إليه من الأثرة علىٰ أنفسهم، وسمّى من فعل ما تدعون النّاس إليه مسرفاً وفي غير آية من كتاب الله يقول: «**اِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**»[1].

فنهاهم عن الاسراف ونهاهم التقتير ولكن أمر بين أمرين لا يعطي جميع ما عنده، ثمّ يدعو الله أن يرزقه، فلا يستجيب له للحديث الذي جاء عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«انّ أصنافاً من اُمّتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجلٌ يدعو علىٰ والديه، ورجلٌ يدعو علىٰ غريم[2] ذهب له بمال فلم يكتب عليه ولم يشهد عليه، ورجلٌ يدعو على امرأته وقد جعل الله عزَّ وجلَّ تخلية سبيلها بيده.

ورجلٌ يقعد في بيته ويقول: ربِّ ارزقني ولا يخرج ولا يطلب الرزق، فيقول الله عزَّ وجلَّ له: عبدي ألم أجعل لك السّبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة، فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتّباع أمري، ولكيلا تكون كلّاً علىٰ أهلك، فإن شئت رزقتك، وان شئت قتّرت عليك، وأنت غير معذور عندي.

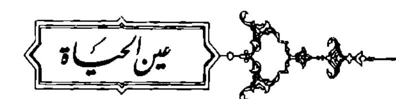
ورجل رزقه الله مالاً كثيراً فأنفقه ثمّ أقبل يدعو: يا ربِّ ارزقني، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ألم أرزقك رزقاً واسعاً، فهلّا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك عن الاسراف، ورجلٌ يدعو في قطيعة رحم».

ثمّ علّم الله عزَّ وجلَّ نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كيف ينفق، وذلك أنّه كانت عنده

---

(١) الانعام: ١٤١ والاعراف: ٣١.

(٢) الغريم: المديون.



أوقيّة[1] من الذهب، فكره أن يبيت عنده فتصدّق بها، فأصبح وليس عنده شيء، وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل، واغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه، وكان رحيماً رقيقاً، فأدّب الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمره، فقال: **«وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً»**[2].

يقول: انّ الناس قد يسألونك ولا يعذرونك، فاذا أعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال. فهذه أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يصدّقها الكتاب، والكتاب يصدّقه أهله من المؤمنين.

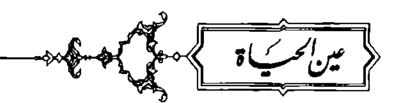
وقال أبوبكر عند موته حيث قيل له: أوص، فقال: أوصي بالخمس، والخمس كثيرٌ فإنّ الله تعالى قد رضي بالخمس، فأوصى بالخمس وقد جعل الله عزَّ وجلَّ له الثلث عند موته، ولو علم أنّ الثلث خيرٌ له أوصى به.

ثمّ مَن قد علمتم بعده في فضله وزهده، سلمان، وأبوذرّ رضي الله عنهما فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه من قابل، فقيل له: يا أبا عبدالله أنت في زهدك تصنع هذا وأنت لا تدري لعلّك تموت اليوم أو غداً، فكان جوابه أن قال: مالكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء، أما علمتم يا جهلة أنّ النفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه، فاذا هي أحرزت معيشتها اطمأنّت.

---

(١) الاوقية سبعة مثاقيل ـ وهي بالضم والسكون وكسر القاف وفتح الياء المشددة ثم الهاء ـ.

(٢) الاسراء: ٣١. وهي تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير. «فتقعد» أي فتصير ملوماً غير مرضى عندالله إذا خرجت عن القوام وعند الناس إذ يقول المحتاج: أعطى فلاناً وحرمني، ويقول المستغني: ما يحسن تدبير أمر المعيشة، وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت محسوراً نادماً أو منقطعاً بك لا شيء عندك.



وأمّا أبوذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها[1]، ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللّحم أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشياه علىٰ قدر ما يذهب عنهم بقرم اللّحم[2]، فيقسّمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم، ومن أزهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما قال، ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئاً البتة كما تأمرون الناس بالقاء أمتعتهم وشيئهم، ويؤثرون به علىٰ أنفسهم وعيالاتهم.

واعلموا أيّها النفر أنّي سمعت أبي يروي عن آبائه عليهم السّلام: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال يوماً: ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن، انّه ان قرّض جسده في دار الدّنيا بالمقاريض كان خيراً له، وإن ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له، وكلّ ما يصنع الله عزَّ وجلَّ به فهو خيرٌ له.

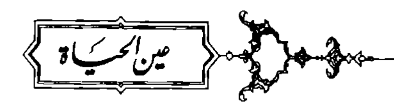
فليت شعري هل يحيق فيكم[3] ما قد شرحت لكم منذ اليوم أم أزيدكم، أما علمتم أنّ الله عزَّ وجلَّ قد فرض علىٰ المؤمنين في أوّل الأمر أن يقاتل الرّجل منهم عشرة من المشركين، ليس له أن يولّي وجهه عنهم، ومن ولّاهم يومئذ دبره فقد تبوّء مقعده من النّار، ثمّ حوّلهم عن حالهم رحمة منه لهم فصار الرّجل منهم عليه أن يقاتل رجلين من المشركين، تخفيفاً من الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين، فنسخ الرّجلان العشرة.

---

(١) قوله : قد تلتاث أي تبطئ وتحتبس عن الطاعات وتسترخي وتستضعف ، قال الفيروزآبادي : اللوث : القوة والستر والبطوء في الأمر . وقوله : « نويقات » جمع نويقة مصغر ناقة وكذا « شويهات » جمع شويهة مصغر شاة .

(٢) القرم ـ محركة ـ: شدة شهوة اللحم .

(٣) يحيق فيه أي أثر فيه ويحيق به : أحاط ـ وبهم : نزل وفي بعض النسخ [يحق] أي يثبت ويستقر فيهم ، وفي بعضها [يحتفى] بالحاء المهملة ، فمعناه هل يبالغ في نصيحتكم والبر بكم . وفي بعضها [يختفى] والاختفاء جاء بمعنى الاظهار والاستخراج وبمعنى الاستتار والتوارى وكلا المعنيين محتمل هاهنا على بعد .



وأخبروني أيضاً عن القضاة أجورة هم[1]، حيث يقضون علىٰ الرّجل منكم نفقة امرأته إذا قال: انّي زاهدٌ وانّي لا شيء لي فإن قلتم: جورة، ظلّمكم أهل الإسلام[2] وإن قلتم: بل عدول، خصمتم أنفسكم، وحيث تردُّون صدقة من تصدّق علىٰ المساكين عند الموت بأكثر من الثّلث.

أخبروني لو كان النّاس كلّهم كالذين تريدون زهاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم، فعلى من كان يتصدّق بكفّارات الأيمان والنّذور والصّدقات من فرض الزّكاة، من الذهب والفضّة والتمر والزبيب وسائر ما وجب فيه الزكاة، من الابل والبقر والغنم، وغير ذلك إذا كان الأمر كما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدُّنيا الّا قدّمه، وان كان به خصاصة.

فبئسما ذهبتم إليه وحملتم النّاس عليه من الجهل بكتاب الله عزَّ وجلَّ، وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وأحاديثه التي يصدّقها الكتاب المنزل، وردّكم ايّاها بجهالتكم، وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالنّاسخ من المنسوخ، والمحكم والمتشابه، والأمر والنّهي.

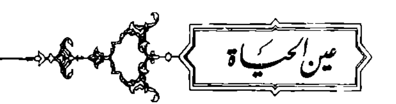
وأخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود عليه السّلام حيث سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه الله جلّ اسمه ذلك، وكان يقول الحقّ ويعمل به، ثمّ لم نجد الله عزَّ وجلَّ عاب عليه ذلك ولا أحداً من المؤمنين، وداود النبيّ عليه السّلام قبله في ملكه وشدّة سلطانه، ثمّ يوسف النبيّ عليه السّلام حيث قال لملك مصر: «اجْعَلْنِى عَلىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ»[3].

---

(١) جمع جائر.

(٢) «ظلمكم» علىٰ بناء التفعيل أي نسبوكم إلى الظلم.

(٣) يوسف: ٥٥.



فكان من أمره الذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن، وكانوا يمتارون الطّعام[1] من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان يقول الحقّ ويعمل به، فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه.

ثمّ ذو القرنين عبد أحبّ الله فأحبّه الله، وطوى له الأسباب[2]، وملّكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول الحقّ ويعمل به، ثمّ لم نجد أحداً عاب ذلك عليه.

فتأدّبوا أيّها النفر بآداب الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين، واقتصروا علىٰ أمر الله ونهيه، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به، وردُّوا العلم إلى أهله توجروا وتعذروا عند الله تبارك وتعالى، وكونوا في طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وما أحلّ الله فيه ممّا حرّم، فانّه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل؛ ودعوا الجهالة لأهلها فإنّ أهل الجهل كثير، وأهل العلم قليل، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ[3]»[4].

وروى عليه السّلام في حديث آخر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: نعم العون علىٰ تقوى الله الغنى[5].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: لا خير في من لا يحبّ جمع المال من حلال،

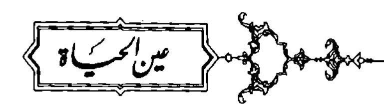
(١) يمتارون أي يحملون الطعام ، يقال : فلان يمتار أهله إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلدهم ، والميرة : طعام يمتاره الانسان أي يجلبه من بلد إلى بلد .

(٢) أي جمع له أسباب الملك وما يوصله إليه من العلم والقدرة والالة .

(٣) يوسف : ٧٦.

(٤) الكافي ٥ : ٦٥ ح ١ كتاب المعيشة ـ عنه البحار ٤٧ : ٢٣٢ ح ٢٢ باب ٢٩.

(٥) الكافي ٥ : ٧١ ح ١ باب الاستعانة بالدنيا علىٰ الآخرة ـ مثله مستدرك الوسائل ١٣ : ١٥ ح ٢ باب ٥ .



يكفّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه[1].

وقال عليه السّلام أيضاً: نعم العون الدنيا علىٰ الآخرة[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: [انّ محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أنّ عليّ بن الحسين عليه السّلام يدع خلفاً أفضل منه حتى رأيت ابنه محمد ابن عليّ عليه السّلام، فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأيّ شيء وعظك؟][3].

قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيني أبو جعفر محمد بن عليّ، وكان رجلاً بادناً ثقيلاً، وهو متكئ علىٰ غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة علىٰ هذه الحال في طلب الدنيا، أما لأعظنّه.

فدنوت منه فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام بنهر وهو يتصابّ عرقاً، فقلت: أصلحك الله شيخ من أشيخ قريش في هذه الساعة علىٰ هذه الحال في طلب الدنيا، أرأيت لو جاء أجلك وأنت علىٰ هذه الحال ما كنت تصنع؟

فقال: لو جاءني الموت وأنا علىٰ هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عزّ وجلّ، أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وانّما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا علىٰ معصية من معاصي الله، فقلت: صدقت يرحمك الله، أردت ان أعظك فوعظتني[4].

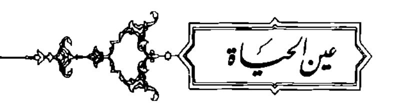
---

(١) الكافي ٥: ٧٢ ح ٥ باب الاستعانة بالدنيا علىٰ الآخرة ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٦ ح ٣٦١٥.

(٢) الكافي ٥: ٧٢ ح ٩ باب الاستعانة بالدنيا علىٰ الآخرة ـ مثله مستدرك الوسائل ١٣: ١٥ ح ٣ باب ٥.

(٣) ليس ما وضعناه بين المعقوفتين في المتن الفارسي.

(٤) الكافي ٥: ٧٣ ح ١ ـ الارشاد: ٢٦٣ ـ عنه البحار ٤٦: ٢٨٧ ح ٥ باب ٦.



وقال أبو عبدالله عليه السّلام في حديث آخر: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يضرب بالمرّ[1] ويستخرج الأرضين، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يمصّ النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعته، وانّ أمير المؤمنين عليه السّلام أعتق ألف مملوك من ماله وكدّ يده[2].

وروي بسند معتبر عن أسباط بن سالم انّه قال: دخلت علىٰ أبي عبدالله عليه السّلام فسألنا عن عمر بن مسلم ما فعل؟ فقلت: صالح لكنّه قد ترك التجارة.

فقال أبو عبدالله عليه السّلام: عمل الشيطان ـ ثلاثاً ـ أما علم انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم اشترى عيراً أتت من الشام، فاستفضل فيها ما قضى دينه، وقسّم في قرابته، يقول الله عزَّ وجلَّ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ ... »[3].

يقول القصاص:[4] انّ القوم لم يكونوا يتجرون، كذبوا ولكنّهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها، وهو أفضل ممّن حضر الصلاة ولم يتّجر[5].

وروي بسند معتبر عن عمر بن يزيد انّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: رجل قال: لأقعدنّ في بيتي، ولأصلّينّ، ولأصومنّ، ولأعبدنّ ربّي فأمّا رزقي فسيأتيني، فقال أبو عبدالله عليه السّلام: هذا أحد الثلاثة الذين لا يُستجاب لهم[6].

وروي بسند معتبر عن معلّى بن خنيس انّه قال: سأل أبو عبدالله عليه السّلام عن رجل وأنا عنده، فقيل له: أصابته الحاجة، قال: فما يصنع اليوم؟ قيل: في البيت

---

(١) المرّ كالمسحاة، وهي ما يقال لها بالفارسية (بيل).

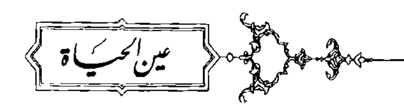
(٢) الكافي ٥: ٧٤ ح ٢ ـ الوافي ١٧: ٣٠ ح ٢ باب ٢.

(٣) النور: ٣٧.

(٤) القصاص: رواة القصص والأكاذيب.

(٥) الكافي ٥: ٧٥ ح ٨ ـ التهذيب ٦: ٣٢٦ ح ١٨ باب ٩٣.

(٦) الكافي ٥: ٧٧ ح ١ ـ التهذيب ٦: ٣٢٣ ح ٨ باب ٩٣.



يعبد ربّه، قال: فمن أين قوته؟ قيل: من عند اخوانه، فقال أبو عبدالله عليه السّلام: والله للذي يقوته أشدّ عبادة منه[1].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السّلام: من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس، وتوسيعاً على أهله، وتعطّفاً على جاره لقى الله عزّ وجلّ يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر[2].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: العبادة سبعون جزءاً، أفضلها طلب الحلال[3].

وروي عن سدير الصراف انّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: أيّ شيء على الرجل في طلب الرزق؟ فقال: إذا فتحت بابك، وبسطت بساطك، فقد قضيت ما عليك[4].

اللمعة السادسة

في التجمل والزينة ولبس الملابس الفاخرة والدواب والدور النفيسة وأمثالها

روى الكليني بسند معتبر عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: انّ الله جميل يحبّ الجمال، و يحبّ أن يرى أثر النعمة على عبده[5].

---

(١) الكافي ٥: ٧٨ح ٤ ـ التهذيب ٦: ٣٢٤ح ١٠ باب ٩٣.
(٢) الكافي ٥: ٧٨ح ٥ ـ التهذيب ٦: ٣٢٤ح ١١ باب ٩٣.
(٣) الكافي ٥: ٧٨ح ٦.
(٤) الكافي ٥: ٧٩ح ١ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٥ح ٣٦٠٧.
(٥) الكافي ٦: ٤٣٨ح ١ ـ الوافي ٢٠: ٦٩٣ح ١ باب ١٧٠.

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: إذا أنعم الله علىٰ عبده بنعمة فظهرت عليه، سُمّي[1] حبيب الله محدّثاً بنعمة الله، وإذا أنعم الله علىٰ عبد بنعمة فلم تظهر عليه، سُمّي بغيض الله مكذباً بنعمة الله[2].

وقال الرضا عليه السّلام: كان عليّ بن الحسين عليه السّلام يلبس ثوبين في الصيف يشتريان بخمسمائة درهم[3].

وروى بسند معتبر عن يوسف بن ابراهيم انّه قال: دخلت علىٰ أبي عبدالله عليه السّلام وعليّ جُبّة خزّ وطيلسان خزّ، فنظر إليّ، فقلت: جعلت فداك عليّ جبّة خزّ وطيلسان خزّ فما تقول فيه؟

فقال: وما بأس بالخزّ، قلت: وسداه أبريسم، قال: وما بأس بأبريسم، فقد أُصيب الحسين عليه السّلام وعليه جبّة خزّ، ثم قال: انّ عبدالله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الخوارج يواقفهم[4] لبس أفضل ثيابه، وتطيّب بأفضل طيبه، وركب أفضل مراكبه.

فخرج فواقفهم فقالوا يا ابن عباس بينا أنت أفضل الناس إذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم، فتلا عليهم هذه الآية: «**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**»[5]، فالبس وتجمّل فإنّ الله جميل يحبّ الجمال، وليكن من حلال[6].

---

(١) في المتن الفارسي « سمّته الملائكة ... ».

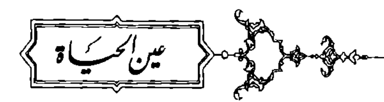
(٢) الكافي ٦ : ٤٣٨ ح ٢ ـ الوافي ٢٠ : ٦٩٣ ح ٢ باب ١٧٠.

(٣) الكافي ٦ : ٤٤١ ح ٥ ـ الوافي ٢٠ : ٧٠٢ ح ٣ باب ١٧٢ ـ ورواها المؤلف عن أبي عبدالله عليه السّلام.

(٤) المواقفة ـ بتقديم القاف ـ أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة (الوافي).

(٥) الاعراف : ٣٢.

(٦) الكافي ٦ : ٤٤٢ ح ٧ ـ الوافي ٢٠ : ٧٠٣ ح ٥ باب ١٧٢.



وروى بسند معتبر انّه: مرّ سفيان الثوري في المسجد الحرام، فرأى أبا عبدالله عليه السّلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال: والله لآتينّه ولأوبّخنّه، فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل هذا اللباس، ولا عليّ عليه السّلام، ولا أحدٌ من آبائك.

فقال له أبو عبدالله عليه السّلام: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في زمان قتر مقتّر، وكان يأخذ لقتره واقتداره، وانّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها، فأحقّ أهلها بها أبرارها، ثمّ تلا: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ ٱلَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ»[١].

ونحن أحقّ من أخذ منها ما أعطاه الله، غير انّي يا ثوريّ ما ترى عليّ من ثوب انّما ألبسه للناس، ثمّ اجتذب يد سفيان فجرّها إليه، ثم رفع الثوب الأعلىٰ وأخرج ثوباً تحت ذلك علىٰ جلده غليظاً، فقال: هذا ألبسه لنفسي وما رأيته للناس، ثم جذب ثوباً علىٰ سفيان أعلاه غليظ خشن وداخل ذلك ثوب ليّن، فقال: لبست هذا الأعلىٰ للناس، ولبست هذا لنفسك تسرّها[٢].

وروي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: بينا أنا في الطواف وإذا برجل يجذب ثوبي، وإذا هو عباد بن كثير البصري، فقال: يا جعفر بن محمد تلبس مثل هذه الثياب وأنت في هذا الموضع مع المكان الذي أنت فيه من عليّ عليه السّلام.

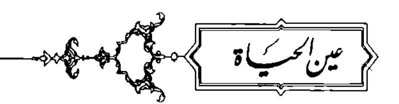
فقلت: ثوب فرقبيّ[٣] اشتريته بدينار، وكان عليّ عليه السّلام في زمان يستقيم له ما لبس فيه، ولو لبست مثل ذلك اللباس في زماننا لقال الناس: هذا مرائيّ مثل

---

(١) الاعراف: ٣٢.

(٢) الكافي ٦: ٤٤٢ح ٨ـ الوافي ٢٠: ٧٠٣ح ٦ باب ١٧٢.

(٣) الفرقبيّ: ثوب مصري أبيض من كتان منسوب إلى فَرقُب، وهو موضع قريب من مصر.



عباد[1].

وروي عن عبدالله بن القدّاح انه قال: كان أبو عبدالله عليه السّلام متكئاً عليّ، أو قال: على أبي، فلقيه عباد بن كثير البصري وعليه ثياب مرويّة حسان، فقال: يا أبا عبدالله انّك من أهل بيت النبوة وكان أبوك وكان، فما هذه الثياب المرويّة عليك، فلو لبست دون هذه الثياب.

فقال له أبو عبدالله عليه السّلام: ويلك يا عباد من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، انّ الله عزَّ وجلَّ إذا أنعم علىٰ عبده نعمة أحبّ أن يراها عليه ليس بها بأس، ويلك يا عباد انّما أنا بضعة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا تؤذني، وكان عباد يلبس ثوبين قطريّين[2].

وروي عن حماد بن عثمان انّه قال: كنت حاضراً عند أبي عبدالله عليه السّلام إذ قال له رجل: أصلحك الله ذكرت انّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجيّد؟

قال: فقال له: انّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر، ولو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله غير أنّ قائمنا إذا قام لبس لباس عليّ عليه السّلام، وسار بسيرته[3].

وروى الحميري في قرب الاسناد بسند صحيح [عن البزنطي، عن الرضا عليه السّلام قال:] قال لي: ما تقول في اللباس الخشن؟ فقلت: بلغني ان الحسن عليه السّلام كان

(١) الكافي ٦: ٤٤٣ ح ٩ ـ الوافي ٢٠: ٧٠٤ ح ٧ باب ١٧٢.

(٢) الكافي ٦: ٤٤٣ ح ١٣ ـ الوافي ٢٠: ٧٠٥ ح ٨ باب ١٧٢، والقطريين: ضرب من البرود فيه حمرة ولها أعلام فيها بعض الخشونة (الوافي).

(٣) الكافي ٦: ٤٤٤ ح ١٥ ـ الوافي ٢٠: ٧٠٥ ح ٩ باب ١٧٢.

يلبس، وانّ جعفر بن محمد عليه السّلام كان يأخذ الثوب الجديد فيأمر به فيغمس في الماء.

فقال لي: البس وتجمل، فإنّ عليّ بن الحسين عليه السّلام كان يلبس الجبة الخز بخمسمائة درهم، والمطرف الخز بخمسين ديناراً، فيتشتى فيه فاذا خرج الشتاء باعه وتصدق بثمنه، وتلا هذه الآية: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ[1]»[2].

وروىٰ ابن بابويه بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: ثلاثة أشياء لا يحاسب الله عليها مؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه وتحصن فرجه[3].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: انّ الله يحبّ الجمال والتجمّل، ويكره البؤس والتباؤس، فإنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أنعم علىٰ عبدٍ نعمة أحبّ أن يرى عليه أثرها.

قيل: وكيف ذلك؟ قال: ينظّف ثوبه، ويطيّب ريحه، ويجصّص داره، ويكنس أفنيته حتى انّ السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر، ويزيد الرزق[4].

وروى الكليني وغيره بأسانيد مختلفة في احتجاج أمير المؤمنين عليه السّلام علىٰ عاصم بن زياد حين لبس العباء، وترك الملاء، وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قد غمّ أهله، وأحزن ولده بذلك.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: عليّ بعاصم بن زياد، فجيىء به، فلمّا رآه عبس

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) قرب الاسناد: ٣٥٧ ح ١٢٧٧ ـ عنه البحار ٧٩: ٢٩٨ ح ٢ باب ١٠٩.

(٣) الخصال: ٨٠ ح ٢ باب ٣ ـ عنه البحار ٧٩: ٢٩٩ ح ٥ باب ١٠٩.

(٤) أمالي الطوسي: ٢٧٥ ح ٦٤ مجلس ١٠ ـ عنه البحار ٧٩: ٣٠٠ ح ٨ باب ١٠٩.



في وجهه، فقال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك، أو ليس الله يقول:

«وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ● فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ».

أو ليس الله يقول: **«مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ● بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ** ـ إلى قوله ـ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ»**[1]

فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: **«وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»**[2].

فقال عاصم: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة، وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال: ويحك انّ الله عزَّ وجلَّ فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ[3] بالفقير فقره، فألقى عاصم بن زياد العباء، ولبس الملاء[4].

وروى الكليني بسند معتبر عن المعلّى بن خنيس انّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام يوماً: جعلت فداك [ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم، فقلت:[5]] لو كان هذا إليكم لعشنا معكم.

فقال: هيهات يا معلّى، أما والله أن لو كان ذاك ما كان الّا سياسة الليل[6]،

---

(١) الرحمن: ١٠ ـ ١١ و ١٩ ـ ٢٢.

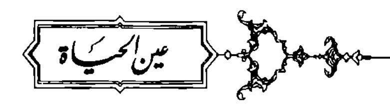
(٢) الضحى: ١١.

(٣) التبيّغ: الهيجان والغلبة.

(٤) الكافي ١: ٤١٠ ح ٣.

(٥) ليس ما بين المعقوفتين في المتن الفارسي.

(٦) سياسة الليل: رياضة النفس فيه بالاهتمام لأمور الأنام، وتدبير معاشهم ومعادهم مضافاً إلى العبادات البدنيّة لله (الوافي).



وسياحة النهار[1]، ولبس الخشن، وأكل الجشب، فزوي[2] ذلك عنّا فهل رأيت ظلامة قط صيّرها الله تعالى نعمة الّا هذه[3].

واعلم يا عزيزي انّ الأحاديث في هذا الباب كثيرة، ووردت أحاديث كثيرة في ركوب الجياد النفيسة، وكثرة الخدم وزينتهم، وهناك أحاديث في مدح الفقر والفقراء، ولبس الخلق والجلوس علىٰ الأفرشة البسيطة.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يركب حماراً ويلبس لباساً رخيصاً عادياً، ولو تكن لك بصيرة ورأيت احتجاجات الأئمة عليهم السّلام مع الصوفية لوجدت الحق، ولأذعنت انّ التقيد بهذه الأمور وجعلها أصلاً للكمال ليس بحسن.

وكذلك لا يكون التقيد بالتزين حسناً أيضاً، بل انّ مَن وسع الله عليه فليوسّع على نفسه وعلىٰ المؤمنين، وان لم يوسّع فليصبر علىٰ الفقر ولا يطلب الزائد ولا يبالي من لبس الخلق، فليلبس كلّ ما وجده، وليأكل كلّ ما حضر، ويرى انّه من قبل الله تعالى.

فلو لبس الخلق وأراد ان يعالج به التكبر فلا بأس به إذا لم يزد في تكبّره ... ففي صدر الإسلام لمّا كان الحاكم هو التكبر والنخوة والعصبية كان التواضع في لبس الخلق، كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في آخر هذه الوصية: ... يا أباذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، يرون انّ لهم الفضل بذلك على غيرهم، أولئك تلعنهم ملائكة السماوات والأرض.

والعقل يحكم انّ العبد لابد أن يكون مطيعاً لمولاه، فإن أعطاه الخزّ

---

(١) سياحة النهار: رياضة النفس فيه بالدعوة والجهاد والسعي في قضاء حوائج الناس ابتغاء مرضات الله (الوافي).

(٢) زوي: صُرف.

(٣) الكافي ١: ٤١٠ ح ٢.

فليلبس، وان أعطاه الصوف فليلبس كذلك، وليرضى عن مولاه في كلا الأمرين، وسنذكر حسن لبس الصوف وقبحه في شرح الفقرة الأخيرة من هذا الحديث إن شاء الله تعالى.

اللمعة السابعة

في التنظيف والتطيب

روي بسند معتبر عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: ... غسل الرأس يذهب بالدرن وينقّي القذا، وقال عليه السّلام: غسل الثياب يذهب بالهمّ والحزن، وهو طهور للصلاة، وقال عليه السّلام: تنظّفوا بالماء من الريح المنتن الذي يتأذى بـه، وتـعهّدوا أنفسكم فإنّ الله يبغض من عباده القاذورة الذي يتأنف به من جلس إليه ...[1].

وقال عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام: لا ينبغي للرجل أن يدع الطيب في كلّ يوم، فإن لم يقدر عليه فيوم ويوم لا، فإن لم يقدر ففي كلّ جمعة لا يدع[2].

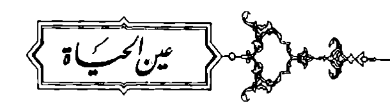
وقال أبو عبدالله عليه السّلام: حق علىٰ كلّ محتلم في كلّ جمعة أخـذ شـاربه وأظفاره ومسّ شيء من الطيب ...[3].

وقال الرضا عليه السّلام: الطيب من أخلاق الأنبياء[4].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: الطيب يشدّ القلب[5].

---

(١) البحار ٧٦: ٨٤ح ٥ باب ٤.
(٢) الكافي ٦: ٥١٠ ح ٤، والبحار ٧٦: ١٤٠ ح ٣ باب ١٩.
(٣) الكافي ٦: ٥١١ ح ١٠ ـ البحار ٧٦: ١٤٢ ح ١١ باب ١٩.
(٤) الكافي ٦: ٥١٠ ح ١ باب الطيب.
(٥) الكافي ٦: ٥١٠ ح ٦ باب الطيب.



وقال عليه السلام: صلاة متطيّب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب[١].

وقال عليه السلام: ما أنفقت في الطيب فليس بسرف[٢].

وقال عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ينفق في الطيب أكثر ممّا ينفق في الطعام[٣].

والأحاديث في فضل الطيب وأنواعه، وفضل الأدهان ذات الرائحة الطيّبة والتدهين بها كثيرة، ونكتفي هنا بهذا المقدار.

اللمعة الثامنة

في مدح الأطعمة اللذيذة، وذم ترك أكل اللحم

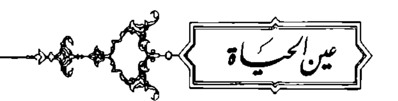
وقد ذُكرت بعض أحاديث هذا الباب سابقاً.

روى الكليني وغيره بأسانيد معتبرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السلام انّ اللحم سيد الطعام في الدنيا والآخرة[٤].

وروي بسند معتبر عن عبد الأعلىٰ انّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: انّا نروي عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: انّ الله تبارك وتعالى يبغض البيت اللحم.

فقال عليه السلام: كذبوا انّما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: البيت الذي يغتابون

(١) الكافي ٦: ٥١١ ح ٧ باب الطيب.
(٢) الكافي ٦: ٥١٢ ح ١٦ باب الطيب.
(٣) الكافي ٦: ٥١٢ ح ١٨ باب الطيب.
(٤) الكافي ٦: ٣٠٨ ح ٢ باب فضل اللحم ـ الوسائل ١٧: ١١ ح ٢ باب ٩.



فيه الناس، ويأكلون لحومهم، وقد كان أبي عليه السّلام لحماً، ولقد مات يوم مات وفي كمّ أمّ ولده ثلاثون درهماً للّحم[1].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: اللحم ينبت اللحم، ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه، ومن ساء خلقه فأذّنوا في أُذنه[2].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: فأذّنوا في أُذنه اليُمنى[3].

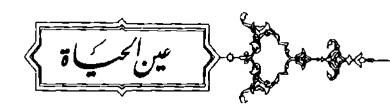
وقال عليه السّلام في حديث آخر: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: نحن معاشر الأنبياء لحميّون[4].

وروي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أتى عليه أربعون يوماً ولم يأكل اللحم فليستقرض علىٰ الله عزَّ وجلَّ وليأكله[5].

وروي انّه شكا نبيٌ من الأنبياء إلى الله الضعف، فأوحى الله إليه: كل اللحم باللبن[6].

وكتب أمير المؤمنين عليه السّلام في كتابه إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم محمد ابن أبي بكر، بعد ذكر فضائل كثيرة للمتقين والاستدلال بالآيات علىٰ انّ الله أكرمهم بالنعم بسبب تقواهم، ولا يحاسبهم في الآخرة، فقال: .. واعلموا عباد الله انّ

(١) الكافي ٦ : ٣٠٨ ح ٥ باب فضل اللحم ـ الوسائل ١٧ : ٢٣ ح ٤ باب ١١.
(٢) الكافي ٦ : ٣٠٩ ح ١ ـ الوسائل ١٧ : ٢٥ ح ١ باب ١٢.
(٣) الوسائل ١٧ : ٢٦ ح ٧ باب ١٢.
(٤) مكارم الاخلاق : ١٥٨ ـ مستدرك الوسائل ١٦ : ٣٤٣ ح ٥ باب ٩.
(٥) الكافي ٦ : ٣٠٩ ح ٣ ـ الوسائل ١٧ : ٢٥ ح ٣ باب ١٢.
(٦) الوسائل ١٧ : ٤١ ح ٦ باب ٢٥.



المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير وآجله، وشركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، يقول الله عزَّ وجلَّ:

«قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ آللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»[1].

سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، فأكلوا من أفضل ما يأكلون، وشربوا من أفضل ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا بأفضل ما يسكنون، وتزوّجوا بأفضل ما يتزوّجون، وركبوا من أفضل ما يركبون.

أصابوا لذّة الدنيا مع أهل الدنيا، وتيقّنوا انّهم غداً من جيران الله عزَّ وجلَّ، ويتمنّون عليه ما يردّ لهم دعوة، ولا ينقص لهم لذة، أما في هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل ...[2].

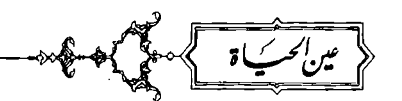
واعلم انه قد كثرت الأحاديث في مدح الحلوى والفواكه واللحوم وسائر المأكولات والمشروبات والنِعَم، ومدح أيضاً قلّة الأكل مدحاً بليغاً، ووردت أخبار كثيرة في ذمّ كثرة الأكل لأنها تسبب ثقلاً للانسان حتى تفوته العبادة، وكذلك ذُم الاكل على الشبع.

ومن القبيح الحرص عليها وطلبها دائماً، وصرف العمر الشريف لتحصيلها، وكذلك التقيد بتركها أجمع لا يكون حسناً، ولا يحسن أيضاً ترك الطعام المقوّى للجسم والعقل وسائر القوى، لأن الجسم في الحقيقة مَرْكَبُ النفسِ لتحصيل

---

(١) الاعراف: ٣٢.

(٢) البحار ٣٣: ٥٤٤ ضمن حديث ٧٢٠ باب ٣٠ ـ عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.



الكمال، وسائر الأعمال، فاذا ضعف الجسم ضعفت وعُطلّت، بل حتى في العبادة لابد أن لا يتعب الجسم فيضعف.

كما لو سار شخص على فرس في كلّ يوم خمسة فراسخ وفي الضمن يتوقف كي يستراح الفرس، ويعطيه الأكل الجيد فسوف يوصله إلى المقصد بخلاف ما لو سار به في اليوم ثلاثون أو أربعون فرسخاً، فانّه سوف لا يصل إلى مقصده.

كما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبتّ[1] الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى[2].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة[3].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: مرّ بي أبي بالطواف وأنا حدث وقد اجتهدت في العبادة، فرآني وأنا أتصابّ عرقاً، فقال لي: يا جعفر يا بنيّ انّ الله إذا أحبّ عبداً أدخله الجنّة، ورضي عنه باليسير[4].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

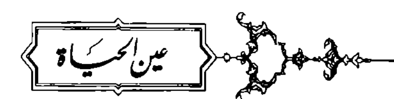
ولابدأيضاً أن لا يضعَف العقل ... لأنه المدار لتمييز الأمور، ومتى ما ضعف فسرعان ما ينخدع بأهل الباطل، كما انّ أحاديث ترك اللحم تشعر إلى هذا الأمر، وحسب الظاهر انّ الشيطان وسوس لبعض الصوفية ترك أكل اللحم المخالف

(١) يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت به راحلته قد انبتّ، من البت بمعنى القطع .

(٢) الكافي ٢ : ٨٦ ح ١ ـ عنه البحار ٧١ : ٢١١ ح ٣ باب ٦٦ .

(٣) الكافي ٢ : ٨٦ ح ٢ ـ عنه البحار ٧١ : ٢١٣ ح ٤ باب ٦٦ .

(٤) الكافي ٢ : ٨٦ ح ٤ ـ عنه البحار ٧١ : ٢١٣ ح ٦ باب ٦٦ .



لطريقة الشرع، فبعد ما بقوا أربعين يوماً في جحر وضعفت قواهم تستولي علىٰ عقولهم الأوهام والتخيلات، فيتصوّرون أموراً خيالية كالمريض المبتلى بالهذيان، ويزعمون انّها كمالاً لضعف عقلهم.

وكذلك يصدقون كلّ ما قاله مرشدهم وشيخهم لازدياد قوّة الوهم وضعف العقل فيهم لمكثهم في ذلك الجحر مدّة طويلة، وكذلك يصدقونه بعد ما خرجوا، فلو قال لهم انّي ذهبت في الليلة الماضية إلى العرش خمس مرات لصدّقوه من دون برهان، وهذا كلّه من ضعف العقل.

روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: ما أخلص عبد لله عزَّ وجلَّ أربعين صباحاً الّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه[1].

وروي في حديث آخر عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: ما أخلص العبد الايمان بالله عزَّ وجلَّ أربعين يوماً ـ أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عزَّ وجلَّ أربعين يوماً ـ الّا زهّده الله عزَّ وجلَّ في الدنيا، وبصّره داءها ودواءها، فأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، ثم تلا:

«إِنَّ الَّذِينَ ٱتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ»[2].

فلا ترى صاحب بدعة الّا ذليلاً، ومفترياً علىٰ الله عزَّ وجلَّ وعلىٰ رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلىٰ أهل بيته صلوات الله عليهم الّا ذليلاً[3].

وجَعَلَ أهل البدع هذين الحديثين حجة لهم علىٰ خصمهم أي أهل الحق،

(١) البحار ٧٠: ٢٤٢ ح ١٠ باب ٥٤ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

(٢) الاعراف: ١٥٢.

(٣) الكافي ٢: ١٦ ح ٦ باب الاخلاص ـ عنه البحار ٧٠: ٢٤٠ ح ٨ باب ٥٤.

وذلك لجهلهم فلا يعلمون انهما لا دخل لهما في ما يدّعونه، لأنّك كما عرفت في أوّل الكتاب انّ الاخلاص هو خلوص العمل عن شوائب الرياء، والسعي لجعل أفعاله وأعماله وأقواله موافقة لرضى الله تعالى، وعدم اختلاط نيته بالأغراض الفاسدة بل ينوي القربة حتى في الأعمال المباحة.

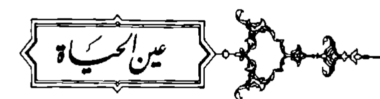
مثلاً لو ذهب إلى الكنيف فليخلص نيته بانّه يذهب إليه ليطهر عند العبادة ويؤدّيها بحضور القلب، فيصبح العمل بهذه النية عبادة ان كان صادقاً في النية، وإذا ذهب إلى السوق يذهب امتثالاً لأمر الله تعالى بطلب الرزق، وكذلك في جميع الأمور.

إذن يحصل الاخلاص إذا كان العمل لله ووافق رضاه، أما لو جاء ببدعة في سبيل الله، فالله تعالى بريء منه ومن عمله، اذاً لابد أن يعلم أيّ الأعمال يريدها الله حتى يفعلها له، ولقد أوضحنا هذا المعنى في الفصول السابقة.

ولعمري لا أعلم ماذا يستفيد صاحب البدعة من كلمة «أربعون يوماً»، ومن الظاهر أنّه لو استمرّ شخص علىٰ لعبة المصارعة أربعين يوماً فانّه لا يدخل في الحديث، وأشار الامام عليه السّلام في الحديث الثاني حيث ذمّ أهل البدع إلى هذا المعنى.

وبعد ما بيّنا لك معنى الاخلاص لأذعنت صعوبة البقاء أربعين يوماً علىٰ هذه الحالة، والفائز بهذه السعادة هو الذي أخلص عمله لله عن علم وفهم، ولا سبيل للبدعة في أعماله، فتجري ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه، وان عمل طبقاً للبدع لجرت ينابيع الضلالة علىٰ لسانه من قبل الشيطان.

ويوجد كثيراً من العباد والزّهاد في أهل الحق ولا يُحتسبون علىٰ الصوفية،



وذلك لاستقامتهم علىٰ الطريق الحق وعلمهم بطرق القرب إلى الله، وبالعبادات والمناجات والطاعات كسلطان العلماء والمحققين، وبرهان الأصفياء والكاملين الشيخ صفيّ الدين، وسيّد الأفاضل ابن طاووس، وزبدة المتعبدين ابن فهد الحليّ.

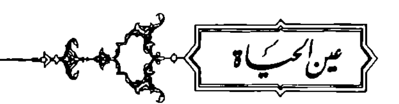
والشهيد السعيد الشيخ زين الدين رضوان الله عليهم أجمعين وغيرهم من الزهاد السائرين في طريق الرياضة والعبادة والطاعة طبقاً لقانون الشرع المقدس النبوي، وتوجّهوا إلى العبادة والرياضة وإلى هداية الخلق وارشادهم بعد الكمال في علوم الدين، ولم تُنقل عنهم بدعة، فلذا لم يذكر الملّا جامي في النفحات أحداً منهم، ولم يجعلهم من الصوفية مع كونهم أشهر من الشمس، وأُضيء العالم بنور آثارهم وتصانيفهم وسيبقى معموراً إلى قيام الساعة ببركاتهم.

وسعوا في ترويج مذهب أهل البيت عليهم السلام سعياً بليغاً، وبذلوا أنفسهم في هذا الطريق، وسعى في قبالهم الصوفية علىٰ هدم الدين سعياً بليغاً، وقد سمعت معارضات سفيان الثوري، وعباد البصري وغيرهما من الصوفية مع الأئمة عليهم السلام، عارضوا وجادلوا العلماء بعد عصر الأئمة ولا يزالون كذلك، هدى الله جميع طلاب الحق إليه بمحمد وآله الطاهرين.

اللمعة التاسعة

في حرمة الغناء

اعلم انّه لا خلاف في حرمة الغناء عند علماء الشيعة، ونقل الشيخ الطوسي والعلامة وابن ادريس رحمهم الله الاجماع على حرمته، وهذا دأب علماء الشيعة



دائماً، لكن وقع الخلاف فيه بين علماء العامة، فاعتقد بعضهم بل أكثرهم بحرمته، وحلّله بعض علمائهم وبعض الصوفية، والأحاديث على حرمته كثيرة، وظاهر بعضها انّه من الذنوب الكبيرة.

روى الكليني بسند صحيح وسند حسن عن أبي عبدالله عليه السّلام في تفسير قوله تعالى: «**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**»[1] قال: الغناء[2].

وروي بسند حسن عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: الغناء ممّا وعد الله عزَّ وجلَّ عليه النار وتلا هذه الآية: «**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**[3]»[4].

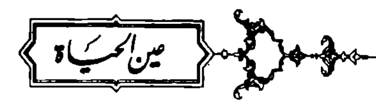
وقد ورد في الأحاديث ان الكبيرة ما أوعد الله عليها النار، والغناء أوعد عليه النار فيكون إذن من الكبائر.

وروي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: الغناء ممّا قال الله: «**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**[5]»[6].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام بسند صحيح انّه قال: بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا يدخله إلملك[7].

وروي بسند صحيح عن الريان بن الصلت انّه قال: سألت الخراسانيّ عليه

(١) الفرقان: ٧٢.
(٢) الكافي ٦: ٤٣١ ح ٦ باب الغناء ـ الوسائل ١٢: ٢٢٦ ح ٥ باب ٩٩.
(٣) لقمان: ٦.
(٤) الكافي ٦: ٤٣١ ح ٤ باب الغناء ـ الوسائل ١٢: ٢٢٦ ح ٦ باب ٩٩.
(٥) لقمان: ٦.
(٦) الكافي ٦: ٤٣١ ح ٥ باب الغناء ـ الوسائل ١٢: ٢٢٦ ح ٧ باب ٩٩.
(٧) الكافي ٦: ٤٣٣ ح ١٥ باب الغناء ـ الوافي ١٧: ٢١٤ ح ٢٣ باب ٣٤.



السلام وقلت: انّ العبّاسي[1] ذكر انّك ترخّص في الغناء.

فقال: كذب الزنديق ما هكذا قلت له، سألني عن الغناء فقلت له: انّ رجلاً أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الغناء، فقال: يا فلان اذا ميّز الله بين الحق والباطل فأنّىٰ يكون الغناء؟ فقال: مع الباطل، فقال: قد حكمت[2].

وروي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: الغناء مجلس لا ينظر الله إلى أهله، وهو مما قال الله عزَّ وجلَّ: **«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ»**[3].

وروي بسند صحيح عن مسعدة بن زياد انّه قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقال له رجل: بأبي أنت وأمّي انني أدخل كنيفاً لي، ولي جيران عندهم جوار يتغنين ويضربن بالعود، فربّما أطلت الجلوس استماعاً منّي لهنّ.

فقال: لا تفعل، فقال الرجل: والله ما آتيهنّ انّما هو سماع أسمعه بأذني، فقال: لله أنت أما سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول: **«اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً»**[4].

فقال: بلى والله لكأنّي لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله من أعجميّ ولا عربيّ، لا جرم انني لا أعود إن شاء الله، وانّي أستغفر الله.

فقال له: قم فاغتسل وسل ما بدا لك، فانّك كنت مقيماً علىٰ أمر عظيم، ما كان أسوء حالك لو متّ علىٰ ذلك، أحمد الله وسله التوبة من كلّ ما يكره، فانّه لا

---

(١) هكذا في الرواية، وورد في المتن الفارسي «انّ هشام بن ابراهيم».
(٢) الكافي ٦: ٤٣٥ ح ٢٥ باب الغناء ـ الوسائل ١٢: ٢٢٧ ح ١٣ باب ٩٩.
(٣) الكافي ٦: ٤٣٣ ح ١٦ باب الغناء ـ الوسائل ١٢: ٢٢٨ ح ١٦ باب ٩٩.
(٤) الاسراء: ٣٦.

يكره الّا كلّ قبيح، والقبيح دعه لأهله فإنّ لكلٍّ أهلاً[1].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام في تفسير قوله تعالى: «وَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ»[2] قال: الغناء[3]، [أي انّ المراد من القول الزور هو الغناء].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: الغناء عشّ النفاق[4].

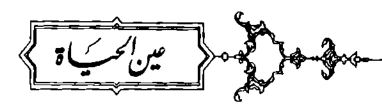
وروي في حديث آخر انّه عليه السّلام سُئل عن الغناء ... فقال: لا تدخلوا بيوتاً الله معرض عن أهلها[5].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: استماع الغناء واللهو ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء الزرع[6].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: اقرؤوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، واياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فانّه سيجيء من بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبه شأنهم[7].

وروىٰ عليّ بن ابراهيم في حديث طويل علامات آخر الزمان عن النبيّ صلّى

(١) الكافي ٦: ٤٣٢ ح ١٠ باب الغناء ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٨٠ ح ١٧٧.
(٢) الحج: ٣٠ وفيه: «فاجتنبوا الرجس».
(٣) الكافي ٦: ٤٣١ ح ١ باب الغناء ـ الوافي ١٧: ٢٠٨ ح ٩ باب ٣٤.
(٤) الكافي ٦: ٤٣١ ح ٢ باب الغناء ـ الوافي ١٧: ٢١٠ ح ١٤ باب ٣٤.
(٥) الكافي ٦: ٤٣٤ ح ١٨ باب الغناء ـ الوافي ١٧: ٢١٥ ح ٢٦ باب ٣٤.
(٦) الكافي ٦: ٤٣٤ ح ٢٣ باب الغناء ـ الوافي ١٧: ٢١٦ ح ٣١ باب ٣٤.
(٧) الكافي ٢: ٦١٤ ح ٣ ـ الوسائل ٤: ٨٥٨ ح ١ باب ١٤ ـ مجمع البيان ١: ٣٤.



الله عليه وآله وسلّم لسلمان، ومنها انّه قال: ... ويتغنّون بالقرآن ...[1].

وسُئل أبي عبدالله عليه السّلام عن بيع الجواري المغنيات، فقال: شراؤهنّ وبيعهنّ حرام، وتعليمهنّ كفر، واستماعهنّ نفاق[2].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: المغنيّة ملعونة، ملعون من أكل كسبها[3].

وورد في كتاب عيون أخبار الرضا، عن الامام الرضا عليه السّلام انّه سئل عن السماع، فقال: لأهل الحجاز رأي فيه وهو في حيّز الباطل واللهو، أما سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول: «**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً**[4]»[5].

وروي بسند معتبر عن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام انّه قال: من نزّه نفسه عن الغناء فإنَّ في الجنة شجرة يأمر الله عزَّ وجلَّ الرياح أن تحركها، فيسمع لها صوتاً لم يسمع بمثله، ومن لم يتنزّه عنه لم يسمعه[6].

وروىٰ عليّ بن ابراهيم بسند صحيح عن عاصم بن حميد انّه قال: قلت: لأبي عبدالله عليه السّلام: جعلت فداك انّي أُريد أن أسألك عن شيء أستحي منه، قال: سل، قلت: في الجنّة غناء؟

قال: انّ في الجنّة شجراً يأمر الله رياحها فتهبّ، فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها حسناً. ثم قال: هذا عوض لمن ترك السماع في

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣٠٦ (سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم)، عنه البحار ٦: ٣٠٨ ح ٦ باب ١ ـ الوسائل ١٢: ٢٣١ ح ٢٧ باب ٩٩.

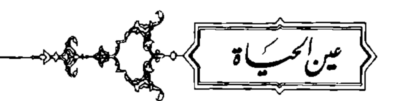
(٢) الكافي ٥: ١٢٠ ح ٥ ـ التهذيب ٦: ٣٥٦ ح ١٣٩ باب ٩٢ ـ الاستبصار ٣: ٦١ ح ١ باب ٣٦.

(٣) الكافي ٥: ١٢٠ ح ٦ ـ التهذيب ٦: ٣٥٧ ح ١٤١ باب ٩٢ ـ الاستبصار ٣: ٦١ ح ٣ باب ٣٦.

(٤) الفرقان: ٧٢.

(٥) البحار ٧٩: ٢٤٤ ح ١٦ باب ٩٩ ـ الوسائل ١٢: ٢٢٩ ح ١٩ باب ٩٩ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

(٦) الكافي ٦: ٤٣٤ ح ١٩ ـ الوسائل ١٢: ٢٣٦ ح ٣ باب ١٠١.



الدنيا من مخافة الله ...[1].

وروى ابن بابويه بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: الغناء يورث النفاق، ويعقّب الفقر[2].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: ... كثرة الاستماع إلى الغناء يورث الفقر[3].

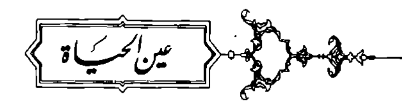
وروى بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السلام انّه سُئل عن قول الزور، قال: منه قول الرجل للذي يغنّي: أحسنت[4].

وقد وردت أحاديث أخر في حرمة الغناء، ويكفي لأرباب البصائر وأصحاب الانصاف أقلّ من هذا.

واعلم انّ أكثر العلماء واللغويين فسّر الغناء بترجيع الصوت الذي يُطرب من سمعه، وفسّروا الترجيع بتكرار الصوت في الحلق، وقيل انّ الطرب حالة تحصل عند الفرح وعند الحزن، واكتفى بعض العلماء واللغويين بالترجيع فقط، ولم يلحظوا الطرب، ويُسمّى الغناء وما شابهه في الفارسي «سرود»، والعرب إذا أرادت أن يغنّي لها شخص تقول له: تغنّ.

فعلم الآن انّ كلّ قراءة فيها ترجيع الصوت، وسببت الفرح أو الحزن محرّمة الّا ما يُستثنى، وذهب جمع كثير إلى حرمتها وإن لم تُطرِب، وربّما وُجد شخص لا يطرب لأيّ صوت، كما لو عُرّف العسل بانّه شيء حلو يلتذ به، ووجد من لم يلتذ

(١) البحار ٧٩: ٢٤١ ح ٦ باب ٩٩ عن تفسير القمي.
(٢) الخصال: ٢٤ ح ٨٤ باب ١ ـ عنه البحار ٧٩: ٢٤١ ح ٧ باب ٩ ـ الوسائل ١٢: ٢٢٩ ح ٢٣ باب ٩٩.
(٣) الخصال: ٥٠٥ ح ٢ باب ١٦ ـ عنه البحار ٧٩: ٢٤٣ ح ١٢ باب ٩٩.
(٤) معاني الأخبار: ٣٤٩ ح ٢ ـ عنه البحار ٧٩: ٢٤٥ ح ٢١ باب ٩٩ ـ الوسائل ١٢: ٢٢٩ ح ٢١ باب ٩٩.



به فلا يكون النقص في التعريف.

والظاهر عدم انطباق حكم الغناء علىٰ قراءة القرآن، فيما لو قُرئ بحزن من دون ترجيع في الصوت، وتُحمل الأحاديث الواردة في قراءة القرآن بالحزن علىٰ هذا المعنى، وكذلك الأحاديث التي تشير إلى تلاوة الأئمة عليهم السلام بالحزن، والأحاديث الدالة على جواز الترجيع في القرآن لا تقاوم الأحاديث المعارضة لها وتُحمل علىٰ التقية، ولم نر من علمائنا من استثنى القرآن في باب الغناء.

واعلم انّ أكثر العلماء استثنوا حدي الأبل عن حرمة الغناء، وحرّمه بعض علمائنا لضعف السند، وكذلك حصل الخلاف في غناء المرأة للنساء في الأعراس، فاعتقد بعضهم بحلّيته، وذهب ابن ادريس والعلامة في التذكرة إلى حرمته، ولكن في حلّيته حديث معتبر.

وكذلك جوّز نوح النساء في المآتم إن لم يكن فيه كذب، وذكر الشيخ عليّ رحمه الله انّ بعض العلماء جوّز الترجيع في مراثي سيد الشهداء عليه السلام، لكن الاحتياط في الدين يقتضي اجتناب هذه الأمور جميعاً، بمقتضى عموم الأحاديث الماضية.

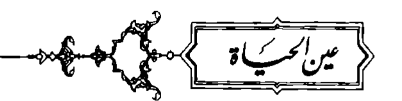
اللمعة العاشرة

في الذكر

اعلم انّ لذكر الله أنواعاً:

الأول: ذكره في المعاصي وتركها لأجله.

الثاني: ذكره في الطاعة ليأتي بها وتسهل عليه مشاقّها.



الثالث: ذكره في حال الرفاه والنعيم كي لا تنسه وفور النعم ذكر الله فيشكره.

الرابع: ذكره في البلاء والمحن كي يتضرّع إليه، ويصبر علىٰ البلاء.

الخامس: ذكره في القلب بالتفكر في صفاته الكمالية، وفي آلائه ونعمه، وفي الدين الحق، ومعاني القرآن، وأحاديث الرسول وأهل البيت عليهم السّلام، وبالتفكر في الآخرة، ومكارم الأخلاق، وعيوب النفس، وسائر ما أمر الله تعالى بالتفكر فيه، فهذا كلّه من الذكر.

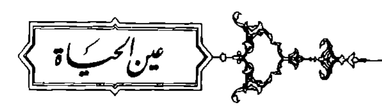
السادس: ذكره باللسان، وله أنواع كمذاكرة العلوم الحقة والآيات، والأخبار، والتدريس، وذكر ما أوردناه سابقاً للناس، وذكر أهل البيت عليهم السّلام، وتلاوة القرآن، والدعاء، والمداومة علىٰ أسماء الله الواردة من الشرع بالآداب التي يرتضيها الشارع المقدس من دون بدعة، ولابد للقلب أن يكون عالماً بمايجري علىٰ اللسان من الذكر، ولهذه المضامين أحاديث كثيرة.

فقد روي بسند معتبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن(١).

وروي بأسانيد معتبرة عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: أشد الأعمال ثلاثة: انصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى لها منهم بشيء الّا رضيت لهم منها بمثله، ومواساتك الأخ في المال، وذكر الله علىٰ كلّ حال.

ليس «سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر» فقط، ولكن إذا ورد

(١) معاني الأخبار: ٣٩٩ ح ٥٦ باب النوادر ـ عنه البحار ٩٣: ١٥٦ ح ٢٢ باب ١.



عليك شيء أمر الله به أخذت به، وإذا ورد عليك شيء نهى عنه تركته[1].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: انّ في التوراة مكتوباً: يا ابن آدم أذكرني حين تغضب، أذكرك عند غضبي ...[2].

وروي عن موسى بن جعفر عليه السّلام انّه قال: ليس شيء أنكى[3] لابليس وجنوده من زيارة الاخوان في الله بعضهم لبعض.

قال: وانّ المؤمنين يلتقيان فيذكران الله، ثم يذكران فضلنا أهل البيت فلا يبقى علىٰ وجه ابليس مضغة لحم الّا تخدّد[4] حتى انّ روحه لتستغيث من شدّة ما يجد من الألم، فتحسّ ملائكة السماء وخزّان الجنان فيلعنونه حتى لا يبقى ملك مقرّب الا لعنه، فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً[5].

وروي بسند معتبر عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: الصبر صبران، صبر عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك الصبر عندما حرّم الله عزّ وجلّ عليك.

والذكر ذكران، ذكر الله عزّ وجلّ عند المصيبة، وأفضل من ذلك ذكر الله عندما حرّم عليك، فيكون حاجزاً[6].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: ما اجتمع في مجلس قومٌ لم يذكروا الله عزّ وجلّ

---

(١) معاني الأخبار: ١٩٣ ح ٤ ـ عنه البحار ٩٣: ١٥٥ ح ١٨ باب ١.
(٢) الكافي ٢: ٣٠٤ ح ١٠ باب الغضب.
(٣) في القاموس: نكى العدوّ وفيه نكاية: قتل وجرح.
(٤) خدد لحمه وتخدّد: هزل ونقص.
(٥) الكافي ٢: ١٨٨ ح ٧ ـ عنه البحار ٧٤: ٢٦٣ ح ٦١ باب ١٥.
(٦) الكافي ٢: ٩٠ ح ١١ ـ عنه البحار ٧١: ٧٥ ح ٨ باب ٦٢.

ولم يذكرونا الّاكان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة، ثم قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: انّ ذكرنا من ذكر الله، وذكر عدوّنا من ذكر الشيطان[1].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: انّ الصواعق لا تصيب ذاكراً، قال: قلت: وما الذاكر؟ قال: من قرأ مائة آية[2].

ولما عُلم حقيقة الذكر، فاعلم انّ ذكرين شاعا في الصوفية وكلاهما بدعة، وزعموا انّها أحسن العبادة، فصرفوا أوقات عمرهم فيها وضيّعوه وأضلّوا الناس.

الأول: الذكر الجلي وهو يشتمل علىٰ أمور:

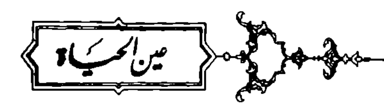
الف: انّ هذا النحو من العبادة لم يصل إلينا من الشارع، وقد ورد الذكر الجلي في الآيات والأخبار علىٰ خلاف ما يعتقدونه، لأنّ الله تعالى يقول: «**اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً اِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**»[3].

ويقول في مكان وآخر: «**وَاذْكُرْ رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ**»[4].

ونُقل انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سمع جمعاً يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل، فمنعهم منعاً بليغاً وقال لهم: أما انكّم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، انّما تدعون سميعاً قريباً معكم[5].

وروي بأسانيد صحيحة عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: ... لما ناجى الله عزَّ

(١) الكافي ٢: ٤٩٦ ح ٢ ـ الوسائل ٤: ١١٨٠ ح ٣ باب ٣.
(٢) الكافي ٢: ٥٠٠ ح ٢ ـ الوسائل ٤: ١١٨٦ ح ٢ باب ٩.
(٣) الاعراف: ٥٥.
(٤) الاعراف: ٢٠٥.
(٥) الوسائل ٤: ١١٨٩ ح ٥ باب ١١ عن عدّة الداعي.



وجلّ موسى بن عمران عليه السّلام قال موسى: يا ربّ أبعيد أنت منّي فأُناديك، أم قريب فأُناجيك؟ فأوحى الله جلّ جلاله: أنا جليس من ذكرني ...[١].

وروي بسند معتبر انّ أبا عبدالله عليه السّلام قال: شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً[٢].

وروي بسند معتبر آخر عنه عليه السّلام انّه قال: قال الله عزَّ وجلَّ: من ذكرني سرّاً ذكرته علانية[٣].

وروي بسند معتبر عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: من ذكر الله عزَّ وجلَّ في السرّ فقد ذكر الله كثيراً، انّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السرّ، فقال الله عزَّ وجلَّ:

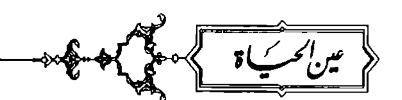
﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٤][٥].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السّلام: ... لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله عزَّ وجلَّ لعظمته[٦].

فعلم الآن من هذه الآيات والأحاديث انّ ذكر الله تعالى بهذا النوع من الصياح، ورفع الصوت ليس بحسن عند الشرع، وقد علمت في تعريف البدعة انّ تحسين الأمور التي لم ترد من الشرع واتيانها بكونها عبادة من البدع.

---

(١) البحار ٩٣: ١٥٣ ح ١١ و١٢ باب ١.
(٢) الكافي ٢: ٤٩٩ ح ٢ ـ الوسائل ٤: ١١٨٤ ح ١ باب ٦.
(٣) الكافي ٢: ٥٠١ ح ١ ـ الوسائل ٤: ١١٨٨ ح ٢ باب ١١.
(٤) النساء: ١٤٢.
(٥) الكافي ٢: ٥٠١ ح ٢ ـ الوسائل ٤: ١١٨٨ ح ٣ باب ١١.
(٦) الكافي ٢: ٥٠٢ ح ٤ ـ الوسائل ٤: ١١٨٨ ح ١ باب ١١.



ب: انّهم يغنّون في الأذكار، ويقرؤون الأشعار الغرامية كذلك، وهذا حرام باجماع علمائنا كما علمت في باب الغناء، مع قطع النظر عن سائر الأعمال الشنيعة كالتصفيق الذي ذمّ الله تعالى الكفار عليه، والرقص المذموم شرعاً وعقلاً عند الجميع.

ج: انّهم يفعلون هذه الأمور في المساجد، وانشاد الشعر في المسجد مذموم ومكروه، كما روي بسند معتبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: من سمعتموه ينشد الشعر في المساجد فقولوا: فضّ الله فاك انّما نصبت المساجد للقرآن[1].

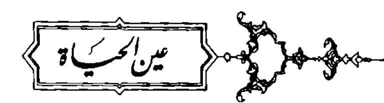
ونُهي أيضاً عن رفع الصوت في المسجد، وهؤلاء القوم يفعلون هذه الأمور في ليلة الجمعة ويومها، والشعر مكروه في ليلة الجمعة مطلقاً وكذلك في يوم الجمعة، كما روي في حديث صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: من أنشد بيتَ شعرٍ يوم الجمعة فهو حظّه من ذلك اليوم[2].

وإذا قيل لهم انّ هذه الأعمال بدعة، قالوا: يحصل لنا منها قُرب آخر، فيصيحون ويخرج الزبد من فمهم كالحيوانات ويظهرونها كمالاً عند العوام، ولكن كما قلنا في باب القرب انّها تخيلات واهية، والقرب إلى الله منحصر بمتابعة الشرع.

والحركات التي تصدر عنهم ويسمّونها بالحال والوجد علىٰ أقسام، قسم منها لوجود التخيّلات الباطلة والعشق المجازي في نفوسهم، فمتى ما سمعوا هذه الأصوات الحسنة طغت عندهم تلك الأمور، فيطربون ويضطربون، فهذا لا

(١) الكافي ٣: ٣٦٩ ح ٥ ـ الوسائل ٣: ٤٩٢ ح ١ باب ١٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٤٢٣ ح ١٢٤٩.



يختص بهم بل يكون في مجالس الرقص والخمر والغناء أيضاً.

فقد روي بسند معتبر عن الامام الرضا، عن آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم قال: انّ ابليس كان يأتي الأنبياء عليهم السّلام من لدن آدم عليه السّلام إلى أن بعث الله المسيح عليه السّلام، يتحدث عندهم ويسائلهم، ولم يكن بأحد منهم أشدّ أنساً منه بيحيى بن زكريّا.

فقال له يحيى: يا أبا مرّة انّ لي إليك حاجة، فقال له: أنت أعظم قدراً من أن أردك بمسألة، فسلني ما شئت فانّي غير مخالفك في أمر تريده، فقال يحيى: يا أبا مرّة أُحبّ أن تعرض عليّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم، فقال له ابليس: حبّاً وكرامة، وواعده لغد.

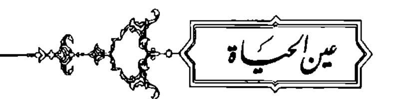
فلمّا أصبح يحيى عليه السّلام قعد في بيته ينتظر الموعد، وأجاف عليه الباب اغلاقاً، فما شعر حتى ساواه من خوخة[1] كانت في بيته، فاذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وفمه مشقوق طولاً، وإذا أسنانه وفمه عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيد؛ يدان في صدره ويدان في منكبه.

وإذا عراقيبه[2] قوادمه، وأصابعه خلفه، وعليه قباء، وقد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة من بين أحمر وأخضر وأصفر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلّقة شبيهة بالكلّاب.

فلمّا تأمّله يحيى عليه السّلام قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال: هذه

(١) الخوخة: كوّة تؤدي الضوء إلى البيت.

(٢) العراقيب جمع العرقوب، وهو عصب غليظ فوق عقب الانسان.



المجوسيّة، أنا الذي سننتها وزينتها لهم، فقال له: فما هذه الخيوط الألوان؟ قال: هذه جميع أصباغ النساء، لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتى يقع مع لونها، فأفتتن الناس بها.

فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال: هذا مجمع كل لذة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وانّ القوم ليجلسون علىٰ شرابهم فلا يستلذّونه فأُحرّك الجرس فيما بينهم، فاذا سمعوه استخفّهم الطرب، فمن بين من يرقص، ومن بين من يفرقع أصابعه، ومن بين من يشق ثيابه.

فقال هل: وأيّ الأشياء أقرّ لعينك؟ قال: النساء، هنّ فخوخي ومصائدي، فانّي إذا اجتمعت عليّ دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهنّ، فقال له يحيى عليه السلام: فما هذه البيضة علىٰ رأسك؟ قال: بها أتوقّى دعوة المؤمنين، قال: فما هذه الحديدة التي أراها فيها؟ قال: بهذه اُقلّب قلوب الصالحين.

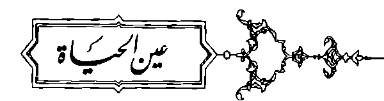
قال يحيى عليه السلام: فهل ظفرت بي ساعه قطّ؟ قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيى: فما هي؟ قال: أنت رجل أكول، فاذا فطرت أكلت وبشمت[1]، فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل.

قال يحيى عليه السلام: فانّي أُعطي الله عهداً انّي لا أشبع من الطعام حتى ألقاه، قال له ابليس: وأنا اعطي الله عهداً انّي لا أنصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك[2].

---

(١) البشم ـ محرّكة ـ: التخمة والسآمة (قاموس المحيط).

(٢) أمالي الطوسي: ٣٣٨ ح ٣٢ مجلس ١٢ ـ عنه البحار ١٤: ١٧١ ح ١٢ باب ١٥.



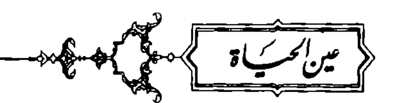
وقسم آخر منها تكون مكراً وخدعة، وما أكثر ما رأينا أن جلسوا على سطح وجاءتهم هذه الحالة لا يقذفون أنفسهم من أعلى السطح بل يميلون إلى الجانب الآخر، وهذا يُشعر عن الاختيار في الأفعال.

وقسم آخر منها تكون مرضاً بترك القوى الحيوانية، وضبط النفس على الذكر الخفي، وسائر البدع الموجبة لضعف القلب والعقل، فيندهشون بأدنى صوت حسن أو موحش أو شيء فيه فرح وسرور أو حزن، وتصدر عنهم تلك الحركات المضطربة، فهذه ناشئة عن المرض وعلاجه ترك البدع واستعمال الأدوية المقوّية، وتظهر هذه الحالات في بعض النساء لضعف المزاج، لكن الفرق انّهنّ يذهبن إلى علاجه، وهؤلاء يسعون في زيادته.

وقسم آخر منها يكون مبدأها اختيارياً ثم يصير لا ارادياً في الختام. لقد وضع البكاء للانسان فيما لو اشتد حزنه أو فرحه فيدفعهما بالبكاء، وهذه هي طريقة العبّاد في مقام المناجات مع قاضي الحاجات، ولهم ضجة وشوق بحيث يبكون ويصرخون من أوّل الليل إلى آخره، ولم تظهر عليهم أيّ حالة من هذه الحالات، لأنّهم سلكوا طريق العبادة صحيحاً، وليس للشيطان عليهم سبيل، وقد نُقل عن أئمتنا عليهم السّلام هذه الطريقة أيضاً.

ولكن هؤلاء القوم يقولون إنّ البكاء عمل العجائز وليس بكمال، فيمنعون أنفسهم عن البكاء، ويلجؤون إلى التخيلات حتى يُغمى عليهم بعد صدور تلك الحركات وفي الختام يلجؤون إلى البكاء، ولو لجؤوا إليه أول مرّة لما انتهى أمرهم إلى هنا.

روى الكليني وابن بابويه بسند معتبر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام قال:



قلت: انّ قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن، أو حُدّثوا به صعق أحدهم حتى يرى انّ أحدهم لو قطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلك.

فقال: سبحان الله ذاك من الشيطان ما بهذا نعتوا، انّما هو اللين والرقة والدمعة والوجل[1].

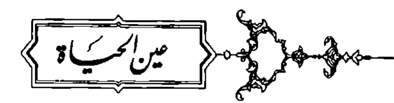
عزيزي كفى شاهداً علىٰ بدعة هذه الأطوار عدم رواية شيعيّ ولا سنّي ولا صوفيّ أنه كان للرسول صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السّلام أو أصحابهم الكرام، وعلماء ملّتهم مطرباً يقرأ لهم، أو كان لهم حلقة ذكر، أو امروا أصحابهم بها، ولو كانت لهذه العبادة هكذا أهمية لماذا لم يأمر الأئمة عليهم السّلام أصحابهم بها.

لكن البدع حلوة للنفس والعبادة ثقيلة عليها، ألا ترى لو قال خمسون عادلاً فاضلاً انّ أبا عبدالله عليه السّلام قال: من صلّى في ليلة الجمعة صلاة جعفر الطيار غفرت ذنوبه، ولها فضائل غير متناهية، فلا يرغب فيها من ألف الانفر، ولكن لو مرّوا بأحد أماكن هؤلاء الأجلاف القائلين «يا رب يا رب» لدخلوا في حلقتهم بكلّ رغبة، وفعلوا أطوارهم إلى الصباح.

أفلا تفكر انّ نفسك متى صارت هكذا راغبة للخيرات؟ ولماذا لم تهتمّ في الخيرات الأُخرى؟ فلا تترك الانصاف، انّك تترك حوالي ألف حديث عن أهل بيت الرسالة عليهم السّلام في فضائل ليلة الجمعة ويومها ـ كما ألّف ابن طاووس رحمه الله كتاباً في هذا الخصوص ـ ولهذه الأدعية والأعمال آلاف الطرق للقرب إلى الله، فلا تنظر إليها وتقضي تلك الليلة ويومها في شيء أجمع علماء العصر علىٰ حرمته، وأنت تعترف انّ الله لم يأمر به، فما عذرك يوم القيامة؟ وبأيّ حجة تنتظر الثواب؟

---

(١) الكافي ٢: ٦١٦ ح ١ ـ أمالي الصدوق: ٢١١ ح ٩ مجلس ٤٤ ـ عنه البحار ٩٢: ٢١٢ ح ٧ باب ٢٦.



وتضمّ أيضاً إلى تعقيب الصلاة ـ المسنون أصله ـ بدعاً أُخر وكأنك لا تريد أن يخرج منك عمل خالص فتستحق عليه الثواب نعوذ بالله!! وقد ورد عن طريق أهل البيت عليهم السّلام حوالي مائة ألف بيتاً من المناجات والأدعية والأذكار والأوراد، فتتركها جمعاء وتقرأ بدلها أوراداً قبيحة لا معنى لها ومضطربة إعراباً.

أفهل هؤلاء الجهّال يعلمون الأذكار والمناجات مع الله أحسن وأكثر من أئمة الدين، وصفوة رب العالمين، وأفصح فصحاء العالمين، انّ الأنبياء كانوا يتمنّون متابعتهم وأن يكونوا من شيعتهم، فأنت تحسب متابعتهم عاراً، وتلجأ إلى تلك الأوراد وتقرأها بالصوت الحسن، ولعلّها غناءً ومحرّمة.

ونُقل انّ رجلاً جاء إلى الامام الصادق عليه السّلام فقال له: جعلت فداك انّي اخترعت دعاء، قال: دعني من اختراعك ...[1] [فنهاه الامام عليه السّلام عن ذلك وعلّمه دعاء وأمره أن يدعو به]

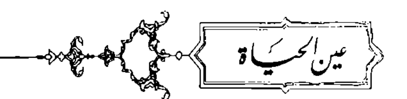
الثاني: الذكر الخفيّ، وهو حسن ومن أفضل العبادات لكن بالمعاني التي ذكرناها سابقاً، بأن يكون قلب الانسان ذاكراً لله دائماً وقد مرّ فضله، لكن ما اخترعه هؤلاء القوم له هيئة مخصوصة، واتيانها على نحو العبادة بدعة ما لم تؤيد بسند معتبر من الشارع ـ كما عرفت ذلك في تعريف البدعة ـ

ولم ترد تلك الهيئة في أيّ حديث من أحاديث الشيعة، ولم نرها في كتب حديث أهل العامة، لكنّهم يقولون انّ معروف الكرخي رواها عن الامام الرضا عليه السّلام، وهذا باطل من وجوه.

الأول: لا يُعلم انّ معروف الكرخي تشرّف بلقاء الامام الرضا عليه السّلام، وما

---

(١) الكافي ٣: ٤٧٦ ح ١، التهذيب ١: ١١٦ ح ٣٧ باب ٥، من لا يحضره الفقيه ١: ٥٥٩ ح ١٥٤٨.



يقال من انّه كان بوّاب الامام فهو خطأ واشتباه، لأنّ جميع خدّامه عليه السّلام وملازميه من الشيعة والسنة ذُكروا في كتب رجالنا، وقد ذُكر أسماء أهل السنة المتعصبين الذين كانوا يأتون إلى الامام ويروون عنه الأحاديث، فلو كان هذا الرجل بـواب الامام لذكروه حتماً.

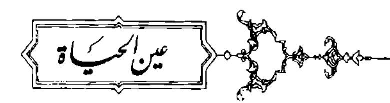
الثاني: انّ سلسلة السند الذي ينتهي إليه باعتقادهم، فيه أشخاص لا يناسب المقام ذكر قبائح أعمالهم واعتقاداتهم، كالسيد محمد نور بخش، فقد ادّعى انّه المهدي، وقال: هذا ما اتفق عليه أولوا الالباب، وغيرهم من المـعروفين بـالبدع والتعصب.

الثالث: لقد سمعنا من مشائخهم انّ للذكر الخفي أنواعاً مختلفة، وكلّ طائفة عملت بنحو منه أخذاً من مشائخهم، فلو كان مروياً لروي بنحو واحد.

الرابع: لماذا لم يُعلّم الأئـمة عليهم السّلام هـذا العـمل الذي بـزعمهم أفـضل العبادات بل يكون أكثر تقرباً إلى الله من الصلاة لسوى معروف الكـرخـي مـن الأصحاب، فلو قالوا انّ سائر الأصحاب لم تكن لهم أهليّة ذلك، نقول: إذا لم يكن مائة ألف شخص من أصحاب الامام الرضا عليه السّلام مؤهّلاً سوى معروف، فلماذا يعلّمونه لكلّ أحد من العوام [ولا يقتصرون على من كان مؤهّلاً]؟

الخامس: لو كان معروف أهلاً لهذا السرّ ولم يكن سلمان وأبوذر أهلاً لذلك لكان أفضل منهما، بل لابد أن يورد لمعروف في قبال خمسمائة حديث بل ألف حديث في شأن سلمان ولو حديثان على الاقل فـي شأنـه وفـضله، ولَـعَدَّهُ ولو شخص من الرواة وعلماء الرجال من خواص أصحابه عليه السّلام.

السادس: على فرض الصحة لكان هذا الحديث حديثاً مجهولاً، وليس من



الدين ويعتبر هجراً للمتواتر الوارد عن الأئمة عليهم السّلام وأخذاً بما رواه مجاهيل لم يُعرفوا.

ونحن نكتفي في هذا الباب بهذا المقدار، فإنّ التطويل يوجب الملل.

ولو طهّر شخص نفسه من الأغراض النفسانيّة، والوساوس الشيطانيّة، وحبّ الجاه، واعتبار هذه الدنيا الفانية، ونظر بعين الانصاف لكفاه ما ذكرنا في هذه اللمع العشرة علىٰ وجه الاختصار، ولو جاء بقدم التعصب والعناد واللجاج لم يكفه أكثر من هذا ... ولا يغرنّك الشيطان ان هذه طريقة أكثر الناس، فهذا دليل البطلان لا الحقيقة.

كما روي عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال: لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله، فإنّ أهل الباطل كثيرون دائماً وأهل الحق قليلون دائماً، وانّ الله تعالى مدح في القرآن القليل وذمّ الكثير[1].

يشهد الله وكفى به شهيداً انّ هذا الحقير لم تكن له مع سالكي ذلك الطريق أيّ خصومة دنيوية، ولم تكن بيننا وبينهم أيّ مشاركة في الاعتبارات الفانية، ولم يكن لي غرض من كتابة هذه الأمور سوى رضى الله سبحانه، وكيف يمكن أن تُلحظ الاغراض الدنيوية في مخالفة أكثر الخواص والعوام.

أرجو من فضل الكريم الأزلي هداية سالكي مسالك الجهالة بهذه المواعظ الوافية، والنصائح الشافية، وأسأل الله أن نفوز نحن وهم وجميع المؤمنين بدرجات الكمال والسعادة، انّه علىٰ كلّ شيء قدير.

---

(١) مضمون النص.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أباذر طوبى لأصحاب الألوية يوم القيامة، يحملونها فيسبقون الناس إلى الجنّة ألا وهم السابقون إلى المساجد بالأسحار وغير الأسحار.

يا أباذر الصلاة عمود الدين واللسان أكبر، والصدقة تمحو الخطيئة واللسان أكبر.

انّ الصلاة عمود الدين واللسان أكبر أي انّ ما يصدر من اللسان من العقائد الحقّة والشهادتين وذكر الله أكبر من الصلاة، وهذا اشارة إلى قوله تعالى: «**اِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**»[1].

فانّ باعتقاد بعض المفسرين انّ الصلاة تنهى وتمنع عن الذنوب والقبائح، وذكر الله أكبر من الصلاة.

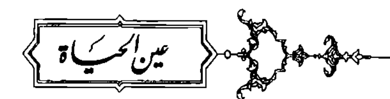
والصدقة تمحو الخطيئة واللسان أكبر، أي انّ ما يصدر من اللسان من الأمر بالخيرات والمبرّات وبيان العلوم والحقائق أكبر من الصدقة، وفوائده أكثر منها.

واعلم انّ الله تعالى جعل المساجد بيوتاً له، انّ الله لم يكن له مكان لكن جعل أماكن بيوتاً له ومحل رحمته، فلو توقّع شخص من شخص آخر احساناً لذهب إلى بيته [وكذلك بالنسبة إلى الله] فإنّ رحمة الله وفيضه في المساجد اكثر من سائر الأماكن.

ويمكن المبالغة في اتيان الصلاة الواجبة بنحو أكمل وأتم في المساجد أكثر

---

(١) العنكبوت: ٤٥.



من غيرها لبعد تلك الصلاة عن الرياء، كما انّ اعطاء الزكاة الواجبة علانية أفضل، لأنّ الرياء لم يكن في إتيان الحق الواجب أو أداء الدين اللازم، لكن في الصلاة المستحبة والصدقة المستحبة فالأفضل اخفاؤها وعدم اظهارها، ويتضح من بعض الأحاديث انّ اتيان النوافل في الدار أفضل.

ويظهر من هذا الحديث وبعض الأحاديث الأُخر انّ اتيان نافلة الليل بل جميع النوافل في المساجد أفضل، ويمكن القول بالأفضليّة في خصوص صلاة الليل لعدم اطّلاع الكثيرين عليها، والخلاصة انّ الذي يأمن من الرياء فالأفضل أن يأتي بالنوافل في المسجد، والذي لا يأمن الرياء فالأفضل أن يؤتيها في داره.

روي بسند معتبر عن الامام محمد الباقر عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لجبرئيل عليه السّلام: يا جبرئيل أيّ البقاع أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: المساجد، وأحبّ أهلها إلى الله أوّلهم دخولاً وآخرهم خروجاً منها[1].

ونُقل انّ في التوراة مكتوباً: انّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطّهر في بيته ثم زارني في بيتي، الا انّ علىٰ المزور كرامة علىٰ الزائر، ألا بشّر المشّائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة[2].

وروي بسند معتبر انّ أبا عبدالله عليه السّلام قال: عليكم باتيان المساجد، فانّها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهّراً طهّره الله من ذنوبه وكتب من زوّاره، فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء، وصلّوا من المساجد في بقاع مختلفة، فإنّ كلّ بقعة تشهد للمصلّي عليها يوم القيامة[3].

---

(١) الكافي ٣: ٤٨٩ ح ١٤ باب النوادر ـ الوافي ٧: ٥١١ ح ١ باب ٦٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٣٩ ح ٧٢٠ ـ الوافي ٧: ٥١٢ ح ٣ باب ٦٩.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٩٣ ح ٨ مجلس ٥٧ ـ عنه البحار ٨٣: ٣٨٤ ح ٥٩ باب ٣٠.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من كان القرآن حديثه، والمسجد بيته بنى الله له بيتاً في الجنّة[1].

وقال: انّ الله تبارك وتعالى إذا رأى أهل قرية قد أسرفوا في المعاصي وفيها ثلاثة نفر من المؤمنين ناداهم جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه: يا أهل معصيتي لولا من فيكم من المؤمنين المتحابين بجلالي، العامرين بصلاتهم أرضي ومساجدي، والمستغفرين بالأسحار خوفاً منّي، لأنزلت بكم عذابي ثم لا أُبالي[2].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: ثلاثة يشكون إلى الله عزَّ وجلَّ: مسجد خراب لا يصلّي فيه أهله، وعالم بين جهّال، ومصحف معلّق قد وقع عليه غبار لا يُقرء فيه[3].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث، قيل: يا رسول الله وما الحدث؟ قال: الاغتياب[4].

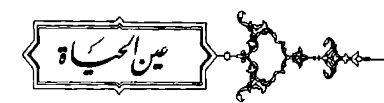
وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: ليس لجار المسجد صلاة إذا لم يشهد المكتوبة في المسجد، إذا كان فارغاً صحيحاً[5].

وروي بسند معتبر عن الفضل البقباق، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: يا فضل لا يأتي المسجد من كلّ قبيلة الاّ وافدها، ومن كلّ أهل بيت الاّ نجيبها.

يا فضل انّه لا يرجع صاحب المسجد بأقلّ من إحدى ثلاث: أما دعاء يدعو

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٠٥ ح ١٦ مجلس ٧٥ـ عنه البحار ٨٣: ٣٨٥ ح ٦٢ باب ٣٠.
(٢) البحار ٨٣: ٣٨٣ ح ٥٧ باب ٣٠ـ عن أمالي الصدوق.
(٣) الخصال: ١٤٢ ح ١٦٣ باب ٣ـ عنه البحار ٨٣: ٣٨٥ ح ٦٣ باب ٣٠.
(٤) أمالي الصدوق: ٣٤٢ ح ١١ مجلس ٦٥ـ عنه البحار ٨٣: ٣٨٤ ح ٦٠ باب ٣٠.
(٥) البحار ٨٣: ٣٥٤ ح ٧ باب ٣٠ـ عن قرب الاسناد.



به يدخله الله به الجنّة، وأما دعاء يدعو به ليصرف الله بـه عـنه البـلاء، وأمّـا أخ يستفيده في الله عزَّ وجلَّ[١].

وقال عليه السّلام: من مشى إلى المسجد لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس الّا سبّحت له الأرض إلى الأرض السابعة[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: صلاة في بيت المـقدس تـعدل ألف صـلاة، وصلاة في مسجد الاعظم مائة صلاة، وصلاة في مسجد القبيلة خمسة وعشرون صلاة، وصلاة في مسجد السوق اثنتا عشر صلاة، وصلاة الرجل في بيته وحـده صلاة واحدة[٣].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: الصلاة في مكـة تـعدل مـائة ألف صلاة، والصلاة في مسجد المدينة تعدل عشرة آلاف صلاة، والصلاة في مسجد الكوفة تعدل ألف صلاة[٤].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام[٥]: من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة[٦].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: من قمّ مسجداً كتب الله له عتق رقبة، ومن أخرج منه ما يقذي عيناً كتب الله عزَّ وجلَّ له كفلين من رحمته[٧].

(١) أمالي الطوسي: ٤٦ ح ٢٦ مجلس ٢ ـ عنه البحار ٨٤: ٣ ح ٧٥ باب ٣٠.
(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٣٣ ح ٧٠١ ـ التهذيب ٣: ٢٥٥ ح ٢٦ باب ٢٥.
(٣) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٣٣ ح ٧٠٢ ـ التهذيب ٣: ٢٥٣ ح ١٨ باب ٢٥.
(٤) مضمون النص.
(٥) هكذا وجدنا السند لكن المؤلف رواه عن الامام محمد الباقر عليه السّلام.
(٦) الكافي ٣: ٣٦٨ ح ١ باب بناء المساجد ـ الوسائل ٣: ٤٨٥ ح ١ باب ٨.
(٧) البحار ٨٣: ٣٨٣ ح ٥٦ باب ٣٠ ـ عن أمالي الصدوق.

وقال عليه السّلام في حديث آخر: من كنس مسجداً يوم الخميس ليلة الجمعة، فأخرج منه من التراب ما يدر في العين غفر له[1].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: جنّبوا مساجدكم الشرى والبيع والمجانين والصبيان والاحكام ...[2].

وقال عليه السّلام: من تنخّع في مسجد ثم ردّها في جوفه لم تمرّ بداءٍ في جوفه الّا أبرأته[3].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوء من ذلك السراج[4].

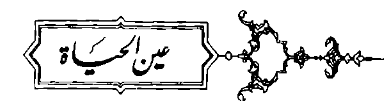
في التصدق

اعلم انّ الأحاديث في فضل التصدق وأنواعه كثيرة ونكتفي هنا بذكر بعضها:

قال أبو جعفر الباقر عليه السّلام: البرّ والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان سبعين ميتة سوء[5].

وقال عليه السّلام: لأنّ أحجّ حجة أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة حتى انتهى

(١) أمالي الصدوق: ٤٠٥ ح ١٥ مجلس ٧٥ ـ عنه البحار ٨٣: ٣٨٥ ح ٦١ ـ باب ٣٠.
(٢) التهذيب ٣: ٢٤٩ ح ٢ باب ٢٥ ـ الوافي ٧: ٥٠٦ ح ٢٩ باب ٦٣.
(٣) التهذيب ٣: ٢٥٦ ح ٣٤ باب ٢٥ ـ الوافي ٧: ٥٠٠ ح ١١ باب ٦٣.
(٤) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٣٧ ح ٧١٦ ـ التهذيب ٣: ٢٦١ ح ٥٣ باب ٢٥.
(٥) الخصال: ٤٨ ح ٥٣ باب ٢ ـ عنه البحار ٩٦: ١١٩ ح ١٧ باب ١٤.



إلى عشرة، ومثلها ومثلها حتى انتهى إلى سبعين، ولان أعول أهل بيت من المسلمين أشبع جوعتهم، وأكسو عورتهم، واكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة وحجّة حتى انتهى إلى عشر وعشر وعشر ومثلها حتى انتهى إلى السبعين(١).

وقال أبو عبدالله عليه السلام: داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا البلاء بالدعاء، واستنزلوا الرزق بالصدقة، فانّها تفكّ من بين لحى سبعمائة شيطان، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن، وهي تقع في يد الربّ تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد العبد(٢).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن، فإنّ صدقته تظلّه(٣).

وقال أبو عبدالله عليه السلام: يُستحب للمريض أن يعطي السائل بيده، ويأمر السائل أن يدعو له(٤).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: بكّروا بالصدقة فإنّ البلاء لا يتخطّاها(٥).

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: مرّ يهوديّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: السام عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: عليك، فقال أصحابه: انّما سلّم عليك بالموت، قال: الموت عليك، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: وكذلك رددت.

---

(١) الكافي ٤: ٢ ح ٣ باب فضل الصدقة ـ الوافي ١٠: ٣٨٨ ح ٥ باب ٤٧.

(٢) الكافي ٤: ٣ ح ٥ باب فضل الصدقة ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٦ ح ١٧٣٠.

(٣) البحار ٩٦: ١٢٤ ح ٣٦ باب ١٤ ـ الكافي ٤: ٣ ح ٦ باب فضل الصدقة ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٦ ح ١٧٢٨.

(٤) الكافي ٤: ٣ ح ٩ باب فضل الصدقة ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٦ ح ١٧٣٢.

(٥) الكافي ٤: ٦ ح ٥ باب انّ الصدقة تدفع البلاء ـ الوسائل ٦: ٢٦٦ ح ١ باب ٨.



ثم قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ هذا اليهوديّ يعضّه أسود في قفاه فيقتله، قال: فذهب اليهوديّ فاحتطب حطباً كثيراً، فاحتمله ثم لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ضعه، فوضع الحطب، فاذا أسود في جوف الحطب عاضّ على عود.

فقال: يا يهودي ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملاً الّا حطبي هذا احتملته فجئت به، وكان معي كعكتان فأكلت واحدة وتصدّقت بواحدة على مسكين، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: بها دفع الله عنه. وقال: انّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الانسان(١).

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: إذا أصبحت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم، وإذا أمسيت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس تلك الليلة(٢).

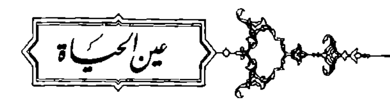
وقال أبو عبدالله عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: صدقة السرّ تُطفئ غضب الربّ(٣).

وقال في حديث آخر لعمار الساباطي: يا عمار الصدقة والله في السرّ أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله العبادة في السرّ أفضل منها في العلانية(٤).

وروي انّه: كان أبو عبدالله عليه السّلام إذا اعتمّ(٥) وذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدراهم، فحمله على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من

---

(١) الكافي ٤: ٥ ح ٣ باب انّ الصدقة تدفع البلاء ـ الوسائل ٦: ٢٦٨ ح ٣ باب ٩.
(٢) قرب الاسناد: ١٢٠ ح ٤٢٣ ـ عنه البحار ٩٦: ١٧٦ ح ٣ باب ٢١.
(٣) الكافي ٤: ٧ ح ١ باب فضل صدقة السرّ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٧ ح ١٧٣٥.
(٤) الكافي ٤: ٨ ح ٢ باب فضل صدقة السرّ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٧ ح ١٧٣٦.
(٥) اعتمّ صلّى العتمة يعني صلاة العشاء الآخرة (الوافي).



أهل المدينة، فقسّمه فيهم ولا يعرفونه، فلمّا مضى أبو عبدالله عليه السّلام فقدوا ذلك، فعلموا انّه كان أبا عبدالله عليه السّلام[1].

وروي بسند معتبر عن معلّى بن خنيس انّه قال: خرج أبو عبدالله عليه السّلام في ليلة قد رشّت وهو يريد ظلّة بني ساعدة، فأتبعته فاذا هو قد سقط منه شيء، فقال: بسم الله، اللهمّ ردّ علينا.

قال: فأتيته فسلّمت عليه، قال: فقال: معلّى؟ قلت: نعم جعلت فداك، فقال لي: التمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه إليّ، فاذا أنا بخبز منتشر كثير، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فاذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز، فقلت: جعلت فداك أحمله علىٰ رأسي، فقال: لا أنا أولى به منك ولكن امض معي.

قال: فأتينا ظلّة بني ساعدة فاذا نحن بقوم نيام، فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين حتى أتى علىٰ آخرهم ثم انصرفنا، فقلت: جعلت فداك يعرف هؤلاء الحق، فقال: لو عرفوه لواسيناهم بالدقة ـ والدقة هي الملح ـ انّ الله تبارك وتعالى لم يخلق شيئاً الّا وله خازن يخزنه الّا الصدقة، فإنّ الرب يليها بنفسه.

وكان أبي إذا تصدّق بشيء وضعه في يد السائل ثمّ ارتدّه منه، فقبّله وشمّه ثمّ ردّه في يد السائل، انّ صدقة الليل تطفئ غضب الرب، وتمحو الذنب العظيم، وتهوّن الحساب، وصدقة النهار تثمر المال وتزيد في العمر.

انّ عيسى بن مريم عليه السّلام لمّا مرّ علىٰ شاطئ البحر رمى بقرص من قوته في الماء، فقال له بعض الحواريّين: يا روح الله وكلمته لم فعلت هذا وانّما هو

(١) الكافي ٤: ٨ ح ١ باب الصدقة الليل ـ الوسائل ٦: ٢٧٨ ح ١ باب ١٤.

قوتك؟ قال: فقال: فعلت هذا لدابة تأكله من دواب الماء، وثوابه عند الله عظيم[1].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: انّ الصدقة تقضي الدين، وتخلف بالبركة[2].

وقال عليه السّلام: سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أيّ الصدقة أفضل؟ قال: علىٰ ذي الرحم الكاشح[3].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر، وصلة الاخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين[4].

ونُقل بأسانيد معتبرة انّ عليّ بن الحسين عليه السّلام كان يحمل جراب الخبز علىٰ كتفه ويأتي في الليالي إلى الفقراء، وكان يغطي وجهه كي لا يُعرف، وجاء في بعض الروايات انّ مائة دار من دور المدينة وفي كلّ دار جمع كثير وكان معاشهم من صدقات عليّ بن الحسين عليه السّلام وهم لا يعلمون، فلما توفى الامام وانقطع العطاء علموا بأنّه الامام عليه السّلام، وربّما وقفوا علىٰ أبواب دورهم يتطلّعون قدومه، فاذا رأوه استبشروا وقالوا: جاء صاحب الجراب.

وروي في كتب الشيعة والسنة انّه لما وُضع عليّ بن الحسين عليه السّلام علىٰ السرير ليغسل نظر إلى ظهره وعليه مثل ركب الابل ممّا كان يحمله علىٰ ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين[5].

---

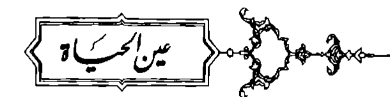
(١) الكافي ٤ : ٨ ح ٣ باب صدقة الليل ـ مثله تفسير العياشي ٢ : ١٠٧ ح ١١٤ ـ عنه البحار ٦٩ : ١٢٧ ح ٤٨ باب ١٤.

(٢) الكافي ٤ : ٩ ح ١ ـ البحار ٩٦ : ١٣٤ ضمن حديث ٦٨ باب ١٤.

(٣) الكافي ٤ : ١٠ ح ٢ ـ البحار ٩٦ : ١٧٩ ح ١٧ باب ٢١ عن ثواب الأعمال.

(٤) الكافي ٤ : ١٠ ح ٣.

(٥) الوسائل ٦ : ٢٨٠ ح ٦ باب ١٤.



وروي انّه: كان عليّ بن الحسين عليه السّلام إذا كان اليوم الذي يصوم فيه يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤها وتطبخ، وإذا كان عند المساء اكبّ علىٰ القدور حتى يجد ريح المرق وهو صائم، ثم يقول: هاتوا القصاع، اغرفوا لآل فلان، واغرفوا لآل فلان، حتى يأتي علىٰ آخر القدور، ثم يؤتى بخبز وتمر فيكون ذلك عشاءه[1].

(١) البحار ٤٦: ٧١ ح ٥٣ باب ٥ عن المحاسن للبرقي.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي‌ذر رحمه الله:]

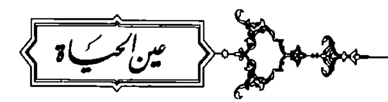
يا أباذر، الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وانّ العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك، فيقول: أخي فلان كنّا نعمل جميعاً في الدنيا وقد فضّل عليّ هكذا، فيقال له: انّه كان أفضل منك عملاً، ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى.

يا أباذر الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، وما أصبح فيها مؤمن الّا حزيناً، فكيف لا يحزن المؤمن وقد أوعده الله جلّ ثناؤه انّه وارد جهنّم ولم يعده انّه صادر عنها، وليلقينّ أمراضاً ومصيبات وأموراً تغيظه، وليظلمنّ فلا ينتصر، يبتغي ثواباً من الله تعالى فلا يزال حزيناً حتى يفارقها، فاذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة.

يا أباذر ما عبدالله عزّ وجلّ علىٰ مثل طول الحزن.

اعلم انّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق الدنيا لراحة المؤمن بل تصل إليهم الأحزان والبلايا بحسب مراتبهم وايمانهم، ويكفي لتحقيق هذا الأمر النظر في أحوال الأنبياء والأوصياء، ومحن رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم.

وقد ثبت بحسب التجربة ان ما من شيء أكثر اصلاحاً للنفس من البلايا والمصائب الموجبين في الزهد من الدنيا والتوجه نحو الله تعالى، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، فاذا أحبّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله عند الله الرضا، ومن سخط البلاء فله عند الله



السخط[1].

وسأل عبدالله بن بكير أبا عبدالله عليه السلام أيبتلي المؤمن بالجذام والبرص وأشباه هذا؟ قال: فقال: وهل كُتب البلاء الّا على المؤمن[2].

وقال عليه السلام في حديث آخر: أخذ الله ميثاق المؤمن علىٰ أن لا تصدّق مقالته، ولا ينتصف من عدوّه، وما من مؤمن يشفي نفسه الّا بفضيحتها، لأنّ كلّ مؤمن ملجم[3].

وقال عليه السلام في حديث آخر: ... لا ينفك المؤمن من خصال أربع: من جار يؤذيه، وشيطان يغويه، ومنافق يقفو أثره، ومؤمن يحسده، ثم قال: ... اما انّه أشدّهم عليه ... انّه يقول فيه القول فيصدّق عليه[4].

وروي بسند معتبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: قال الله عزّ وجلّ: لولا انّي استحيي من عبدي المؤمن ما تركت عليه خرقة يتوارى بها، وإذا أكملت له الايمان ابتليته بضعف في قوّته وقلّة في رزقه، فإن هو جزع أعدت عليه، وان صبر باهيت به ملائكتي ...[5].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: انّ في كتاب عليّ عليه السلام انّ أشدّ الناس بلاء النبيّون، ثمّ الوصيّون، ثمّ الأمثل فالأمثل، وانّما يبتلي المؤمن علىٰ قدر أعماله الحسنة، فمن صحّ دينه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه.

---

(١) الكافي ٢: ٢٥٣ ح ٨ ـ عنه البحار ٦٧: ٢٠٩ ح ١١ باب ١٢.
(٢) الكافي ٢: ٢٥٨ ح ٢٧ ـ عنه البحار ٦٧: ٢٢١ ح ٢٧ باب ١٢.
(٣) الكافي ٢: ٢٤٩ ح ١ ـ عنه البحار ٦٨: ٢١٥ ح ٥ باب ٢٣.
(٤) الخصال: ٢٢٩ ح ٧٠ باب ٤.
(٥) أمالي الطوسي: ٣٠٥ ح ٦٠ مجلس ١١ ـ عنه البحار ٦٧: ٢٢٦ ح ٣٥ باب ١٢.

وذلك انّ الله عزَّ وجلَّ لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر، ومن سخف دينه وضعف عمله قلّ بلاؤه، وانّ البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض[١].

وروي بسند صحيح عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انّه قال: انّ ملكين هبطا من السماء فالتقيا في الهواء، فقال أحدهما لصاحبه: فيما هبطت؟ قال: بعثني الله عزَّ وجلَّ إلى بحر ايل أحشر سمكة إلى جبار من الجبابرة اشتهى عليه سمكة في ذلك البحر، فأمرني أن أحشر إلى الصيّاد سمك البحر، حتى يأخذها له ليبلغ الله عزَّ وجلَّ غاية مناه في كفره، ففيما بعثت أنت؟

قال: بعثني الله عزَّ وجلَّ في أعجب من الذي بعثك فيه، بعثني إلى عبده المؤمن الصائم القائم، المعروف دعاؤه وصوته في السماء، لأُكفئ قدره التي طبخها لافطاره، ليبلغ الله في المؤمن الغاية في اختبار ايمانه[٢].

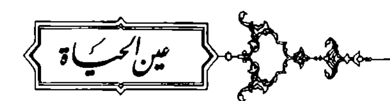
وقال أبو عبدالله عليه السلام: انّ الله عزَّ وجلَّ جعل وليّه في الدنيا غرضاً لعدوّه[٣].

وروي عن سماعة انّه قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فشكا إليه رجل الحاجة، فقال له: اصبر فإنّ الله سيجعل لك فرجاً.

قال: ثم سكت ساعة، ثم أقبل على الرجل فقال: أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو؟ فقال: أصلحك الله ضيّق، منتن وأهله بأسوء حال، قال: فانّما أنت في

---

(١) الكافي ٢: ٢٥٩ ح ٢٩ ـ عنه البحار ٦٧: ٢٢٢ ح ٢٩ باب ١٢.
(٢) البحار ٦٧: ٢٢٩ ح ٤٠ باب ١٢ ـ عن علل الشرائع.
(٣) الكافي ٢: ٢٥٠ ح ٥.



السجن فتريد أن تكون فيه في سعة، أما علمت أنّ الدنيا سجن المؤمن[1].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: انّ لله عزَّ وجلَّ عباداً في الأرض من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض الّا صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا بليّة الاّ صرفها إليهم[2].

وقال عليه السّلام ـ وعنده سدير ـ: انّ الله إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتاً، وانّا وايّاكم يا سدير لنصبح به ونمسي[3].

وقال أبو جعفر عليه السّلام: انّ الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً وثجّه بالبلاء ثجّاً، فاذا دعاه قال: لبيك عبدي لئن عجلت لك ما سألت انّي علىٰ ذلك لقادر، ولئن ادّخرت لك فما ادخرت لك فهو خير لك[4].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة الّا عرض له أمر يحزنه يُذكّر به[5].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: دُعي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى طعام، فلمّا دخل منزل الرجل نظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت، فتقع البيضة علىٰ وتد في حائط فتثبت عليه ولم تسقط ولم تنكسر، فتعجّب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم منها، فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة فوالذي بعثك بالحق ما رزئت شيئاً قطّ.

قال: فنهض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يأكل من طعامه شيئاً، وقال: من

---

(١) الكافي ٢: ٢٥٠ ح ٦.

(٢) الكافي ٢: ٢٥٣ ح ٥ ـ عنه البحار ٦٧: ٢٠٧ ح ٨ باب ١٢.

(٣) الكافي ٢: ٢٥٣ ح ٦ ـ عنه البحار ٦٧: ٢٠٨ ح ٩ باب ١٢.

(٤) الكافي ٢: ٢٥٣ ح ٧ ـ عنه البحار ٦٧: ٢٠٨ ح ١٠ باب ١٢.

(٥) الكافي ٢: ٢٥٤ ح ١١ ـ عنه البحار ٦٧: ٢١١ ح ١٤ باب ١٢.

لم يُرزأ فمالله فيه من حاجة[1].

ومع قطع النظر عن هذه البلايا والمحن لو كان المؤمن في الرفاه والنعمة فانّ الدنيا سجنه لأنّه بالنسبة إلى نعم الآخرة والمنازل التي أعدّها الله له في الآخرة لو أعطي جميع الدنيا لكانت سجناً بالنسبة له، وانّ الكافر لو ابتلى في الدنيا بأنواع البلايا لكانت الدنيا جنّة له بالنسبة إلى عذاب الآخرة.

كما روي انّ الامام الحسن بن عليّ عليه السّلام خرج في جمع من أصحابه وقرابته وعليه حلّة فاخرة وسلك طريقاً، فلقيه شيخ يهودي يحمل الحطب، فقال له: يا ابن رسول الله جدّك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا الّا جنّة تتنعّم بها وتستلذّ بها، وما أراها الّا سجناً لي قد أهلكني ضرّها وأتلفني فقرها.

فقال له الامام: يا شيخ لو نظرت إلى ما اعدّ الله لي في الآخرة مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت لعلمت انّي قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجن ضنك، ولو نظرت إلى ما اعدّ الله لك في الدار الآخرة من سعير نار الجحيم، ونكال العذاب المقيم لرأيت انّك قبل مصيرك إليه الآن في جنة واسعة، ونعمة جامعة[2].

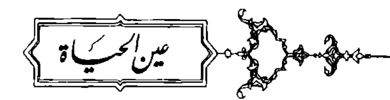
وأما ما قاله صلّى الله عليه وآله وسلّم من انّ الله تعالى أوعد المؤمن انّه وارد جهنّم، فهو يشير إلى قوله تعالى: «**وَإِن مِّنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ● ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً**»[3].

ووقع الخلاف في انّ الورود بمعنى الدخول أو الحضور عند جهنّم أو

(١) الكافي ٢ : ٢٥٦ ح ٢٠ ـ عنه البحار ٦٧ : ٢١٤ ح ٢١ باب ١٢.

(٢) راجع البحار ٤٣ : ٣٤٦ ضمن حديث ١٩ ملخّصاً.

(٣) مريم : ٧١ و٧٢.



العبور من فوقها، فاعتقد البعض انّ الورود بمعنى الدخول سواء فيه المؤمن والكافر، ولكنّها تكون علىٰ المؤمن برداً وسلاماً ولا تضرّه، كما روى المفسرون عن جابر بن عبدالله انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: الورود الدخول، لا يبقى برّ ولا فاجر حتى يدخلها، فتكون علىٰ المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم ... ثم ينجّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيّاً[1].

وقال البعض انّ الورود هو الحضور عند جهنّم: وورد في هذا المضمون حديث بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: أماتسمع الرجل يقول: وردنا بني فلان، فهو الورود ولم يدخله[2].

وقال البعض انّ الورود هو العبور علىٰ الصراط فوق جهنّم، فيكون معنى قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ولم يعده انّه صادر عنها» انّ الآية وعدت المتقين بالنجاة ولا يمكن أن يجزم كلّ مؤمن انّه من المتقين، وفسّر أكثر المفسّرين المتقى بالمتقي عن الشرك والكفر والله أعلم.

---

(١) و (٢) راجع تفسير الميزان ١٤ : ٩٣ (سورة مريم).

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي‌ذر رحمه الله:]

يا أباذر من أُوتي العلم مالا يبكيه لحقيق أن يكون قد أُوتي علم ما لا ينفعه، لأنّ الله عزّ وجلّ نعت العلماء، فقال: «**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ● وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ● وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**»[1].

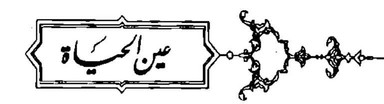
يا أباذر من استطاع أن يبكي فليبك، ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباك، انّ القلب القاسي بعيد من الله تعالى ولكن لا تشعرون.

[الذين أوتوا العلم هم العلماء قبل نزول القرآن، والمؤمنون بالكتب السماوية السابقة علىٰ القرآن، كالنجاشي والأصحاب كسلمان وأبي‌ذر، فاذا تلى القرآن عليهم خرّوا للأذقان سجّداً تعظيماً لأمر الله أو شكراً لإنجاز وعده بإرسال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنزال القرآن.

والسجود علىٰ الذقن أما أن يكون هو سجودهم المتداول آنذاك، أو كناية عن السجود بالوجه، وعبّر هكذا لكون الذقن أوّل ما يستقبل الأرض من الأعضاء...].

اعلم انّ من الصفات الحميدة والخصال الجميلة رقّة القلب والتضرّع والبكاء، ويحصل البكاء بكثرة ذكر الموت، وعذاب الله، وأهوال القيامة، والتجنّب

(١) الاسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩.



عن الأمور الموجبة لقسوة القلب.

وانّ عمدة أسباب قساوة القلب ارتكاب الذنوب، ومعاشرة أهل الدنيا ومصاحبتهم، كما مرّت الأحاديث الدالة عليه، وانّ أقرب الطرق للقرب نحو الله تعالى طريق التضرع والاستغاثة والمناجات، والبكاء يوجب نجح الحاجات، والنجاة من العقوبات.

روي بسند معتبر عن الامام عليّ النقيّ عليه السّلام انّه قال: لمّا كلّم الله عزَّ وجلَّ موسى بن عمران عليه السّلام قال موسى: الهي ما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك؟ قال: يا موسى أقي وجهه من حرّ النار، وأؤمّنه يوم الفزع الأكبر[1].

وروي بسند معتبر انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: ... ألا ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكلّ قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنّة مكلّلاً بالدر والجوهر، فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر[2].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: انّ الرجل ليكون ما بينه وبين الجنّة أكثر ممّا بين الثرى إلى العرش لكثرة ذنوبه، فما هو الّا أن يبكي من خشية الله عزَّ وجلَّ ندماً عليها حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنته إلى مقلته[3].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: كم ممن كثر ضحكه لاعباً يكثر يوم القيامة بكاؤه، وكم ممّن كثر بكاؤه علىٰ ذنبه خائفاً يكثر يوم القيامة في الجنّة سروره وضحكه[4].

---

(١) البحار ٩٣: ٣٢٨ ح ١ باب ١٩ ـ عن أمالي الصدوق.
(٢) البحار ٩٣: ٣٢٨ ح ٣ باب ١٩ ـ عن أمالي الصدوق.
(٣) البحار ٩٣: ٣٢٩ ح ٤ باب ١٩ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.
(٤) البحار ٩٣: ٣٢٩ ح ٥ باب ١٩ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

وقال عليه السّلام في حديث آخر: ما من شيء الّا وله كيل ووزن الّا الدموع، فإنّ القطرة منها تطفئ بحاراً من النار، فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلّة، فاذا فاضت حرّمه الله علىٰ النار، ولو انّ باكياً بكى في اُمّة لرُحموا[1].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السّلام: ما من قطرة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من قطرة دموع في سواد الليل مخافة من الله لا يراد بها غيره[2].

وروي بأسانيد معتبرة عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: كلّ عين باكية يوم القيامة الّا ثلاثة: عينٌ غُضّت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله[3].

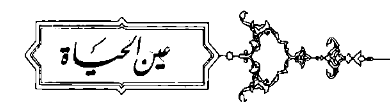
وروي بسند معتبر عن اسحاق بن عمار انّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: أكون أدعو فأشتهي البكاء ولا يجيئني، وربما ذكرت بعض من مات من أهلي فأرقّ وأبكي، فهل يجوز ذلك؟

فقال: نعم، فتذكرهم فاذا رققت فابك وادع ربّك تبارك وتعالى[4].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: ان لم يجئك البكاء فتباك، فإن خرج منك مثل رأس الذباب فبخ بخ[5].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: ان خفت أمراً يكون أو حاجة تريدها فابدأ بالله ومجّده وأثن عليه كما هو أهله، وصلّ علىٰ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وسل

(١) الكافي ٢: ٤٨٢ ح ٥ ـ في البحار ٩٣: ٣٣١ ح ١٤ باب ١٩ عن ثواب الأعمال.
(٢) الكافي ٢: ٤٨٢ ح ٣ باب البكاء.
(٣) الكافي ٢: ٤٨٢ ح ٤ ـ مثله البحار ٩٣: ٣٣٢ ح ٢١ باب ١٩.
(٤) الكافي ٢: ٤٨٣ ح ٧ ـ مثله البحار ٩٣: ٣٣٤ ضمن حديث ٢٥ باب ١٩.
(٥) الكافي ٢: ٤٨٣ ح ١١ ـ مثله البحار ٩٣: ٣٣٤ ضمن حديث ٢٥ باب ١٩.



حاجتك وتباك ولو مثل رأس الذباب، انّ أبي عليه السّلام كان يقول: انّ أقرب ما يكون العبد من الرب عزَّ وجلَّ وهو ساجد باك[1].

وقال عليّ بن الحسين عليه السّلام: ... ما من قطرة أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ من قطرتين، قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل، لا يريد بها عبد الّا الله عزَّ وجلَّ[2].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: سبعة في ظلّ عرش الله عزَّ وجلَّ يوم لا ظلّ الّا ظلّه، امام عادل، وشابّ نشأ في عبادة الله عزَّ وجلَّ، ورجلٌ تصدّق بيمينه فأخفاه عن شماله، ورجلٌ ذكر الله عزَّ وجلَّ خالياً ففاضت عيناه من خشية الله عزَّ وجلَّ.

ورجلٌ لقى أخاه المؤمن فقال: انّي احبّك في الله عزَّ وجلَّ، ورجلٌ خرج من المسجد وفي نيته أن يرجع إليه، ورجل دعته امرأة ذات جمال إلى نفسها فقال: انّي أخاف الله ربّ العالمين[3].

(١) الكافي ٢ : ٤٨٣ ح ١٠ ـ مثله البحار ٩٣ : ٣٣٤ ضمن حديث ٢٥ باب ١٩.

(٢) الخصال : ٥٠ ح ٦٠ باب ٢ ـ عنه البحار ٩٣ : ٣٢٩ ح ٦ باب ١٩.

(٣) الخصال : ٣٤٣ ح ٨ باب ٧ ـ عنه البحار ٩٣ : ٣٣٠ ح ١٢ باب ١٢.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أباذر يقول الله تعالى: لا أجمع علىٰ عبد خوفين، ولا أجمع له أمنين، فاذا امنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة.

يا أباذر لو انّ رجلاً كان له كعمل سبعين نبياً لاحتقره وخشى أن لا ينجو من شرّ يوم القيامة.

يا أباذر انّ العبد ليعرض عليه ذنوبه يوم القيامة، فيقول: اما انّي كنت مشفقاً، فيغفر له.

يا أباذر انّ الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها، ويعمل المحقرات حتى يأتي الله وهو عليه غضبان، وانّ الرجل ليعمل السيئة فيفزع منها، فيأتي الله عزّ وجلّ آمناً يوم القيامة.

يا أباذر انّ العبد ليذنب فيدخل به الجنه، فقلت: وكيف ذلك بأبي أنت وامّي يا رسول الله؟ قال: يكون ذلك الذنب نصب عينيه، تائباً منه، فاراً إلى الله عزّ وجلّ حتى يدخل الجنّة.

يا أباذر الكيس من أدّب نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه وهواها، وتمنّى علىٰ الله عزّ وجلّ الأماني.

تحصل من هذه الكلمات القدسية الصادرة عن الشجرة الطيبة النبويّة ثمرات للعارفين:

الثمرة الأولى

في الخوف والرجاء

اعلم انّ المؤمن لابد له من الاتصاف بهاتين الخصلتين، ولابد أن يكتمل الخوف والرجاء في قلب المؤمن، وأن يكونا متساويين، وانّ اليأس عن رحمة الله والأمن من عذابه من الذنوب الكبيرة، ولابد من جعل الفرق بين الرجاء والاغترار، والخوف واليأس.

واعلم انّ الرجاء هو رجاء رحمة الله وطلبها، وظهور آثار صدق الرجاء في الأعمال، فالمدعي للرجاء والتارك لأعمال الخير كاذب في دعواه، بل هذا هو الاغترار وهو من أسوء الصفات الذميمة، كما انّ الزارع لا يحرث أرضه ولا يقذف البذر فيها ويقول انّي أرجو الزرع، فهذا عين السفه وليس رجاءً، لكنه لو عمل ما يحتاج الزرع من حرث وبذر وماء ثم رجا الله، كان رجاؤه صواباً وكان صادقاً في دعواه.

وكذلك الأمر في الزراعة المعنوية، فالذي يعمل الأعمال الصالحة بشرائطها ولم يعتمد عل عمله بل توكل علىٰ فضل الله فهو ذو رجاء، وكذلك في الخوف ان سَبَّبَ اليأس عن الله وتَرْك الأعمال فهو كاذب في مدعاه وفي حدّ الشرك، لكن لو سبّب خوفه ترك المعاصي والمحرمات والاهتمام بالعبادات، فهذا هو الخوف الصادق، لأنّ من خاف شيئاً هرب منه.

وعلىٰ سبيل المثال انّ الشخص الأول كالواقف جنب أسد وواضع يده في فمه ويقول انّي أخاف منه، فالذي يصدق في الخوف من عذاب الله لا يرتكب



أموراً فيها عذاب.

انّ الانسان لابد أن يكون طبيباً لنفسه، فلو غلبه الرجاء وخاف أن يتهاون في الأعمال فليتذكر عقوبات الله، ويتفكر في آيات وأحاديث الخوف، ولو غلبه الخوف وخاف ترك الأعمال فليرى آيات وأحاديث فضل الله غير المتناهي، ويتفكر فيها كي يصل إلى مقام الرجاء.

ولا يزعم شخص انّ غاية الخوف تنافي غاية الرجاء، لأنّ محل الخوف والرجاء ليس في مكان واحد حتى يقلّ أحدهما بازدياد الطرف الآخر، بل انّ محلّ الرجاء هو الله تعالى، وهو محض الفضل والرحمة وهذا غير الخوف، ومحلّ الخوف نفس الانسان والشهوات والتمنّيات والذنوب.

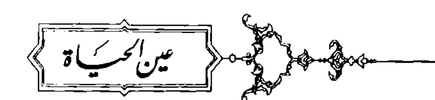
فالانسان يخاف من نفسه ويرجو من الله تعالى، وكلّما تفكر في عيوبه وقبائحه يزداد خوفه، وكلّما تفكر في فضل الله ونعمه يزداد رجاؤه، كما انّ سيد الساجدين عليه السّلام يشير إلى هذا المعنى في كثير من أدعيته حيث يقول: «إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت، وإذا رأيت كرمك طمعت»[1].

وروي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال [لقمان] لابنه: خف الله عزَّ وجلَّ خيفة لو جئته ببرّ الثقلين لعذّبك، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك.

ثم قال أبو عبدالله عليه السّلام: كان أبي يقول: انّه ليس من عبد مؤمن الّا وفي قلبه نوران نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم

---

(١) راجع مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.



يزد علىٰ هذا[1].

وروي بسند معتبر عن اسحاق بن عمار انّه قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام: يا اسحاق خف الله كأنك تراه، وان كنت لا تراه فانّه يراك، فإن كنت ترى انّه لا يراك فقد كفرت، وان كنت تعلم انّه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك[2].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: من خاف الله عزّ وجلّ أخاف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله عزّ وجلّ أخافه الله من كلّ شيء ...[3].

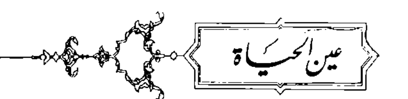
وقال عليه السّلام في حديث آخر: من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا[4].

وقال رجل لأبي عبدالله عليه السّلام: انّ قوماً من مواليك يُلمّون بالمعاصي ويقولون نرجو، فقال: كذبوا ليسوا لنا بموال، اُولئك قوم ترجّحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف من شيء هرب منه[5].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: المؤمن بين مخافتين، ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح الّا خائفاً، ولا يصلحه الّا الخوف[6].

---

(١) الكافي ٢: ٦٧ ح ١ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٥٢ ح ١ باب ٥٩.
(٢) الكافي ٢: ٦٧ ح ٢ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٥٥ ح ٢ باب ٥٩.
(٣) البحار ٧٠: ٣٨١ ح ٣٢ باب ٥٩، عن أمالي الطوسي ـ الكافي ٢: ٦٨ ح ٣.
(٤) الكافي ٢: ٦٨ ح ٤ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٥٦ ح ٣ باب ٥٩.
(٥) الكافي ٢: ٦٨ ح ٦ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٥٧ ضمن حديث ٤ باب ٥٩.
(٦) الكافي ٢: ٧١ ح ١٢ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٦٥ ح ١٠ باب ٥٩.



وقال عليه السّلام: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو[1].

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قال الله عزّ وجلّ: لا يتّكل العاملون علىٰ أعمالهم التي يعملون بها لثوابي، فانّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون من كرامتي، والنعيم في جنّاتي، ورفيع الدرجات في جواري.

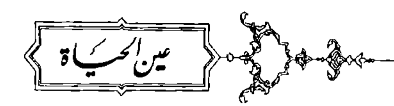
ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنّوا، فانّ رحمتي عند ذلك تدركهم، وبمنّي أُبلغهم رضواني، وأُلبسهم عفوي، فانّي أنا الله الرحمن الرحيم بذلك تسمّيت[2].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: وجدنا في كتاب عليّ عليه السّلام انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال وهو علىٰ منبره: والذي لا اله الّا هو ما أُعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة الّا بحسن ظنّه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين.

والذي لا اله الّا هو لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار الّا بسوء ظنّه بالله، وتقصيره من رجائه، وسوء خُلقه، واغتيابه للمؤمنين.

والذي لا اله الا هو لا يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله الّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن، لأنّ الله كريم بيده الخيرات يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به

(١) الكافي ٢: ٧١ ح ١١ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٦٥ ح ٩ باب ٥٩.
(٢) أمالي الطوسي: ٢١١ ح ١٨ مجلس ٨ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٨٥ ح ٤٥ باب ٥٩ ـ الكافي ٢: ٧١ ح ١.



الظن ثم يُخلف ظنّه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه[١].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: حسن الظن بالله أن لا ترجوا الّا الله، ولا تخاف الّا ذنبك[٢].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزَّ وجلَّ حرّم الله عليه النار، وآمنه من الفزع الأكبر، وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله تبارك وتعالى: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ[٣]»[٤].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: في حكمة آل داود: ياابن آدم كيف تتكلم بالهدى وأنت لا تفيق عن الردى؟ ياابن آدم أصبح قلبك قاسياً وأنت لعظمة الله ناسياً، فلو كنت بالله عالماً، وبعظمته عارفاً، لم تزل منه خائفاً، ولوعده راجياً، ويحك كيف لا تذكر لحدك، وانفرادك فيه وحدك[٥].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: أرج الله رجاء لا يجرئك على معاصيه، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته[٦].

وقال عليه السّلام: الخائف من لم يدع له الرهبة لساناً ينطق به[٧].

وقال عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ آخر عبد يؤمر به إلى النار،

---

(١) الكافي ٢: ٧١ح ٢ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٦٥ح ١٤ باب ٥٩.

(٢) الكافي ٢: ٧٢ح ٤ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٦٧ح ١٦ باب ٥٩.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٤: ١٤ في مناهي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عنه البحار ٧٠: ٣٦٥ح ١٣ باب ٥٩.

(٥) أمالي الطوسي: ٢٠٣ح ٤٨ مجلس ٧ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٨١ح ٣٣ باب ٥٩.

(٦) أمالي الصدوق: ٢٢ح ٥ مجلس ٤ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٨٤ح ٣٩ باب ٥٩.

(٧) معاني الأخبار: ٢٣٨ح ١ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٨٤ح ٤١ باب ٥٩.

فاذا أُمر به التفت، فيقول الجبّار: ردّوه، فيردّونه، فيقول له: لم التفت؟ فيقول: يا ربّ لم يكن ظنّي بك هذا، فيقول: وما كان ظنّك بي؟ فيقول: يا ربّ كان ظنّي بك أن تغفر لي خطيئتي، وتسكنني جنتك.

قال: فيقول الجبار: يا ملائكتي وعزّتي وجلالي وآلائي وعلوّي وارتفاع مكاني ما ظنّ بي عبدي هذا ساعة من خير قط، ولو ظنّ بي ساعة من خير ما روّعته بالنار، أجيزوا له كذبه، وأدخلوه الجنّة.

ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ليس من عبد يظنّ بالله خيراً الّا كان عند ظنّه، به وذلك قوله: «**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**[1]»[2].

الثمرة الثانية

في ذكر بعض حكايات الخائفين والتي فيها تنبيه للمؤمنين:

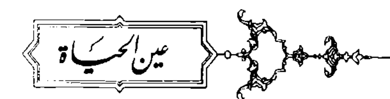
الحكاية الأولى

روى الكليني بسند معتبر عن الامام عليّ بن الحسين عليه السّلام انّه قال: انّ رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم، فلم ينج ممن كان في السفينة الّا امرأة الرجل، فانّها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر.

وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق، ولم يدع لله حرمة الّا انتهكها،

(١) فصلت: ٢٣.

(٢) البحار ٧٠: ٣٨٤ ح ٤٢ باب ٥٩ عن تفسير القمي.



فلم يعلم الّا والمرأه قائمة علىٰ رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: انسيّة أم جنّية؟ فقالت: انسيّة.

فلم يكلّمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلمّا أن همّ بها اضطربت، فقال لها: ما لك تضطربين؟ فقالت: أفرق[1] من هذا ـ وأومأت بيدها إلى السماء ـ قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزّته، قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وانّما أستكرهك استكراهاً، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف، وأحق منك.

قال: فقام ولم يحدث شيئاً، ورجع إلى أهله وليست له همّة الّا التوبة والمراجعة، فبينا هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس، فقال الراهب للشاب: ادع الله يظلنا بغمامة فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم انّ لي عند ربّي حسنة فأتجاسر علىٰ أن أسأله شيئاً.

قال: فأدعو أنا وتؤمّن أنت؟ قال: نعم، فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمّن، فما كان بأسرع من أن أظلّتهما غمامة، فمشيا تحتها مليّاً من النهار ثم تفرّقت الجادة جادتين، فأخذ الشاب في واحدة، وأخذ الراهب في واحدة، فاذا السحابة مع الشاب.

فقال الراهب: أنت خير منّي، لك استجيب ولم يستجب لي، فأخبرني ما قصتك؟ فأخبره بخبر المرأة، فقال: غُفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل[2].

---

(١) الفرق: الخوف.

(٢) الكافي ٢: ٦٩ ح ٨ باب الخوف والرجاء ـ عنه البحار ٧٠: ٣٦١ ح ٦ باب ٥٩.



الحكاية الثانية

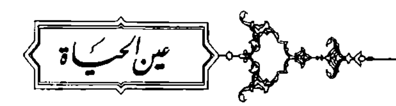
وروى الكليني بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: كان ملك في بني اسرائيل وكان له قاض، وللقاضي أخ، وكان رجل صدق، وله امرأة قد ولدتها الأنبياء، فأراد الملك أن يبعث رجلاً في حاجة، فقال للقاضي: ابغني رجلاً ثقة، فقال: ما أعلم أحداً أوثق من أخي.

فدعاه ليبعثه، فكره ذلك الرجل وقال لأخيه: انّي أكره أن أضيّع امرأتي، فعزم عليه فلم يجد بدّاً من الخروج، فقال لأخيه: يا أخي انّي لست أخلّف شيئاً أهمّ عليّ من امرأتي، فاخلفني فيها وتولّ قضاء حاجتها، قال: نعم.

فخرج الرجل وقد كانت المرأة كارهة لخروجه، فكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها ويقوم لها، فأعجبته فدعاها إلى نفسه فأبت عليه، فحلف عليها لئن لم تفعلي لنخبرنّ الملك انّك قد فجرت، فقالت: اصنع ما بدالك، لست أجيبك إلى شيء ممّا طلبت.

فأتى الملك فقال: انّ امرأة أخي قد فجرت وقد حقّ ذلك عندي، فقال له الملك: طهّرها، فجاء إليها فقال: انّ الملك قد أمرني برجمك فما تقولين؟ تجيبني والاّ رجمتك، فقالت: لست أجيبك فاصنع ما بدالك.

فأخرجها فحفر لها فرجمها ومعه الناس، فلمّا ظنّ انّها قد ماتت تركها وانصرف وجنّ بها الليل وكان بها رمق، فتحركت وخرجت من الحفيرة ثم مشت على وجهها حتى خرجت من المدينة، فانتهت إلى دير فيه ديراني، فباتت على باب الدير، فلمّا أصبح الديراني فتح الباب ورآها فسألها عن قصّتها، فخبّرته



فرحمها وأدخلها الدير.

وكان له ابن صغير لم يكن له ابن غيره، وكان حسن الحال، فداواها حتى برئت من علّتها واندملت، ثم دفع إليها ابنه فكانت تربيه، وكان للديراني قهرمان يقوم بأمره، فأعجبته فدعاها إلى نفسه فأبت، فجهد بها فأبت.

فقال: لئن لم تفعلي لأجهدنّ في قتلك، فقالت: اصنع ما بدالك، فعمد إلى الصبيّ فدقّ عنقه وأتى الديراني فقال له: عمدت إلى فاجرة قد فجرت فدفعت إليها ابنك فقتلته، فجاء الديرانيّ، فلمّا رآه قال لها: ما هذا فقد تعلمين صنيعي بك، فأخبرته بالقصة، فقال لها: ليس تطيب نفسي أن تكوني عندي فاخرجي، فأخرجها ليلاً ودفع إليها عشرين درهماً وقال لها: تزوّدي هذه، الله حسبك.

فخرجت ليلاً فأصبحت في قرية فاذا فيها مصلوب على خشبة وهو حيّ، فسألت عن قصّته فقالوا: عليه دين عشرون درهماً ومن كان عليه دين عندنا لصاحبه صلب حتى يؤدّي إلى صاحبه، فأخرجت العشرين درهماً ودفعتها إلى غريمه وقالت: لا تقتلوه، فأنزلوه عن الخشبة.

فقال لها: ما أحد أعظم عليّ منّة منك نجّيتني من الصلب ومن الموت، فأنا معك حيث ما ذهبت، فمضى معها ومضت حتى انتهيا إلى ساحل البحر، فرأى جماعة وسفناً فقال لها: اجلسي حتى أذهب أنا أعمل لهم واستطعم وآتيك به.

فأتاهم فقال لهم: ما في سفينتكم هذه؟ قالوا: في هذه تجارات وجوهر وعنبر وأشياء من التجارة وأما هذه فنحن فيها، قال: وكم يبلغ ما في سفينتكم؟ قالوا: كثير لا نحصيه.

قال: فإنّ معي شيئاً هو خير ممّا في سفينتكم، قالوا: وما معك؟ قال: جارية



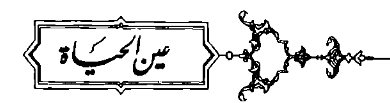
لم تروا مثلها قط، قالوا: فبعناها، قال: نعم على شرط أن يذهب بعضكم فينظر إليها ثم يجئني فيشتريها ولا يعلمها ويدفع إليّ الثمن ولا يعلمها حتى أمضي أنا، فقالوا: ذلك لك، فبعثوا من نظر إليها، فقال: ما رأيت مثلها قط، فاشتروها منه بعشرة آلاف درهم ودفعوا إليه الدراهم فمضى بها.

فلمّا أمعن أتوها فقالوا لها: قومي وادخلي السفينة، قالت: ولم؟ قالوا: قد اشتريناك من مولاك، قالت: ما هو بمولاي، قالوا: لتقومين أو لنحملنّك، فقامت ومضت معهم، فلمّا انتهوا إلى الساحل لم يأمن بعضهم بعضاً عليها، فجعلوها في السفينة التي فيها الجوهر والتجارة وركبوا هم في السفينة الأخرى، فدفعوها.

فبعث الله عزَّ وجلَّ عليهم رياحاً فغرقتهم وسفينتهم ونجت السفينة التي كانت فيها حتى انتهت إلى جزيرة من جزائر البحر وربطت السفينة، ثم دارت في الجزيرة فاذا فيها ماء وشجر فيه ثمرة، فقالت: هذا ماء أشرب منه وثمر آكل منه أعبد الله في هذا الموضع.

فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى نبيّ من أنبياء بني اسرائيل أن يأتي ذلك الملك، فيقول: انَّ في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي فاخرج أنت ومن في مملكتك حتى تأتوا خلقي هذه وتقرّوا له بذنوبكم، ثم تسألوا ذلك الخلق ان يغفر لكم، فإن يغفر لكم غفرت لكم.

فخرج الملك بأهل مملكته إلى تلك الجزيرة فرأوا امرأة، فتقدّم إليها الملك فقال لها: انَّ قاضي هذا أتاني فخبّرني انَّ امرأة أخيه فجرت، فأمرته برجمها ولم يقم عندي البيّنة، فأخاف أن أكون قد تقدمت على ما لا يحلّ لي فأحبّ أن تستغفري لي.



فقالت: غفر الله لك اجلس، ثم أتى زوجها ولا يعرفها، فقال: انّه كان لي امرأة وكان من فضلها وصلاحها، وانّي خرجت عنها وهي كارهة لذلك، فاستخلفت أخي عليها، فلمّا رجعت سألت عنها فأخبرني أخي أنّها فجرت، فرجمها وأنا أخاف أن أكون قد ضيّعتها فاستغفري لي، فقالت: غفر الله لك اجلس، فأجلسته إلى جنب الملك.

ثم أتى القاضي فقال: انّه كان لأخي امرأة وانّها أعجبتني فدعوتها إلى الفجور فأبت، فأعلمت الملك انّها قد فجرت وأمرني برجمها فرجمتها وانا كاذب عليها فاستغفري لي، قالت: غفر الله لك.

ثم أقبلت على زوجها فقالت: اسمع، ثم تقدّم الديراني وقصّ قصّته، وقال: أخرجتها بالليل وأنا أخاف أن يكون قد لقيها سبع فقتلها، فقالت: غفر الله لك أجلس.

ثم تقدم القهرمان فقصّ قصته، فقالت للديراني: اسمع غفر الله لك، ثم تقدّم المصلوب فقصّ قصته، فقالت: لا غفر الله لك.

قال: ثم أقبلت على زوجها فقالت: أنا امرأتك وكلّما سمعت فانّما هو قصّتي، وليست لي حاجة في الرجال وأنا أحبّ أن تأخذ هذه السفينة وما فيها وتخلّي سبيلي فأعبد الله عزّ وجلّ في هذه الجزيرة، فقد ترى ما لقيت من الرجال، ففعل وأخذ السفينة وما فيها فخلّى سبيلها، وانصرف الملك وأهل مملكته[1].

(١) الكافي ٥: ٥٥٦ ح ١٠ باب النوادر ـ عنه البحار ٧٠: ٣٩٥ ح ٦٦ باب ٥٩.

الحكاية الثالثة

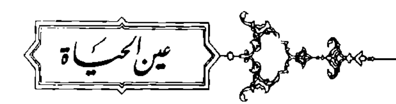
روى ابن بابويه رحمه الله بسند معتبر عن عليّ بن الحسين عليه السّلام انّه قال: كان في بني اسرائيل رجل ينبش القبور، فاعتلّ جار له فخاف الموت، فبعث إلى النباش فقال له: كيف كان جواري لك؟ قال: أحسن جوار، قال: فإنّ لي إليك حاجة، قال: قضيت حاجتك، قال: فأخرج إليه كفنين، فقال: احبّ أن تأخذ أحبها إليك وإذا دفنت فلا تنبشني.

فامتنع النباش من ذلك وأبى أن يأخذه، فقال له الرجل: أحب أن تأخذه، فلم يزل به حتى أخذ أحبهما إليه ومات الرجل، فلما دفن قال النباش: هذا قد دفن فما علمه بأنّي تركت كفنه أو أخذته، لآخذنّه.

فأتى قبره فنبشه، فسمع صائحاً يقول ويصيح به لا تفعل، ففزع النباش من ذلك، فتركه وترك ما كان عليه وقال لولده: أيّ أب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا، قال: فإنّ لي إليكم حاجة، قالوا: قل ما شئت فانّا سنصير إليه إن شاء الله.

قال: وأحبّ إذا أنا متّ أن تأخذوني فتحرقوني بالنار، فاذا صرت رماداً فأدفنوني، ثم تعمدوا بي ريحاً عاصفاً، فذروا نصفي في البر ونصفي في البحر، قالوا: نفعل، فلمّا مات فعل به ولده ما أوصاهم به، فلما ذروه قال الله جل جلاله للبر: اجمع ما فيك، وقال للبحر: اجمع ما فيك، فاذا الرجل قائم بين يدي الله جلّ جلاله.

فقال الله عزَّ وجلَّ: ما حملك علىٰ ما أوصيت به ولدك أن يفعلوه بك؟ قال: حملني علىٰ ذلك وعزتك خوفك، فقال الله جل جلاله: فانّي سأرضي خصومك،



وقد آمنت خوفك وغفرت لك[1].

الحكاية الرابعة

رویٰ ابن بابويه انّه: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مستظلّ بظلّ شجرة في يوم شديد الحرّ إذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرّغ في الرمضاء يكوي ظهره مرّة، وبطنه مرّة، وجبهته مرّة، ويقول: يا نفس ذوقي فما عندالله عزَّ وجلَّ أعظم مما صنعت بك، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ينظر إلى ما يصنع.

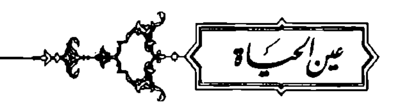
ثم انّ الرجل لبس ثيابه ثم أقبل، فأومأ إليه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بيده ودعاه، فقال له: يا عبدالله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من الناس صنعه، فما حملك علىٰ ما صنعت؟ فقال الرجل: حملني علىٰ ذلك مخافة الله عزَّ وجلَّ، وقلت لنفسي: يا نفس ذوقي فما عندالله أعظم مما صنعت بك.

فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: لقد خفت ربك حق مخافته، وانّ ربّك ليباهي بك أهل السماء، ثم قال لأصحابه: يا معاشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم، فدنوا منه فدعا لهم وقال لهم: اللهم اجمع أمرنا علىٰ الهدى، واجعل التقوى زادنا، والجنة مآبنا[2].

الحكاية الخامسة

رویٰ ابن بابويه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: بينا ثلاثة نفر فيمن

(١) أمالي الصدوق: ٢٦٨ ح ٣ مجلس ٥٣ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٧٧ ح ٢٢ باب ٥٩.
(٢) أمالي الصدوق: ٢٧٩ ح ٢٦ مجلس ٥٤ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٧٨ ح ٢٣ باب ٥٩.



كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطرٌ، فآووا إلى غار، فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء والله ما ينجيكم الّا الصدق، فليدع كلّ رجلٍ منكم بما يعلم الله عزَّ وجلَّ انّه قد صدق فيه.

فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم انّه كان لي أجير عمل لي عملاً علىٰ فرق من أرزّ، فذهب وتركه، فزرعته فصار من أمره انّي اشتريت من ذلك الفرق بقراً، ثم أتاني فطلب أجره، فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال: انّما لي عندك فرق من ارز، فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها فساقها، فإن كنت تعلم انّي فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا، فانساحت الصخرة عنهم.

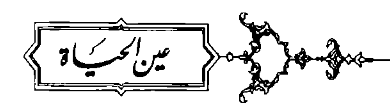
وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم انّه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كلّ ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ذات ليلة فأتيتهما وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما من رقدتهما وكرهت أن أرجع فيستيقظا لشربهما، فلم أزل أنتظرهما حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم انّي قد فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم انّه كانت لي إبنة عمّ أحب الناس إليّ، وانّي راودتها عن نفسها، فأبت عليّ الّا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت عليها، فجئت بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلمّا قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم الّا بحقّه.

فقمت عنها وتركت لها المائة، فإن كنت تعلم انّي فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا، ففرّج الله عزَّ وجلَّ عنهم، فخرجوا[1].

---

(١) الخصال: ١٨٤ ح ٢٥٥ باب ٣ ـ عنه البحار ٧٠: ٣٧٩ ح ٢٩ باب ٥٩.



الحكاية السادسة

روى الكليني بسند حسن عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: بينا أمير المؤمنين عليه السّلام في ملأ من أصحابه إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين انّي قد أوقبت علىٰ غلام فطهّرني، فقال له: يا هذا امض إلى منزلك لعلّ مراراً هاج بك، فلمّا كان من غد عاد إليه فقال له: يا أمير المؤمنين انّي قد أوقبت علىٰ غلام فطهّرني، فقال له: يا هذا امض إلى منزلك لعلّ مراراً هاج بك، حتى فعل ذلك ثلاثاً بعد مرّته الأُولى.

فلمّا كان في الرابعة قال له: يا هذا انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حكم في مثلك بثلاثة أحكام فاختر أيّهنّ شئت، قال: وما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال: ضربة بالسيف في عنقك بالغة ما بلغت، أو اهداء من جبل مشدود اليدين والرجلين، أو احراق بالنار، فقال: يا أمير المؤمنين أيّهنّ أشدّ عليّ؟ قال: الاحراق بالنار.

قال: فانّي قد اخترتها يا أمير المؤمنين، قال: خذ لذلك أُهبتك، فقال: نعم، فقام فصلّى ركعتين ثم جلس في تشهّد فقال:

«اللهم انّي قد أتيت من الذنب ما قد علمته، وانّي تخوّفت من ذلك فجئت إلى وصيّ رسولك، وابن عمّ نبيّك فسألته أن يطهّرني، فخيّرني بين ثلاثة أصناف من العذاب، اللهم فانّي قد اخترت أشدّها، اللهم فانّي أسألك أن تجعل ذلك كفارة لذنوبي، وأن لا تحرقني بنارك في آخرتي».

ثم قام وهو باك حتى جلس في الحفرة التي حفرها له أمير المؤمنين عليه السّلام وهو يرى النار تتأجج حوله، قال: فبكى أمير المؤمنين عليه السّلام وبكى أصحابه جميعاً، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: قم يا هذا فقد أبكيت ملائكة السماء

وملائكة الأرض، فإنّ الله قد تاب عليك، فقم ولا تعاودنّ شيئاً مما قد فعلت[1].

الحكاية السابعة

روي بسند معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انّه قال: خرجت امرأة بغيّ علىٰ شباب من بني اسرائيل فأفتنتهم، فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً لو رآها أفتنته، وسمعت مقالتهم فقالت: والله لا أنصرف إلى منزلي حتى أفتنه.

فمضت نحوه في الليل فدقّت عليه، فدلك، فقالت: آوي عندك، فأبى عليها، فقالت: انّ بعض شباب بني اسرائيل راودوني عن نفسي فإن أدخلتني والاّ لحقوني وفضحوني.

فلمّا سمع مقالتها فتح لها، فلمّا دخلت عليه رمت بثيابها، فلمّا رأى جمالها وهيئتها وقعت في نفسه، فضرب يده عليها ثم رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فأقبل حتى وضع يده علىٰ النار، فقالت: أيّ شيء تصنع؟

فقال: أحرقها لأنّها عملت العمل، فخرجت حتى أتت جماعة بني اسرائيل، فقالت: الحقوا فلاناً فقد وضع يده علىٰ النار، فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده[2].

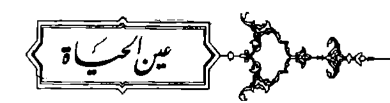
الحكاية الثامنة

روى بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: انّ عابداً كان في بني اسرائيل، فأضاف امرأة من بني اسرائيل فهمّ بها، فأقبل كلّما همّ بها قرّب إصبعاً من

---

(١) الكافي ٧: ٢٠١ ح ١ ـ مثله البحار ٧٩: ٧٣ ح ٢٩ باب ٧١ ـ عن ارشاد القلوب.

(٢) البحار ٧٠: ٣٨٧ ح ٥٢ باب ٥٩ ـ عن قصص الأنبياء للراوندي: ١٨٣ ح ٢٢٢.



أصابعه إلى النار، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح، فقال: اخرجي لبئس الضيف كنت لي[1].

الحكاية التاسعة

روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: كان من زهد يحيى بن زكريا عليه السّلام انّه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل، وشدّوها إلى سواري المسجد، فلمّا نظر إلى ذلك أتى امّه، فقال: يا امّاه أنسجي لي مدرعة من شعر وبرنساً من صوف حتى آتي بيت المقدس، فأعبد الله مع الأحبار والرهبان.

فقالت له امّه: حتى يأتي نبيّ الله وأُؤامره في ذلك، فلمّا دخل زكريا عليه السّلام أخبرته بمقالة يحيى، فقال له زكريا: يا بنيّ ما يدعوك إلى هذا وانّما أنت صبيّ صغير؟ فقال له: يا أبة أما رأيت من هو أصغر سنّاً منّي قد ذاق الموت؟ قال: بلى، ثم قال لأمّه: انسجي له مدرعة من شعر وبُرنساً من صوف، ففعلت.

فتدرع المدرعة على بدنه، ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس، فأقبل يعبد الله عزَّ وجلَّ مع الأحبار حتى أكلت المدرعة من الشعر لحمه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا يحيى أتبكي ممّا قد نحل من جسمك، وعزّتي وجلالي لو اطلعت إلى النار اطلاعة لتدرعت مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج.

(١) البحار ٧٠: ٣٨٨ ح ٥٣ باب ٥٩ ـ عن قصص الأنبياء للراوندي: ١٨٤ ح ٢٢٣.

فبكى حتى أكلت الدموع لحم خدّيه وبدا للناظرين أضراسه، فبلغ ذلك امّه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خدّيه، فقال: ما شعرت بذلك، فقال زكريا: يا بنيّ ما يدعوك إلى هذا انّما سألت ربّي أن يهبك لي لتقرّ بك عيني.

قال: أنت أمرتني بذلك يا أبة، قال: ومتى ذلك يا بنيّ؟ قال: ألست القائل انّ بين الجنّة والنار لعقبة لا يجوزها الّا البكاؤون من خشية الله؟ قال: بلى، فجد واجتهد وشأنك غير شأني، فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته امّه فقالت: أتأذن لي يا بني أن أتخذ لك قطعتي لبود تواريان أضراسك وينشفان دموعك؟ فقال لها: شأنك.

فاتخذت له قطعتي لبود تواريان أضراسه وتنشفان دموعه، فبكى حتى ابتلّتا من دموع عينيه، فحسر عن ذراعيه ثم أخذهما فعصرهما، فتحدر الدموع من بين أصابعه، فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموع عينيه فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم انّ هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين.

وكان زكريّا عليه السّلام إذا أراد أن يعظ بني اسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى يحيى عليه السّلام لم يذكر الجنة ولا ناراً، فجلس ذات يوم يعظ بني اسرائيل، وأقبل يحيى قد لفّ رأسه بعباءة فجلس في غمار الناس، والتفت زكريّا يميناً وشمالاً ولم ير يحيى، فأنشأ يقول:

«حدّثني حبيبي جبرئيل، عن الله تبارك وتعالى انّ في جهنّم جبلاً يُقال له: السكران، في أصل ذلك الجبل واد يقال له: الغضبان لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جبّ قامته مائة عام، في ذلك الجبّ توابيت من نار، في

تلك التوابيت صناديق من نار، وثياب من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار».

فرفع يحيى عليه السّلام رأسه فقال: واغفلتاه من السكران، ثم أقبل هائماً علىٰ وجهه، فقام زكريا عليه السّلام من مجلسه فدخل علىٰ أم يحيى فقال لها: يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى فانّي قد تخوّفت أن لا نراه الّا وقد ذاق الموت.

فقامت فخرجت في طلبه حتى مرّت بفتيان من بني اسرائيل، فقالوا لها: يا أم يحيى أين تريدين؟ قالت: أُريد أن أطلب ولدي يحيى، ذكر النار بين يديه فهام علىٰ وجهه، فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرّت براعي غنم.

فقالت له: يا راعي هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا؟ فقال لها: لعلّك تطلبين يحيى بن زكريّا؟ قالت: نعم ذاك ولدي، ذُكرت النار بين يديه فهام علىٰ وجهه.

قال: انّي تركته الساعة علىٰ عقبة ثنية كذا وكذا، فاقعاً قدميه في الماء، رافعاً بصره إلى السماء، يقول: وعزتك مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك، وأقبلت امّه فلمّا رأته أم يحيى دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين يديها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل.

فانطلق معها حتى أتى المنزل فقالت له أم يحيى: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف، فانّه ألين، ففعل وطبخ له عدس، فأكل واستوفى، فنام فذهب به النوم فلم يقم لصلاته، فنودي في منامه: يا يحيى بن زكريا أردت داراً خيراً من داري، وجواراً خيراً من جواري.

فاستيقظ فقام، فقال: يا رب أقلني عثرتي، الهي فبعزّتك لا أستظلّ بظلّ سوى بيت المقدس، وقال لأمّه: ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت انكما ستوردانّي



المهالك، فتقدّمت أمه فدفعت إليه المدرعة وتعلّقت به، فقال لها زكريا: يا أم يحيى دعيه فإنّ ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش.

فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس علىٰ رأسه ثم أتى بيت المقدس، فجعل يعبدالله عزَّ وجلَّ مع الأحبار حتى كان من أمره ما كان[1].

الحكاية العاشرة

روى ابن بابويه عن عروة بن الزبير انّه قال: كنّا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم ألا أخبركم بأقلّ القوم مالاً، وأكثرهم ورعاً، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: من؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

قال: فوالله ان كان في جماعة أهل المجلس الّا معرض عنه بوجهه، ثم انتدب له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها.

فقال أبو الدرداء: يا قوم انّي قائل ما رأيت وليقل كلّ قوم منكم ما رأوا، شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بشويطحات[2] النجار وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبَعُدَ عليّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فاذا أناب بصوت حزين ونغمة شجيّ وهو يقول:

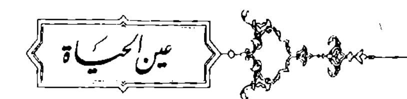
«الهي كم من موبقة حملت عنّي فقابلتها بنعمتك[3]، وكم من جريرة

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٢ ح ٢ مجلس ٨ ـ عنه البحار ١٤: ١٦٥ ح ٤ باب ١٥.

(٢) الشوحط: شجر يتخذ منه القسيّ.

(٣) في البحار: «حملت عن مقابلتها بنقمتك».



تكرمت عن كشفها بكرمك، الهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فاذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بعينه، فاستترت له فأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما به الله ناجى أن قال:

«الهي أُفكر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي ـ ثم قال ـ: آه ان أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ اذا أذن فيه بالنداء.

ثم قال: آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى».

قال: ثم انغمر في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر أُوقظه لصلاة الفجر، قال أبو الدرداء: فأتيته فاذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو، فقلت: انا لله وانا إليه راجعون، مات والله عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه علىٰ وجهه، فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء ولو رأيتني ودُعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم

بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ، وزبانية فظاط، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحبّاء ورحمني أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية.

فقال أبو الدرداء: فو الله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[1].

الثمرة الثالثة

في مدح مخالفة النفس، وذم متابعة الأهواء

اعلم انّ ضرر النفس الامارة للانسان أكثر من ضرر الشيطان، كما في القرآن عن لسان يوسف عليه السّلام:

«... اِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى»[2].

وفي مكان آخر:

«وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ● فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَى»[3].

وأيضاً:

«وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِىَ الْأَمْرُ اِنَّ آللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ اِلَّا أنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...»[4].

---

(١) أمالي الصدوق: ٧٢ح ٩ مجلس ١٨ ـ عنه البحار ٤١: ١١ح ١ باب ١٠١.

(٢) يوسف: ٥٣.

(٣) النازعات: ٤٠ و ٤١.

(٤) ابراهيم: ٢٢.

واعلم انّ مجاهدة النفس والشيطان أفضل من مجاهدة أعداء الظاهر وأصعب منه، وانّ جهاد الكفّار ثمرة من ثمار جهاد النفس، وجهاد النفس هو مخالفة النفس وهواها المخالف للشرع بالعقل المستقيم، وانقيادها للحق ومتابعتها للشرع بالاستعانة بالله والتدبر في الآيات والأحاديث والمواعظ، كالفرس المنقاد بالتدبير والتعليم حتى يصبح حاملاً للاثاث الكثير.

روي بسند معتبر عن موسى الكاظم عليه السّلام انّه قال: انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث سريّة، فلمّا رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه[1].

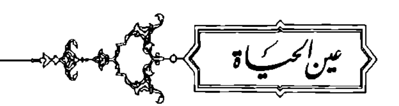
وقال أبو عبدالله عليه السّلام: احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم[2].

وروي عن الامام محمد الباقر عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يقول الله عزَّ وجلَّ: وعزّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي الّا شتتّ أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أوته منها الّا ما قدّرت له.

وعزّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه الّا استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة[3].

---

(١) معاني الأخبار: ١٦٠ ح ١ ـ أمالي الصدوق: ٣٧٧ ح ٨ مجلس ٧١ ـ عنهما البحار ٧٠: ٦٥ ح ٧ باب ٤٥.
(٢) الكافي ٢: ٣٣٥ ح ١ ـ عنه البحار ٧٠: ٨٢ ح ١٧ باب ٤٦.
(٣) البحار ٧٠: ٧٨ ح ١٤ باب ٤٦ ـ عن عدة الداعي ـ الكافي ٢: ٣٣٥ ح ٢.



وقال أبو عبدالله عليه السّلام: لا تدع النفس وهواها، فإنّ هواها في رداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكفّ النفس عمّا تهوى دواها[1].

(١) الكافي ٢: ٣٣٦ ضمن حديث ٤.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي‌ذر رحمه الله:]

يا أباذر انّ أوّل شيء يرفع من هذه الأُمة الأمانة والخشوع حتى لا يكاد يُرى خاشعاً.

اعلم انّ الأمانة هي التعفف في أموال وأعراض الناس والخيانة ضدّه، وانّ الأمانة من أشرف الصفات الكمالية، والخيانة توجب النقص والوبال، كما روي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: انّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث نبياً الّا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر[1].

وروي عنه عليه السّلام بأسانيد معتبرة انّه قال: لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه، وأداء الأمانة[2].

وقال عليّ بن الحسين عليه السّلام: ... عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمداً بالحقّ نبياً لو أنّ قاتل أبي الحسين بن عليّ عليه السّلام إئتمني على السيف الذي قتله به لأدّيته إليه[3].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: من اؤتمن على أمانة فأداها فقد حلّ ألف عقدة من عنقه من عقد النار، فبادروا بأداء الأمانة فإنّ من اؤتمن على أمانة وكل به ابليس

---

(١) الكافي ٢: ١٠٤ ح ١ ـ الوسائل ١٣: ٢٢٣ ح ٧ باب ٢.

(٢) الكافي ٢: ١٠٥ ح ١٢ ـ الوسائل ١٣: ٢١٨ ح ٣ باب ١.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٠٤ ح ٦، مجلس ٤٣ ـ عنه البحار ٧٥: ١١٤ ح ٣ باب ٥٠ ـ الوسائل ١٣: ٢٢٥ ح ١٣ باب ٢.

مائة شيطان من مردة أعوانه ليضلّوه ويوسوسوا إليه حتى يهلكوه الّا من عصم الله عزَّ وجلَّ[1].

وقال عليه السّلام: في حديث آخر: ... من حبس حق المؤمن أقامه الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة خمسمائة عام علىٰ رجليه حتى يسيل عرقه أو دمه وينادي مناد من عندالله: هذا الظالم الذي حبس عن الله حقّه، قال: فيوبّخ أربعين يوماً ثم يؤمر به إلى النار[2].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: من ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمله، وحرّم عليه ريح الجنّة، وانّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام، ومن خان جاره شبراً من الأرض جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوّقاً.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من خان أمانة في الدنيا ولم يرّدها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات علىٰ غير ملّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان ... .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من اشترى خيانة وهو يعلم فهو كالذي خانها، ومن حبس عن أخيه المسلم شيئاً من حقّه حرّم الله عليه بركة الرزق ... .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من يمطل علىٰ ذي حقّ حقّه وهو يقدر علىٰ أداء حقّه فعليه كلّ يوم خطيئة عشّار[3].

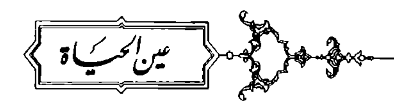
وقال أبو عبدالله عليه السّلام: من أكل مال أخيه ظلماً ولم يردّه إليه أكل جذوة من

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٤٣ ح ٨ مجلس ٤٩ ـ عنه البحار ٧٥: ١١٤ ح ٤ باب ٥٠.

(٢) الكافي ٢: ٣٦٧ ح ٢ ـ عنه البحار ٧٥: ١٧٨ ح ١٧ باب ٥٩.

(٣) راجع من لا يحضره الفقيه ٤: ٣ ح ٤٩٦٨ ـ أمالي الصدوق: ٣٤٤ ح ١ مجلس ٦٦ في مناهي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.



النار يوم القيامة[١].

وروي بسند صحيح عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام انّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حق لم يزل الله معرضاً عنه، ماقتاً لأعماله التي يعملها من البرّ والخير، لا يثبتها في حسناته حتى يتوب ويردّ المال الذي أخذه من صاحبه[٢].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السّلام: ما من أحد يظلم بمظلمة الّا أخذه الله بها في نفسه وماله، وأمّا الظلم الذي بينه وبين الله فاذا تاب غفر الله له[٣].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره، وظلم لا يدعه الله، فأمّا الظلم الذي لا يغفره فالشرك، وأمّا الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأمّا الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد[٤].

(١) الكافي ٢: ٣٣٣ ح ١٥ باب الظلم ـ عنه البحار ٧٥: ٣٣١ ح ٦٦ باب ٧٩.
(٢) مستدرك الوسائل ١٧: ٨٩ ح ٨ باب ١.
(٣) الكافي ٢: ٣٣٢ ح ١٢ باب الظلم ـ عنه البحار ٧٥: ٣٣١ ح ٦٤ باب ٧٩.
(٤) الكافي ٢: ٣٣٠ ح ١ باب الظلم ـ عنه البحار ٧٥: ٣٢٢ ح ٥٣ باب ٧٩.

[قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر رحمه الله:]

يا أباذر والذي نفس محمد بيده لو انّ الدنيا كانت تعدل عندالله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة من ماء.

يا أباذر الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الّا ما ابتغى به وجه الله، وما من شيء أبغض إلى الله تعالى من الدنيا، خلقها ثم أعرض عنها فلم ينظر إليها ولا ينظر إليها حتى تقوم الساعة، وما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من ايمان به وترك ما أمر أن يُترك.

يا أباذر انّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى أخي عيسى: يا عيسى لا تحب الدنيا فانّي لست أحبّها، وأحبّ الآخرة فانّما هي دار المعاد.

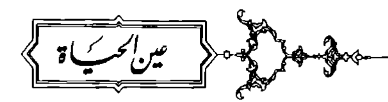
يا أباذر انّ جبرئيل أتاني بخزائن الدنيا علىٰ بغلة شهباء، فقال لي: يا محمد هذه خزائن الدنيا ولا ينقصك من حظّك عند ربك، فقلت: حبيبي جبرئيل لا حاجة لي فيها، إذا شبعت شكرت ربي، وإذا جعت سألته.

يا أباذر إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فقّهه في الدين، وزهّده في الدنيا، وبصّره بعيوب نفسه.

يا أباذر ما زهد عبد في الدنيا الّا أثبت الله الحكمة في قلبه، وانطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام.

يا أباذر إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فانّه يلقي إليك الحكمة، قلت: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: من لم ينس المقابر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى علىٰ ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه، وعدّ نفسه في الموتى.

ونأتي بثلاثة أبواب لتوضيح هذا الكلام:



الباب الأول

في ذمّ الدنيا

اعلم انّ مساوئ وعيوب الدنيا وإن كانت من الوضوح بحيث لا تخفى علىٰ أحد لكن بما انّ الشيطان زيّنها للناس وصرف المشاعر والعقل عن قبائحها، فذكر بعض المواعظ والأمثال الصادرة من المقربين لدى ذي الجلال يوجب التنبّه واليقظة.

روي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: جعل الخير كلّه في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

وقال: حرام علىٰ قلوبكم أن تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد في الدنيا[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: انّ من أعون الأخلاق علىٰ الدين الزهد في الدنيا[2].

وقال عليه السّلام: انّ علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا، اما انّ زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسّم الله عزَّ وجلَّ له فيها وان زهد، وانّ حرص الحريص علىٰ عاجل زهرة الحياة الدنيا لا يزيده فيها وان حرص، فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة[3].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: خرج النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو محزون، فأتاه

---

(١) الكافي ٢ : ١٢٨ ح ٢ ـ عنه البحار ٧٣ : ٤٩ ح ٢٠ باب ١٢٢ .

(٢) الكافي ٢ : ١٢٨ ح ٣ ـ عنه البحار ٧٣ : ٥٠ ح ٢١ باب ١٢٢ .

(٣) الكافي ٢ : ١٢٩ ح ٦ : عنه البحار ٧٣ : ٥٢ ح ٢٤ باب ١٢٢ .

ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمد هذه مفاتيح خـزائـن الأرض، يقول لك ربك: افتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له، فقال الملك: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لقد سمعت هذا الكلام من مـلك يقوله في السماء الرابعة حين أُعطيت المفاتيح[1].

وقال عليه السّلام في حديث آخر: مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بجدي أسكّ[2] ملقى علىٰ مزبلة ميتاً، فقال لأصحابه: كم يساوي هذا؟ فقالوا: لعلّه لو كان حيّاً لم يساو درهماً، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: والذي نفسي بيده للدنيا أهون علىٰ الله من هذا الجدي علىٰ أهله[3].

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: إذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدنيا، وفقّهه في الدين، وبصّره عيوبها، ومن اوتيهنّ فقد أُوتي خير الدنيا والآخرة، وقال: لم يطلب أحدٌ الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا وهو ضدٌ لما طلب أعداء الحقّ ... .

وقال: ألا من صبّار كريم، فانّما هي أيام قلائل، الّا انّه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا ... .

وقال: إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حبّ الله، وكان عند أهل الدنيا كأنّه قد خولط وانّما خالط القوم حلاوة حبّ الله فلم يشتغلوا بغيره ...، وقال: انّ القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو[4].

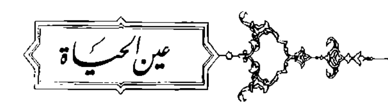
---

(١) الكافي ٢: ١٢٩ ح ٨ ـ عنه البحار ٧٣: ٥٤ ح ٢٦ باب ١٢٢.

(٢) أسك: مصطلم الأُذنين مقطوعهما.

(٣) الكافي ٢: ١٢٩ ح ٩ ـ عنه البحار ٧٣: ٥٥ ح ٢٧ باب ١٢٢.

(٤) الكافي ٢: ١٣٠ ح ١٠ ـ عنه البحار ٧٣: ٥٥ ح ٢٨ باب ١٢٢.



وقال أبو عبدالله عليه السلام: ... انّ في طلب الدنيا ضراراً بالآخرة، وفي طلب الآخرة اضراراً بالدنيا، فأضرّوا بالدنيا فانّها أولى بالاضرار[1].

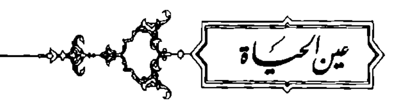
وروي بسند معتبر عن جابر الجعفي انّه قال: دخلت علىٰ أبي جعفر عليه السلام فقال: يا جابر انّي والله لمحزون وانّي لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك وما شغلك؟ وما حزن قلبك؟

فقال: يا جابر انّه من دخل قلبه صافي خالص دينٰ الله شغلٖ قلبه عمّا سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا، هل هي الّا طعام أكلته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؟

يا جابر انّ المؤمنين لم يطمئنّوا إلى الدنيا ببقائهم فيها، ولم يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر الآخرة دار قرار، والدنيا دار فناء وزوال، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة، وكأنّ المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة، لم يُصمّهم عن ذكر الله جلّ اسمه ما سمعوا بآذانهم، ولم يُعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم.

واعلم يا جابر انّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، تذكر فيعينوك وإن نسيت ذكروك، قوّالون بأمر الله، قوّامون علىٰ أمر الله، قطعوا محبتهم بمحبّة ربّهم، ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم، ونظروا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى محبته بقلوبهم، وعلموا انّ ذلك هو المنظور إليه لعظيم شأنه، فأنزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء.

(١) الكافي ٢: ١٣١ ح ١٢ ـ عنه البحار ٧٣: ٦١ ح ٣٠ باب ١٢٢.



انّي انّما ضربت لك هذا مثلاً لأنّها عند أهل اللّب والعلم بالله كفيء الظلال، يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله جلّ وعزّ من دينه وحكمته ولا تسألن عمّالك عنده الّا ماله عند نفسك ...[1].

وروي انّه: كان أبوذر رحمه الله يقول في خطبته: يا مبتغي العلم كأنّ شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً الا ما ينفع خيره. ويضرّ شرّه الّا من رحم الله، يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك، أنت يوم تفارقهم كضيف بتّ فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم.

والدنيا والآخرة كمنزل تحوّلت منه إلى غيره [وما بين الموت والبعث الأ كنومة نمتها ثم استيقظت منها، يا مبتغي العلم قدّم لمقامك بين يدي الله عزّ وجلّ فانّك مثاب بعملك كما تدين تدان يا مبتغي العلم][2][3].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى عليه السّلام: يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين، وركون من اتخذها أباً وأماً، يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنظر لها اذاً لغلب عليك حبّ الدنيا وزهرتها.

يا موسى نافس في الخير أهله، واستبقهم إليه فإنّ الخير كاسمه، واترك من الدنيا مابك الغنى عنه، ولا تنظر عينك إلى كلّ مفتون بها وموكّل إلى نفسه.

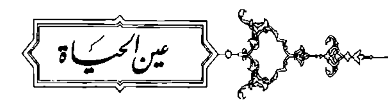
واعلم انّ كلّ فتنة بدؤها حبّ الدنيا، ولا تغبط أحداً بكثرة المال فإنّ مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق، ولا تغبطنّ أحداً برضى الناس عنه حتى تعلم انّ الله راض عنه، ولا تغبطنّ مخلوقاً بطاعة الناس له فإنّ طاعة الناس له واتباعهم

---

(١) الكافي ٢: ١٣٢ ح ١٦ ـ عنه البحار ٧٣: ٣٦ ح ١٧ باب ١٢٢.

(٢) ليس ما وضعناه بين المعقوفتين من المتن الفارسي.

(٣) الكافي ٢: ١٣٤ ح ١٧ ـ عنه البحار ٧٣: ٦٥ ح ٣٤ باب ١٢٢.



اياه على غير الحقّ هلاك له ولمن اتبعه[١].

وقال عليه السّلام: كتب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى بعض أصحابه يعظه: أُوصيك ونفسي بتقوى الله من لا تحلّ معصيته، ولا يرجى غيره، ولا الغنى الّا به، فإنّ من اتقى الله جلّ وعزّ وقوي وشبع وروي ورفع عقله عن أهل الدنيا، فبدنه مع أهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الآخرة.

فأطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حبّ الدنيا، فقذّر حرامها، وجانب شبهاتها، وأضرّ والله بالحلال الصافي الّا ما لابد له من كسرة يشدّ بها صلبه، وثوب يواري به عورته من أغلظ ما يجد وأخشنه، ولم يكن له فيما لابد له منه ثقة ولا رجاء، فوقعت ثقته ورجاؤه علىٰ خالق الأشياء.

فَجَدَّ واجتهد وأَتعب بدنه حتى بدت الأضلاع، وغارت العينان، فأبدل الله له من ذلك قوّة في بدنه، وشدّة في عقله، وما ذخر له في الآخرة أكثر، فارفض الدنيا فإنّ حبّ الدنيا يُعمي ويُصمّ ويبكم ويذلّ الرقاب.

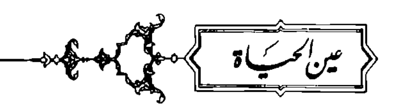
فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً أو بعد غد، فانّما هلك من كان قبلك باقامتهم علىٰ الأماني والتسويف حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم عافلون، فنقلوا علىٰ أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيّقة، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون، فانقطع إلى الله بقلب منيب، من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال، أعاننا الله واياك علىٰ طاعته، ووفقنا الله واياك لمرضاته[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: ما أصف داراً أوّلها عناء، وآخرها فناء، في

---

(١) الكافي ٢: ١٣٥ ح ٢١ ـ عنه البحار ٧٣: ٧٣ ح ٣٧ باب ١٢٢.

(٢) الكافي ٢: ١٣٦ ح ٢٣ ـ عنه البحار ٧٣: ٧٥ ح ٣٩ باب ١٢٢.



حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها آتته، ومن أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته[1].

وقال عليه السلام في خطبة أُخرى: أُنظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، فانّها والله عن قليل تزيل الثاوي الساكن، وتفجّع المترف الآمن، لا يرجع ما تولّى عنها فأدبر، ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر، سرورها مشوب بالحزن، وآخر الحياة فيها إلى الضعف والوهن، فلا يغرّنّكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها.

رحم الله عبداً تفكر واعتبر، فأبصر ادبار ما قد أدبر، وحضور ما قد حضر، وكأنّ ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأنّ ما هو كائن من الآخرة لم يزل، وكلّ ما هو آت قريب ...[2].

وقال عليه السلام في خطبة أُخرى: انّي أُحذّركم الدنيا فانّها حلوة خضرة حفّت بالشهوات، وتحبّبت بالعاجلة، وعمّرت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرّارة، زائلة نافدة، أكّالة غوّالة، لا تعدو إذا هي تناهت إلى أُمنيّة أهل الرغبة فيها والرضى بها أن تكون كما قال الله سبحانه:

«كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً»[3].

مع انّ امرء لم يكن منها في حبرة[4] الّا أعقبته عبرة، ولم يلق من سرّائها بطناً

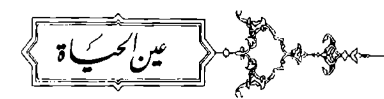
---

(١) البحار ٧٣: ١٢٠ ضمن حديث ١١٠ باب ١٢٢ ـ عن روضة الواعظين.

(٢) البحار ٧٣: ١١٨ ضمن حديث ١٠٩ باب ١٢٢ ـ عن كتاب عيون الحكم والمواعظ.

(٣) الكهف: ٤٥.

(٤) الحبرة ـ بالفتح ـ: السرور والنعمة.



الّا منحته من ضرّائها ظهراً، ولم تظلّه فيها ديمة رخاء الّا هتنت[1] عليه مزنة بلاء، إذا هي أصبحت منتصرة لم تأمن أن تمسي له متنكرة.

وان جانب منها اعذوذب لامرئ واحلولا أمرّ عليه جانب منها فأوبى[2]، وما أمسى امرؤ منها في جناح أمن الّا أصبح في أخوف خوف، غرّارة غرور ما فيها، فانية فإن من عليها، لا خير في شيء من زادها الّا التقوى، من أقلّ منها استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر منها لم يدم له وزال عمّا قليل عنه.

كم من واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعته، وذي حذر قد خدعته، وكم ذي أُبهّة فيها قد صيّرته حقيراً، وذي نخوة قد ردّته خائفاً فقيراً.

وكم ذي تاج قد اكبته لليدين والفم، سلطانها ذلّ، وعيشها رنق[3]، وعذبها أُجاج، وحلوها صبر، حيّها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ومنيعها بعرض اهتضام، وملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وأمنها منكوب، وجارها محروب، ومن وراء ذلك سكرات الموت وزفراته، وهول المطّلع، والوقوف بين يدي الحاكم العدل، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

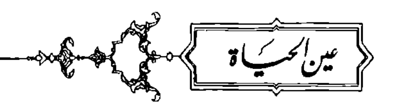
ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً، وأبين آثاراً، وأعدّ منكم عديداً، وأكثف منكم جنوداً، وأشدّ منكم عنوداً، تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد، وآثروها أيّ ايثار، ثم ظعنوا عنها بالصغار، أفبهذه تؤثرون؟ أم علىٰ هذه تحرصون؟ أم إليها تطمئنّون؟ يقول الله:

---

(١) هتنت: صبّت.

(٢) أوبى: صار كثير الوباء.

(٣) رنق ـ بفتح فكسر ـ: كدر.



«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ● أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»(١).

فبئست الدار لمن لم يتهّيئها، ولم يكن فيها على وجل، واعلموا وأنتم تعلمون انكم تاركوها لابد، وانّما هي كما نعت الله:

«لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ»(٢).

فاتعظوا فيها بالذين كانوا يبنون بكلّ ريع آية يعبثون، ويتخذون مصانع لعلّهم يخلدون، وبالذين قالوا من أشدّ منّا قوّة، واتعظوا بمن رأيتم من اخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم، ولا يدعون ركباناً، وأُنزلوا ولا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الضريح أكناناً، ومن التراب أكفاناً، ومن الرفات جيراناً، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، لا يزورون ولا يزارون.

حلماء قد بادت أضغانهم، جهلاء قد ذهبت أحقادهم، لا تخشى فجعتهم، ولا يرجى دفعهم، وهم كمن لم يكن، وكما قال الله سبحانه: **«فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ»**(٣).

استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة، جاؤها كما فارقوها، حفاة عراة، قد ظعنوا منها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، وإلى خلود الأبد، يقول الله تبارك وتعالى: **«كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ»**(٤)(٥).

---

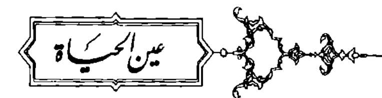
(١) هود: ١٥ـ١٦.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) القصص: ٥٨.

(٤) الأنبياء: ١٠٤.

(٥) البحار ٧٣: ٩٦ ح ٨٢ باب ١٢٢ ـ عن تحف العقول: ١٢٢ ـ ونحوه نهج البلاغة خطبة: ١١١.



روىٰ ابن بابويه عليه الرحمة انّه: كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة عليها السّلام، فدخل عليها فأطال عندها المكث، وخرج مرّة في سفر فصنعت فاطمة عليها السّلام مسكتين من ورق، وقلادة، وقرطين، وستراً لباب البيت لقدم أبيها وزوجها عليهما السّلام.

فلمّا قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: دخل عليها، فوقف أصحابه علىٰ الباب لا يدرون يقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فظنّت فاطمة عليها السّلام انّه انّما فعل ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر.

فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها، ونزعت الستر فبعثت به إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقالت للرسول: قل له: تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول: اجعل هذا في سبيل الله.

فلمّا أتاه قال: فعلت فداها أبوها ـ ثلاث مرات ـ ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما أسقى فيها كافراً شربة ماء، ثم قام فدخل عليها[1].

وروي انّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يعمل في حائط، فاذا هو بامرأة في غاية الحسن والجمال، فقالت له: يا ابن أبي طالب هل لك أن تزوّجني وأُغنيك عن هذه المسحاة وأدلّك على خزائن الأرض ويكون لك الملك ما بقيت، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا، فقال لها: ارجعي فاطلبي زوجاً غيري فلست من شأني،

(١) البحار ٤٣: ٢٠ ح ٧ باب ٣ ـ عن أمالي الصدوق: ١٩٤ ح ٧ مجلس ٤١.

وأقبل على المسحاة والعمل(١).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أغفل الناس من لم يتّعظ بتغيّر الدنيا من حال إلى حال، وأعظم الناس في الدنيا خطراً من لم يجعل للدنيا عنده خطراً(٢).

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ الله جلّ جلاله أوحى إلى الدنيا أن أتعبي من خدمك، وأخدمي من رفضك(٣).

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: الرغبة في الدنيا تكثر الهمّ والحزن، والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن(٤).

وقال أبو عبدالله عليه السّلام: حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة(٥).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من سلم من أمتي من أربع خصال فله الجنّة: من الدخول في الدنيا، واتباع الهوى، وشهوة البطن، وشهوة الفرج ...(٦).

الباب الثاني

في بيان أمثلة وردت عن أئمة الدين في ذم الدنيا لتنبيه الغافلين في مسالكها.

---

(١) راجع البحار ٧٣: ٨٤ ضمن حديث ٤٧ باب ١٢٢ بتلخيص وتغيير.

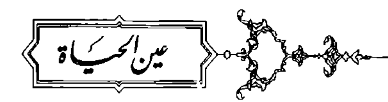
(٢) البحار ٧٣: ٨٨ ح ٥٥ باب ١٢٢ ـ عن أمالي الصدوق.

(٣) البحار ٧٣: ٨٧ ح ٥١ باب ١٢٢ ـ عن أمالي الصدوق.

(٤) الخصال: ٧٣ ح ١١٤ باب ٢ ـ عنه البحار ٧٣: ٩١ ح ٦٥ باب ١١٢.

(٥) الخصال: ٢٥ ح ٨٧ باب ١ ـ عنه البحار ٧٣: ٩٠ ح ٦٢ باب ١٢٢.

(٦) الخصال: ٢٢٣ ح ٥٤ باب ٤ ـ عنه البحار ٧٣: ٩٣ ح ٧١ باب ١٢٢.



التمثيل الأوّل

في انّ الانسان كلّما انشغل بالدنيا صعب التخلّص منها، كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً.

قال: وقال أبو عبدالله عليه السّلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بنيّ انّ الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم، فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له، وانّما أنت عبد مستأجر قد أُمرت بعمل ووعدت عليه أجراً، فأوف عملك، واستوف أجرك.

ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمن[1] فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، أخربها[2] ولا تعمرها فانّك لم تؤمر بعمارتها.

واعلم انّك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عزَّ وجلَّ عن أربع: شبابك فيما أبليته، وعمرك فيما أفنيته، ومالك مما اكتسبته وفيما أنفقته.

فتأهّب لذلك وأعدّ له جواباً، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا، فإنّ قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرك، وجدّ في أمرك، واكشف الغطاء عن وجهك، وتعرّض لمعروف ربّك، وجدّد التوبة في قلبك، واكمش في فراغك قبل ان يقصد قصدك، ويقضي قضاؤك، ويحال بينك وبين ما تريد[3].

---

(١) هكذا في الكافي وفي البحار: سمنت.

(٢) أخربها: دعها خراباً بترك ما لا تحتاج إليه من المطاعم والمشارب والملابس ... والاقتصار على الضروري منها.

(٣) الكافي ٢: ١٣٤ ح ٢٠ ـ عنه البحار ٧٣: ٦٨ ح ٣٦ باب ١٢٢.

التمثيل الثاني

في انّه كلّما سعيت في تحصيل الدنيا لازداد حرصك عليها، فقد روي بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام[1] انّه قال: مثل الدنيا كمثل ماء البحر، كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله[2].

التمثيل الثالث

في انّ ظاهر الدنيا حسن جميل وباطنها قاتل، روي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: انّ في كتاب عليّ صلوات الله عليه: انّما مثل الدنيا كمثل الحيّة ما ألين مسّها وفي جوفها السمّ الناقع، يحذرها الرجل العاقل، ويهوي إليها الصبيّ الجاهل[3].

التمثيل الرابع

في فناء الدنيا وسرعة انقضائها، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: مالي وللدنيا انّما مثلي ومثلها كمثل الراكب، رفعت له شجرة في يوم صائف فقال[4] تحتها ثم راح وتركها[5].

---

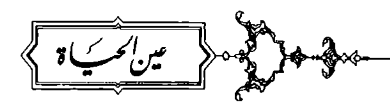
(١) هكذا في الكافي والبحار، لكن في المتن الفارسي عن علي الرضا عليه السّلام ولم نجدها.

(٢) الكافي ٢: ١٣٦ ح ٢٤ ـ عنه البحار: ٧٩ ح ٤٠ باب ١٢٢.

(٣) الكافي ٢: ١٣٦ ح ٢٢ ـ عنه البحار ٧٣: ٧٥ ح ٣٨ باب ١٢٢.

(٤) فقال تحتها من القيلولة أي الاستراحة.

(٥) الكافي ٢: ١٣٤ ح ١٩ ـ عنه البحار ٧٣: ٦٧ ح ٣٥ باب ١٢٢.



التمثيل الخامس

في انّ الدنيا ليس لها وفاء، روي عن موسى بن جعفر عليه السلام انّه قال: تمثّلت الدنيا لعيسى عليه السلام في صورة امرأة زرقاء، فقال لها: كم تزوّجت؟ قالت: كثيراً، قال: فكلّ طلّقك؟ قالت: بل كلّاً قتلت.

قال: فويح أزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين ...[1].

التمثيل السادس

في كيفية النجاه من الدنيا، فقد روي عن موسى بن جعفر عليه السلام انّه قال: ... انّ لقمان قال لابنه: .. يا بنيّ انّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان، وشراعها التوكّل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكّانها الصبر[2].

التمثيل السابع

في دناءة الدنيا وانّ التكبر فيها يوجب الضرر، فقد روي عن موسى بن جعفر عليه السلام انّه قال: انّ الدنيا كدار منخفض سقفه إذا ارتفع فيه أحد وتكبّر أصاب رأسه السقف، وإذا تواضع وطأطأ رأسه يسلم[3].

---

(١) البحار ٧٨: ٣١١ ضمن حديث ١ باب ٢٥.

(٢) الكافي ١: ١٦ ضمن حديث ١٢ ـ في البحار ٧٨: ٢٩٩ ضمن حديث ١ باب ٢٥.

(٣) مضمون النص.

التمثيل الثامن

في سوء عاقبة الدنيا، روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ان مثل الدنيا كالأطعمة اللذيذة عند الأكل لكن لما تصل إلى المعدة تتعفّن وكلّما كان الطعام ألذ وأدسم كان ريح ما يخرج من جوفه أكره وكان مفسداً للجسم ويوجب الألم، فكذلك الدنيا كلّما استفدت منها أكثر كان ضررها أكثر عند الموت، أو هي كالدار التي يأتيها اللص فكلّما كان المتاع أثمن كان تأسّف مالكها أكثر، فكذلك لص الأجل الآتي إلى دار الآمال، فكلما جمع من الدنيا أكثر كان غمه وحزنه عند مفارقته أكثر.

التمثيل التاسع

في انّ الدنيا والآخرة لا يجتمعان، وانّ حبّ الدنيا يمنع الخيرات والسعادات، روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: انّما مثل الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع أن يمشي في الماء الّا وتبتل قدماه[1].

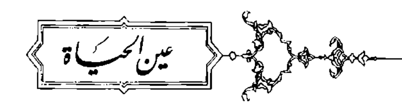
وروي انّ عيسى عليه السّلام قال: ... بحقّ أقول لكم: انّ الدابة إذا لم تركب ولم تمتهن وتستعمل لتصعب ويتغيّر خلقها، وكذلك القلوب إذا لم ترق بذكر الموت وتتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ ... .

بحق أقول لكم: انّه كما ينظر المريض إلى طيب الطعام فلا يلتذّه مع ما يجده من شدّة الوجع، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذّ بالعبادة ولا يجد حلاوتها ...[2].

---

(١) مضمون النص.

(٢) تحف العقول: ٣٨٢ ـ عنه البحار ١٤: ٣١٠ ضمن حديث ١٧ باب ٢١.



التمثيل العاشر

في ذكر أمثلة تشتمل على توضيح عيوب الدنيا الكثيرة، ونورد هنا قصة بلوهر ويوذاسف المشتملة على حكم الأنبياء الشريفة، ومواعظ الحكماء اللطيفة لتضمّنها فوائد جمّة قلّ نظيرها، ولا أحرم القارئ عنها بسبب طولها.

روى ابن بابويه رحمه الله في كتاب اكمال الدين واتمام النعمة بسنده عن محمد بن زكريا انّ ملكاً من ملوك الهند كان كثير الجند، واسع المملكة مهيباً في أنفس الناس، مظفراً على الأعداء، وكان مع ذلك عظيم النهمة[1] في شهوات الدنيا ولذّاتها وملاهيها، مؤثراً لهواه، مطيعاً له، وكان أحبّ الناس إليه وأنصحهم له في نفسه من زيّن له حاله وحسّن رأيه، وأبغض النّاس إليه وأغشّهم له في نفسه من أمَره بغيرها وترك أمره فيها.

وكان قد أصاب الملك فيها في حداثة سنّه وعنفوان شبابه، وكان له رأي أصيل، ولسان بليغ، ومعرفة بتدبير النّاس وضبطهم، فعرف الناس ذلك منه فانقادوا له، وخضع له كلّ صعب وذلول، واجتمع له سكر الشّباب، وسكر السّلطان، والشهوة، والعجب، ثم قوي ذلك ما أصاب من الظّفر على من ناصبه والقهر لأهل مملكته، وانقياد الناس له، فاستطال على الناس واحتقرهم.

ثمّ ازداد عجباً برأيه ونفسه لما مدحه الناس وزيّنوا أمره عنده، فكان لا همّة له الّا الدنيا وكانت الدنيا له مؤاتية لا يريد منها شيئاً الّا ناله، غير أنّه كان مئناثاً[2] لا

---

(١) النهمة ـ بفتح النون ـ بلوغ الهمة والشهوة في الشيء ويقال: «لله في هذا الأمر نهمة» أي شهوة.

(٢) المئناث: التي اعتادت أن تلد الاناث وكذلك الرجل لانهما يستويان في مفعال. ويقابله المذكار وهي التي تلد الذكور كثيراً.



يولد له ذكر، وقد كان الدّين فشا في أرضه قبل ملكه وكثر أهله، فزيّن له الشيطان عداوة الدّين وأهله، وأضرّ بأهل الدين، فأقصاهم مخافة على ملكه، وقرّب أهل الأوثان، وصنع لهم أصناماً من ذهب وفضّة، وفضّلهم وشرّفهم، وسجد لأصنامهم.

فلمّا رأى النّاس ذلك منه سارعوا إلى عبادة الأوثان والاستخفاف بأهل الدين، ثمّ انّ الملك سأل يوماً عن رجل من أهل بلاده كانت له منه منزلة حسنة ومكانة رفيعة، وكان أراد أن يستعين به على بعض أموره ويحبوه ويكرمه، فقيل له: أيّها الملك انّه قد خلع الدنيا وخلي منها ولحق بالنّساك، فثقل ذلك على الملك، وشقّ عليه.

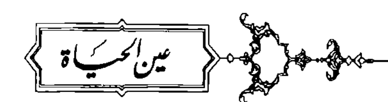
ثمّ انّه أرسل إليه فأوتي به، فلمّا نظر إليه في زيّ النسّاك وتخشّعهم زبره وشتمه[1] وقال له: بينا أنت من عبيدي وعيون أهل مملكتي ووجههم وأشرافهم إذ فضحت نفسك وضيّعت أهلك ومالك، واتّبعت أهل البطالة والخسارة حتى صرت ضحكة ومثلاً، وقد كنت أعددتك لمهمّ أموري، والاستعانة بك على ما ينوبني.

فقال له: أيّها الملك إن لم يكن لي عليك حقّ فلعقلك عليك حقّ، فاستمع قولي بغير غضب، ثمّ ائمر بما بدالك بعد الفهم والتثبيت، فإنّ الغضب عدوّ العقل، ولذلك يحول ما بين صاحبه وبين الفهم، قال له الملك: قل ما بدا لك.

قال الناسك: فاني أسألك أيّها الملك أفي ذنبي على نفسي عتبت عليّ أم في ذنب منّي إليك سالف؟

قال الملك: انّ ذنبك إلى نفسك أعظم الذنوب عندي، وليس كلّما أراد

(١) النساك: العباد. وزبره أي زجره.



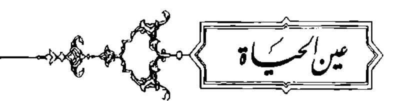
رجل من رعيّتي أن يهلك نفسه أخلّي بينه وبين ذلك، ولكنّي أعدّ اهلاكه لنفسه كاهلاكه لغيره ممن أنا وليّه والحاكم عليه وله، فأنا أحكم عليك لنفسك وآخذ لها منك إذ ضيّعت أنت ذلك.

فقال له النّاسك: أراك أيها الملك لا تأخذني الّا بحجّة ولا نفاذ لحجّة الّا عند قاض، وليس عليك من النّاس قاض، لكن عندك قضاة وأنت لأحكامهم منفذ، وأنا ببعضهم راض، ومن بعضهم مشفق.

قال الملك: وما أولئك القضاة، قال: أمّا الذي أرضى قضاءه فعقلك، وأمّا الذي أنا مشفق منه فهواك، قال الملك: قل ما بدا لك وأصدقني خبرك، ومتى كان هذا رأيك؟ ومن أغواك؟

قال: أمّا خبري فانّي كنت سمعت كلمة في حداثة سنّي وقعت في قلبي، فصارت كالحبّة المزروعة، ثمّ لم تزل تنمي حتى صارت شجرة إلى ما ترى، وذلك أنّي كنت قد سمعت قائلاً يقول: يحسب الجاهل الأمر الذي هو لا شيء شيئاً، والأمر الذي هو الشيء لا شيء، ومن لم يرفض الأمر الذي هو لا شيء لم ينل الأمر الذي هو شيء، ومن لم يبصر الأمر الذي هو الشيء لم تطب نفسه برفض الأمر الذي هو لا شيء، والشيء هو الآخرة، ولا شيء هو الدنيا.

فكان لهذه الكلمة عندي قرار لأنّي وجدت الدنيا حياتها موتاً، وغناها فقراً، وفرحها ترحاً، وصحّتها سقماً، وقوّتها ضعفاً، وعزّها ذلّاً، وكيف لا تكون حياتها موتاً، وانّما يحيى فيها صاحبها ليموت، وهو من الموت على يقين، ومن الحياة على قلعة، وكيف لا يكون غناؤها فقراً وليس أصيب أحد منها شيئاً الّا احتاج لذلك الشيء إلى شيء آخر يصلحه، وإلى أشياء لابدّ له منها.



ومثل ذلك أنّ الرجل ربما يحتاج إلى دابّة فاذا أصابها احتاج إلى علفها وقيّمها ومربطها[١] وأدواتها، ثمّ احتاج لكلّ شيء من ذلك إلى شيء آخر يصلحه، وإلى أشياء لابدّ له منها، فمتى تنقضي حاجة من هو كذلك، وفاقته؟

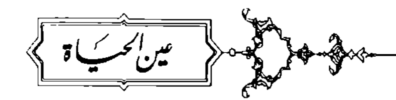
وكيف لا يكون فرحها ترحاً وهي مرصدة لكلّ من أصاب منها قرّة أعين أن يرى من ذلك الأمر بعينه أضعافه من الحزن، إن رأى سروراً في ولده فما ينتظر من الأحزان في موته وسقمه وجايحة ان أصابته أعظم من سروره به، وان رأى السرور في مال فما يتخوّف من التّلف أن يدخل عليه أعظم من سروره بالمال.

فاذا كان الأمر كذلك فأحقّ النّاس بأن لا يتلبّس بشيء منها من عرف هذا منها، وكيف لا يكون صحّتها سقماً وانّما صحّتها من أخلاطها، وأصحّ أخلاطها وأقربها من الحياة الدّم، وأظهر ما يكون الانسان دماً أخلق ما يكون صاحبه بموت الفجأة، والذبحة[٢] والطّاعون، والآكلة والبرسام.

وكيف لا تكون قوّتها ضعفاً وانّما تجمع القوى فيها ما يضرّه ويوبقه، وكيف لا يكون عزّها ذلاً ولم ير فيها عز فطّ الّا أورث أهلها ذلاً طويلاً، غير أنّ أيّام العزّ قصيرة، وأيّام الذلّ طويلة، فأحقّ النّاس بذمّ الدّنيا من بسطت له الدّنيا فأصاب حاجته منها، فهو يتوقّع كلّ يوم وليلة وساعة وطرفة عين أن يعدى على ماله فيحتاج، وعلى حميمه فيختطف، وعلى جمعه فينهب، وأن يؤتى بنيانه من القواعد فيهدم، وأن يدب الموت إلى جسده فيستأصل، ويفجع بكلّ ما هو به

(١) المربط ـ بفتح الباء وكسرها ـ موضع ربط الدواب.

(٢) الذبحة ـ بضم الذال وفتح الباء ـ ورم حارّ في العضلات ما جانَب الحلقوم التي بها يكون البلع، وقال العلامة: وقد يطلق الذبحة على الاختناق، والشيخ لا يفرق بينهما، وقيل: هي ورم اللوزتين. (بحر الجواهر)



ضنين.

فأذمّ إليك أيّها الملك الدّنيا الآخذة ما تعطي، والمورثة بعد ذلك التبعة، السّالبة لمن تكسو، والمورثة بعد ذلك العرى، المواضعة لمن ترفع، والمورثة بعد ذلك الجزع، التاركة لمن يعشقها، والمورثة بعد ذلك الشقوة، المغوية لمن أطاعها واغترّ بها، الغدّارة بمن ائتمنها وركن إليها.

هي المركب القموص[1]، والصاحب الخؤون، والطريق الزلق، والمهبط المهوي، هي المكرمة التي لا تكرم أحداً الّا أهانته، المحبوبة التي لا تحبّ أحداً، الملزومة التي لا تلزم أحداً، يوفى لها وتغدر، ويصدق لها وتكذب، وينجز لها وتخلف.

هي المعوّجة لمن استقام بها، المتلاعبة بمن استمكنت[2] منه، بينا هي تطعمه إذ حوّلته مأكولاً. وبينا هي تخدمه إذ جعلته خادماً، وبينا هي تضحكه إذ ضحكت منه، وبينا هي تشتمه إذ شتمت منه[3]، وبينا هي تبكيه إذا بكت عليه، وبينا هي قد بسطت يده بالعطيّة إذ بسطتها بالمسألة.

وبينا هو فيها عزيز إذ أذلّته، وبينا هو فيها مكرّم إذ أهانته، وبينا هو فيها معظّم إذ صار محقوراً، وبينا هو فيها رفيعٌ إذ وضعته، وبينا هي له مطيعة إذ عصته، وبينا هو فيها مسرورٌ إذ أخزيته، وبينا هو فيها شبعان إذ أجاعته، وبينا هو فيها حيّ إذ أماتته.

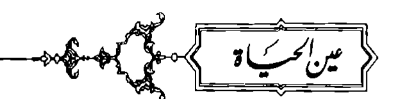
فأفّ لها من دار إذ كان هذا فعالها، وهذه صفتها، تضع التاج على رأسه

---

(١) القموص ـ على وزن چموش ـ وبمعناه.

(٢) في بعض النسخ «استمسكت».

(٣) في بعض النسخ «وبينا هي تشمته إذا تشمت منه».



غدوة، وتعفّر خدّه بالتّراب عشيّة، وتجعلها في الأغلال غدوة [تحلّى الأيدي بأسورة الذّهب عشيّة، وتجعلها في الأغلال غدوة] وتقعد الرجل على السرير غدوة، وترمي به في السجن عشيّة، تفرش له الديباج عشيّة، وتفرش له التراب غدوة.

وتجمع له الملاهي والمعازف غدوة، وتجمع عليه النّوائح والنوادب عشيّة، تحبّب إلى أهله قربه عشيّة، وتحبّب إليهم بعده غدوة، تطيب ريحه غدوة وتنتن ريحه عشيّة.

فهو متوقّع لسطواتها، غير ناج من فتنتها وبلائها، تمتّع نفسه من أحاديثها، وعينه من أعاجيبها، ويده مملوّة من جمعها، ثمّ تصبح الكفّ صفراً، والعين هامدة، ذهب ما ذهب، وهوى ما هوى، وباد ما باد، وهلك ما هلك.

تجد في كلّ من كلّ خلفاً، وترضى بكلّ من كلّ بدلاً، تسكن دار كلّ قرن قرناً، وتطعم سؤر كلّ قوم قوماً، تقعد الأراذل مكان الأفاضل، والعجزة مكان الحزمة[1].

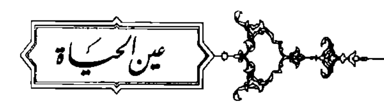
تنقل أقواماً من الجدب إلى الخصب[2]، ومن الرجلة إلى المركب، ومن البؤس إلى النعمة، ومن الشدة إلى الرخاء، ومن الشقاء إلى الخفض والدعة، حتى إذا غمستهم في ذلك انقلبت بهم فسلبتهم الخصب، ونزعت منهم القوّة، فعادوا إلى أبأس البؤس، وأفقر الفقر، وأجدب الجدب.

فأمّا قولك أيّها الملك في إضاعة الأهل وتركهم فانّي لم أضيّعهم، ولم

---

(١) في بعض النسخ « الفجرة مكان البررة ».

(٢) الجدب: القحط، مقابل الخصب.



أتركهم، بل وصلتهم وانقطعت إليهم، ولكنّي كنت وأنا أنـظر بـعين مسـحورة لا أعرف بها الأهل من الغرباء، ولا الأعداء من الأولياء، فلمّا انـجلى عـنّي السّـحر استبدلت بالعين المسحورة عيناً صحيحة، واستنبت الأعداء من الأولياء، والأقرباء من الغرباء.

فاذا الذين كنت أعدّهم أهلين وأصدقاء واخواناً وخلطاء انّما هـم سـباع ضارية[1]، لا همّة لهم الّا أن تأكلني وتأكل بي، غير أنّ اختلاف منازلهم في ذلك على قدر القوّة، فمنهم كالأسد في شدّة السّـورة[2]، ومـنهم كـالذّئب فـي الغـارة والنّهبة، ومنهم كالكلب في الهرير والبصبصة، ومنهم كالثعلب في الحيلة والسرقة، فالطّرق واحدة والقلوب مختلفة.

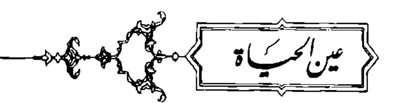
فلو أنّك أيّها الملك في عظيم ما أنت فيه من ملكك، وكثرة من تبعك من أهلك وجنودك وحاشيتك وأهل طاعتك، نظرت في أمرك عـرفت أنّك وحـيدٌ فريدٌ، ليس معك أحدٌ من جميع أهل الأرض، وذلك أنّك قد عرفت أنّ عامّة الأمم عدو لك، وأنّ هذه الامة التي أُوتيت الملك عليها كثيرة الحسد[3] من أهل العداوة والغشّ لك.

الذين هم أشدّ عداوة لك من السّباع الضارية، وأشدّ حنقاً عليك من كـلّ الأمم الغريبة، وإذا صرت إلى أهل طاعتك ومعونتك وقرابتك وجدت لهم قوماً يعملون عملاً بأجر معلوم، يحرصون مع ذلك أن ينقصوك من العمل فيزدادوك من الأجر.

(١) الضاري من الكلاب ما لهج بالصيد وتعود أكله.

(٢) السورة: الحدة.

(٣) في بعض النسخ «الحشد» وهو الجماعة.



وإذا صرت إلى أهل خاصّتك وقرابتك صرت إلى قوم جعلت كدّك وكدحك[1] ومهنّأك وكسبك لهم، فأنت تؤدّي إليهم كلّ يوم الضّريبة، وليس كلّهم وان وزّعت بينهم جميع كدّك عنك براض، فإن أنت حبست عنهم ذلك فليس منهم البتّة براض، أفلا ترى أنّك أيّها الملك وحيدٌ لا أهل لك ولا مال.

فأمّا أنا فإنّ لي أهلاً ومالاً واخواناً وأخواتاً وأولياء، لا يأكلوني، ولا يأكلون بي، يحبّوني وأُحبّهم، فلا يفقد الحبّ بيننا، ينصحوني وأنصحهم فلا غشّ بيننا، ويصدّقوني وأُصدّقهم فلا تكاذب بيننا، ويوالوني وأُواليهم فلا عداوة بيننا، ينصروني وأنصرهم فلا تخاذل بيننا، يطلبون الخير الذي ان طلبته معهم لم يخافوا أن أغلبهم عليه أو أستأثر به دونهم، فلا فساد بيننا ولا تحاسد.

يعملون لي وأعمل لهم بأُجور لا تنفد، ولا يزال العمل قائماً بيننا، هم هداتي ان ضللت، ونور بصري ان عميت، وحصني ان أُتيت، ومجنّي أن رميت[2]، وأعواني إذا فزعت، وقد تنزّهنا عن البيوت والمخاني[3] فلا يزيدها وتركنا الذّخاير والمكاسب لأهل الدنيا.

فلا تكاثر بيننا، ولا تباغي، ولا تباغض، ولا تفاسد، ولا تحاسد، ولا تقاطع، فهؤلاء أهلي أيّها الملك واخواني وأقربائي وأحبّائي، أحببتهم وانقطعت إليهم، وتركت الذين كنت أنظر إليهم بالعين المسحورة لمّا عرفتهم، والتمست السّلامة منهم.

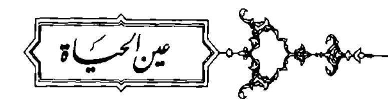
فهذه الدنيا أيّها الملك التي أخبرتك أنّها لا شيء، فهذا نسبها وحسبها

---

(١) الكد: السعي والجد، والكدح في العمل: المجاهدة فيه.

(٢) المجن: الترس وكل ما وقى من السلاح.

(٣) لعله جمع خان وهو الحانوت والفندق. وفي بعض النسخ «المخابي».



ومسيرها إلى ما قد سمعت، قد رفضتها لمّا عرفتها، وأبصرت الأمر الذي هو الشيء، فإن كنت تحبّ أيّها الملك أن أصف لك ما أعرف عن أمر الآخرة التي هي الشيء فاستعدّ إلى السّماع، تسمع غير ما كنت تسمع به من الأشياء.

فلم يزده الملك عليه الّا أن قال له: كذبت لم تصب شيئاً، ولم تظفر الّا بالشقاء والعناء، فاخرج ولا تقيمنّ في شيء من مملكتي، فانّك فاسد مفسد.

وولد للملك في تلك الأيام بعد أياسه من الذّكور غلامٌ لم ير الناس مولوداً مثله قطّ حسناً وجمالاً وضياء، فبلغ السّرور من الملك مبلغاً عظيماً كاد يشرف منه على هلاك نفسه من الفرح، وزعم أنّ الأوثان التي كان يعبدها هي التي وهبت له الغلام، فقسّم عامّة ما كان في بيوت أمواله على بيوت أوثانه، وأمر النّاس بالأكل والشرب سنة، وسمّى الغلام يوذاسف، وجمع العلماء والمنجّمين لتقويم ميلاده.

فرفع المنجّمون إليه أنّهم يجدون الغلام يبلغ من الشرف والمنزلة ما لا يبلغه أحدٌ قطّ في أرض الهند، واتّفقوا على ذلك جميعاً، غير أنّ رجلاً قال: ما أظنّ الشّرف والمنزلة والفضل الذي وجدناه يبلغه هذا الغلام الّا شرف الآخرة، ولا أحسبه الّا أن يكون اماماً في الدّين والنّسك، وذا فضيلة في درجات الآخرة، لأنّي أرى الشّرف الذي تبلغه ليس يشبه شيئاً من شرف الدّنيا، وهو شبيه بشرف الآخرة.

فوقع ذلك القول من الملك موقعاً كاد أن ينغّصه سروره بالغلام، وكان المنجّم الذي أخبره بذلك من أوثق المنجّمين في نفسه وأعلمهم وأصدقهم عنده.

وأمر الملك للغلام بمدينة فأخلاها، وتخيّر له من الظّؤرة[1] والخدم كلّ ثقة،

---

(١) جمع الظئر: المرضعة.



وتقدّم إليهم أن لا يذكر فيما بينهم موت ولا آخرة ولا حزن ولا مرض ولا فناء، حتّى تعتاد ذلك ألسنتهم وتنساه قلوبهم.

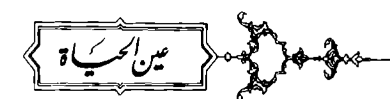
وأمرهم إذا بلغ الغلام أن لا ينطقوا عنده بذكر شيء مما يتخوّفونه عليه خشية أن يقع في قلبه منه شيء، فيكون ذلك داعية إلى اهتمامه بالدين والنسك، وأن يتحفظوا ويتحرّزوا من ذلك، ويتفقد بعضهم من بعض، وازداد الملك عند ذلك حنقاً على النساك مخافة على إبنه.

وكان لذلك الملك وزير قد كفل أمره، وحمل عنه مؤونة سلطانه، وكان لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يكتمه، ولا يؤثر عليه، ولا يتواني في شيء من عمله، ولا يضيعه، وكان الوزير مع ذلك رجلاً لطيفاً طلقاً معروفاً بالخير، يحبّه الناس ويرضون به الّا أنّ أحباء الملك وأقرباءه كانوا يحسدونه، ويبغون عليه، ويستثقلون بمكانه.

ثمّ انّ الملك خرج ذات يوم إلى الصيد ومعه ذلك الوزير، فأتى به في شعب من الشعاب على رجل قد أصابته زمانة شديدة في رجليه، ملقى في أصل شجرة لا يستطيع براحاً[1]، فسأله الوزير عن شأنه فأخبره أن السّباع أصابته، فرقّ له الوزير، فقال له الرجل: ضمّني إليك واحملني إلى منزلك فانّك تجد عندي منفعة، فقال الوزير: انّي لفاعل وإن لم أجد عندك منفعة، ولكن يا هذا ما المنفعة التي تعدنيها، هل تعمل عملاً أو تحسن شيئاً؟ فقال الرجل: نعم أنا أرتق الكلام[2]، فقال: وكيف ترتق الكلام؟ قال: إذا كان فيه فتق أرتقه حتّى لا يجيىء من قبله فساد.

(١) أي لا يستطيع تحولاً.

(٢) رتق الفتق: اصلحه. يقال هو راتق أي مصلح الأمر.



فلم ير الوزير قوله شيئاً، وأمر بحمله إلى منزله، وأمر له بما يصلحه حتّى إذ كان بعد ذلك احتال أحبّاء الملك للوزير، وضربوا له الأمور ظهراً وبطناً، فأجمع رأيهم على أن دسّوا رجلاً منهم إلى الملك، فقال له: أيّها الملك انّ هذا الوزير يطمع في ملكك أن يغلب عليه عقبك من بعدك، فهو يصانع النّاس على ذلك، ويعمل عليه دائباً، فإن أردت أن تعلم صدق ذلك فأخبره أنّه قد بدالك أن ترفض الملك وتلحق بالنساك، فانّك سترى من فرحه بذلك ما تعرف به أمره.

وكان القوم قد عرفوا من الوزير رقّة عند ذكر فناء الدنيا والموت، وليناً للنساك، وحبّاً لهم، فعملوا فيه من الوجه الذي ظنّوا أنّهم يظفرون بحاجتهم منه، فقال الملك: لئن هجمت منه على هذا لم أسأل عمّا سواه.

فلمّا أن دخل عليه الوزير قال له الملك: انّك قد عرفت حرصي على الدنيا وطلب الملك، وانّي ذكرت ما مضى من ذلك فلم أجد معي منه طائلاً، وقد عرفت أنّ الذي بقي منه كالذي مضى، فانّه يوشك أن ينقضي ذلك كلّه بأجمعه فلا يصير في يدي منه شيء، وأنا اُريد أن أعمل في حال الآخرة عملاً قويّاً على قدر ما كان من عملي في الدّنيا، وقد بدا لي أن اُلحق بالنساك واُخلي هذا العمل لأهله فما رأيك؟ قال: فرقّ الوزير لذلك رقّة شديدة حتى عرف الملك ذلك منه، ثمّ قال: أيّها الملك انّ الباقي وإن كان عزيزاً لأهلّ أن يطلب، وانّ الفاني وإن استمكنت منه لأهلّ أن يُرفض، ونعم الرأي رأيت، وانّي لأرجو أن يجمع الله لك مع الدنيا شرف الآخرة.

قال: فكبر ذلك على الملك، ووقع منه كلّ موقع، ولم يبد له شيئاً غير أنّ الوزير عرف الثقل في وجهه، فانصرف إلى أهله كئيباً حزيناً لا يدري من أين أتى

ولا من دهاه[1]، ولا يدري ما دواء الملك فيما استنكر عليه، فسهر لذلك عامّة الليل، ثمّ ذكر الرجل الذي زعم أنّه يرتق الكلام، فأرسل إليه فأتي به، فقال له: انّك كنت ذكرت لي ذكراً من رتق الكلام، فقال الرجل: أجل فهل احتجت إلى شيء من ذلك؟

فقال الوزير: نعم أُخبرك أنّي صحبت هذا الملك قبل ملكه ومنذ صار ملكاً، فلم أستنكره فيما بيني وبينه قطّ لما يعرفه من نصيحتي وشفقتي وايثاري ايّاه على نفسي وعلى جميع النّاس، حتّى إذا كان هذا اليوم استنكرته استنكاراً شديداً لا أظنّ خيراً عنده بعده.

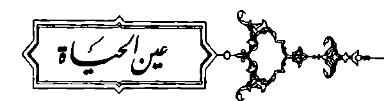
فقال له الرّاتق: هل لذلك سبب أو علّة، قال الوزير: نعم دعاني أمس وقال لي كذا وكذا فقلت له كذا وكذا، فقال: من هاهنا جاء الفتق، وأنا أرتقه ان شاء الله.

اعلم أنّ الملك قد ظنّ أنّك تحبّ أن ينجلي هو عن ملكه وتخلفه أنت فيه، فاذا كان عند الصّبح فاطرح عنك ثيابك وحليتك وألبس أوضع ما تجده من ذي النساك وأشهره، ثمّ احلق رأسك وامض على وجهك إلى باب الملك، فإنّ الملك سيدعو بك ويسألك عن الذي صنعت.

فقل له: هذا الذي دعوتني إليه ولا ينبغي لأحد أن يشير على صاحبه بشيء الّا واساه فيه وصبر عليه، وما أظنّ الذي دعوتني إليه الّا خيراً مما نحن فيه، فقم إذا بدا لك، ففعل الوزير ذلك فتخلّى عن نفس الملك ما كان فيها عليه.

ثمّ أمر الملك بنفي النساك من جميع بلاده وتوعّدهم بالقتل، فجدّوا في الهرب والاستخفاء، ثمّ انّ الملك خرج ذات يوم متصيّداً فوقع بصره على

(١) في بعض النسخ «ما دهاه».



شخصين من بعيد فأرسل إليهما فأُتي بهما فاذا هما ناسكان، فقال لهما: ما بالكما لن تخرجا من بلادي قالا: قد أتتنا رسلك ونحن على سبيل الخروج.

قال: ولم خرجتما راجلين، قالا: لأنّا قوم ضعفاء ليس لنا دوابّ ولا زاد ولا نستطيع الخروج الّا بالتقصير، قال الملك: انّ من خاف الموت أسرع بغير دابّة ولا زاد، فقالا له: انّا لا نخاف الموت بل لا ننظر قرّة عين في شيء من الأشياء الّا فيه.

قال الملك: وكيف لا تخافان الموت وقد زعمتما أنّ رسلنا لما أتتكم وأنتم على سبيل الخروج، أفليس هذا هو الهرب من الموت، قالا: انّ الهرب من الموت ليس من الفرق[1]. فلا تظنّ أنّا فرقناك ولكنّا هربنا من أن نعينك على أنفسنا، فأسف الملك وأمر بهما أن يحرقا بالنار.

وأذن في أهل مملكته بأخذ النساك وتحريقهم بالنار، فتجردّ رؤساء عبدة الأوثان في طلبهم وأخذوا منهم بشراً كثيراً وأحرقوهم بالنار، فمن ثمّ صار التحريق سنّة باقية في أرض الهند، وبقي في جميع تلك الأرض قوم قليل من النساك كرهوا الخروج من البلاد، واختاروا الغيبة والاستخفاء ليكونوا دعاة وهداة لمن وصلوا إلى كلامه.

فنبت ابن الملك أحسن نبات في جمسه[2] وعقله وعلمه ورأيه، ولكنّه لم يؤخذ بشيء من الآداب الّا بما يحتاج إليه الملوك ممّا ليس فيه ذكر موت ولا زوال ولا فناء، وأُوتي الغلام من العلم والحفظ شيئاً كان عند الناس من العجائب، وكان أبوه لا يدري أيفرح بما أُوتي ابنه من ذلك أو يحزن له لما يتخوّف عليه أن يدعوه

(١) الفرق ـ محركة ـ: الخوف.
(٢) لعلّ الأصح: جسمه.



ذلك إلى ما قيل فيه.

فلمّا فطن الغلام بحصرهم ايّاه في المدينة، ومنعهم ايّاه من الخروج والنظر والاستماع، وتحفّظهم عليه ارتاب لذلك وسكت عنه، وقال في نفسه: هؤلاء أعلم بما يصلحني منّي، حتى إذا ازداد بالسنّ والتجربة علماً قال: ما أرى لهؤلاء عليّ فضلاً، وما أنا بحقيق أن أُقلّدهم أمري، فأراد أن يكلّم أباه إذا دخل عليه ويسأله عن سبب حصره ايّاه، ثم قال: ما هذا الأمر الّا من قبله وما كان ليطّلعني عليه ولكنّي حقيق أن ألتمس علم ذلك من حيث أرجو إدراكه.

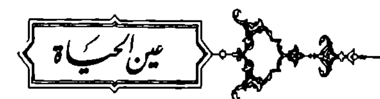
وكان في خدمه رجل كان ألطفهم به وأرأفهم به، وكان الغلام إليه مستأنساً، فطمع الغلام في اصابة الخبر من قبل ذلك الرجل، فازداد له ملاطفة وبه استيناساً، ثمّ انّ الغلام واضعه الكلام في بعض الليل باللين وأخبره أنّه بمنزلة والده وأولى الناس به.

ثمّ أخذه بالترغيب والترهيب وقال له: انّي لأظنّ هذا الملك سائر لي بعد والدي وأنت فيه سائر أحد رجلين، امّا أعظم الناس فيه منزلة وامّا أسوء الناس حالاً، قال له الحاضن[1]: وبأيّ شيء أتخوّف في ملكك سوء الحال.

قال: بأن تكتمني اليوم أمراً أفهمه غداً من غيرك، فأنتقم منك بأشدّ ما أقدر عليك، فعرف الحاضن منه الصدق، وطمع منه في الوفاء فأفشى إليه خبره، والذي قال المنجمون لأبيه، والذي حذر أبوه من ذلك، فشكر له الغلام ذلك وأطبق عليه حتّى إذا دخل عليه أبوه.

---

(١) الحاضن فاعل من حضنه أي جعله في حضنه والحضن ما دون الابط إلى الكشح أو الصدر والعضدان وما بينهما، أي الحافظ والمؤدب.



قال: يا أبة إني وإن كنت صبياً فقد رأيت في نفسي واختلاف حالي أذكر من ذلك ما أذكر، وأعرف بما لا أذكر منه ما أعرف، وأنا أعرف أنّي لم أكن على هذا المثال، وأنّك لم تكن على هذه الحال، ولا أنت كائن عليها إلى الأبد، وسيغيّرك الدهر عن حالك هذه.

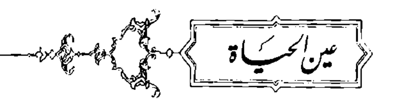
فلئن كنت أردت أن تخفي عنّي أمر الزوال فما خفي عليّ ذلك، ولئن كنت حبستني عن الخروج وحلت بيني وبين الناس لكيلا تتوق نفسي إلى غير ما أنا فيه لقد تركتني بحصرك إيّاي، وإن نفسي لقلقة مما تحول بيني وبينه حتى ما لي همّ غيره، ولا أردت سواه، حتى لا يطمئنّ قلبي إلى شيء ممّا أنا فيه ولا أنتفع به ولا آلفه، فخلّ عنّي وأعلمني بما تكره من ذلك وتحذره حتّى أجتنبه، وأوثر موافقتك ورضاك على ما سواهما.

فلمّا سمع الملك ذلك من ابنه علم أنّه قد علم ما الذي يكرهه، وأنّه من حبسه وحصره لا يزيده الّا اغراء وحرصاً على ما يحال بينه وبينه، فقال: يا بنيّ ما أردت بحصري ايّاك الّا أن أنحي عنك الأذى، فلا ترى الّا ما يوافقك، ولا تسمع الّا ما يسرّك، فأمّا إذا كان هواك في غير ذلك فإنّ آثر الأشياء عندي ما رضيت وهويت.

ثمّ أمر الملك أصحابه أن يركبوه في أحسن زينة، وأن ينحوا عن طريقه كلّ منظر قبيح، وأن يعدّوا له المعازف والملاهي، ففعلوا ذلك، فجعل بعد ركبته تلك يكثر الرّكوب، فمرّ ذات يوم على طريق قد غفلوا عنه، فأتى على رجلين من السؤال[1]، أحدهما قد تورّم وذهب لحمه، واصفرّ جلده، وذهب ماء وجهه، وسمج منظره، والآخر أعمى يقوده قائد.

---

(١) في بعض النسخ « فأتى عليه رجلان من السؤال ».



فلمّا رأى ذلك اقشعرّ منهما وسأل عنهما، فقيل له: انّ هذا المورّم من سقم باطن، وهذا الأعمى من زمانة، فقال ابن الملك: وانّ هذا البلاء ليصيب غير واحد؟ قالوا: نعم، فقال: هل يأمن أحدٌ من نفسه أن يصيبه مثل هذا؟ قالوا: لا، وانصرف يومئذ مهموماً ثقيلاً محزوناً باكياً مستخفاً بما هو فيه من ملكه وملك أبيه، فلبث بذلك أيّاماً.

ثمّ ركب ركبة فأتى في مسيره على شيخ كبير قد انحنى من الكبر، وتبدّل خلقه، وابيضّ شعره، واسودّ لونه، وتقلّص جلده[1]، وقصر خطوه، فعجب منه وسأل عنه، فقالوا: هذا الهرم، فقال: وفي كم يبلغ الرجل ما أرى؟ قالوا: في مائة سنة أو نحو ذلك، وقال: فما وراء ذلك؟ قالوا: الموت.

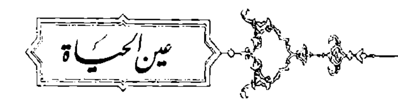
قال: فما يخلّى بين الرّجل وبين ما يريد من المدّة؟ قالوا: لا وليصيرنّ إلى هذا في قليل من الأيّام، فقال: الشّهر ثلاثون يوماً، والسنّة إثنا عشر شهراً، وانقضاء العمر مائة سنة، فما أسرع اليوم في الشهر، وما أسرع الشهر في السنة، وما أسرع السنّة في العمر، فانصرف الغلام، وهذا كلامه يبديه ويعيده مكرّراً له.

ثمّ سهر ليلته كلّها وكان له قلب حيّ ذكيّ، وعقلٌ لا يستطيع معه نسياناً ولا غفلة، فعلاه الحزن والاهتمام، فانصرف نفسه عن الدّنيا وشهواتها، وكان في ذلك يداري أباه ويتلطّف عنده، وهو مع ذلك قد أصغى بسمعه إلى كلّ متكلّم بكلمة طمع أن يسمع شيئاً يدلّه على غير ما هو فيه، وخلا بحاضنه الذي كان أفضى إليه بسرّه، فقال له: هل تعرف من الناس أحداً شأنه غير شأننا.

قال: نعم قد كان قوم يقال لهم: النساك، رفضوا الدنيا وطلبوا الآخرة، ولهم

---

(١) تقلص أي انضم وانزوى.



كلام وعلم لا يدرى ما هو، غير أنّ الناس عادوهم وأبغضوهم وحرّقوهم، ونفاهم الملك عن هذه الأرض، فلا يعلم اليوم ببلادنا منهم أحدٌ، فانّهم قد غيّبوا أشخاصهم ينتظرون الفرج، وهذه سنّة في أولياء الله قديمة يتعاطونها في دول الباطل.

فاغتصّ لذلك الخبر فؤاده، وطال به اهتمامه، وصار كالرجل الملتمس ضالّته التي لا بدّ له منها، وذاع خبره في آفاق الأرض، وشهر بتفكّره وجماله وكماله وفهمه وعقله وزهادته في الدّنيا وهوانها عليه.

فبلغ ذلك رجلاً من النساك يقال له: بلوهر بأرض يقال لها: سرانديب، وكان رجلاً ناسكاً حكيماً، فركب البحر حتى أتى أرض سولابط، ثمّ عمد إلى باب ابن الملك فلزمه، وطرح عنه زيّ النساك ولبس زيّ التّجار وتردّد إلى باب ابن الملك حتّى عرف الأهل والأحبّاء والدّاخلين إليه، فلمّا استبان له لطف الحاضن بابن الملك، وحسن منزلته منه أطاف به بلوهر حتّى أصاب منه خلوة.

فقال له: انّي رجل من تجّار سرانديب، قدمت منذ أيّام، ومعي سلعة عظيمة نفيسة الثمن، عظيمة القدر، فأردت الثقة لنفسي فعليك وقع اختياري، وسلعتي خيرٌ من الكبريت الأحمر، وهي تبصر العميان، وتسمع الصمّ، وتداوي من الأسقام، وتقوي من الضعف، وتعصم من الجنون، وتنصر على العدوّ، ولم أر بهذا أحداً هو أحقّ بها من هذا الفتى، فإن رأيت أن تذكر له ذلك ذكرته، فإن كان له فيها حاجة أدخلتني عليه، فانّه لم يخف عنه فضل سلعتي لو قد نظر إليها.

قال الحاضن للحكيم: إنّك لتقول شيئاً ما سمعنا به من أحد قبلك، ولا أرى بك بأساً وما مثلي يذكر ما لا يدري به ما هو، فأعرض عليّ سلعتك أنظر إليها فإن

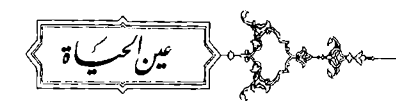
رأيت شيئاً ينبغي لي أن أذكره ذكرته.

قال له بلوهر: إنّي رجلٌ طبيب وانّي لأرى في بصرك ضعفاً، فأخاف إن نظرت إلى سلعتي أن يلتمع بصرك، ولكن ابن الملك صحيح البصر، حدث السنّ، ولست أخاف عليه أن ينظر إلى سلعتي فإن رأى ما يعجبه كانت له مبذولة على ما يحبّ، وإن كان غير ذلك لم تدخل عليه مؤونة ولا منقصة، وهذا أمر عظيم لا يسعك أن تحرمه ايّاه أو تطويه دونه.

فانطلق الحاضن إلى ابن الملك فأخبره خبر الرجل، فحسّ قلب ابن الملك بأنّه قد وجد حاجته، فقال: عجّل إدخال الرّجل عليّ ليلاً وليكن ذلك في سرّ وكتمان، فإنّ مثل هذا لا يتهاون به.

فأمر الحاضن بلوهر بالتهيّء للدخول عليه، فحمل معه سفطاً فيه كتب له، فقال الحاضن: ما هذا السّفط؟ قال بلوهر: في هذا السّفط سلعتي، فاذا شئت فأدخلني عليه، فانطلق به حتّى أدخله عليه، فلمّا دخل عليه بلوهر سلّم عليه وحيّاه، وأحسن ابن الملك اجابته، وانصرف الحاضن، وقعد الحكيم عند الملك، فأوّل ما قال له بلوهر: رأيتك يا ابن الملك زدتني في التحية على ما تصنع بغلمانك وأشراف أهل بلادك؟ قال ابن الملك: ذلك لعظيم ما رجوت عندك، قال بلوهر: لئن فعلت ذلك بي فقد كان رجلاً من الملوك في بعض الآفاق يعرف بالخير ويرجى، فبينا هو يسير يوماً في موكبه إذ عرض له في مسيره رجلان ماشيان، لباسهما الخلقان، وعليهما أثر البؤس والضرّ.

فلمّا نظر إليهما الملك لم يتمالك أن وقع على الأرض فحيّاهما وصافحهما، فلمّا رأى ذلك وزراؤه اشتدّ جزعهم ممّا صنع الملك، فأتوا أخاً له



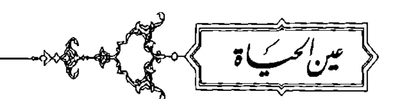
وكان جريّاً عليه فقالوا: انّ الملك أزرى بنفسه، وفضح أهل مملكته، وخرّ عن دابّته لانسانين دنيين، فعاتبه على ذلك كيلا يعود، ولمه على ما صنع.

ففعل ذلك أخ الملك، فأجابه الملك بجواب لا يدري ما حاله فيه أساخط عليه الملك أم راض عنه، فانصرف إلى منزله حتّى إذا كان بعد أيّام أمر الملك منادياً وكان يسمّى منادي الموت فنادى في فناء داره، وكانت تلك سنّتهم فيمن أرادوا قتله، فقامت النوائح والنّوادب في دار أخ الملك ولبس ثياب الموتى، وانتهى إلى باب الملك وهو يبكي بكاء شديداً ونتف شعره.

فلمّا بلغ ذلك الملك دعا به، فلمّا أذن له الملك دخل عليه ووقع على الأرض ونادى بالويل والثّبور، ورفع يده بالتضرّع، فقال له الملك: اقترب أيّها السّفيه أنت تجزع من مناد نادى من بابك بأمرْ مخلوق وليس بأمر خالق، وأنا أخوك وقد تعلم أنّه ليس لك إليّ ذنب أقتلك عليه، ثمّ أنتم تلومونني على وقوعي إلى الأرض حين نظرت إلى منادي ربّي إليّ وأنا أعرف منكم بذنوبي، فاذهب فانّي قد علمت أنّه انّما استغرّك وزرائي وسيعلمون خطأهم.

ثمّ أمر الملك بأربعة توابيت فصنعت له من خشب فطلّا تابوتين منها بالذّهب وتابوتين بالقار، فلمّا فرغ منها ملأ تابوتي القار ذهباً وياقوتاً وزبرجداً، وملأ تابوتي الذهب جيفاً ودماً وعذرة وشعراً، ثمّ جمع الوزراء والأشراف الذين ظنّ أنهم أنكروا صنيعه بالرجلين الضعيفين الناسكين، فعرض عليهم التوابيت الأربعة وأمرهم بتقويمها.

فقالوا: أمّا في ظاهر الأمر وما رأينا ومبلغ علمنا فإنّ تابوتي الذهب لا ثمن لهما لفضلهما، وتابوتي القار لا ثمن لهما لرذالتهما، فقال الملك: أجل هذا لعلمكم



بالأشياء ومبلغ رأيكم فيها.

ثمّ أمر بتابوتي القار فنزعت عنهما صفايحهما فأضاء البيت بما فيها من الجواهر، فقال: هذان مثل الرجلين الذين ازدريتم لباسهما وظاهرهما وهما مملوّان علماً وحكمة وصدقاً وبرّاً وسائر مناقب الخير الذي هو أفضل من الياقوت واللؤلؤ والجوهر والذهب.

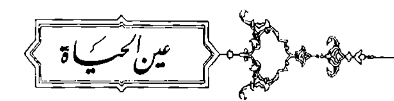
ثمّ أمر بتابوتي الذهب فنزع عنهما أبوابهما، فاقشعرّ القوم من سوء منظرهما وتأذّوا بريحهما ونتنهما، فقال الملك: وهذان مثل القوم المتزينين بظاهر الكسوة واللباس وأجوافهما مملوّة جهالة وعمىً وكذباً وجوراً وسائر أنواع الشرّ التي هي أفضع وأشنع وأقذر من الجيف.

قال القوم: قد فقّهنا واتّعظنا أيّها الملك.

ثمّ قال بلوهر: هذا مثلك يا ابن الملك فيما تلقّيتني به من التحيّة والبشر، فانتصب يوذاسف ابن الملك وكان متّكئاً، ثمّ قال: زدني مثلاً، قال الحكيم: انّ الزارع خرج ببذره الطيب ليبذره، فلمّا ملأكفّه ونثره وقع بعضه على حافّة الطريق، فلم يلبث أن التقطه الطير، ووقع بعضه على صفاة قد أصابها ندى وطين، فمكث حتّى اهتزّ. فلمّا صارت عروقه إلى يبس الصّفاة مات ويبس.

ووقع بعضه بأرض ذات شوك فنبت حتّى سنبل، وكاد أن يثمر فمنعه الشّوك فأبطله، وأمّا ما كان منه وقع في الأرض الطيّبة وان كان قليلاً فانّه سلم وطاب وزكى.

فالزارع حامل الحكمة، وأمّا البذر ففنون الكلام، وأمّا ما وقع منه على حافّة الطريق فالتقطه الطير فما لا يجاوز السّمع منه حتّى يمرّ صفحاً، وأمّا ما وقع على



الصخرة في الندى فيبس حين بلغت عروقه الصفاة، فما استحلاه صاحبه حتّى سمعه بفراغ قلبه وعرفه بفهمه ولم يفقه بحصافة ولايته[1]، وأمّا ما نبت منه وكاد ان يثمر فمنعه الشوك فأهلكه فما وعاه صاحبه حتى إذا كان عند العمل به حفّته الشهوات فاهلكته، وأمّا ما زكي وطاب وسلم منه وانتفع به [فما] رآه البصر ووعاه الحفظ، وأنفذه العزم بقمع الشهوات وتطهير القلوب من دنسها.

قال ابن الملك: انّي أرجو أن يكون ما تبذره أيّها الحكيم ما يزكو ويسلم ويطيب، فاضرب لي مثل الدنيا وغرور أهلها بها.

قال بلوهر: بلغنا أن رجلاً حمل عليه فيل مغتلم[2]، فانطلق موليّاً هارباً وأتبعه الفيل حتّى غشيه، فاضطرّه إلى بئر فتدلّى فيها وتعلّق بغصنين نابتين على شفير البئر، ووقعت قدماه على رؤوس حيّات؛ فلمّا تبيّن له الغصنين فاذا في أصلهما جرذان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض والآخر أسود.

فلمّا نظر إلى تحت قدميه، فاذا رؤوس أربع أفاع قد طلعن من جحرهنّ، فلمّا نظر إلى قعر البئر إذا بتنين فاغرٌ فاه[3] نحوه يريد التقامه، فلمّا رفع رأسه إلى أعلا الغصنين إذا عليهما شيء من عسل النحل، فتطعم من ذلك العسل فألهاه ما طعم منه، وما نال من لذّة العسل وحلاوته عن الفكر في أمر الأفاعي اللواتي لا يدري متى يبادرنه، وألهاه عن التنين الذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته.

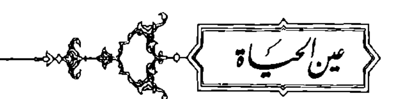
أمّا البئر فالدنيا مملوّة آفات وبلايا وشرور، وأمّا الغصنان فالعمر، وأمّا

---

(١) هكذا في البحار وفي كمال الدين: ولا نيّة.

(٢) أي شديد الشهوة يعني فيل مست، اغتلم الشراب: اشتدت سورته.

(٣) الفاغر الفاتح فاه.



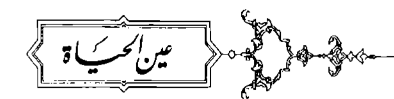
الجرذان فالليل والنهار يسرعان في الأجل، وأمّا الأفاعي الأربعة فالأخلاط الأربعة التي هي السموم القاتلة من المرّة والبلغم والريح والدّم التي لا يدري صاحبها متى تهيج به، وأمّا التنين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الرّاصد الطالب، وأمّا العسل الذي اغترّ به المغرور فما ينال النّاس من لذّة الدّنيا وشهواتها ونعيمها ودعتها من لذّة المطعم والمشرب والشمّ واللّمس والسّمع والبصر.

قال ابن الملك: إنّ هذا المثل عجيبٌ وإنّ هذا التشبيه حقّ، فزدني مثلاً للدنيا وصاحبها المغرور بها، المتهاون بما ينفعه فيها.

قال بلوهر: زعموا أنّ رجلاً كان له ثلاثة قرناء، وكان قد آثر أحدهم على النّاس جميعاً، ويركب الأهوال والأخطار بسببه، ويغرّر بنفسه له، ويشغل ليله ونهاره في حاجته، وكان القرين الثاني دون الأول منزلة وهو على ذلك حبيب إليه مشفق عنده، ويكرمه ويلاطفه ويخدمه ويطيعه ويبذل له ولا يغفل عنه، وكان القرين الثالث محقوراً مستثقلاً، ليس له من ودّه وماله الّا أقلّه حتّى اذا نزل بالرّجل الأمر الذي يحتاج فيه إلى قرنائه الثلاثة، فأتاه جلاوزة الملك ليذهبوا به.

ففزع إلى قرينه الأوّل فقال له: قد عرفت إيثاري إيّاك وبذل نفسي لك، وهذا اليوم يوم حاجتي إليك فماذا عندك؟ قال: ما أنا لك بصاحب وانّ لي أصحاباً يشغلوني عنك، هم اليوم أولى بي منك ولكن لعلّي أزوّدك ثوبين لتنتفع بهما.

ثمّ فزع إلى قرينه الثاني ذي المحبّة واللّطف، فقال له: قد عرفت كرامتي ايّاك، ولطفي بك، وحرصي على مسرّتك، وهذا يوم حاجتي إليك فماذا عندك؟ فقال: انّ أمر نفسي يشغلني عنك وعن أمرك، فاعمد لشأنك، واعلم أنّه قد انقطع الذي بيني وبينك وأنّ طريقي غير طريقك الّا أنّي لعلّي أخطو معك خطوات



يسيرة لا تنتفع بها، ثمّ أنصرف إلى ما هو أهمّ إليّ منك.

ثمّ فزع إلى قرينه الثالث الذي كان يحقّره ويعصيه ولا يلتفت إليه أيّام رخائه، فقال له: انّي منك لمستحٍ ولكن الحاجة اضطرّتني إليك، فماذا لي عندك؟ قال: لك عندي المواساة، والمحافظة عليك، وقلّة الغفلة عنك، فابشر وقرّ عيناً فانّي صاحبك الذي لا يخذلك ولا يسلمك.

فلا يهمّك قلّة ما أسلفتني واصطنعت إليّ، فانّي قد كنت أحفظ لك ذلك وأوفره عليك كلّه، ثمّ لم أرض لك بعد ذلك به حتّى اتّجرت لك به فربحت أرباحاً كثيرة، فلك اليوم عندي من ذلك أضعاف ما وضعت عندي منه فأبشر، وانّي أرجو أن يكون في ذلك رضى الملك عنك اليوم وفرجاً ممّا أنت فيه. فقال الرّجل عند ذلك: ما أدري على أيّ الأمرين أنا أشدّ حسرة عليه، على ما فرّطت في القرين الصّالح أم على ما اجتهدت فيه من المحبة لقرين السوء؟

قال بلوهر: فالقرين الأول هو المال، والقرين الثاني هو الأهل والولد، والقرين الثالث هو العمل الصالح.

قال ابن الملك: ان هذا هو الحق المبين، فزدني مثلاً للدنيا وغرورها وصاحبها المغرور بها، المطمئنّ إليها.

قال بلوهر: كان أهل مدينة يأتون الرجل الغريب الجاهل بأمرهم فيملّكونه عليهم سنة، فلا يشكّ أنّ ملكه دائمٌ عليهم لجهالته بهم، فاذا انقضت السنّة أخرجوه من مدينتهم عرياناً مجرّداً سليباً، فيقع في بلاء وشقاء لم يحدّث به نفسه، فصار ما مضى عليه من ملكه وبالاً وحزناً ومصيبة وأذى.

ثمّ انّ أهل المدينة أخذوا رجلاً آخر، فملّكوه عليهم، فلمّا رأى الرّجل

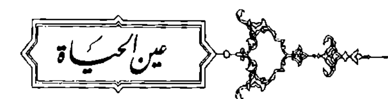
غربته فيهم لم يستأنس بهم وطلب رجلاً من أهل أرضه خبيراً بأمرهم حتّى وجده، فأفضى إليه بسرّ القوم وأشار إليه أن ينظر إلى الأموال التي في يديه فيخرج منها ما استطاع الأوّل فالأوّل حتّى يحرزه في المكان الذي يخرجونه إليه، فاذا أخرجه القوم صار إلى الكفاية والسّعة بما قدّم وأحرز، ففعل ما قال له الرّجل ولم يضيّع وصيّته.

قال بلوهر: وانّي لأرجو أن تكون ذلك الرجل يا ابن الملك الذي لم يستأنس بالغرباء ولم يغترّ بالسلطان، وأنا الرجل الذي طلبت ولك عندي الدّلالة والمعرفة والمعونة.

قال ابن الملك: صدقت أيّها الحكيم أنا ذلك الرجل، وأنت ذلك الرجل وأنت طلبتي التي كنت طلبتها، فصف لي أمر الآخرة تامّاً، فأمّا الدنيا فلعمري لقد صدقت ولقد رأيت منها ما يدلّني على فنائها ويزهّدني فيها، ولم يزل أمرها حقيراً عندي.

قال بلوهر: انّ الزهادة في الدنيا يا ابن الملك مفتاح الرّغبة إلى الآخرة، ومن طلب الآخرة فأصاب بابها دخل ملكوتها، وكيف لا تزهد في الدنيا وقد آتاك الله من العقل ما آتاك، وقد ترى أنّ الدنيا كلّها وان كثرت انّما يجمعها أهلها لهذه الأجساد الفانية، والجسد لا قوام له، ولا امتناع به، فالحرّ يذيبه، والبرد يجمده، والسموم يتخلّله، والماء يغرقه، والشمس تحرقه، والهواء يسقمه، والسباع يفترسه، والطّير تنقره، والحديد يقطعه، والصدم يحطمه.

ثمّ هو معجون بطينة من ألوان الأسقام والأوجاع والأمراض، فهو مرتهن بها، مترقّب لها، وجل منها، غير طامع في السلامة منها، ثمّ هو مقارن الآفات السبع



التي لا يتخلّص منها ذو جسد، وهي الجوع والظمأ والحرّ والبرد والوجع والخوف والموت.

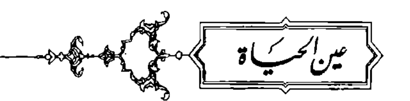
فأمّا ما سألت منه من الأمر الآخرة، فانّي أرجو أن تجد ما تحسبه بعيداً قريباً، وما كنت تحسبه عسيراً يسيراً، وما كنت تحسبه قليلاً كثيراً.

قال ابن الملك: أيّها الحكيم أرأيت القوم الذين كان والدي حرّقهم بالنّار ونفاهم أهم أصحابك؟ فقال: نعم. قال: فانّه بلغني أنّ الناس اجتمعوا على عداوتهم وسوء الثناء عليهم.

قال بلوهر: نعم قد كان ذلك، قال: فما سبب ذلك أيّها الحكيم؟ قال بلوهر: أمّا قولك يا ابن الملك فى سوء الثّناء عليهم فما عسى أن يقولوا فيمن يصدق ولا يكذب، ويعلم ولا يجهل، ويكفّ ولا يؤذي، ويصلّي ولا ينام، ويصوم ولا يفطر، ويبتلى فيصبر، ويتفكّر فيعتبر، ويطيب نفسه عن الأموال والأهلين، ولا يخافهم الناس على أموالهم وأهليهم.

قال ابن الملك: فكيف اتّفق النّاس على عداوتهم وهم فيما بينهم مختلفون؟ قال بلوهر: مثلهم في ذلك مثل كلاب اجتمعوا على جيفة تنهشها ويهار بعضها بعضاً، مختلفة الألوان والأجناس، فبينا هي تقبل على الجيفة إذ دنىٰ رجل منهم فترك بعضهنّ بعضاً وأقبلن على الرجل فيهرن عليه جميعاً معاويات عليه وليس للرجل في جيفتهنّ حاجة ولا أراد أن ينازعهنّ فيها، ولكن هن عرفن غربته منهنّ فاستوحشن منه واستأنس بعضهنّ ببعض وان كنّ مختلفات متعاديات فيما بينهنّ من قبل أن يرد الرجل عليهنّ.

قال بلوهر: فمثل الجيفة متاع الدنيا ومثل صنوف الكلاب ضروب الرجال



الذين يقتتلون على الدنيا ويهرقون دماءهم وينفقون لها أموالهم، ومثل الرجل الذي اجتمعت عليه الكلاب ولا حاجة له في جيفهنّ كمثل صاحب الدين الذي رفض الدنيا وخرج منها، فليس ينازع فيها أهلها ولا يمنع ذلك الناس من أن يعادونه لغربته عندهم.

فإن عجبت فأعجبت[1] من الناس أنهم لا همّة لهم الّا الدنيا وجمعها والتكاثر والتفاخر والتغالب عليها حتّى إذا رأوا من قد تركها في أيديهم وتخلّى عنها كانوا له أشدّ قتالاً عليه، وأشدّ حنقاً منهم للذي يشاحّهم عليها، فأيّ حجّة لله يا ابن الملك أدحض من تعاون المتخلفين على من لا حجّة لهم عليه؟

قال ابن الملك: أعمد لحاجتي، قال بلوهر: انّ الطّبيب الرّفيق إذ رأى الجسد قد أهلكته الأخلاط الفاسدة فأراد أن يقوّيه ويسمنه لم يغذه بالطّعام الذي يكون منه اللحم والدم والقوّة، لأنّه يعلم أنّه متى أدخل الطعام على الأخلاط الفاسدة أضرّ بالجسد ولم ينفعه ولم يقوّه، ولكن يبدأ بالأدوية والحمية من الطعام، فاذا أذهب من جسده الأخلاط الفاسدة أقبل عليه بما يصلحه من الطعام فحينئذٍ يجد طعم الطعام، ويسمن ويقوي ويحمل الثقل بمشيّة الله عزَّ وجلَّ.

وقال ابن الملك: أيّها الحكيم أخبرني ماذا تصيب من الطعام والشراب؟ قال الحكيم: زعموا أنّ ملكاً من الملوك كان عظيم الملك كثير الجند والأموال، وأنّه بداله أن يغزو ملكاً آخر ليزداد ملكاً إلى ملكه، ومالاً إلى ماله، فسار اليه بالجنود والعدد والعدّة، والنساء والأولاد والأثقال.

فأقبلوا نحوه فظهروا عليه واستباحوا عسكره، فهرب وساق امرأته وأولاده

---

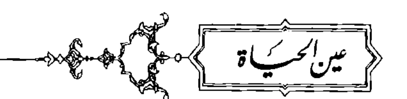
(١) هكذا في البحار، وفي كمال الدين: فأعجب، ولعلّه أصح.

صغاراً فألجأه الطلب عند المساء إلى أجمة على شاطئ النهر، فدخلها مع أهله وولده وسيّب دوابّه مخافة أن تدلّ عليه بصهيلها، فباتوا في الأجمة وهم يسمعون وقع حوافر الخيل من كلّ جانب، فأصبح الرجل لا يطيق براحاً، وأمّا النهر فلا يستطيع عبوره، وأمّا الفضاء فلا يستطيع الخروج إليه لمكان العدوّ، فهم في مكان ضيّق قد أذاهم البرد، وأهجرهم الخوف، وطواهم الجوع، وليس لهم طعام ولا معهم زاد ولا ادام، وأولاده صغار جياع يبكون من الضرّ الذي قد أصابهم.

فمكث بذلك يومين، ثمّ انّ أحد بنيه مات فألقوه في النّهر، فمكث بعد ذلك يوماً آخر فقال الرجل لامرأته: انّا مشرفون على الهلاك جميعاً، وإن بقي بعضنا وهلك بعضنا كان خيراً من أن نهلك جميعاً، وقد رأيت أن أعجّل ذبح صبيّ من هؤلاء الصّبيان فنجعله قوتاً لنا ولأولادنا إلى أن يأتي الله عزَّ وجلَّ بالفرج فإن أخّرنا ذلك هزل الصبيان، حتّى لا يشبع لحومهم، ونضعف حتّى لا نستطيع الحركة إن وجدنا إلى ذلك سبيلاً، وطاوعته امرأته.

فذبح بعض أولاده ووضعوه بينهم ينهشونه، فما ظنّك يا ابن الملك بذلك المضطرّ، أأكل الكلب المستكثر يأكل؟ أم أكل المضطرّ المستقلّ؟ قال ابن الملك: بل أكل المستقلّ، قال الحكيم: كذلك أكلي وشربي يا ابن الملك في الدنيا.

فقال له ابن الملك: أرأيت هذا الذي تدعوني إليه أيّها الحكيم أهو شيء نظر الناس فيه بعقولهم وألبابهم حتى اختاروه على ما سواه لأنفسهم أم دعاهم الله اليه فأجابوا، قال الحكيم: علا هذا الأمر ولطف عن أن يكون من أهل الأرض او برأيهم دبّروه، ولو كان من أهل الأرض لدعوا إلى عملها وزينتها وحفظها ودعتها ونعيمها ولذّتها ولهوها ولعبها وشهواتها، ولكنّه أمر غريب، ودعوة من الله عزَّ وجلَّ ساطعة، وهدى مستقيم ناقضٌ على أهل الدنيا أعمالهم، مخالف لهم، عائب



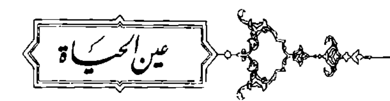
عليهم، وطاعن ناقل لهم عن أهوائهم، داعٍ لهم إلى طاعة ربهم، وانّ ذلك لبيّن لمن تنبّه، مكتوم عنده عن غير أهله حتى يظهر الله الحق بعد خفائه، ويجعل كلمته العليا، وكلمة الذين جهلوا السفلى.

قال ابن الملك: صدقت أيّها الحكيم، ثمّ قال الحكيم: انّ من الناس من تفكّر قبل مجيء الرسل عليهم السّلام فأصاب، ومنهم من دعته الرسل بعد مجيئها فأجاب، وأنت يا ابن الملك ممّن تفكّر بعقله فأصاب.

قال ابن الملك: فهل تعلم أحداً من الناس يدعو إلى التزهيد في الدنيا غيركم؟ قال الحكيم: أمّا في بلادكم هذه فلا، وأمّا في سائر الأُمم ففيهم قوم ينتحلون الدين بألسنتهم ولم يستحقّوه بأعمالهم، فاختلف سبيلنا وسبيلهم، قال ابن الملك: كيف صرتم أولى بالحقّ منهم وانّما أتاكم هذا الأمر الغريب من حيث أتاهم؟

قال الحكيم: الحقّ كلّه جاء من عند الله عزَّ وجلَّ، وانّه تبارك وتعالى دعا العباد إليه فقبله قوم بحقّه وشروطه حتى أدّوه إلى أهله كما أُمروا، لم يظلموا ولم يخطئوا ولم يضيّعوا، وقبله آخرون فلم يقوموا بحقّه وشروطه، ولم يؤدّوه إلى أهله، ولم يكن لهم فيه عزيمة، ولا على العمل به نيّة ضمير، فضيّعوه واستثقلوه، فالمضيّع لا يكون مثل الحافظ، والمفسد لا يكون كالمصلح، والصّابر لا يكون كالجازع، فمن هاهنا كنّا نحن أحقّ به منهم وأولى.

ثمّ قال الحكيم: انّه ليس يجري على لسان أحد منهم من الدّين والتزهيد والدّعاء إلى الآخرة الّا وقد أُخذ ذلك عن أصل الحقّ الذي عنه أخذنا، ولكنه فرق بيننا وبينهم أحداثهم التي أحدثوا وابتغاؤهم الدنيا واخلادهم إليها، وذلك أنّ هذه



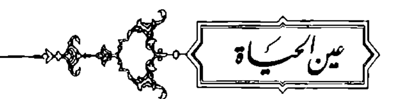
الدعوة لم تزل تأتي وتظهر في الأرض مع أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم في القرون الماضية على ألسنة مختلفة متفرّقة، وكان أهل دعوة الحق أمرهم مستقيم، وطريقهم واضح، ودعوتهم بيّنة، لا فرقة فيهم ولا اختلاف.

فكانت الرّسل عليهم السّلام إذا بلّغوا رسالات ربّهم، واحتجّوا لله تبارك وتعالى على عباده بحجّة واقامة معالم الدين وأحكامه، قبضهم الله عزَّ وجلَّ إليه عند انقضاء آجالهم ومنتهى مدّتهم، ومكثت الأُمّة من الأُمم بعد نبيّها برهة من دهرها لا تغيّر ولا تبدل، ثم صار الناس بعد ذلك يحدثون الأحداث، ويبتغون الشّهوات، ويضيّعون العلم.

فكان العالم البالغ المستبصر منهم يخفى شخصه ولا يظهر علمه، فيعرفونه باسمه ولا يهتدون إلى مكانه، ولا يبقى منهم الّا الخسيس من أهل العلم، يستخفّ به أهل الجهل والباطل، فيخمل العلم، ويظهر الجهل، وتتناسل القرون، فلا يعرفون الّا الجهل، ويزداد الجهّال استعلاء وكثرة، والعلماء خمولاً وقلّة.

فحوّلوا معالم الله تبارك وتعالى عن وجوهها، وتركوا قصد سبيلها، وهم مع ذلك مقرّون بتنزيله، متّبعون شبهه ابتغاء تأويله، متعلّقون بصفته، تاركون لحقيقته، نابذون لأحكامه، فكلّ صفة جاءت الرسل تدعوا إليها فنحن لهم موافقون في تلك الصفة، مخالفون لهم في أحكامهم وسيرتهم.

ولسنا نخالفهم في شيء الّا ولنا عليهم الحجّة الواضحة، والبيّنة العادلة من نعت ما في أيديهم من الكتب المنزلة من الله عزَّ وجلَّ، فكلّ متكلّم منهم يتكلّم بشيء من الحكمة فهي لنا وهي بيننا وبينهم تشهد لنا عليهم بأنّها توافق صفتنا وسيرتنا وحكمنا، وتشهد عليهم بأنّها مخالفة لسنّتهم وأعمالهم، فليسوا يعرفون



من الكتاب الّا وصفه، ولا من الذكر الّا اسمه، فليسوا بأهل الكتاب حقيقة حتّى يقيموه.

قال ابن الملك: فما بال الأنبياء والرسل عليهم السّلام يأتون في زمان دون زمان؟ قال الحكيم: انّما مثل ذلك كمثل ملك كانت له أرض موات لا عمران فيها، فلمّا أراد أن يقبل عليها بعمارته أرسل إليها رجلاً جلداً أميناً ناصحاً، ثمّ أمره أن يعمر تلك الأرض، وأن يغرس فيها صنوف الشجر وأنواع الزرع، ثم سمّى له الملك ألواناً من الغرس معلومة، وأنواعاً من الزرع معروفة، ثمّ أمره أن لا يعدو ما سمّى له، وأن لا يحدث فيها من قبله شيئاً لم يكن أمره به سيّده.

وأمره أن يخرج لها نهراً، ويسدّ عليها حائطاً، ويمنعها من أن يفسدها مفسدٌ، فجاء الرسول الذي أرسله الملك إلى تلك الأرض فأحياها بعد موتها، وعمّرها بعد خرابها، وغرس فيها وزرع من الصنوف التى أمره بها، ثمّ ساق نهر الماء إليها حتّى نبت الغرس، واتّصل الزّرع.

ثمّ لم يلبث قليلاً حتّى مات قيّمها، وأقام بعده من يقوم مقامه، وخلف من بعده خلف خالفوا من أقامه القيّم بعده، وغلبوه على أمره، فأخربوا العمران، وطمّوا الأنهار، فيبس الغرس، وهلك الزّرع.

فلمّا بلغ الملك خلافهم على القيّم بعد رسوله وخراب أرضه أرسل إليها رسولاً آخر يحييها ويعيدها ويصلحها كما كانت في منزلتها الأُولى، وكذلك الأنبياء والرسل عليهم السّلام يبعث الله عزَّ وجلَّ الواحد بعد الواحد فيصلح أمر الناس بعد فساده.

قال ابن الملك: أيخصّ الأنبياء والرسل عليهم إذا جاءت بما يبعث به أم

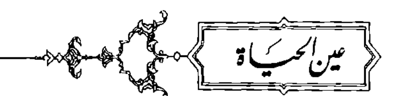
تعمّ؟

قال بلوهر: انّ الأنبياء والرسل إذا جاءت تدعوا عامّة الناس، فمن أطاعهم كان منهم، ومن عصاهم لم يكن منهم، وما تخلو الأرض قطّ من أن يكون لله عزَّ وجلَّ فيها مطاع من أنبيائه ورسله ومن أوصيائه، وانّما مثل ذلك مثل طائر كان في ساحل البحر يقال له قدم[1]، يبيض بيضاً كثيراً، وكان شديد الحبّ للفراخ وكثرتها، وكان يأتي عليه زمان يتعذّر عليه فيه ما يريده من ذلك، فلا يجد بدّاً من اتّخاذ أرض اُخرى حتّى يذهب ذلك الزمان فيأخذ بيضه مخافة عليه من أن يهلك من شفقته، فيفرّقه في أعشاش الطير، فتحضن الطّير بيضته مع بيضتها وتخرج فراخه مع فراخها.

فاذا طال مكث فراخ قدم مع فراخ الطير اُلفها بعض فراخ الطير واستأنس بها، فاذا كان الزمان الذي ينصرف فيه قدم إلى مكانه مرّ بأعشاش الطير وأوكارها بالليل، فأسمع فراخه وغيرها صوته، فاذا سمعت فراخه صوته تبعته وتبع فراخه ما كان ألفها من فراخ سائر الطير، ولم يجبه ما لم يكن من فراخه، ولا ما لم يكن ألف فراخه، وكان قد يضمّ إليه من أجابه من فراخه حبّاً للفراخ.

وكذلك الأنبياء انّما يستعرضون الناس جميعاً بدعائهم فيجيبهم أهل الحكمة والعقل لمعرفتهم لفضل الحكمة، فمثل الطير الذي دعا بصوته مثل الأنبياء والرّسل التي تعمّ الناس بدعائهم، ومثل البيض المتفرّق في أعشاش الطير مثل الحكمة، ومثل سائر فراخ الطير التي ألفت فراخ قدم مثل من أجاب الحكماء قبل مجييء الرّسل.

(١) في بعض النسخ « قرم » ولعل الصواب « قرلي ».



لأنّ الله عزَّ وجلَّ جعل لأنبيائه ورسله من الفضل والرأي ما لم يجعل لغيرهم من الناس، وأعطاهم من الحجج والنور والضياء ما لم يعط غيرهم، وذلك لما يريد من بلوغ رسالته، ومواقع حججه، وكانت الرّسل إذا جاءت وأظهرت دعوتها أجابهم من الناس أيضاً من لم يكن أجاب الحكماء، وذلك لما جعل الله عزَّ وجلَّ على دعوتهم من الضياء والبرهان.

قال ابن الملك: أفرأيت ما يأتي به الرسل والأنبياء إذا زعمت أنّه ليس بكلام الناس وكلام الله عزَّ وجلَّ وهو كلام، وكلام ملائكته كلام، قال الحكيم: أما رأيت الناس لمّا أرادوا أن يفهموا بعض الدّواب والطير ما يريدون من تقدّمها وتأخّرها واقبالهاوادبارها لم يجدوا الدّواب والطير يحتمل كلامهم الذي هو كلامهم، فوضعوا من النقر والصفير والرجز ما يبلغوا به حاجتهم، وما عرفوا أنّها تطيق حمله.

وكذلك العباد يعجزوا أن يعلموا كلام الله عزَّ وجلَّ وكلام ملائكته على كنهه وكماله ولطفه وصفته، فصار ما تراجع الناس بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة شبيهاً بما وضع الناس للدواب والطير، ولم يمنع ذلك الصوت مكان الحكمة المخبرة في تلك الأصوات من أن تكون الحكمة واضحة بينهم، قويّة منيرة شريفة عظيمة، ولم يمنعها من وقوع معانيها على مواقعها وبلوغ ما احتجّ به الله عزَّ وجلَّ على العباد فيها.

فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً، وكانت الحكمة للصوت نفساً وروحاً، ولا طاقة للناس أن ينفذوا غور كلام الحكمة، ولا يحيطوا به بعقولهم، فمن قبل ذلك تفاضلت العلماء في علمهم، فلا يزال عالم يأخذ علمه من عالم حتّى يرجع العلم إلى الله عزَّ وجلَّ الذي جاء من عنده.

وكذلك العلماء قد يصيبون من الحكمة والعلم ما ينجيهم من الجهل، ولكن لكلّ ذي فضل فضله، كما أنّ الناس ينالون من ضوء الشمس ما ينتفعون به في معائشهم وأبدانهم، ولا يقدرون أن ينفذوها بأبصارهم، فهي كالعين الغزيرة الظاهر مجراها المكنون عنصرها.

فالنّاس قد يجيبون بما ظهر لهم من مائها، ولا يدركون غورها، وهي كالنجوم الزاهرة التي يهتدى بها الناس، ولا يعلمون مساقطها، فالحكمة أشرف وأرفع وأعظم مما وصفناها به كلّه، هي مفتاح باب كلّ خير يرتجى، والنجاة من كلّ شرّ يتّقى، وهي شراب الحياة التي من شرب منه لم يمت أبداً، والشّفاء للسّقم الذي من استشفى به لم يسقم أبداً، والطّريق المستقيم الذي من سلكه لم يضلّ أبداً، هي حبل الله المتين الذي لا يخلقه طول التكرار، من تمسّك به انجلى عنه العمى، ومن اعتصم به فاز واهتدى، وأخذ بالعروة الوثقى.

قال: فما بال هذه الحكمة التي وصفت بما وصفت من الفضل والشرف والارتفاع والقوة والمنفعة والكمال والبرهان لا ينتفع بها الناس كلّهم جميعاً؟

قال الحكيم: انّما مثل الحكمة كمثل الشمس الطالعة على جميع الناس الأبيض والأسود منهم، والصغير والكبير، فمن أراد الانتفاع بها لم تمنعه، ولم يحل بينه وبينها من أقربهم وأبعدهم، ومن لم يرد الانتفاع بها فلا حجّة له عليها، ولا تمنع الشمس على الناس جميعاً، ولا يحول بين الناس وبين الانتفاع بها.

وكذلك الحكمة وحالها بين الناس إلى يوم القيامة، والحكمة قد عمّت الناس جميعاً الّا أنّ الناس يتفاضلون في ذلك، والشمس ظاهرة إذ طلعت على الأبصار الناظرة فرقت بين الناس على ثلاثة منازل، فمنهم الصحيح البصر الذي

ينفعه الضوء ويقوي على النظر، ومنهم الأعمى القريب من الضوء الذي لو طلعت عليه شمس أو شموس لم تغن عنه شيئاً، ومنهم المريض البصر الذي لا يعدّ في العميان ولا في أصحاب البصر.

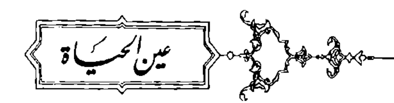
كذلك الحكمة هي شمس القلوب إذا طلعت تفرّق على ثلاث منازل: منزل لأهل البصر الذين يعقلون الحكمة فيكونون من أهلها، ويعملون بها، ومنزل لأهل العمى الذين تنبوا الحكمة عن قلوبهم لانكارهم الحكمة وتركهم قبولها كما ينبو ضوء الشمس عن العميان، ومنزلة لأهل مرض القلوب الذين يقصر علمهم، ويضعف عملهم، ويستوي فيهم السّيئ والحسن، والحقّ والباطل، وانّ أكثر من تطلع عليه الشمس وهي الحكمة ممّن يعمى عنها.

قال ابن الملك: فهل يسع الرجل الحكمة فلا يجيب إليها حتّى يلبث زماناً ناكباً عنها، ثم يجيب ويراجعها؟ قال بلوهر: نعم هذا أكثر حالات الناس في الحكمة.

قال ابن الملك: ترى والدي سمع شيئاً من هذا الكلام قطّ؟ قال بلوهر: لا أراه سمع سماعاً صحيحاً رسخ في قلبه ولا كلّمه فيه ناصح شفيق.

قال ابن الملك: وكيف ترك ذلك الحكماء منه طول دهرهم؟ قال بلوهر: تركوه لعلمهم بمواضع كلامهم، فربما تركوا ذلك ممّن هو أحسن انصافاً وألين عريكة، وأحسن استماعاً من أبيك حتّى أنّ الرجل ليعاش الرجل طول عمره بينهما الاستيناس والمودة والمفاوضة، ولا يفرق بينهما شيء الّا الدين والحكمة، وهو متفجّع عليه، متوجّع له، ثمّ لا يفضي إليه أسرار الحكمة اذ لم يره لها موضعاً.

وقد بلغنا أنّ ملكاً من الملوك كان عاقلاً قريباً من الناس، مصلحاً لأمورهم،



حسن النظر والانصاف لهم، وكان له وزيرٌ صدق صالح يعينه على الاصلاح، ويكفيه مؤونته، ويشاوره في أموره، وكان الوزير أديباً عاقلاً، له دين وورع ونزاهة على الدنيا.

وكان قد لقي أهل الدين، وسمع كلامهم، وعرف فضلهم، فأجابهم وانقطع إليهم بإخائه ووده، وكانت له من الملك منزلة حسنة وخاصة، وكان الملك لا يكتمه شيئاً من أمره، وكان الوزير له أيضاً بتلك المنزلة، الّا أنّه لم يكن ليطلعه على أمر الدين، ولا يفاوضه أسرار الحكمة.

فعاشا بذلك زماناً طويلاً، وكان الوزير كلّما دخل على الملك سجد الأصنام وعظّمها وأخذ شيئاً في طريق الجهالة والضّلالة تقيّة له، فأشفق الوزير على الملك من ذلك واهتمّ به واستشار في ذلك أصحابه واخوانه، فقالوا له: انظر لنفسك وأصحابك فإن رأيته موضعاً للكلام فكلّمه وفاوضه، والّا فانّك انّما تعينه على نفسك، وتهيجه على أهل دينك، فإنّ السلطان لا يغترّ به، ولا تؤمن سطوته.

فلم يزل الوزير على اهتمامه به مصافياً له، رفيقاً به رجاء أن يجد فرصة فينصحه أو يجد للكلام موضعاً فيفاوضه، وكان الملك مع ضلالته متواضعاً سهلاً قريباً، حسن السيرة في رعيّته، حريصاً على اصلاحهم، متفقّداً لأمورهم، فاصطحب الوزير الملك على هذا برهة من زمانه.

ثمّ انّ الملك قال للوزير ذات ليلة من اللّيالي بعدما هدأت العيون: هل لك أن تركب فنسير في المدينة فننظر إلى حال الناس وآثار الأمطار التي أصابتهم في هذه الأيّام؟ فقال الوزير: نعم، فركبا جميعاً يجولان في نواحي المدينة، فمرّا في بعض الطريق على مزبلة تشبه الجبل، فنظر الملك إلى ضوء النار تبدو في ناحية

المزبلة، فقال للوزير: انّ لهذه النار لقصّة، فأنزل بنا نمشي حتّى ندنو منها فنعلم خبرها، ففعلا ذلك.

فلمّا انتهيا إلى مخرج الضوء وجدا نقباً شبيهاً بالغار، وفيه مسكين من المساكين، ثمّ نظرا في الغار من حيث لا يراهما الرجل فاذا الرجل مشوّه الخلق، عليه ثياب خلقان من خلقان المزبلة، متّكئ على متّكاء قد هيّأه من الزبل، وبين يديه ابريق فخار، فيه شراب، وفي يده طنبور يضرب بيده، وامرأته في مثل خلقه ولباسه قائمة بين يديه تسقيه إذا استسقى منها، وترقص له إذا ضرب، وتحيّيه بتحيّة الملوك كلّما شرب، وهو يسميها سيّدة النساء، وهما يصفان أنفسهما بالحسن والجمال، وبينهما من السرور والضحك والطرب ما لا يوصف.

فقام الملك على رجليه مليّاً والوزير ينظر كذلك ويتعجبان من لذّتهما واعجابهما بما هما فيه، ثمّ انصرف الملك والوزير، فقال الملك: ما أعلمني وايّاك أصابنا الدهر من اللذة والسرور والفرح مثل ما أصاب هذين الليلة، مع أنّي أظنّهما يصنعان كلّ ليلة مثل هذا.

فاغتنم الوزير ذلك منه، ووجد فرصة فقال له: أخاف أيّها الملك أن يكون دنيانا هذه من الغرور، ويكون ملكك وما نحن فيه من البهجة والسرور في أعين من يعرف الملكوت الدائم مثل هذه المزبلة، ومثل هذين الشخصين اللذين رأيناهما، وتكون مساكننا وما شيّدنا منها عند من يرجو مساكن السّعادة وثواب الآخرة مثل هذا الغار في أعيننا.

وتكون أجسادنا عند من يعرف الطهارة والنضارة والحسن والصحة مثل جسد هذه المشوّه الخلق في أعيننا، ويكون تعجّبهم عن إعجابنا بما نحن فيه

كتعجّبنا من إعجاب هذين الشخصين بما هما فيه.

قال الملك: وهل تعرف لهذه الصفة أهلاً؟ قال الوزير: نعم، قال الملك: من هم؟ قال الوزير: أهل الدين الذين عرفوا ملك الآخرة ونعيمها فطلبوه، قال الملك: وما ملك الآخرة؟

قال الوزير: هو النعيم الذي لا بؤس بعده، والغنى الذي لا فقر بعده، والفرح الذي لا ترح بعده، والصحة التي لا سقم بعدها، والرضى الذي لا سخط بعده، والأمن الذي لا خوف بعده، والحياة التي لا موت بعدها، والملك الذي لا زوال له.

التي هي دار البقاء ودار الحيوان، التي لا انقطاع لها، ولا تغيّر فيها، رفع الله عزَّ وجلَّ عن ساكنيها فيها السقم والهرم والشقاء والنصب والمرض والجوع والظمأ والموت، فهذه صفة ملك الآخرة وخبرها أيّها الملك.

قال الملك: وهل تدركون إلى هذه الدار مطلباً وإلى دخولها سبيلاً؟ قال الوزير: نعم هي مهيّأة لمن طلبها من وجه مطلبها، ومن أتاها من بابها ظفر بها.

قال الملك: ما منعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم؟ قال الوزير: منعني من ذلك اجلالك والهيبة لسلطانك، قال الملك: لئن كان هذا الأمر الذي وصفت يقيناً فلا ينبغي لنا أن نضيّعه ولا نترك العمل به في اصابته، ولكنّا نجتهد حتى يصحّ لنا خبره.

قال الوزير: أفتأمرني أيّها الملك أن أُواظب عليك في ذكره والتكرير له؟ قال الملك: بل آمرك أن لا تقطع عني ليلاً ولا نهاراً، ولا تريحني ولا تمسك عني ذكره، فإنّ هذا أمر عجيب لا تهاون به، ولا يغفل عن مثله، وكان سبيل ذلك الملك والوزير إلى النجاة.

قال ابن الملك: ما أنا بشاغل نفسي بشيء من هذه الأُمور عن هذا السبيل، ولقد حدّثت نفسي بالهرب معك في جوف الليل حيث بدا لك أن تذهب.

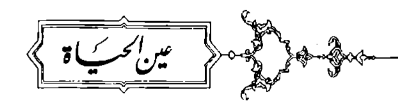
قال بلوهر: وكيف تستطيع الذهاب معي والصبر على صحبتي وليس لي جحر يأويني، ولا دابّة تحملني، ولا أملك ذهباً ولا فضّة، ولا أدّخر غذاء العشاء، ولا يكون عندي فضل ثوب، ولا أستقرّ ببلدة الّا قليلاً حتّى أتحوّل عنها، ولا أتزوّد من أرض إلى أرض أُخرى رغيفاً أبداً.

قال ابن الملك: انّي أرجو أن يقوّيني الذي قوّاك، قال بلوهر: أمّا إنّك إن أبيت الّا صحبتي كنت خليقاً أن تكون كالفتى الذي صاهر الفقير.

قال يوذاسف: وكيف كان ذلك؟ قال بلوهر: زعموا أنّ فتى كان من أولاد الأغنياء فأراد أبوه أن يزوّجه إبنة عمّ له ذات جمال ومال، فلم يوافق ذلك الفتى ولم يطّلع أباه على كراهته حتّى خرج من عنده متوجهاً إلى أرض أُخرى، فمرّ في طريقه على جارية عليها ثياب خلقان لها، قائمة على باب بيت من بيوت المساكين فأعجبته الجارية، فقال لها: من أنت أيّتها الجارية؟

قالت: إبنة شيخ كبير في هذا البيت، فنادى الفتى الشيخ فخرج إليه فقال له: هل تزوّجني ابنتك هذه؟ قال: ما أنت بمتزوج لبنات الفقراء وأنت فتى من الأغنياء، قال: أعجبتني هذه الجارية ولقد خرجت هارباً من امرأة ذات حسب ومال أرادوا منّي تزويجها، فكرهتها فزوجني ابنتك فانّك واجد عندي خيراً إن شاء الله.

قال الشيخ: كيف أزوّجك ابنتي ونحن لا تطيب أنفسنا أن تنقلها عنّا، ولا أحتسب مع ذلك أنّ أهلك يرضون أن تنقلها إليهم، قال الفتى: فنحن معكم في



منزلكم هذا، قال الشيخ: إن صدقت فيما تقول فاطرح عنك زيّك وحليتك هذه.

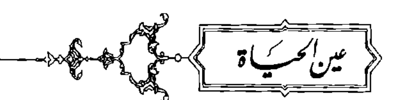
قال: ففعل الفتى ذلك، وأخذ أطماراً رثّة من أطمارهم فلبسها وقعد معهم، فسأله الشيخ عن شأنه وعرض له بالحديث حتى فتّش عقله، فعرف أنّه صحيح العقل وأنّه لم يحمله على ما صنع السفه، فقال له الشيخ: أمّا إذا اخترتنا ورضيت بنا فقم معي إلى هذا السرب.

فأدخله فاذا خلف منزله بيوت ومساكن لم ير مثله قطّ سعة وحسناً، وله خزائن من كلّ ما يحتاج إليه، ثم دفع إليه مفاتيحه وقال: إنّ كلّ ما هاهنا لك فاصنع به ما أحببت، فنعم الفتى أنت وأصاب الفتى ما كان يريده.

قال يوذاسف: انّي لأرجو أن أكون أنا صاحب هذا المثل انّ الشيخ فتّش عقل هذا الغلام حتّى وثق به، فلعلّك تطوّل بي على تفتيش عقلي فأعلمني ما عندك في ذلك.

قال الحكيم: لو كان هذا الأمر إليّ لا كتفيت منك بأدنى المشافهة، ولكن فوق رأسي سنّة قد سنّها أئمة الهدى في بلوغ الغاية في التوفيق، وعلم ما في الصدور فاني أخاف إن خالفت السنّة أن أكون قد أحدثت بدعة، وأنا منصرف عنك الليلة وحاضر بابك في كلّ ليلة.

ففكّر في نفسك بهذا واتّعظ به، وليحضرك فهمك وتثبّت ولا تعجل بالتصديق لما يورده عليك همّك حتى تعلمه بعد التؤدة والأناة، وعليك بالاحتراس في ذلك أن يغلبك الهوى والميل إلى الشبهة والعمى، واجتهد في المسائل التي تظنّ أنّ فيها شبهة، ثمّ كلّمني فيها وأعلمني رأيك في الخروج إذا أردت، وافترقا على هذا تلك الليلة.



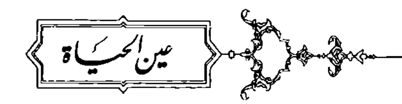
ثمّ عاد الحكيم إليه فسلّم عليه ودعا له، ثمّ جلس فكان من دعائه أن قال: أسأل الله الأول الذي لم يكن قبله شيء، والآخر الذي لا يبقى معه شيء، والباقي الذي لا فناء له، والعظيم الذي لا منتهى له، والواحد الفرد الصمد الذي ليس معه غيره، والقاهر الذي لا شريك له، البديع الذي لا خالق معه، القادر الذي ليس له ضدّ، الصمد الذي ليس له ند، الملك الذي ليس معه أحد أن يجعلك ملكاً عدلاً، اماماً في الهدى، قائداً إلى التقوى، ومبصراً من العمى، وزاهداً في الدنيا، ومحباً لذوي النهى، ومبغضاً لأهل الردى، حتى يفضي بنا وبك إلى ما وعد الله أولياءه على ألسنة أنبيائه من جنّته ورضوانه، فإنّ رغبتنا إلى الله في ذلك ساطعة، ورهبتنا منه باطنة، وأبصارنا إليه شاخصة[1]، وأعناقنا له خاضعة، وأُمورنا إليه صائرة.

فرقّ ابن الملك لذلك الدعاء رقّة شديدة، وازداد في الخير رغبة، وقال متعجباً من قوله: أيّها الحكيم أعلمني كم أتى لك من العمر؟ فقال: اثنتا عشر سنة، فارتاع لذلك ابن الملك، وقال: ابن اثنتى عشرة سنة طفل وأنت مع ما أرى من التكهل كابن ستين سنة.

قال الحكيم: أما المولد فقد راهق الستين سنة، ولكنّك سألتني عن العمر وانّما العمر الحياة، ولا حياة الّا في الدين والعمل به، والتخلّي من الدنيا ولم يكن ذلك لي الّا من اثنتى عشرة سنة، فأمّا قبل ذلك فانّي كنت ميّتاً ولست أعتدّ في عمري بأيّام الموت.

قال ابن الملك: كيف تجعل الآكل والشارب والمتقلّب ميتاً؟ قال الحكيم: لأنّه شارك الموتى في العمى والصمّ والبكم، وضعف الحياة، وقلّة الغنى، فلمّا

(١) في بعض النسخ «وأبصارنا إليه خاشعة».



شاركهم في الصّفة وافقهم في الاسم.

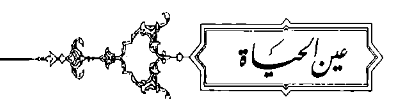
قال ابن الملك: لئن كنت لا تعدّ حياتك تلك حياة ولا غبطة ما ينبغي لك أن تعدّ ما تتوقّع من الموت موتاً، ولا تراه مكروهاً، قال الحكيم: تغريري في الدخول عليك بنفسى يا ابن الملك مع علمي لسطوة أبيك على أهل ديني يدلّك على أنّي لا أرى الموت موتاً، ولا أرى هذه الحياه حياة، ولا ما أتوقّع من الموت مكروهاً.

فكيف يرغب في الحياة من قد ترك حظّه منها؟ أو يهرب من الموت من قد أمات نفسه بيده، أو لا ترى يا ابن الملك أنّ صاحب الدين قد رفض الدنيا من أهله وماله وما لا يرغب فيها الّا له واحتمل من نصب العبادة ما لا يريحه منه الاّ الموت، فما حاجة من لا يتمتع بلذة الحياة إلى الحياة؟ أو يهرب من لا راحة له الاّ في الموت من الموت.

قال ابن الملك: صدقت أيّها الحكيم فهل يسرّك أن ينزل بك الموت من غد؟ قال الحكيم: بل يسرّني أن ينزل بي الليلة دون غد، فانّه من عرف السّيئ والحسن وعرف ثوابهما من الله عزَّ وجلَّ ترك السّيئ مخافة عقابه، وعمل الحسن رجاء ثوابه.

ومن كان موقناً بالله وحده مصدّقاً بوعده فانّه يحبّ الموت لما يرجو بعد الموت من الرّخاء، ويزهد في الحياة لما يخاف على نفسه من الشّهوات الدّنيا والمعصية لله فيها، فهو يحبّ الموت مبادرة من ذلك، فقال ابن الملك: انّ هذا لخليق أن يبادر الهلكة لما يرجو في ذلك من النجاة، فاضرب لي مثل أُمتنا هذه وعكوفها على أصنامها.

قال الحكيم: انّ رجلاً كان له بستان يعمره، ويحسن القيام عليه إذ رأى في



بستانه ذات يوم عصفوراً واقعاً على شجرة من شجرة البستان يصيب من ثمرها، فغاضه ذلك فنصب فخّاً فصاده، فلمّا همّ بذبحه أنطقه الله عزّ وجلّ بقدرته، فقال لصاحب البستان: انّك تهتمّ بذبحي وليس فيَّ ما يشبعك من جوع، ولا يقوّيك من ضعف، فهل لك في خير عمّا هممت به؟

قال الرجل: ما هو؟ قال العصفور: تخلّي سبيلي وأُعلّمك ثلاث كلمات إن أنت حفظتهنّ كنّ خيراً لك من أهل ومال هو لك، قال: قد فعلت فأخبرني بهنّ.

قال العصفور: احفظ عنّي ما أقول لك: لا تأس على ما فاتك، ولا تصدّقنّ بما لا يكون، ولا تطلبنّ ما لا تطيق، فلمّا قضى الكلمات خلّى سبيله، فطار فوقع على بعض الأشجار، ثمّ قال للرجل: لو تعلم ما فاتك منّي لعلمت أنّك قد فاتك منّي عظيم جسيم من الأمر، فقال الرجل: وما ذاك؟

قال العصفور: لو كنت قضيت على ما هممت به من ذبحي لاستخرجت من حوصلتي درّة كبيضة الأوزة، فكان لك في ذلك غنى الدّهر، فلمّا سمع الرجل منه ذلك أسرّ في نفسه ندماً على ما فاته، وقال: دع عنك ما مضى، وهلمّ أنطلق بك إلى منزلي فأحسن صحبتك وأكرم مثواك.

فقال له العصفور: أيّها الجاهل ما أراك حفظتني اذا ظفرت بي، ولا انتفعت بالكلمات التي افتديت بها منك نفسي، ألم أعهد إليك ألّا تأس على ما فاتك، ولا تصدّق ما لا يكون، ولا تطلب ما لا يدرك؟ أما أنت متفجّع على ما فاتك، وتلتمس مني رجعتي إليك، وتطلب ما لا تدرك، وتصدّق أنّ في حوصلتي درّة كبيضة الأوزة، وجميعي أصغر من بيضها، وقد كنت عهدت إليك أن لا تصدّق بما لا يكون.

وأنّ أمّتكم صنعوا أصنامهم بأيديهم، ثمّ زعموا أنّها هي التى خلقتهم، وحفظوها من أن تسرق مخافة عليها، وزعموا أنّها هي التي تحفظهم، وأنفقوا عليها من مكاسبهم وأموالهم، وزعموا أنّها هي التي ترزقهم، فطلبوا من ذلك ما لا يدرك، وصدّقوا بما لا يكون، فلزمهم منه ما لزم صاحب البستان.

قال ابن الملك: صدقت، أمّا الأصنام فانّي لم أزل عارفاً بأمرها، زاهداً فيها، آيساً من خيرها، فأخبرني بالذي تدعوني إليه والذي ارتضيته لنفسك ما هو؟ قال بلوهر: جماع الدين أمران، أحدهما معرفة الله عزَّ وجلَّ، والآخر العمل برضوانه.

قال ابن الملك: وكيف معرفة الله عزَّ وجلَّ؟ قال الحكيم: أدعوك إلى أن تعلم أنّ الله واحد ليس له شريك، لم يزل فرداً ربّاً، وما سواه مربوبٌ، وأنّه خالق وما سواه مخلوق، وأنّه قديم وما سواه محدث، وأنّه صانع وما سواه مصنوع، وأنّه مدبِّر وما سواه مدبَّر، وأنّه باق وما سواه فإن، وأنّه عزيز وما سواه ذليل، وأنّه لا ينام ولا يغفل ولا يأكل ولا يشرب ولا يضعف ولا يغلب ولا يعجز، ولا يعجزه شيء، لم تمتنع منه السماوات والأرض والهواء والبرّ والبحر.

وأنّه كوّن الأشياء لا من شيء، وأنّه لم يزل ولا يزال، ولا تحدث فيه الحوادث، ولا تغيّره الأحوال، ولا تبدّله الأزمان، ولا يتغير من حال إلى حال، ولا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون من مكان أقرب منه إلى مكان، ولا يغيب عنه شيء، عالم لا يخفى عليه شيء، قدير لا يفوته شيء، وأن تعرفه بالرأفة والرحمة والعدل، وأنّ له ثواباً أعدّه لمن أطاعه، وعذاباً أعدّه لمن عصاه، وأن تعمل لله برضاه، وتجتنب سخطه.

قال ابن الملك: فما يرضي الواحد الخالق من الأعمال؟ قال الحكيم: يا ابن



الملك أن تطيعه ولا تعصيه، وأن تأتي إلى غيرك ما تحبّ أن يؤتى إليك، وتكفّ عن غيرك ما تحبّ أن يكفّ عنك في مثله، فإنّ ذلك عدل وفي العدل رضاه، وفي اتّباع آثار أنبياء الله ورسله بأن لا تعدو سنّتهم.

قال ابن الملك: زدني أيّها الحكيم تزهيداً في الدنيا وأخبرني بحالها.

قال الحكيم: اني لمّا رأيت الدنيا دار تصرّف وزوال وتقلّب من حال إلى حال، ورأيت أهلها فيها أغراضاً للمصائب، ورهائن للمتالف، ورأيت صحّة بعدها سقماً، وشباباً بعده هرماً، وغنىً بعده فقراً، وفرحاً بعده حزناً، وعزّاً بعده ذلاً، ورخاء بعده شدّة، وأمناً بعده خوفاً، وحياة بعدها مماة.

ورأيت أعماراً قصيرة، وحتوفاً راصدة[1]، وسهاماً قاصدة، وأبداناً ضعيفة مستسلمة، غير ممتنعة ولا حصينة، عرفت أنّ الدنيا منقطعة بالية فانية، وعرفت بما ظهر لي منها ما غاب عنّي منها، وعرفت بظاهرها باطنها، وغامضها بواضحها، وسرّها بعلانيتها، وصدورها بورودها.

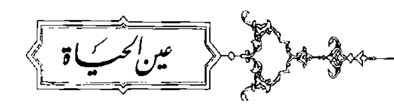
فحذرتها لما عرفتها، وفررت منها لما أبصرتها، بينا ترى المرء فيها مغتبطاً محبوراً[2] وملكاً مسروراً[3] في خفض ودعة ونعمة وسعة في بهجة من شبابه، وحداثة من سنّه، وغبطة من ملكه، وبهاء من سلطانه، وصحّة من بدنه، إذا انقلبت الدنيا به أسرّ ما كان فيها نفساً، وأقرّ ما كان فيها عيناً، فأخرجته من ملكها وغبطتها وخفضها ودعتها وبهجتها، فأبدلته بالعزّ ذلاً، وبالفرح ترحاً، وبالسرور حزناً، وبالنعمة بؤساً، وبالغنى فقراً، وبالسعة ضيقاً، وبالشباب هرماً، وبالشرف ضعة،

---

(١) الحتف الموت من غير قتل والجمع حتوف. والراصد: المراقب.

(٢) أي مسرور والحبر ـ بفتح الحاء وكسرها ـ السرور والجمع حبور وأحبار.

(٣) في بعض النسخ «مشعوفاً».



وبالحياة موتاً.

فدلّته في حفرة ضيقة شديدة الوحشة، وحيداً فريداً غريباً، قد فارق الأحبّة وفارقوه، خذله اخوانه فلم يجد عندهم دفعاً، وصار عزّه وملكه وأهله وماله نهبة من بعده، كأن لم يكن في الدنيا، ولم يذكر فيها ساعة قطّ، ولم يكن له فيها خطر، ولم يملك من الأرض حظّاً قطّ، فلا تتّخذ فيها يا ابن الملك داراً، ولا تتّخذن فيها عقدة ولا عقاراً، فأُفّ لها وتف.

قال ابن الملك: أُفّ لها ولمن يغترّ بها إذ كان هذا حالها، ورقّ ابن الملك وقال: زدني أيّها الحكيم من حديثك فانّه شفاء لما في صدري.

قال الحكيم: انّ العمر قصير، والليل والنهار يسرعان فيه، والارتحال من الدنيا حثيث قريب، وانّه وان طال العمر فيها فإنّ الموت نازل، والظاعن لا محالة راحلٌ، فيصير ما جمع فيها مفرّقاً، وما عمل فيها متبرّاً، وما شيّد فيها خراباً.

ويصير اسمه مجهولاً، وذكره منسيّاً، وحسبه خاملاً، وجسده بالياً، وشرفه وضيعاً، ونعمته وبالاً، وكسبه خساراً، ويورث سلطانه، ويستذلّ عقبه، ويستباح حريمه، وتنقض عهوده، وتخفر ذمّته، وتدرس آثاره، ويوزّع ماله، ويطوى رحله، ويفرح عدوّه، ويبيد ملكه، ويورث تاجه، ويخلف على سريره، ويخرج من مساكنه مسلوباً مخذولاً، فيذهب به إلى قبره فيدلى في حفرته في وحدة وغربة وظلمة ووحشة ومسكنة وذلّة، قد فارق الأحبّة، وأسلمته العصبة، فلا تؤنس وحشته أبداً، ولا تردّ غربته أبداً.

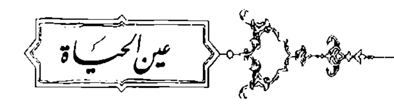
واعلم أنّها يحقّ على المرء اللّبيب من سياسة نفسه خاصة كسياسة الامام العادل الحازم الذي يؤدّب العامّة، ويستصلح الرعية، ويأمرهم بما يصلحهم،

وينهاهم عمّا يفسدهم، ثمّ يعاقب من عصاه منهم، ويكرم من أطاعه منهم، فكذلك للرجل اللبيب أن يؤدّب نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها وشهواتها، وأن تحملها وإن كرهت على لزوم منافعها فيما أحبّت وكرهت، وعلى اجتناب مضارّها.

وأن يجعل لنفسه عن نفسه ثواباً وعقاباً من مكانها من السّرور إذا أحسنت، ومن مكانها من الغمّ إذا أساءت، وممّا يحقّ على ذي العقل النظر فيما ورد عليه من أُموره، والأخذ بصوابها، وينهى نفسه عن خطائها، وأن يحتقر عمله ونفسه في رأيه لكيلا يدخله عجب، فإنّ الله عزَّ وجلَّ قد مدح أهل العقل، وذمّ أهل العجب ومن لا عقل له، وبالعقل يدرك كلّ خير باذن الله تبارك وتعالى، وبالجهل تهلك النفوس.

وانّ من أوثق الثقات عند ذوي الألباب ما أدركته عقولهم، وبلغته تجاربهم، ونالته أبصارهم في الترك للأهواء والشهوات، وليس ذو العقل بجدير أن يرفض ما قوي على حفظه من العمل احتقاراً له إذا لم يقدر على ما هو أكثر منه، وانّما هذا من أسلحة الشيطان الغامضة التي لا يبصرها الّا من تدبّرها، ولا يسلم منها الّا من عصمه الله منها.

ومن أسلحته سلاحان، أحدهما إنكار العقل أن يوقع في قلب الانسان العاقل أنّه لا عقل له ولا بصر ولا منفعة له في عقله وبصره، ويريد أن يصدّه عن محبّة العلم وطلبه، ويزيّن له الاشتغال بغيره من ملاهي الدنيا، فإن أتبعه الانسان من هذا الوجه فهو ظفره، وإن عصاه وغلبه فرغ إلى السلاح الآخر، وهو أنَ يجعل الانسان إذا عمل شيئاً وأبصره عرض له بأشياء لا يبصرها ليغمزه ويضجره بما لا يعلم حتّى يبغّض إليه ما هو فيه بتضعيف عقله عنده، وبما يأتيه من الشبهة.



ويقول: ألست ترى أنّك لا تستكمل هذا الأمر ولا تطيقه أبداً، فبم تـعني نفسك وتشقيها فيما لا طاقة به، فبهذا السلاح صرع كثيراً من الناس، فاحترس من أن تدع اكتساب علم ما تعلمه وأن تخدع عمّا اكتسبت منه، فـانّك فـي دار قـد استحوذ على أكثر أهلها الشيطان بألوان حيله، ووجوه ضلالته.

ومنهم من قد ضرب على سمعه وعقله وقلبه فتركه لا يعلم شيئاً، ولا يسأل عن علم ما جهل منه كالبيهمة، وانّ لعامّتهم أدياناً مختلفة، فمنهم المجتهدون في الضّلالة حتى أنّ بعضهم ليستحلّ دم بعض وأموالهم، ويموّه ضلالتهم بأشياء من الحقّ ليلبس عليهم دينهم، ويزيّنه لضعيفهم، ويصدّهم عن الدين القيّم.

فالشيطان وجنوده دائبون في اهـلاك النـاس وتـضليلهم، لا يسأمـون ولا يفترون ولا يحصى عددهم الّا الله، ولا يستطاع دفع مكائدهم الّا بـعون الله عـزَّ وجلَّ والاعتصام بدينه، فنسأل الله توفيقاً لطاعته، ونصراً على عدوّنا، فانّه لا حول ولا قوة الّا بالله.

قال ابن الملك: صف لي الله سبحانه وتعالى حتّى كأنّي أراه، قـال: انّ الله تقدّس ذكره لا يوصف بالرؤية، ولا يبلغ بالعقول كنه صفته، ولا تبلغ الألسن كنه مدحته، ولا يحيط العباد من علمه الّا بما علّمهم منّه على ألسنة أنبيائه عليهم السّلام بما وصف به نفسه، ولا تدرك الأوهام عظم ربوبيّته، هو أعلى من ذلك وأجلّ وأعزّ وأعظم وأمنع وألطف، فتّاح للعباد من علمه بما أحبّ، وأظهرهم من صفته على ما أراد، وأدلّهم على معرفته ومعرفة ربوبيّته بإحداث ما لم يكن، واعدام ما أحدث.

قال ابن الملك: وما الحجّة؟ قال: إذا رأيت شيئاً مصنوعاً غاب عنك صانعه علمت بعقلك أنّ له صانعاً، فكذلك السماء والأرض وما بينهما، فأيّ حجّة أقوى من ذلك.



قال ابن الملك: فأخبرني أيّها الحكيم أبقدر من الله عزَّ وجلَّ يصيب النّاس ما يصيبهم من الأسقام والأوجاع والفقر والمكاره، أو بغير قدر.

قال بلوهر: لا بل بقدر، قال: فأخبرني عن أعمالهم السيئة، قال: انّ الله عزَّ وجلَّ من سيّىء أعمالهم بريء، ولكنّه عزَّ وجلَّ أوجب الثواب العظيم لمن أطاعه، والعقاب الشديد لمن عصاه.

قال: فأخبرني من أعدل الناس ومن أجورهم، ومن أكيسهم ومن أحمقهم، ومن أشقاهم ومن أسعدهم؟ قال: أعدلهم أنصفهم من نفسه، وأجورهم من كان جوره عنده عدلاً، وعدل أهل العدل عنده جوراً، وأمّا أكيسهم فمن أخذ لآخرته أُهبتها[1]، وأحمقهم من كانت الدنيا همّه، والخطايا عمله، وأسعدهم من ختم عاقبة عمله بخير، وأشقاهم من ختم له بما يسخط الله عزَّ وجلَّ.

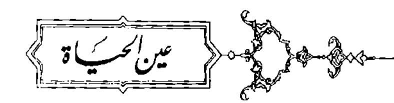
ثمّ قال: من دان الناس بما إن ديّن بمثله هلك فذلك المسخط لله، المخالف لما يحبّ، ومن دانهم بما ان ديّن بمثله صلح فذلك المطيع لله، الموافق لما يحبّ المجتنب لسخطه، ثمّ قال: لا تستقبحنّ الحسن وان كان في الفجّار، ولا تستحسننّ القبيح وإن كان في الأبرار.

ثمّ قال له: أخبرني أيّ الناس أولى بالسعادة؟ وأيّهم أولى بالشقاوة؟

قال بلوهر: أولاهم بالسعادة المطيع لله عزَّ وجلَّ في أمره، والمجتنب لنواهيه، وأولاهم بالشقاوة العامل بمعصية الله، التارك لطاعته، المؤثر لشهوته على رضى الله عزَّ وجلَّ، قال: فأيّ الناس أطوعهم لله عزَّ وجلَّ؟

قال: أتبعهم لأمره، وأقواهم في دينه، وأبعدهم من العمل بالسيئات، قال:

(١) الاهبة: العدة. يقال أخذ للسفر أُهبته أي أسبابه.



فما الحسنات والسيئات؟ قال: الحسنات صدق النية والعمل، والقول الطيّب، والعمل الصّالح، والسيئات سوء النيّة، وسوء العمل، والقول السيّىء.

قال: فما صدق النيّة؟ قال: الاقتصاد في الهمة، قال: فما سوء القول؟ قال: الكذب، قال: فما سوء العمل؟ قال: معصية الله عزَّ وجلَّ، قال: أخبرني كيف الاقتصاد في الهمّة؟ قال: التذكّر لزوال الدنيا وانقطاع أمرها، والكفّ عن الأمور التي فيها النقمة والتبعة في الآخرة.

قال: فما السخاء؟ قال: اعطاء المال في سبيل الله عزَّ وجلَّ، قال: فما الكرم؟ قال: التقوى، قال: فما البخل؟ قال: منع الحقوق عن أهلها وأخذها من غير وجهها، قال: فما الحرص؟ قال: الإخلاد إلى الدنيا، والطّماح إلى الأُمور التي فيها الفساد، وثمرتها عقوبة الآخرة.

قال: فما الصدق؟ قال: طريقة في الدين بأن لا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها، قال: فما الحمق؟ قال: الطمأنينة إلى الدنيا وترك ما يدوم ويبقى، قال: فما الكذب؟ قال: أن يكذب المرء نفسه فلا يزال بهواه شعفاً ولدينه مسوّفاً.

قال: أيّ الرّجال أكملهم في الصلاح؟ قال: أكملهم في العقل، وأبصرهم بعواقب الأمور، وأعلمهم بخصومه، وأشدّهم منهم احتراساً، قال: أخبرني ما تلك العاقبة، وما أُولئك الخصماء الذين يعرفهم العاقل فيحترس منهم؟ قال: العاقبة الآخرة، والعناء الدنيا، قال: فما الخصماء؟ قال: الحرص والغضب والحسد والحميّة والشهوة والرياء واللجاجة.

قال: أيّ هؤلاء الذين عددت أقوى وأجدر أن لا يسلم منه؟ قال: الحرص أقلّ رضاً وأفحش غضباً، والغضب أجور سلطاناً وأقلّ شكراً وأكسب للبغضاء،

والحسد أسوء الخيبة للنيّة، وأخلف للظنّ، والحميّة أشدّ لجاجة وأفضع معصية، والحقد أطول توقّداً وأقلّ رحمة وأشدّ سطوة، والرياء أشدّ خديعة، وأخفى اكتناناً وأكذب، واللّجاجة أعي خصومة، وأقطع معذرة.

قال: أيّ مكائد الشيطان للناس في هلاكهم أبلغ؟ قال: تعميته عليهم البرّ والإثم والثواب والعقاب، وعواقب الأمور في ارتكاب الشهوات، قال: أخبرني بالقوّة التي قوّى الله عزَّ وجلَّ بها العباد في تغالب تلك الأمور السيئة، والأهواء المردية؟

قال: العلم والعقل والعمل بهما، وصبر النفس عن شهواتها، والرجاء للثواب في الدين، وكثرة الذكر لفناء الدنيا، وقرب الأجل، والاحتفاظ من أن ينقض ما يبقى بما يفنى، واعتبار ماضي الأمور بعاقبتها، والاحتفاظ بما لا يعرف الّا عند ذوي العقول، وكفّ النفس عن العادة السيئة وحملها على العادة الحسنة، والخلق المحمود.

وأن يكون أمل المرء بقدر عيشه حتّى يبلغ غايته، فإنّ ذلك هو القنوع وعمل الصبر والرّضا بالكفاف واللزوم للقضاء والمعرفة بما فيه في الشدة من التعب وما في الإفراط من الاغتراف، وحسن العزاء عمّا فات، وطيب النفس عنه، وترك معالجة ما لا يتمّ، والصّبر بالأمور التي إليها يرد، واختيار سبيل الرّشد على سبيل الغيّ.

وتوطين النفس على أنّه إن عمل خيراً جزي به، وإن عمل شرّاً جزي به، والمعرفة بالحقوق والحدود في التقوى، وعمل النصيحة، وكفّ النفس عن اتّباع الهوى وركوب الشهوات، وحمل الأمور على الرّأي والأخذ بالحزم والقوة، فإن

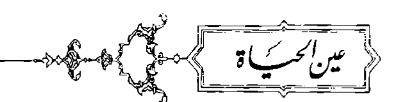
أتاه البلاء أتاه وهو معذور غير ملوم.

قال ابن الملك: أي الأخلاق أكرم وأعزّ؟ قال: التواضع، ولين الكلمة للاخوان في الله عزَّ وجلَّ، قال: أيّ العبادة أحسن؟ قال: الوقار والمودّة، قال: فأخبرني أيّ الشّيم أفضل؟ قال: حبّ الصّالحين، قال: أيّ الذّكر أفضل؟ قال: ما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: فأيّ الخصوم ألدّ؟ قال: ارتكاب الذنوب.

قال ابن الملك: أخبرني أيّ الفضل أفضل؟ قال: الرضا بالكفاف، قال: أخبرني أيّ الادب أحسن؟ قال: أدب الدّين، قال: أيّ الشيء أجفا؟ قال السلطان العاتي، والقلب القاسي، قال: أيّ شيء أبعد غاية؟ قال: عين الحريص التي لا يشبع من الدنيا، قال: أيّ الأمور أخبث عاقبة؟ قال: التماس رضى الناس في سخط الله عزَّ وجلَّ.

قال: أيّ شيء تقلّباً، قال: قلوب الملوك الذين يعملون للدنيا، قال: فأخبرني أيّ الفجور أفحش؟ قال: اعطاء عهد الله والغدر فيه، قال: فأيّ شيء أسرع انقطاعاً؟ قال: مودّة الفاسق، قال: فأيّ شيء أخون؟ قال: لسان الكاذب، قال: فأيّ شيء أشدّ اكتتاماً؟ قال: شرّ المرائي المخادع، قال: فأيّ شيء أشبه بأحوال الدنيا؟ قال: أحلام النائم، قال: أيّ الرجال أفضل رضى؟ قال: أحسنهم ظنّاً بالله عزَّ وجلَّ، وأتقاهم وأقلّهم غفلة عن ذكر الله وذكر الموت وانقطاع المدّة.

قال: أيّ شيء من الدنيا أقرّ للعين؟ قال: الولد الأديب، والزوجة الموافقة المؤاتية المعينة على أمر الآخرة، قال: أيّ الداء ألزم في الدنيا؟ قال: الولد السّوء، والزوجة السوء اللذين لا يجد منهما بدّاً، قال: أيّ الخفض أخفض؟ قال: رضى



المرء بحظّه واستيناسه بالصّالحين.

ثمّ قال ابن الملك للحكيم: فرّغ لي ذهنك فقد أردت مساءلتك عن أهمّ الأشياء إليّ بعد إذ بصّرني الله عزَّ وجلَّ من أمري ما كنت به جاهلاً، ورزقني من الدّين ما كنت منه آيساً.

قال الحكيم: سل عمّا بدا لك، قال ابن الملك: أرأيت من أُوتي الملك طفلاً، ودينه عبادة الأوثان، وقد غذي بلذّات الدنيا واعتادها ونشأ فيها إلى أن كان رجلاً وكهلاً لا ينتقل من حالته تلك في جهالته بالله تعالى ذكره، واعطائه نفسه شهواتها متجرّداً لبلوغ الغاية فيما زيّن له من تلك الشهوات مشتغلا بها، مؤثراً لها، جريّاً عليها، لا يرى الرّشد الاّ فيها، ولا تزيده الأيّام الاّ حبّاً لها واغتراراً بها، وعجباً وحبّاً لأهل ملته ورأيه.

وقد دعته بصيرته في ذلك إلى أن جهل أمر آخرته، وأغفلها فاستخفّها وسها عنها قساوة قلب وخبث نيّة وسوء رأي، واشتدّت عداوته لمن خالفه من أهل الدين والاستخفاء بالحقّ والمغيبين لأشخاصهم انتظاراً للفرج من ظلمه وعداوته هل يطمع له إن طال عمره في النزوع عمّا هو عليه، والخروج منه إلى ما الفضل فيه بيّن والحجّة فيه واضحة؟ والحظّ جزيل من لزوم ما أبصرت من الدين فيأتي ما يرجى له [بعد] مغفرة ما قد سلف من ذنوبه وحسن الثواب في مآبه.

قال الحكيم: قد عرفت هذه الصفة، وما دعاك إلى هذه المسألة؟

قال ابن الملك: ماذاك منك بمستنكر لفضل ما أُوتيت من الفهم وخصصت به من العلم.

قال الحكيم: أمّا صاحب هذه الصفة فالملك، والذي دعاك إليه العناية بما

سألت عنه، والاهتمام به من أمره، والشفقة عليه من عذاب ما أوعد الله عزَّ وجلَّ من كان على مثل رأيه وطبعه وهواه، مع ما نويت من ثواب الله تعالى ذكره في أداء حقّ ما أوجب الله عليك له، وأحسبك تريد بلوغ غاية العذر في التلطف لإنقاذه واخراجه عن عظيم الهول ودائم البلاء الذي لا انقطاع له من عذاب الله إلى السلامة وراحة الأبد في ملكوت السماء.

قال ابن الملك: لم تحرم حرفاً عمّا أردت، فأعلمني رأيك فيما عنوت من أمر الملك وحاله التي أتخوّف أن يدركه الموت عليها، فتصيبه الحسرة والندامة حين لا أُغني عنه شيئاً، فاجعلني منه على يقين وفرّج عنّي فأنا به مغموم شديد الاهتمام به، فانّي قليل الحيلة فيه.

قال الحكيم: أما رأينا فانّا لا نبعد مخلوقاً من رحمة الله خالقه عزَّ وجلَّ، ولا نأيس له منها مادام فيه الرّوح، وان كان عاتياً طاغياً ضالاً لما قد وصف ربّنا تبارك وتعالى به نفسه من التحنّن والرأفة والرحمة، ودلّ عليه من الايمان، وما أمر به من الاستغفار والتوبة وفي هذا فضل الطمع لك في حاجتك إن شاء الله.

وزعموا أنّه كان في زمن من الأزمان ملك عظيم الصوت في العلم، رفيق سايس يحبّ العدل في أُمّته والاصلاح لرعيّته، عاش بذلك زماناً بخير حال، ثمّ هلك فجزعت عليه أُمّته، وكان بامرأة له حمل، فذكر المنجّمون والكهنة أنّه غلام، وكان يدبّر ملكهم من كان يلي ذلك في زمان ملكهم.

فاتّفق الأمر كما ذكره المنجّمون والكهنة، وولد من ذلك الحمل غلام، فأقاموا عند ميلاده سنة بالمعازف والملاهي والأشربة والأطعمة، ثمّ إنّ أهل العلم منهم والفقه والرّبانيين قالوا لعامّتهم: انّ هذا المولود انّما هو هبة من الله تعالى، وقد

جعلتم الشكر لغيره وإن كان هبة من غير الله عزَّ وجلَّ فقد أدّيتم الحقّ إلى من أعطاكموه، واجتهدتم في الشكر لمن رزقكموه.

فقال لهم العامة: ما وهبه لنا الّا الله تبارك وتعالى، ولا امتنّ به علينا غيره، قال العلماء: فإن كان الله عزَّ وجلَّ هو الذي وهبه لكم فقد أرضيتم غير الذي أعطاكم، وأسخطتم الله الذي وهبه لكم، فقالت لهم الرعية: فأشيروا لنا أيّها الحكماء، وأخبرونا أيّها العلماء فنتّبع قولكم، ونتقّبل نصيحتكم، ومرونا بأمركم.

قالت العلماء: فانّا نرى لكم أن تعدلوا عن اتّباع مرضات الشيطان بالمعازف والملاهي والمسكر إلى ابتغاء مرضات الله عزَّ وجلَّ، وشكره على ما أنعم به عليكم أضعاف شكركم للشيطان حتى يغفر لكم ما كان منكم، قالت الرعية: لا تحمل أجسادنا كلّ الذي قلتم وأمرتم به.

قالت العلماء: يا أُولي الجهل كيف أطعتم من لا حقّ له عليكم وتعصون من له الحقّ الواجب عليكم، وكيف قويتم على ما لا ينبغي، وتضعفون عمّا ينبغي؟! قالوا لهم: يا أئمة الحكماء عظمت فينا الشّهوات، وكثرت فينا اللذات، فقوينا بما عظم فينا منها على العظيم من مشكلها، وضعفت منّا النيات فعجزنا عن حمل المثقلات، فارضوا منّا في الرّجوع عن ذلك يوماً فيوماً، ولا تكلّفونا كلّ هذا الثقل.

قالوا لهم: يا معشر السّفهاء ألستم أبناء الجهل واخوان الضّلال حين خفّت عليكم الشّقوة، وثقلت عليكم السّعادة، قالوا لهم: أيّها السادة الحكماء والقادة العلماء انّا نستجير من تعنيفكم ايّانا بمغفرة الله عزَّ وجلَّ، ونستتر من تعييركم لنا بعفوه فلا تؤنّبونا[1] ولا تعيّرونا بضعفنا، ولا تعيبوا الجهالة علينا فإنّا إن أطعنا الله

---

(١) أنبه ـ بشد النون ـ: عنفه ولامه.

مع عفوه وحلمه وتضعيفه الحسنات، أو اجتهدنا في عبادته مثل الذي بذلنا لهوانا من الباطل بلغنا حاجتنا، وبلغ الله عزَّ وجلَّ بنا غايتنا ورحمنا كما خلقنا.

فلمّا قالوا ذلك أقرّهم علماؤهم ورضوا قولهم، فصلّوا وصاموا وتعبّدوا وأعظموا الصّدقات سنة كاملة، فلمّا انقضى ذلك منهم قالت الكهنة: انّ الذي صنعت هذه الأمّة على هذا المولود يخبر أنّ هذا الملك يكون فاجراً ويكون بارّاً، ويكون متجبّراً ويكون متواضعاً، ويكون مسيئاً ويكون محسناً.

وقال المنجّمون مثل ذلك، فقيل لهم: كيف قلتم ذلك؟ قال الكهنة: قلنا هذا من قبل اللهو والمعازف والباطل الذي صنع عليه، وما صنع عليه من ضدّه بعد ذلك، وقال المنجمون: قلنا ذلك من قبل استقامة الزهرة والمشتري.

فنشأ الغلام بكبر لا يوصف عظمته، ومرح لا ينعت، وعدوان لا يطاق، فعسف وجار وظلم في الحكم وغشم، وكان أحبّ الناس إليه من وافقه على ذلك، وأبغض الناس إليه من خالفه في شيء من ذلك.

واغترّ بالشباب والصحة والقدرة والظفر والنظر، فامتلأ سروراً وإعجاباً بما هو فيه، ورأى كلّما يحبّه، وسمع كلّما اشتهى حتّى بلغ اثنين وثلاثين سنة، ثمّ جمع نساء من بنات الملوك وصبياناً والجواري والمخدّرات، وخيله المطهّمات العناق[1] وألوان مراكبه الفاخرة، ووصائفه وخدّامه الذين يكونون في خدمته، فأمرهم أن يلبسوا أجدّ ثيابهم، ويتزيّنوا بأحسن زينتهم.

وأمر ببناء مجلس مقابل مطلع الشمس، صفائح أرضه الذهب مفضّضاً بأنواع الجواهر، طوله مائة وعشرون ذراعاً، وعرضه ستون ذراعاً مزخرفاً سقفه

---

(١) أي تام الحسن.

وحيطانه، قد زيّن بكرائم الحليّ وصنوف الجوهر واللؤلؤ النظيم وفاخره، وأمر بضروب الأموال فأُخرجت من الخزائن ونضّدت سماطين[١] أمام مجلسه، وأمر جنوده وأصحابه وقوّاده وكتّابه وحجّابه وعظماء أهل بلاده وعلمائهم فحضروا في أحسن هيئتهم، وأجمل جمالهم، وتسلّح فرسانه، وركبت خيوله في عدّتهم.

ثمّ وقفوا على مراكزهم ومراتبهم صفوفاً وكراديس، وانّما أراد بزعمه أن ينظر إلى منظر رفيع حسن تسرّ به نفسه وتقرّ به عينه، ثمّ خرج فصعد إلى مجلسه، فأشرف على مملكته فخرّوا له سجّداً، فقال بعض غلمانه: قد نظرت في أهل مملكتي إلى منظر حسن، وبقي أن أنظر إلى صورة وجهي.

فدعا بمرآة فنظر إلى وجهه فبينا هو يقلّب طرفه فيها إذ لاحت له شعرة بيضاء من لحيته كغراب أبيض بين غربان سود، واشتدّ منها ذعره وفزعه[٢]، وتغيّر في عينه حاله، وظهرت الكآبة والحزن في وجهه، وتولّى السّرور منه.

ثمّ قال في نفسه: هذا حين نعي إلى شبابي، وبيّن لي أنّ ملكي فى ذهاب، وأُوذنت بالنزول عن سرير ملكي، ثمّ قال: هذه مقدّمة الموت، ورسول البلاء[٣] لم يحجبه عنّي حاجب، ولم يمنعه عنّي حارس، فنعى إليّ نفسي، وأذن لي بزوال ملكي، فما أسرع هذا في تبديل بهجتي وذهاب سروري، وهدم قوّتي.

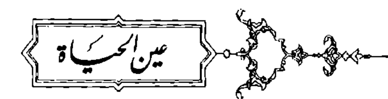
لم يمنعه منّي الحصون، ولم تدفعه عنّي الجنود، هذا سالب الشباب والقوّة، وما حق العزّ والثروة، ومفرّق الشمّل، وقاسم التراث بين الأولياء والأعداء؛ مفسد

---

(١) نضد المتاع ـ بشد الضاد وتخفيفها ـ رتبه وضم بعضه إلى بعض متسقاً أومر كوماً. والسماط: الشيء المصطف. وسماط الطريق جانباه.

(٢) الذعر: الخوف والفزع.

(٣) في بعض النسخ «رسول البلى».



المعاش، ومنغّص اللّذات، ومخرّب العمارات، ومشتّت الجمع، وواضع الرفيع، ومذلّ المنيع، قد أناخت بي أثقاله[1]، ونصب لي حباله.

ثمّ نزل عن مجلسه حافياً ماشياً، وقد صعد إليه محمولاً، ثمّ جمع إليه جنوده ودعا إليه ثقاته فقال: أيها الملأ ماذا صنعت فيكم وما أتيت إليكم منذ ملكتكم ووليت اُموركم؟ قالوا له: أيها الملك المحمود عظم بلاؤك عندنا وهذه أنفسنا مبذولة في طاعتك، فمرنا بأمرك.

قال: طرقني عدوّ نحيف[2] لم تمنعوني منه حتى نزل بي وكنتم عدّتي وثقاتي، قالوا: أيّها الملك أين هذا العدوّ؟ أيرى أم لا يرى؟ قال: يرى بأثر ولا يرى عينه، قالوا: أيّها الملك هذه عدّتنا كما ترى وعندنا سكن وفينا ذووا الحجى والنّهى، فأرناه نكفك ما مثله يكفى.

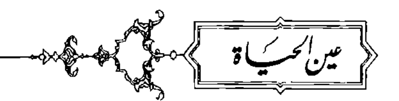
قال: قد عظم الاغترار منّي بكم، ووضعت الثقة في غير موضعها حين اتخذتكم وجعلتكم لنفسي جنّة، وانما بذلت لكم الأموال، ورفعت شرفكم وجعلتكم البطانة دون غيركم لتحفظوني من الأعداء وتحرسوني منهم، ثمّ أيدتكم على ذلك بتشييد البلدان، وتحصين المدائن، والثقة من الصلاح، ونحّيت عنكم الهموم[3]، وفرّغتكم للنجدة والاحتفاظ.

ولم أكن أخشى أن أراع معكم، ولا أتخوف المنون على بنياني وأنتم عكوف مطيفون به، فطرقت وأنتم حولي، واُتيت وأنتم معي، فلئن كان هذا ضعف منكم فما أخذت أمري بثقة، وإن كانت غفلة منكم فما أنتم بأهل النصيحة ولا عليّ

(١) أناخ البلاء على فلان: أقام عليه، وأناخ به الحاجة: أنزلها به. أناخ الجمل: أبركه.

(٢) طرق القوم: أتاهم ليلا.

(٣) نحاه عنه أي أبعده عنه وأزاله ـ والنجدة: الشجاعة والشدة والبأس.



بأهل الشفقة.

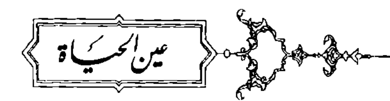
قالوا: أيّها الملك أمّا شيء نطيق دفعه بالخيل والقوّة فليس بواصل إليك إن شاء الله ونحن أحياء، وأمّا ما لا يرى فقد غيب عنّا علمه وعجزت قوّتنا عنه. قال: أليس اتخذتكم لتمنعوني من عدوي، قالوا: بلى، قال: فمن أيّ عدوّ تحفظوني من الذي يضرّني أو من الذي لا يضرّني؟ قالوا: من الذي يضرّك؟

قال: أفمن كلّ ضارّ لي أو من بعضهم؟ قالوا: من كلّ ضارّ، قال:فإنّ رسول البلى قد أتاني ينعى إليّ نفسي وملكي، ويزعم أنّه يريد خراب ما عمرت، وهدم ما بنيت، وتفريق ما جمعت، وفساد ما أصلحت، وتبذير ما أحرزت، وتبديل ما عملت، وتوهين ما وثقت، وزعم أنّ معه الشّماتة من الأعداء وقد قرّت بي أعينهم فانّه يريد أن يعطيهم منّي شفاء صدورهم، وذكر أنّه سيهزم جيشي، ويوحش أُنسي، ويذهب عزّي، ويؤتم ولدي، ويفرّق جموعي، ويفجع بي اخواني وأهلي وقرابتي، ويقطع أوصالي، ويسكن مساكن أعدائي.

قالوا: أيّها الملك انّما نمنعك من الناس والسّباع والهوامّ ودوابّ الأرض، فأمّا البلاء فلا طاقة لنا به ولا قوّة لنا عليه ولا امتناع لنا منه، فقال: فهل من حيلة في دفع ذلك منّي؟ قالوا: لا، قال: فشيء دون ذلك تطيقونه؟ قالوا: وما هو؟ قال: الأوجاع والأحزان والهموم، قالوا: أيّها الملك انّما قد قدّر هذه الأشياء قويّ لطيف وذلك يثور من الجسم والنفس وهو يصل إليك إذا لم يوصل ولا يحجب عنك وإن حجب[1] قال: فأمر دون ذلك، قالوا: وما هو؟ قال: ما قد سبق من القضاء.

قالوا: أيّها الملك ومن ذا غالب القضاء فلم يغلب؟ ومن ذا كابره فلم يقهر؟

(١) في بعض النسخ « وان حجب لم يحجب ».



قال: فماذا عندكم؟ قالوا: ما نقدر على دفع القضاء، وقد أصبت التوفيق والتسديد فماذا الذي تريد.

قال: أُريد أصحاباً يدوم عهدهم ويفوا لي، وتبقى لي اخوتهم ولا يحجبهم عنّي الموت، ولا يمنعهم البلى عن صحبتي، ولا يشتمل بهم الامتناع عن صحبتي[1] ولا يفردوني إن متّ، ولا يسلّموني إن عشت، ويدفعون عنّي ما عجزتم عنه من أمر الموت.

قالوا: أيّها الملك ومن هؤلاء الذين وصفت؟ قال: هم الذين أفسدتهم باستصلاحكم، قالوا: أيّها الملك أفلا تصطنع عندنا وعندهم معروفاً فإنّ أخلاقك تامّة، ورأفتك عظيمة؟ قال: انّ في صحبتكم ايّاي السمّ القاتل، والصّمم والعمى في طاعتكم، والبكم في موافقتكم، قالوا: كيف ذاك أيّها الملك؟

قال: صارت صحبتكم ايّاي في الاستكثار، وموافقتكم على الجمع، وطاعتكم ايّاي في الاغتفال فبطّأتموني عن المعاد، وزيّنتم لي الدّنيا، ولو نصحتموني ذكرتموني الموت، ولو أشفقتم عليّ ذكرتموني البلاء، وجمعتم لي ما يبقى، ولم تستكثروا لي ما يفنى، فإنّ تلك المنفعة التي ادّعيتموها ضررٌ، وتلك المودّة عداوة، وقد رددتها عليكم لا حاجة لي فيها منكم.

قالوا: أيّها الملك الحكيم المحمود قد فهمنا مقالتك وفي أنفسنا إجابتك، وليس لنا أن نحتجّ عليك فقد رأينا مكان الحجّة، فسكوتنا عن حجّتنا فسادٌ لملكنا، وهلاك لدنيانا، وشماتة لعدوّنا، وقد نزل بنا أمر عظيمٌ بالذي تبدّل من رأيك وأجمع عليه أمرك.

---

(١) في بعض النسخ « ولا يستحيل بهم الاطماع عن نصيحتي » وفي بعضها « لا يستميل ».

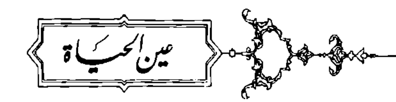
قال: قولوا آمنين واذكروا ما بدالكم غير مرعوبين، فـانّي كـنت إلى اليـوم مغلوباً بالحميّة والأنفة، وأنا اليوم غالب لهما، وكنت إلى اليوم مقهوراً لهما وأنـا اليوم قاهر لهما، وكنت إلى اليوم ملكاً عليكم فقد صرت عليكم مملوكاً، وأنا اليوم عتيق وأنتم من مملكتي طلقاء، قالوا: أيّها الملك ما الذي كنت مملوكاً إذ كنت علينا ملكاً.

قال: كنت مملوكاً لهواي، مقهوراً بالجهل، مستعبداً لشهواتي، فقد قـطعت تلك الطاعة عنّي ونبذتها خلف ظهري، قالوا: فقل ما أجمعت أيّها الملك؟ قال: القنوع والتخلّي لآخرتي، وترك هذا الغرور ونبذ هذا الثقل عن ظهري، والاستعداد للموت، والتأهّب للبلاء، فإنّ رسوله عندي قد ذكر أنّه قد أمر بملازمتي والاقامة معي حتّى يأتيني الموت.

فقالوا: أيّها الملك ومن هذا الرسول الذي قد أتاك ولم نره، وهـو مـقدّمة الموت الذي لا نعرفه، قال: أمّا الرسول فهذا البياض يلوح بين السواد، وقد صاح في جميعه بالزوال فأجابوا وأذعنوا، وأمّا مقدمة الموت فالبلاء الذي هذا البياض طرقه.

قالوا: أيّها الملك أفتدع مملكتك وتهمل رعيّتك، وكيف لا تخاف الاثم في تعطيل أُمّتك، ألست تعلم أنّ أعظم الأمر في استصلاح الناس، وأنّ رأس الصلاح الطاعة للأُمّة والجماعة، فكيف لا تخاف من الاثم، وفي هلاك العامّة من الاثم فوق الذي ترجو من الأجر في صلاح الخاصّة.

ألست تعلم أنّ أفضل العبادة العمل، وأنّ أشدّ العمل السياسة، فانّك أيّها الملك ما في يديك عدل على رعيّتك، مستصلح لها بتدبيرك، فإنّ لك من الأجر



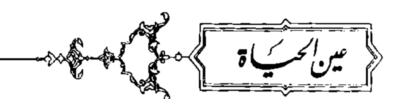
بقدر ما استصلحت.

ألست أيّها الملك إذا خلّيت ما في يديك من صلاح أُمّتك فقد أردت فسادهم، وإذا أردت فسادهم فقد حملت من الاثم فيهم أعظم ممّا أنت تصيب من الأجر في خاصّة يديك.

ألست أيها الملك قد علمت أنّ العلماء قالوا: من أتلف نفساً فقد استوجب لنفسه الفساد، ومن أصلحها فقد استوجب الصلاح لبدنه، وأيّ فساد أعظم من رفض هذه الرعية التي أنت إمامها، والاقامة في هذه الأُمّة التي أنت نظامها، حاشا لك أيّها الملك أن تخلع عنك لباس الملك الذي هو الوسيلة إلى شرف الدنيا والآخرة.

قال: قد فهمت الذي ذكرتم، وعقلت الذي وصفتم، فإن كنت إنّما أطلب الملك عليكم للعدل فيكم والأجر من الله تعالىٰ ذكره في استصلاحكم بغير أعوان يرفدونني، ووزراء يكفونني فما عسيت أن أبلغ بالوحدة فيكم، ألستم جميعاً نزعاً إلى الدنيا وشهواتها ولذّاتها ولا آمن أن أخلد إلى الدنيا التي أرجو أن أدعها وأرفضها، فإن فعلت ذلك أتاني الموت على غرّة، فأنزلني عن سرير ملكي إلى بطن الأرض، وكساني التراب بعد الديباج والمنسوج بالذهب ونفيس الجوهر، وضمّني إلى الضيق بعد السعة، وألبسني الهوان بعد الكرامة.

فأصبر فريداً بنفسي ليس معي أحد منكم في الوحدة، قد أخرجتموني من العمران، وأسلمتموني إلى الخراب، وخلّيتم بين لحمي وسباع الطير وحشرات الأرض، فأكلت مني النملة فما فوقها من الهوامّ، وصار جسدي دوداً وجيفة قذرة، الذلّ لي حليف، والعزّ مني غريب.



أشدّكم حبّاً إليّ أسرعكم إلى دفني، والتخلية بيني وبين ما قدّمت من عملي، وأسلفت من ذنوبي، فيورثني ذلك الحسرة ويعقبني الندامة وقد كنتم وعدتموني أن تمنعوني من عدوّي الضارّ فاذا أنتم لا منع عندكم ولا قوّة على ذلك لكم ولا سبيل لكم، أيّها الملأ اني محتال لنفسي إذ جئتم بالخداع، ونصبتم لي شراك الغرور[1].

فقالوا: أيّها الملك المحمود لسنا الذي كنا كما أنّك لست الذي كنت، وقد أبدلنا الذي أبدلك، وغيّرنا الذي غيّرك، فلا تردّ علينا توبتنا وبذل نصيحتنا، قال: أنا مقيم فيكم ما فعلتم ذلك، ومفارقكم إذا خالفتموه.

فأقام ذلك الملك في ملكه وأخذ جنوده بسيرته واجتهدوا في العبادة، فخصبت بلادهم، وغلبوا عدوّهم، وازداد ملكهم حتى هلك ذلك الملك، وقد صار فيهم بهذه السيرة اثنين وثلاثين سنة، فكان جميع ما عاش أربعاً وستّين سنة.

قال يوذاسف: قد سررت بهذا الحديث جدّاً، فزدني من نحوه أزدد سروراً ولربّي شكراً.

قال الحكيم: زعموا أنّه كان ملك من الملوك الصالحين وكان له جنود يخشون الله عزَّ وجلَّ ويعبدونه، وكان في ملك أبيه شدّة من زمانهم والتفرّق فيما بينهم، وتنقّص العدوّ من بلادهم، وكان يحثّهم على تقوى الله عزَّ وجلَّ وخشيته والاستعانة به ومراقبته والفزع إليه.

فلمّا ملك ذلك الملك قهر عدوّه، واستجمعت رعيّته، وصلحت بلاده، وانتظم له الملك، فلمّا رأى ما فضّل الله عزَّ وجلَّ به أترفه ذلك وأبطره وأطغاه

---

(١) الشراك: آلة الصيد.

حتى ترك عبادة الله عزَّ وجلَّ وكفر نعمه، وأسرع في قتل من عبد الله، ودام ملكه وطالت مدّته حتّى ذهل الناس عمّا كانوا عليه من الحقّ قبل ملكه ونسوه، وأطاعوه فيما أمرهم به، وأسرعوا إلى الضلالة.

فلم يزل على ذلك، فنشأ فيه الأولاد وصار لا يعبد الله عزَّ وجلَّ فيهم، ولا يذكر بينهم اسمه، ولا يحسبون أنّ لهم الهاً غير الملك، وكان ابن الملك قد عاهد الله عزَّ وجلَّ في حياة أبيه إن هو ملك يوماً أن يعمل بطاعة الله عزَّ وجلَّ بأمر لم يكن من قبله من الملوك يعملون به ولا يستطيعونه.

فلمّا ملك أنساه الملك رأيه الأوّل ونيّته التي كان عليها، وسكر سكر صاحب الخمر، فلم يكن يصحو ويفيق[1]. وكان من أهل لطف الملك رجلٌ صالح أفضل أصحابه منزلة عنده، فتوجّع له ممّا رأى من ضلالته في دينه ونسيانه ما عاهد الله عليه، وكان كلّما أراد أن يعظه ذكر عتوّه وجبروته، ولم يكن بقي من تلك الأُمّة غيره وغير رجل آخر في ناحية أرض الملك لا يعرف مكانه ولا يدعى باسمه.

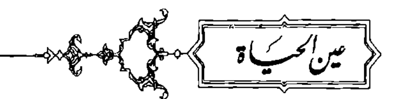
فدخل ذات يوم على الملك بجمجمة قد لفّها في ثيابه، فلمّا جلس عن يمين الملك انتزعها عن ثيابه ثمّ وطئها برجله، فلم يزل يفركها[2] بين يدي الملك وعلى بساطه حتّى دنس مجلس الملك بما تحاتّ من تلك الجمجمة.

فلمّا رأى الملك ما صنع غضب من ذلك غضباً شديداً، وشخصت إليه أبصار جلسائه، واستعدّت الحرس بأسيافهم انتظاراً لأمره ايّاهم بقتله، والملك في

---

(١) صحا السكران: ذهب سكره وأفاق.

(٢) فرك الثوب: دلكه، الشيء عن الثوب أزاله وحكه حتى تفتت.



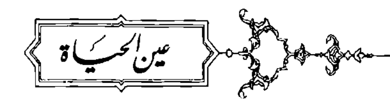
ذلك مالك لغضبه، وقد كانت الملوك في ذلك الزّمان مع جبروتهم وكفرهم ذوي أناة وتؤدة، استصلاحاً للرّعيّة على عمارة أرضهم ليكون ذلك أعون للجلب وأدّى للخراج.

فلم يزل الملك ساكتاً على ذلك حتّى قام من عنده، فلفّ تلك الجمجمة في ثوبه، ثمّ فعل ذلك في اليوم الثاني والثالث، فلمّا رأى أنّ الملك لا يسأله عن تلك الجمجمة، ولا يستنطقه في شيء من شأنها أدخل مع تلك الجمجمة ميزاناً وقليلاً من تراب، فلمّا صنع بالجمجمة ما كان يصنع أخذ الميزان وجعل في إحدى كفّتيه درهماً وفي الأُخرى بوزنه تراباً، ثمّ جعل ذلك التراب في عين تلك الجمجمة، ثمّ أخذ قبضة من التراب فوضعها في موضع الفم من تلك الجمجمة.

فلمّا رأى الملك ما صنع قلّ صبره وبلغ مجهوده، فقال لذلك الرجل: قد علمت أنّك انما اجترأت على ما صنعت لمكانك منّي وادلالك عليّ، وفضل منزلتك عندي، ولعلّك تريد بما صنعت أمراً، فخرّ الرّجل للملك ساجداً وقبّل قدميه، وقال: أيّها الملك أقبل عليّ بعقلك كلّه فإنّ مثل الكلمة كمثل السهم إذا رمى به في أرض لينة يثبت فيها، وإذا رمى في الصفا لم يثبت.

ومثل الكلمة كمثل المطر إذا أصاب أرضاً طيّبة مزروعة ينبته فيها، وإذا أصاب السّباخ لم ينبت، وانّ أهواء الناس متفرّقة، والعقل والهوى يصطرعان في القلب، فإن غلب هوى العقل عمل الرّجل بالطيش والسّفه، وإن كان الهوى هو المغلوب لم يوجد في أمر الرجل سقطة، فانّي لم أزل منذ كنت غلاماً أُحبّ العلم وأرغب فيه وأوثره على الأُمور كلّها، فلم أدع علماً الّا بلغت منه أفضل مبلغ.

فبينا أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ قد بصرت بهذه الجمجمة بارزة من قبور الملوك، فغاظني موقعها وفراقها جسدها غضباً للملوك، فضممتها إليّ



وحملتها إلى منزلي فألبستها الديباج، ونضحتها بالماء الورد، والطيب، ووضعتها على الفرش وقلت إن كان من جماجم الملوك فسيؤثر فيها إكرامي إيّاها، وترجع إلى جمالها وبهائها، وإن كانت من جماجم المساكين فإنّ الكرامة لا تزيدها شيئاً.

ففعلت ذلك بها أيّاماً فلم أستنكر من هيئتها شيئاً، فلمّا رأيت ذلك دعوت عبداً هو أهون عبدي عندي فأهانها فاذا هي في حالة واحدة عند الاهانة والاكرام، فلمّا رأيت ذلك أتيت الحكماءفسألتهمعنها فلم أجد عندهم علماً بها، ثمّ علمت أنّ الملك منتهى العلم ومأوى الحلم، فأتيتك خائفاً على نفسي فلم يكن لي أن أسألك عن شيء حتّى تبدأني به، وأُحبّ أن تخبرني أيّها الملك أجمجمة ملك أم جمجمة مسكين؟ فانّها لمّا أعياني أمرها تفكّرت في أمرها وفي عينها التي كانت لا يملأها شيء حتّى لو قدرت على ما دون السماء من شيء تطلّعت إلى أن تتناول ما فوق السّماء.

فذهبت أنظر ما الذي يسدّها ويملأها، فاذا وزن درهم من تراب قد سدّها وملأها، ونظرت إلى فيها[1] الذي لم يكن يملأه شيء، فملأته قبضة من تراب، فإن أخبرتني أيّها الملك أنّها جمجمة مسكين احتججت عليك بأني قد وجدتها وسط قبور الملوك، ثمّ أجمع جماجم ملوك وجماجم مساكين فإن كان لجماجمكم عليها فضل فهو كما قلت.

وإن أخبرتني بأنّها من جماجم الملوك أنبأتك أنّ ذلك الملك الذي كانت هذه جمجمته قد كان من بهاء الملك وجماله وعزّته في مثل ما أنت فيه اليوم، فحاشاك أيّها الملك أن تصير إلى حال هذه الجمجمة فتوطأ بالأقدام، وتخلط

---

(١) يعني فمها.

بالتراب، ويأكلك الدود، وتصبح بعد الكثرة قليلاً، وبعد العزّة ذليلاً.

وتسعك حفرة طولها أدنى من أربعة أذرع، ويورث ملكك، وينقطع خبرك، ويفسد صنايعك، ويهان من أكرمت، ويكرم من أهنت، ويستبشر أعداءك، ويضلّ أعوانك، ويحول التراب دونك، فإن دعوناك لم تسمع، وإن أكرمناك لم تقبل، وإن أهنّاك لم تغضب، فيصير بنوك يتامى، ونساؤك أيامى[1]، وأهلك يوشك أن يستبدلن أزواجاً غيرك.

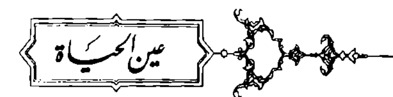
فلمّا سمع الملك ذلك فزع قلبه، وانسكبت عيناه يبكي ويقول ويدعو بالويل، فلمّا رأى الرّجل ذلك علم أنّ قوله قد استمكن من الملك، وقوله قد أنجع فيه زاده ذلك جرأة عليه وتكريراً لما قال، فقال له الملك: جزاك الله عنّي خيراً وجزا من حولي من العظماء شرّاً، لعمري لقد علمت ما أردت بمقالتك هذه وقد أبصرت أمري، فسمع الناس خبره فتوجّهوا أهل الفضل إليه وختم له بالخير، وبقي عليه إلى أن فارق الدنيا.

قال ابن الملك: زدني من هذا المثل. قال الحكيم: زعموا أنّ ملكاً كان في أوّل الزمان، وكان حريصاً على أن يولد له، وكان لا يدع شيئاً مما يعالج به الناس أنفسهم الّا أتاه وصنعه، فلمّا طال ذلك عليه من أمره حملت امرأة له من نسائه فولدت له غلاماً، فلمّا نشأ وترعرع[2] خطا ذات يوم خطوة فقال: معادكم تجفون، ثمّ خطا أُخرى فقال: تهرمون، ثمّ خطا الثالثة: فقال: ثمّ تموتون، ثمّ عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصبيّ.

---

(١) أي لا زوج لهنّ.

(٢) ترعرع الصبي نشأ وشب.



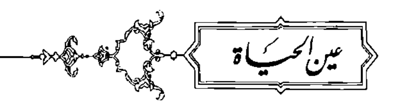
فدعا الملك العلماء والمنجّمين فقال: أخبروني خبر ابني هذا، فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره، فلم يكن عندهم فيه علم، فلمّا رأى الملك أنّه ليس عندهم فيه علم دفعه إلى المرضعات، فأخذن في إرضاعه الاّ أنّ منجّماً منهم قال: انّه سيكون اماماً.

وجعل عليه حرّاساً لا يفارقونه حتّى إذا شبّ انسلّ يوماً من عند مرضعيه والحرس فأتى السّوق فاذا هو بجنازة، فقال: ما هذا؟ قالوا: انساناً مات، قال: ما أماته؟ قالوا: كبر وفنيت أيّامه ودنى أجله فمات، قال: وكان صحيحاً حيّاً يمشي ويأكل ويشرب؟ قالوا: نعم.

ثمّ مضى فاذا هو برجل شيخ كبير فقام ينظر إليه متعجبّاً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: رجلٌ شيخ كبير قد فنى شبابه وكبر، قال: وكان صغيراً ثمّ شاب؟ قالوا: نعم، ثمّ مضى فاذا هو برجل مريض مستلقى على ظهره، فقام ينظر إليه ويتعجّب منه، فسألهم ما هذا؟ قالوا: رجل مريض، فقال: أو كان هذا صحيحاً ثمّ مرض؟ قالوا: نعم، قال: والله لئن كنتم صادقين فإنّ الناس لمجنونون.

فافتقد الغلام عند ذلك فطلب فاذا هو بالسوق، فأتوه فأخذوه وذهبوا به فأدخلوه البيت، فلمّا دخل البيت استلقى على قفاه ينظر إلى خشب سقف البيت ويقول: كيف كان هذا؟ قالوا: كانت شجرة ثم صارت خشباً، ثمّ قطع، ثمّ بنى هذا البيت، ثمّ جعل هذا الخشب عليه.

فبينا هو في كلامه إذ أرسل الملك إلى الموكّلين به: انظروا هل يتكلّم أو يقول شيئاً؟ قالوا: نعم وقد وقع في كلام ما نظنّه الاّ وسواساً، فلمّا رأى الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به الغلام، دعا العلماء فسألهم فلم يجد فيه عندهم علماً الاّ



الرجل الأوّل، فأنكر قوله، فقال بعضهم: أيّها الملك لو زوّجته ذهب عنه الذي ترى، وأقبل وعقل وأبصر.

فبعث الملك في الأرض يطلب ويلتمس له امرأة، فوجدت له امرأة من أحسن الناس وأجملهم فزوّجها منه، فلمّا أخذوا في وليمة عرسه أخذ اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون، فلمّا سمع الغلام جلبتهم[1] وأصواتهم قال: ما هذا؟ قالوا: هؤلاء لعّابون وزمّارون جمعوا لعرسك، فسكت الغلام.

فلمّا فرغوا من العرس وأمسوا، دعا الملك امرأة إبنه فقال لها: انّه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام، فلمّا دخلت عليه فألطفي به وأقربي منه وتحببي إليه، فلمّا دخلت المرأة عليه أخذت تدنو منه وتتقرب إليه، فقال الغلام على رسلك[2] فإنّ الليل طويل، بارك الله فيك، واصبري حتى نأكل ونشرب، فدعا بالطعام فجعل يأكل، فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلمأ أخذ الشراب منها نامت.

فقام الغلام فخرج من البيت، وانسلّ من الحرس والبوابين حتى خرج وتردد في المدينة، فلقيه غلام مثله من أهل المدينة فأتبعه وألقى ابن الملك عنه تلك الثياب التي كانت عليه ولبس ثياب الغلام، وتنكّر جهده وخرجا جميعاً من المدينة، فسارا ليلتهما حتّى إذا قرب الصّبح خشيا الطّلب فكمنا.

فأُتيت الجارية عند الصّبح فوجدوها نائمة، فسألوها أين زوجك؟ قالت: كان عندي الساعة، فطلب الغلام فلم يقدر عليه، فلمّا أمسى الغلام وصاحبه سارا ثمّ جعلا يسيران الليل ويكمنان النهار حتى خرجا من سلطان أبيه، ووقعا في ملك

---

(١) جلب القوم: ضجوا واختلطت أصواتهم. والجلاب والمجلب ـ بشد اللام ـ: المصوت.

(٢) أي على مهلك يعني امهل وتأن.

سلطان آخر.

وقد كان لذلك الملك الذي صارا إلى سلطانه إبنة قد جعل لها أن لا يزوجها أحداً الّا من هوته ورضيته، وبنى لها غرفة عالية مشرفة على الطريق فهي فيها جالسة تنظر إلى كلّ من أقبل وأدبر، فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى الغلام يطوف في السوق وصاحبه معه في خلقانه.

فأرسلت إلى أبيها إني قد هويت رجلاً فإن كنت مزوّجي أحداً من الناس فزوّجني منه، وأُتيت أُمّ الجارية فقيل لها: انّ ابنتك قد هويت رجلاً وهي تقول كذا وكذا، فأقبلت إليها فرحة حتّى تنظر إلى الغلام، فأروها ايّاه فنزلت أُمّها مسرعة حتّى دخلت على الملك، فقالت: انّ ابنتك قد هويت غلاماً فأقبل الملك ينظر إليه، ثمّ قال: أرونيه، فأروه من بعد، فأمر أن يلبس ثياباً أُخرى ونزل فسأله واستنطقه وقال: من أنت ومن أين أنت؟

قال الغلام: وما سؤالك عنّي أنا رجل من مساكين الناس، فقال: انّك لغريب، وما يشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة، فقال الغلام: ما أنا بغريب، فعالجه الملك أن يصدقه قصّته فأبى، فأمر الملك أُناساً أن يحرسوه وينظروا أين يأخذ، ولا يعلم بهم، ثمّ رجع الملك إلى أهله فقال: رأيت رجلاً كأنّه ابن ملك وما له حاجة فيما تراودونه عليه.

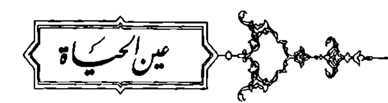
فبعث إليه فقيل له: انّ الملك يدعوك، فقال الغلام: وما أنا والملك يدعوني وما لي إليه حاجة وما يدري من أنا، فانطلق به على كره منه حتّى دخل على الملك، فأمر بكرسيّ فوضع له فجلس عليه، ودعى الملك امرأته وابنته فأجلسهما من وراء الحجاب خلفه.

فقال له الملك: دعوتك لخير، انّ لي ابنة قد رغبت فيك أُريد أن أُزوّجها منك فإن كنت مسكيناً أغنيناك ورفعناك وشرّفناك، قال الغلام: ما لي فيما تدعوني إليه حاجة، فإن شئت ضربت لك مثلاً أيّها الملك؟ قال: فافعل.

قال الغلام: زعموا أنّ ملكاً من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء صنعِوا له طعاماً ودعوه إليه فخرج معهم، فأكلوا وشربوا حتى سكروا فناموا، فاستيقظ ابن الملك في وسط الليل فذكر أهله فخرج عائداً إلى منزله، ولم يوقظ أحداً منهم، فبينا هو في مسيره إذ بلغ منه الشراب فبصر بقبر على الطريق، فظنّ أنّه مدخل بيته فدخله، فاذا هو بريح الموتى فحسب ذلك لما كان به السّكر أنّه رياح طيّبة فاذا هو بعظام لا يحسبها الاّ فرشه الممهدة.

فاذا هو بجسد قد مات حديثاً وقد أروح فحسبه أهله فقام إلى جانبه فاعتنقه وقبّله وجعل يعبث به عامّة ليلة، فأفاق حين أفاق ونظر حين نظر فاذا هو على جسد ميّت وريح منتنة، قد دنس ثيابه وجلده، ونظر إلى القبر وما فيه من الموتى، فخرج وبه من السوء ما يختفي به من الناس أن ينظروا إليه متوجّهاً إلى باب المدينة، فوجده مفتوحاً فدخله حتى أتى أهله فرأى أنّه قد أنعم عليه حيث لم يلقه أحدٌ، فألقى عنه ثيابه تلك واغتسل ولبس لباساً أُخرى وتطيّب.

عمرك الله أيّها الملك أتراه راجعاً إلى ما كان فيه وهو يستطيع؟ قال: لا، قال: فانّي أنا هو، فالتفت الملك إلى امرأته وابنته وقال: قد أخبرتكم أنّه ليس له فيما تدعونه رغبة، قالت أُمّها: لقد قصرت في النعت لابنتي والوصف لها أيّها الملك، ولكنّي خارجة إليه ومتكلّمة، فقال الملك للغلام: انّ امرأتي تريد أن تكلّمك وتخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك، فقال الغلام: لتخرج إن أحبّت.



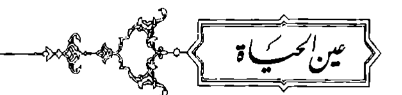
فخرجت وجلست، فقالت للغلام: تعال إلى ما قد ساق الله إليك من الخير والرزق فأزوّجك ابنتي فانّك لو قد رأيتها وما قسم الله عزَّ وجلَّ لها من الجمال والهيئة لاغتبطت، فنظر الغلام إلى الملك فقال: أفلا أضرب لك مثلاً؟ قال: بلى.

قال: انّ سرّاقاً تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا، فنقّبوا حائط الخزانة فدخلوها، فنظروا إلى متاع لم يروا مثله قطّ، وإذا هم بقلّة من ذهب مختومة بالذهب، فقالوا: لا نجد شيئاً أعلى من هذه القلّة هي ذهب مختومة بالذهب والذي فيها أفضل من الذي رأينا، فاحتملوها ومضوبها حتى دخلوا غيضة لا يأمن بعضهم بعضاً عليها، ففتحوها فاذا في وسطها أفاع، فوثبن في وجوههم فقتلنهم أجمعين.

عمرك الله أيّها الملك أفترى أحداً علم بما أصابهم وما لقوه يدخل يده في تلك القلّة وفيها من الأفاعي؟ قال: لا، قال: فاني أنا هو، فقالت الجارية لأبيها: ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأُكلّمه فانّه لو قد نظر إليّ وإلى جمالي وحسني وهيئتي وما قسم الله عزَّ وجلَّ لي من الجمال لم يتمالك أن يجيب.

فقال الملك للغلام: انّ ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلى رجل قطّ، قال: لتخرج إن أحبّت، فخرجت عليه وهي أحسنَ الناس وجهاً وقدّاً وطرفاً وهيكلاً، فسلّمت على الغلام وقالت للغلام: هل رأيت مثلي قطّ أو أتمّ أو أجمل أو أكمل أو أحسن؟ وقد هويتك وأحببتك، فنظر الغلام إلى الملك، فقال: أفلا أضرب لها مثلاً؟ قال: بلى.

قال الغلام: زعموا أيّها الملك انّ ملكاً له ابنان، فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه في بيت، وأمر أن لا يمرّ عليه أحد الّا رماه بحجر، فمكث بذلك حيناً، ثمّ



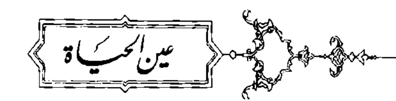
انّ أخاه قال لأبيه: ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأُفديه، وأحتال له، قال: فانطلق وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودوابّ.

فاحتمل معه الزّاد والراحلة وانطلق معه المغنّيات والنّوائح، فلمّا دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه، فأمر الناس بالخروج إليه، وأمر له بمنزل خارج من المدينة، فنزل الغلام في ذلك المنزل، فلمّا جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويساهلوهم في بيعهم ويسامحوهم، ففعلوا ذلك.

فلمّا رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسلّ ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه، ثمّ أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقى من نفس أخيه، فصاح حين أصابته الحصاة. وقال: قتلتني، ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلّمت ونحن نعذّبك منذ حين ويضربك ويرميك كلّ من يمرّ بك بحجر، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها؟

فقال: انّ الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا على علم، فانصرف أخوه راجعاً إلى منزله ومتاعه، وقال للناس: إذا كان غداً فأتوني أنشر عليكم بزّاً ومتاعاً لم تروا مثله قطّ، فانصرفوا يومئذٍ حتى إذا كان من الغد غدوا عليه بأجمعهم، فأمر بالبزّ فنشروا، وأمر بالمغنّيات والنّايحات وكلّ صنف معه مما يلهى به الناس فأخذوا في شأنهم، فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله، وقال: أنا أُداويك.

فاختلسه وأخرجه من المدينة، فجعل على جراحاته دواء كان معه حتّى إذا وجد راحة أقامه على الطريق، ثمّ قال له: انطلق فانّك ستجد سفينة قد سيّرت لك



في البحر.

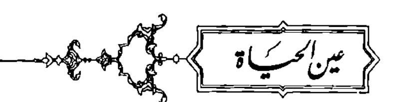
فانطلق سائراً فوقع في جبّ فيه تنّين وعلى الجبّ شجرة نابتة فنظر إلى الشّجرة فاذا على رأسها اثنا عشر غولاً وفي أسفلها اثنا عشر سيفاً، وتلك السيوف مسلولة معلّقة فلم يزل يتحمّل ويحتال حتّى أخذ بغصن من الشجرة، فتعلّق به وتخلّص وسار حتّى أتى البحر فوجد سفينة قد أُعدّت له إلى جانب الساحل، فركب فيها حتّى أتوا به أهله.

عمر الله أيّها الملك أتراه عائد إلى ما قد عاين ولقى، قال: لا، قال: فاني أنا هو، فيئسوا منه، فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة وقال: اذكرني لها وأنكحنيها، فقال الغلام للملك: انّ هذا يقول انّي احبّ أن ينكحنيها الملك، فقال: لا أفعل، قال: أفلا أضرب لك مثلاً؟ قال: بلى.

قال: انّ رجلاً كان في قوم فركبوا سفينة فساروا في البحر ليالي وأيّاماً، ثمّ انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان، فغرقوا كلّهم سواه، وألقاه البحر إلى الجزيرة، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر، فأتى غولاً فهواها ونكحها حتّى إذا كان من الصبح قتلته وقسّمت أعضاءه بين صواحباتها.

واتّفق مثل ذلك لرجل آخر، فأخذته ابنة ملك الغيلان، فانطلقت به فبات معها ينكحها وقد علم الرّجل ما لقي من كان قبله، فليس ينام حذراً حتى إذا كان مع الصبح قامت الغولة فانسلّ الرجل حتى أتى الساحل، فاذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتّى أتوابه أهله، فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها: أين الرجل الذي بات معك؟

قالت: انّه قد فرّ منّي، فكذّبوها وقالوا: أكلته واستأثرت به علينا، فنقتلنّك إن



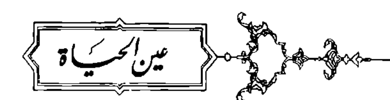
لم تأتنا به، فمرّت في الماء حتّى أتته في منزله ورحله، فدخلت عليه وجلست عنده وقالت له: ما لقيت في سفرك هذا، قال: لقيت بلاء خلّصني الله منه وقصّ عليها ذلك، فقالت وقد تخلّصت؟ قال: نعم، فقالت: أنا الغولة وجئت لآخذك.

فقال لها: أنشدك الله أن تهلكيني فانّي أدلّك على مكان رجل، قالت: انّي أرحمك، فانطلقا حتى دخلا على الملك، قالت: اسمع منّا أصلح الله الملك، اني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحبّ الناس إليّ، ثمّ انّه كرهني وكره صحبتي فانظر في أمرنا، فلمّا رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فسارّه وقال: اني قد أحببت أن تتركها فأتزوّجها، قال: نعم أصلح الله الملك ما تصلح الّا لك، فتزوّج بها الملك وبات معها حتّى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته إلى صواحباتها، أفترى أيّها الملك أحداً يعلم بهذا ثمّ ينطلق إليه؟ قال: لا، قال الخاطب للغلام: فانّي لا أُفارقك ولا حاجة لي فيما أردت.

فخرجا من عند الملك يعبدان الله جلّ جلاله ويسيحان في الأرض، فهدى الله عزَّ وجلَّ بهما أُناساً كثيراً، وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده، وقال: لو بعثت إليه لاستنقذته مما هو فيه، فبعث إليه رسولاً فأتاه فقال له: انّ ابنك يقرئك السلام، وقصّ عليه خبره وأمره فأتاه والده وأهله فاستنقذهم ممّا كانوا فيه.

ثمّ انّ بلوهر رجع إلى منزله واختلف إلى يوذاسف أيّاماً حتى عرف أنّه فتح له الباب ودلّه على السبيل، ثمّ تحول من تلك البلاد إلى غيرها وبقي يوذاسف حزيناً مغتماً، فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النساك لينادي بالحقّ ويدعو إليه أرسل الله عزَّ وجلَّ ملكاً من الملائكة، فلمّا رأى منه خلوة ظهر له وقام بين يديه.

ثمّ قال له: لك الخير والسلامة أنت انسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من



الجهّال أتيتك بالتحية من الحقّ واله الخلق بعثني إليك لأُبشرك وأذكر لك ما غاب عنك من أُمور دنياك وآخرتك، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها، وازهد في الملك الزائل، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة، واطلب الملك الذي لا يزول، والفرح الذي لا ينقضي، والراحة التي لا يتغيّر وكن صديقاً مقسطاً، فانّك تكون امام الناس تدعوهم إلى الجنة.

فلمّا سمع يوذاسف كلامه خرّ بين يدي الله عزَّ وجلَّ ساجداً، وقال: انـي لأمر الله تعالىٰ مطيع، وإلى وصيته منته، فمرني بأمرك فاني لك حامدٌ، ولمن بعثك اليّ شاكرٌ، فانّه رحمني ورؤوف بي ولم يرفضني بين الأعداء فاني كنت بالذي أتيت له مهتمّاً، قال الملك: اني أرجع إليك بعد أيّام ثمّ أُخرجك فتهيّأ للخروج ولا تغفل عنه.

فوطّن يوذاسف نفسه على الخروج، وجعل همّته كلّه فيه ولم يطّلع على ذلك أحداً حتّى إذا جاء وقت خروجه أتى الملك في جوف الليل والناس نيام، فقال له: قم فاخرج ولا تؤخّر ذلك، فقام ولم يفش سرّه إلى أحد من الناس غير وزيره، فبينا هو يريد الرّكوب إذ أتاه رجل شابٌ جميلٌ كان قد ملكهم بلاده فسجد له.

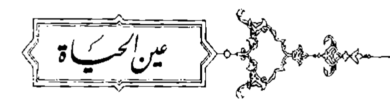
وقال: أين تذهب يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيّها المصلح الحكيم الكامل، وتتركنا وتترك ملكك وبلادك، أقم عندنا فانّا كنّا منذ ولدت في رخاء وكرامة ولم تنزل بنا عاهة ولا مكروه، فسكّته يوذاسف وقال له: امكث أنت في بلادك ودار أهل مملكتك فأمّا أنا فذاهب حيث بعثت، وعامل ما أُمرت به، فإن أنت أعنتني كان لك في عملي نصيباً.

ثمّ ركب فسار ما قضى الله له أن يسير، ثمّ انّه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشدّ البكاء، ويقول ليوذاسف: بأيّ وجه أستقبل أبويك؟ وبما أجيبهما عنك وبأيّ عذاب أو موت يقتلاني، وأنت كيف تطيق العسر والأذى الذي لم تتعوّده، وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوماً قطّ؟ وجسدك كيف تحمّل الجوع والظمأ والتقلّب على الأرض والتراب.

فسكّته وعزّاه ووهب له فرسه والمنطقة فجعل يقبّل قدميه ويقول: لا تدعني وراءك يا سيدي اذهب بي معك حيث خرجت فانّه لا كرامة لي بعدك، وانّك ان تركتني ولم تذهب بي معك خرجت في الصحراء ولم أدخل مسكناً فيه انسان أبداً، فسكّته أيضاً وعزّاه، وقال: لا تجعل في نفسك الّا خيراً فانّي باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك.

ثمّ نزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره وقال له: ألبس ثيابي، وأعطاه الياقوتة التي كان يجعلها في رأسه، وقال: انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيته فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة وأقرئه السلام ثمّ الأشراف وقل لهم: اني لمّا نظرت فيما بين الباقي والزّائل رغبت في الباقي وزهدت في الزائل، ولما استبان لي أصلي وحسبي وفضّلت بينهما وبين الأعداء والقرباء رفضت الأعداء والقرباء، وانقطعت إلى أصلي وحسبي، فأمّا والدي فانّه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه، فاذا أبصر كسوتي عليك ذكرني وذكر حبّي لك ومودّتي ايّاك، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروهاً.

ثمّ رجع وزيره وتقدّم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاء واسعاً، فرفع رأسه فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحسن ما يكون من الشجر وأكثرها فرعاً وغصناً وأحلاها ثمراً، وقد اجتمع إليها من الطير ما لا يعدّ كثرة، فسرّ بذلك المنظر وفرح به، وتقدّم إليه حتّى دنا منه، وجعل يعبّره في نفسه ويفسّره، فشبّه



الشجر بالبشرى التي دعا إليها، وعين الماء بالحكمة والعلم، والطير بالنّاس الذين يجتمعون إليه ويقبلون منه الدين.

فبينا هو قائم إذ أتاه أربعة من الملائكة عليهم السّلام يمشون بين يديه، فأتبع آثارهم حتّى رفعوه في جوّ السماء وأوتي من العلم والحكمة ما عرف به الأولى والوسطى والأخرى، والذي هو كائن، ثمّ أنزلوه إلى الأرض وقرنوا معه قريناً من الملائكة الأربعة، فمكث في تلك البلاد حيناً.

ثمّ انّه أتى أرض سولابط، فلمّا بلغ والده قدومه خرج يسير هو والأشراف فأكرموه وقرّبوه، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلّموا عليه وكلّمهم الكلام الكثير، وفرش لهم الايناس وقال لهم: اسمعوا إليّ بأسماعكم، وفرّغوا إليّ قلوبكم لاستماع حكمة الله عزَّ وجلَّ التي هي نور الأنفس، وتقرّوا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد، وأيقظوا عقولكم وأفهموا الفصل الذي بين الحقّ والباطل، والضّلال والهدى.

واعلموا أنّ هذا هو دين الحقّ الذي أنزله الله عزَّ وجلَّ على الأنبياء والرسل عليهم السّلام، والقرون الأولى، فخصنا الله عزَّ وجلَّ به في هذا القرن برحمته بنا ورأفته ورحمته وتحنّنه علينا، وفيه خلاص من نار جهنّم آلّا أنّه لا ينال الانسان ملكوت السماوات ولا يدخلها أحدٌ الّا بالايمان وعمل الخير.

فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة، والحياة التي لا تنقطع أبداً، ومن آمن منكم بالدين فلا يكوننّ ايمانه طمعاً في الحياة، ورجاء لملك الأرض، وطلب مواهب الدنيا، وليكن ايمانكم طمعاً في ملكوت السماوات، ورجاء الخلاص، وطلب النجاة من الضلالة، وبلوغ الراحة والفرج في الآخرة، فإنّ ملك الأرض وسلطانها زائل، ولذّاتها منقطعة، فمن اغترّ بها هلك وافتضح، لو قد وقف على

ديّان الدين الذي لا يدين الّا بالحقّ، فإنّ الموت مقرون مع أجسادكم وهو يتراصد أرواحكم أن يكبكبها مع الأجساد.

واعلموا أنّه كما أنّ الطير لن يقدر على الحياة والنجاة من الأعداء من اليوم إلى غد هذه الّا بقوة من البصر والجناحين والرّجلين، فكذلك الانسان لا يقدر على الحياة والنجاة الّا بالعمل والايمان وأعمال الخير الكاملة.

فتفكّر أيّها الملك أنت والأشراف فيما تستمعون وافهموا واعتبروا، واعبروا البحر ما دامت السفينة، واقطعوا المسافة ما دام الدليل والظهر والزاد، واسلكوا سبيلكم ما دام المصباح، وأكثروا من كنوز البرّ مع النساك، وشاركوهم في الخير والعمل الصالح، وأصلحوا التبع وكونوا لهم أعواناً وأمروهم بأعمالكم لينزلوا معكم ملكوت النور، واقبلوا النور.

واحتفظوا بفرائضكم، وايّاكم أن تتوثّقوا إلى أمانيّ الدنيا وشرب الخمور، وشهوة النساء من كلّ ذميمة وقبيحة مهلكة للروح والجسد، واتّقوا الحميّة والغضب والعداوة والنميمة، وما لم ترضوه أن يؤتى إليكم فلا تأتوه إلى أحد، وكونوا طاهري القلوب، صادقي النيات لتكونوا على المنهاج إذا أتاكم الأجل.

ثمّ انتقل من أرض سولابط وسار في بلاد ومدائن كثيرة حتّى أتى أرضاً تسمّى قشمير، فسار فيها وأحيا ميّتها ومكث حتّى أتاه الأجل الذي خلع الجسد، وارتفع إلى النّور.

ودعا قبل موته تلميذاً له اسمه يابد الذي كان يخدمه ويقوم عليه، وكان رجلاً كاملاً في الأمور كلّها، وأوصى إليه وقال: انّه قد دنا ارتفاعي عن الدنيا، واحتفظوا بفرائضكم، ولا تزيغوا عن الحقّ، وخذوا بالنسك، ثمّ أمر يابد أن يبني له

مكاناً، فبسطه هو رجليه، وهيّأ رأسه إلى المغرب ووجهه إلى المشرق ثمّ قضى نحبه[1].

عزيزي انّ هذه الحكاية الشريفة المشتملة على الحكم الطريفة والأمثال الوافية هي كنز من كنوز الحكم الربانيّة لو تأملت وتدبرت في مواعظها وحكمها جيداً، ونظرت إليها بعين البصيرة لاكتفيت بها وقطعت حب الدنيا ورفعت علائقها عن نفسك وعلمت بمعايبها.

انّ هذه لهي الحكمة التي كان يقولها الحكماء للناس، وبالعمل بها تحصل النجاة من العقوبات والفوز بالمثوبات، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، لا مسائل الهيولى والصورة وأمثالها الموجبة لتضييع العمر وتحصيل الشقاء الأبدي، انّ الله تعالى وصف لقمان بالحكمة، ويظهر معنى الحكمة من الحكم التي نقلت عنه، نرجو من الله أن يعطي جميع المؤمنين عقلاً مبرّاً من الشهوات، وعيناً بصيرة، واذناً سامعاً، ولساناً ناطقاً بالحقائق والمعارف كي ينتفعوا بهذه الحكم والمعارف.

الباب الثالث
في معنى الدنيا

اعلم انّ كثيراً من الناس تجدهم يذمون الدنيا في حال أنهم منغمرون في لذاتها، وكثيراً ما وصفوا حقاً بالدنيا وذمّوه، ووصفوا أمراً باطلاً بانه ترك للدنيا وزهد فيمدحون أنفسهم به، فلابد اذن من تحقيق معنى الدنيا المذمومة في الشرع كي ينجلي الحق والباطل.

---

(١) البحار ٧٨: ٣٨٣ ح ١ باب ٣٢ ـ عن كمال الدين ص ٥٧٧ باب ٥٤.

اعلم انّ الناس فهموا من الدنيا معان:

الأول: الحياة الدنيا، والحياة في هذه النشأة لم تكن مذمومة ولا ينبغي معاداتها بل انّ المذموم هو تمنّى الموت وطلبه، لاعتباره كفراً بنعمة الله، وكذا ارادة الحياة للامور الباطلة، أو الاعتماد بشكل كلي على الدنيا مع طول الأمل ونسيان الموت، فيؤخر الأعمال الصالحة لذلك.

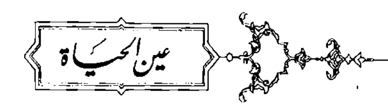
ويعمل كل قبيح مع تسويف التوبة، أو جمع الأموال الطائلة وبناء القصور الرفيعة، وتوفير سائر الأمور الكمالية بسبب الاعتماد على هذا العمر الفاني بتسويلات الشيطان، فتحصل الغفلة لهذا عن الأمور التي تنفع في الآخرة، ويفني عمره في تحصيل هذه الاعتبارات الفانية، ويكره الموت لتعلّقه بالأموال والأولاد وسائر ما يملكه، ويريد البقاء في الدنيا للتمتع بهذه الأسباب.

أو أنّه يأبى التضحية بنفسه في سبيل الله حباً في الحياة، ومن ذلك فقد يترك المرء الطاعات والعبادات خوفاً من ضعف قواه وأعضائه وجوارحه، فالحياة لهذه الأمور هي الدنيا المذمومة الموجبة للشقاء، وليس أصل هذه النشأة بل أنها توجب تحصيل السعادة الأبدية، مضافاً إلى أن جميع المعارف والعبادات والعلوم والكمالات والخيرات تحصل في هذه الحياة، وارادة الحياة لتحصيل هذه الأمور وطلبها من الله حسن.

فلذا يقول سيد الساجدين عليه السّلام: «... وعمّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك، فاذا كان عمرى مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إليّ، أو يستحكم غضبك عليّ ...»[1].

---

(١) الصحيفة السجادية دعاء رقم ٢٠ في مكارم الاخلاق.



وورد طلب طول العمر في الأدعية كثيراً، وروي انّ أمير المؤمنين عليه السّلام سمع رجلاً يذمّ الدنيا، فقال له:

«أيّها الذام للدنيا، المغترّ بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغترّ بالدنيا ثم تذمّها، أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك؟ متى استهوتك، أم متى غرّتك؟ أبمصارع آبائك من البلى، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟

كم علّلت بكفّيك، وكم مرّضت بيديك؟ تبتغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، غداة لا يغني عنهم دواؤك، ولا يُجدي عليهم بكاؤك، لم ينفع أحدهم إشفاقك، ولم تُسعف فيه بطلبتك، ولم تدفع عنه بقوّتك، وقد مثّلت لك به الدنيا نفسك، وبمصرعه مصرعك.

انّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلّى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمّها وقد آذنت ببينها[1]، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها.

فمثّلت لهم ببلائها البلاء، وشوّقتهم بسرورها إلى السرور، راحت بعافية، وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذمّها رجال غداة الندامة، حمدها آخرون يوم القيامة، ذكرتهم الدنيا فتذكروا، وحدّثتهم فصدّقوا، ووعظتهم فاتعظوا»[2].

الثاني: الدينار والدرهم والأثاث والأموال، وليس كلّها من الدنيا ـ كما ذكرنا

---

(١) بينها: أي بعدها وزوالها عنهم.

(٢) نهج البلاغة الرقم ١٣١ من الحكم ـ عنه البحار ٧٣: ١٢٩ ح ١٣٥ باب ١٢٢.



سابقاً ـ بل انّ الدنيا منها ما سبّب الغفلة عن الله تعالى، وارتكاب المحارم لتحصيلها، وحبّها كثيراً بحيث لا ينفقها في الله، ولا يعطي حقوق الله تعالى.

وهي لمن أراد بها تحصيل الآخرة من أحسن الأشياء كما مدح الله تعالى جمعاً كثيراً في القرآن بانفاق أموالهم في سبيل الله وشراء الجنة بها، فهي سبب لتحصيل السعادة الأُخروية، ولم تكن مذمومة بل انّ المذموم حبّها وترك الآخرة لأجلها.

فقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: نعم العون على تقوى الله الغنى[1].

وورد في أحاديث كثيرة عن أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله عليهما السّلام: نعم العون الدنيا على الآخرة[2].

وروي بسند صحيح أنّه: قال رجل لأبي عبدالله عليه السّلام: والله انّا لنطلب الدنيا ونحبّ أن نؤتاها، فقال: تحبّ أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسي وعيالي، وأصل بها، وأتصدق بها، وأحجّ وأعتمر، فقال عليه السّلام: ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة[3].

وجاء في أحاديث معتبرة انّ من الدنيا ما يوصل الانسان إلى الآخرة، ومنها ما يوصله إلى اللعنة، وهنا أخبار كثيرة ذكرنا بعضها في اللمع السابقة.

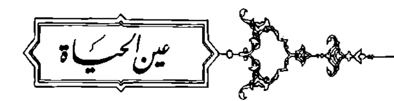
الثالث: التمتع بملذات الدنيا، ومعاشرة الناس، وتوفير الأمور الثمينة، والملابس الفاخرة، ومضى شرحها في اللّمع الماضية، فمتى ما علمت انّ الدنيا

---

(١) الكافي ٥: ٧١ ح ١ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة.

(٢) الكافي ٥: ٧٢ ح ٨ و ١٤ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة.

(٣) الكافي ٥: ٧٢ ح ١٠ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة.



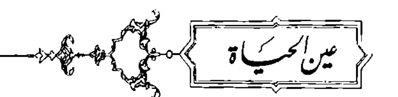
التي يتصوّرها العوام بعقولهم الناقصة ليست بهذه، وانّ الدنيا والآخرة يتشابهان كثيراً لأنّ ملك سليمان عليه السّلام بحسب الظاهر من الدنيا لكنّه عين الآخرة.

وعبادة الكفار ... وأعمال ذوي البدع وعبادة المرائين من الآخرة بحسب الظاهر لكنّها عين الدنيا، اذاً لابد من تعيين الدنيا والآخرة والمعرفة بحقيقة كليهما لكي تتجنب الدنيا وترغب في الآخرة، وإن سايرت الجهل فربما انحرفت عن جادة الآخرة إلى الدنيا بدون علمك.

والمستفاد من الآيات والروايات انّ الدنيا هي كلّما منعت الانسان من حبّ الله تعالىٰ ومن تحصيل الآخرة، وانّ الدنيا والآخرة متضادان، فكل شيء كان سبباً للقرب والثواب فهو من الآخرة وإن كان ظاهراً من الأمور الدنيوية، وكل شيء كان على خلافه فهو الدنيا، كم من تاجر يتاجر لتحصيل النفقة الواجبة أو إعانة المحتاجين وكسب الثواب الأُخروي، فهذه التجارة عين الآخرة لكنّ العوام من الناس يزعمونه طلباً للدنيا.

وكثيراً ما تعبّد شخص وكانت عبادته بدعة، أو كان غرضه منها تحصيل المال والاعتبار في الدنيا، فعبادته عين الدنيا. كما قد تجد عابداً ترك الدنيا ظاهراً وجلس في زاوية ولبس الصوف لكن هدفه المكر والخدعة من دون الله تعالى، انّ كلّ خيط من خيوط خِرَقِهِ مصيدة لتسخير قلوب الناس، وحبل (وحدة الوجود) المتمسك به شبكة قنص للكثرة وزيادة المريدين، وهو مشغول ببدع توجب الوبال عليه، ويظهر للناس ترك الدنيا لكن أعماله عين الدنيا.

انّ العلم الذي هو من أشرف الكمالات قد يجعله شخص وسيلة للدنيا فيكون أسوء من الأشقياء، وانّ الفقير الذي لا مال له قد يكون محباً للمال أكثر



ممّن يمتلك الثروة ولا تعلق له بها، فعلم انّ الدنيا والآخرة لا تختص بوضع أو عمل أو جماعة وقاعدتها العامة ما بيّناها.

وذكرنا سابقاً انّ الله تعالىٰ يريد ما أيّده الشارع المقدس النبوي، فلو عمل الخلق بما جاء به الشرع الموجب لرضى الرب باخلاص مع الشرائط الكاملة فهو الآخرة سواء أكان صلاة أم تجارة أم مواقعة أم معاشرة الناس، والدنيا غير هـذا وهي على أقسام.

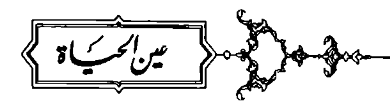
منها ما يستحق الانسان بارتكابه العقوبة بأن يكون الفعل من المحرمات الالهية سواء أكان عبادة أم معاشره أم جمع الأموال وارتكاب المعاصي وغيرها، فهذه الدنيا المحرمة.

وأمّا الدنيا المكروهة، فهي إن ارتكب الانسان أُموراً منهية على نحو الكراهة ولم تصل إلى حد التحريم لتحصيل فضول المال والمساكن وسائر الأمور من طريق الحلال، فانّها تحرم الانسان من الكمال وتحصيل الآخرة.

وأما الدنيا المباحة، فهي ارتكاب اللذات المباحة وسائر الأشياء التي لم يأمر الله بها ولا نهى عنها بل حلّلها، لكنّها تلحق بالقسم الثاني لمنعها من الكمال والسعادة الأُخروية.

وقد يفعل الانسان هذه الأمور بنية صحيحة، ويجعلها طريقاً نحو السعادة والعبادة، وتكون عبادة فيما لو فعلها بقصد القربة، فإنّ أكثر المباحات يمكن اتيانها عبادة بقصد القربة، وقد يترك المباحات أو المستحبات ويزعم لجهله أنّه عبادة وترك للدنيا.

فيعاقب على هذا العمل لكونه بدعة في الدين، كما روي بسند معتبر عن



أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عزَّ وجلَّ[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كلّ نعمة، والورع عمّا حرّم الله عليك[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام انّه [قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام:] ما الزهد في الدنيا؟ قال: تنكّب[3] حرامها[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: ... انّ الناس ثلاثة: زاهد، وصابر، وراغب، فأمّا الزاهد فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه، فلا يفرح بشيء من الدنيا، ولا يأس على شيء منها فاته، فهو مستريح.

وأما الصابر فانّه يتمنّاها بقلبه فاذا نال منها ألجم نفسه عنها لسوء عاقبتها وشنآنها... وأما الراغب فلا يبالي من أين جاءته الدنيا من حلّها أو من حرامها، ولا يبالي ما دنس فيها عرضه، وأهلك نفسه، وأذهب مروءته، فهم في غمرة يضطربون[5].

فالذي يريد ترك الدنيا لابد له من تحصيل العلم أوّلاً بما يطلبه الله من الأعمال وما يرتضيه من الطرق، وأنّ يتتبع آثار النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم ...

---

(١) معاني الأخبار: ٢٥١ ح ٣ ـ عنه البحار ٧٠: ٣١٠ ح ٤ باب ٥٨.

(٢) معاني الأخبار: ٢٥١ ح ٢ ـ عنه البحار ٧٠: ٣١٠ ح ٣ باب ٥٨.

(٣) تنكّبه: تجنبه واعتزله.

(٤) معاني الأخبار: ٢٥١ ح ١ ـ عنه البحار ٧٠: ٣١٠ ح ٢ باب ٥٨.

(٥) الكافي ٢: ٤٥٦ ضمن حديث ١٣ باب محاسبة العمل.

ويسلك سننهم وطريقتهم، ويعمل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات، ويلاحظ أمر الشارع في كلّ ما يريد أن يفعله.

ويفعل المباحات بنية صحيحة ـ كما أشرنا إليه في باب النية ـ ويجعلها عبادة، لأنّ الشهوات النفسانية والوساوس الشيطانية من الجنّ والانس تعارض الانسان في ارتكاب هذه الأمور، فلابد من التوسل إلى الله تعالىٰ والتفكر في قوانين الشريعة النبوية.

وليذلل نفسه بتحمل الطاعات الشاقّة كي تنقاد للشرع، وليخرج التخيلات المخالفة للشرع من نفسه بالمجادلة والمعارضة، كي يهتدي إلى طريق الحق ويكون تاركاً للدنيا والّا فأكثر تاركي الدنيا من طالبيها ويزعمون انهم موفقون لجهلهم وغباوتهم.

وتفصيل هذا المطلب يتوقف على بيان آداب أهل البيت عليهم السّلام وسننهم وطريقتهم، وهذا ما لا يسعه الكتاب، وسنكتب كتاباً مستقلاً فيه إن شاء الله.

والغرض من ذكر هذا المجمل لإنخداع أكثر العوام من هذا الطريق، فانهم يتبعون كلّ من رأوه في وضع غريب مخالف للمتعارف من دون ان يلاحظوا كونه موافقاً للشرع أم مخالفاً، فيضلّون لذلك، فلعلّ الله أن يهدي من أراد هدايته بهذه الكلمات، لكن أكثر الذين ضلّوا واستقرّ الضلال في نفوسهم لا يهتدون بها بل يزدادون رسوخاً في الباطل.

فهرس الموضوعات


عين الحياة